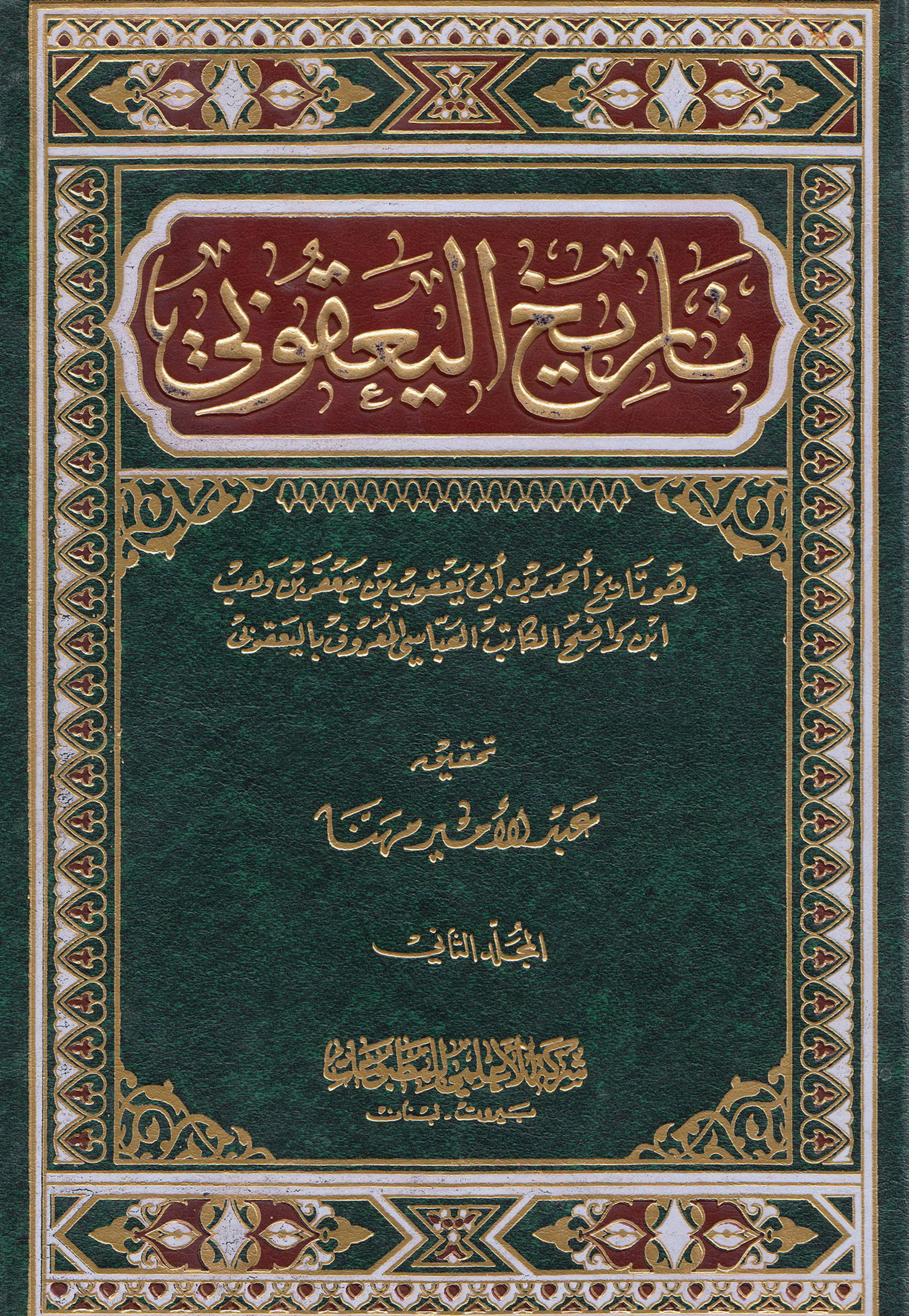
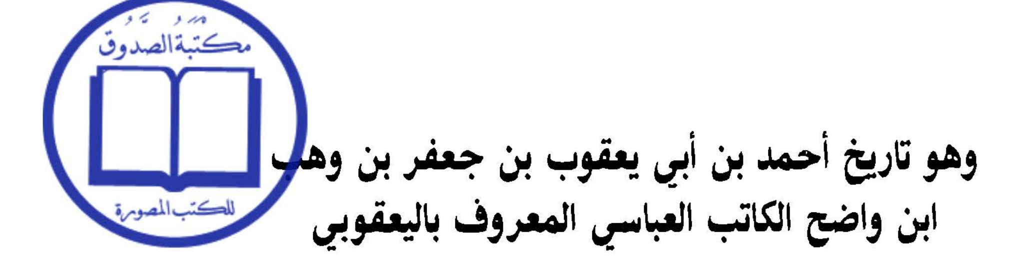

تاريخ اليعقوبي
وهو تاريخ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب
ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي
تحقيق
عبد الأمير مهنا
المجلد الثاني
شركة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

تاريخ اليعقوبي



وهو تاريخ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب
ابن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي

تحقيق

عبد الامير مهنا

المجلّد الثاني



الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

Published by Alaalami co.

شركة الأعلمي للمطبوعات

Beirut Airport Road
Tel: 01/450426 Fax: 01/450427
E-mail: alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com



بيروت - طريق المطار - مفرق حارة حريك
قرب سنتر زعرور
هاتف: ٠١/٤٥٠٤٢٦ فاكس: ٠١/٤٥٠٤٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه وليّ التوفيق ، الحمد للّه ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيدنا محمد خاتم النبيّين وعلى أهل بيته الطيبين الطّاهرين .

إنّه لما انقضى كتابنا الأوّل الذي اختصرنا فيه ابتداء كون الدنيا وأخبار الأوائل من الأمم المتقدّمة والأسباب المتشعبة ألفنا كتابنا هذا على ما رواه الأشياخ المتقدّمون من العُلماء والرّواة وأصحاب السِّيَر والأخبار والتأريخات ، ولم نذهب إلى التفرّد بكتاب نصنّفه ونتكلف منه ما قد سبقَنا إليه غيرنا ، لكنّا قد ذهبنا إلى جمع المقالات والروايات لأنّا قد وجدناهم قد اختلفوا في أحاديثهم وأخبارهم وفي السنين والأعمال ، وزاد بعضهم ونقص بعضٌ ، فأردنا أن نجمع ما انتهى إلينا ممّا جاء به كلّ امرىء منهم لأن الواحد لا يحيط بكل العلم ، وقد قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب : العلمُ أكثر من أن يحفظ ، فخذوا من كلّ علم محاسنه . وقال جعفر بن حرب بن الأشجّ : وجدت العلم كالمال ، في يد كل إنسان منه شيءٌ ، فإذا حوى الرجل منه جملةً سمّي موسراً ، ويحوي الآخر ما هو أكثر منه فيسمّى موسراً ، وكذلك العلم لا يحوي منه شيئاً إلاّ سمّي عالماً وإن كان غيره أعلم منه . ولو كنّا لا نسمّي العالِمَ عالِماً حتّى يحوي العلم كلّه لم يقع هذا الإسم على أحد من الآدميّين . وقال بعض الحكماء : ليس طلبي

للعلم طمعاً في بلوغ قاصيته والاستيلاء على غايته . ولكن ألتمس شيئاً لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل خلافه . وقال بعض الحكماء : إنْ لم تكن عالماً فتعلّمْ وإن لم تكن حكيماً فتحكّم فإنه قلّ ما يتشبّه رجل بقوم إلاّ يوشك أن يكون منهم . وقال بعضهم : العلم روح والعمل بدن ، والعلم أصل والعمل فرع ، والعلم والد والعمل مولود ، وكان العمل بمكان العلم ولم يكن العلم بمكان العمل . وقال بعضهم : مَن طلب العلم لرغبة أو رهبة أو منافسة أو شهوة كان حظّه منه على حسب الرهبة ، ومَن طلب العلم لكرم العلم والتمسه لفضل الاستبانة كان حظّه منه بقدر كرمه وانتفاعُه به حسب استحقاقه . وقال بعضهم : كلّ شيء يحتاج إلى العقل والعقلُ يحتاجُ إلى العلم .

وابتدىء كتابنا هذا بأخبار الخلفاء بعد الرسول (ص) وسيرة خليفة بعد خليفة وفتوحه ، وما كان منه وعُملَ به في أيامه وسني ولايته . وكان مَن روينا عنه ما في هذا الكتاب: إسحاق بن سليمان بن عليّ الهاشميّ عن أشياخ بني هاشم ، وأبو البخْتَريّ وهب بن وهب القرشيّ عن جعفر بن محمّد وغيره من رجاله ، وأبان بن عثمان عن جعفر بن محمّد ، ومحمّد بن عمر الواقديّ عن موسى بن عقبة وغيره من رجاله ، وعبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البَكّائي عن محمّد بن إسحاق المطّلبي ، وأبو حسّان الزياديّ عن إبي المنذر الكلبي وغيره من رجاله ، وعيسى بن يزيد بن دأب ، والهيثم بن عديّ الطائيّ عن عبد الله بن عبّاس الهمدانيّ ومحمّد بن كثير القرشيّ عن إبي صالح وغيره من رجاله ، وعليّ بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائنيّ ، وأبو معشر المدنيّ ، ومحمد بن موسى الخوارزميّ المنجّم ، وما شاء الله ، الحاسب في طوالع السنين والأوقات . وأثبتنا عن غير هؤلاء الذين سَمّينا جُمَلاً جاء بها غيرهم ورواها سواهم وعلمناها من سِير الخلفاء وأخبارهم ، وجعلناه كتابًا مختصراً ، حذفنا منه الأشعار وتطويل الأخبار ، وبالله المعونة والتوفيق والحول والقوّة .

خبر سقيفة بني ساعدة وبيعة أبي بكر

واجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، يوم تُوفي رسول الله . . . . .[1] يغسل ، فأجلست سعد بن عبادة الخزرجيَّ ، وعصّبته بعصابة ، وثنَتْ له وسادة . وبلغ أبا بكر وعمر والمهاجرين ، فأتوا مسرعين ، فنحّوا الناس عن سعد ، وأقبل أبو بكر وعمر بن الخطّاب وأبو عبيدة بن الجرّاح فقالوا : يا معاشر الأنصار ! منّا رسول الله ، فنحن أحقّ بمقامه . وقالت الأنصار : منّا أمير ومنكم أمير ! فقال أبو بكر : منّا الأمراء وأنتم الوزراء . فقام ثابت بن قيس بن شمّاس ، وهو خطيب الأنصار ، فتكلّم وذكر فضلهم . فقال أبو بكر : ما ندفعهم عن الفضل ، وما ذكرتم من الفضل فأنتم له أهل ، ولكن قريش أولى بمحمّد منكم ، وهذا عمر بن الخطّاب الذي قال رسول الله : اللّهمَّ أعزّ الدين به ! وهذا أبو عبيدة بن الجرّاح الذي قال رسول الله : أمير هذه الأمّة ، فبايعوا أيّهما شئتم ! فأبيا عليه وقالا : والله ما كنّا لنتقدّمك ، وأنت صاحب رسول الله وثاني اثنين . فضرب أبو عبيدة على يد أبي بكر ، وثنّى عمر ، ثمّ بايع مَن كان معه من قريش[2] .

ثمّ نادى أبو عبيدة: يا معشر الأنصار ! إنّكم كنتم أوّل من نصر ، فلا تكونوا أوّل من غيّر وبدّل. وقام عبد الرحمٰن بن عوف فتكلّم فقال: يا معشر الأنصار، إنّكم، وإن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعليّ ،

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) تباينت الروايات في إيراد هذا الخبر وطريقة إخباره ، فعلى القارىء العودة إلى الكتب التاريخية «تاريخ الطبري ج ٢ ٤٤٤ وتاريخ خليفة بن خياط وسيرة ابن هشام ومروج الذهب للمسعودي» .

وقام المنذر بن أرقم فقال : ما ندفع فضل من ذكرت ، وإنّ فيهم لرجلاً لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحدٌ ، يعني عليّ بن أبي طالب . فوثب بشير بن سعد من الخزرج ، فكان أول مَن بايعه من الأنصار ، وأُسيد بن حُضير الخزرجي ، وبايع الناس حتى جعل الرجل يطفر[1] وسادة سعد بن عبادة ، وحتى وطئوا سعداً . وقال عمر : اقتلوا سعداً ، قتل الله سعداً .

وجاء البراء[2] بن عازب ، فضرب الباب على بني هاشم وقال : يا معشر بني هاشم ،ابويع أبو بكر . فقال بعضهم : ما كان المسلمون يحدثون حدثاً نغيب عنه ، ونحن أولى بمحمّد . فقال العبّاس فعلوها ، وربّ الكعبة .

وكان المهاجرون والأنصار لا يشكّون في عليّ ، فلمّا خرجوا من الدار قام الفضل بن العبّاس ، وكان لسان قريش ، فقال : يا معشر قريش ، إنّه ما حقّت لكم الخلافة بالتمويه[3] ، ونحن أهلها دونكم ، وصاحبنا أولى بها منكم[4] .

وقام عتبة بن أبي لهب فقال :

مـا كنتُ أحسِبُ أن الأمْـرَ منصـرِفٌ عن هاشمٍ ثمّ منها عن أبي الحَسَنِ[5]

عَنْ أوّلِ النّاسِ إيمـانـاً وسـابِقَـةً ، وأعْلَمِ النّـاسِ بِـالقُـرْآنِ والسُّنَنِ

وآخِرِ النّـاسِ عَهْـداً بـالنّبيّ ، ومَنْ جِبْـريلُ عَـوْنٌ له في الغَسْـل والكفَنِ

مَنْ فيـه مـا فيهِمُ لا يَمْتَـرُونَ بـه ، ولَيْسَ في القَـوْمِ مـا فيـهِ من الحسَنِ

---

(١) يطفر : يدوس .

(٢) البراء بن عازب : من قادة المسلمين ، منعه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن القتال في بدر لصغر سنه ، اشترك في عدة غزوات تحت إمرة الرسول وعلي .

[الزركلي : الأعلام ٢]

(٣) بالتمويه : بالتزوير .

(٤) يريد «علي بن أبي طالب» .

(٥) كنية «علي بن أبي طالب» .

فبعث إليه عليّ فنهاه ، وتخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ، ومالوا مع عليّ بن أبي طالب ، منهم : العبّاس بن عبد المطلب ، والفضل بن العبّاس ، والزبير بن العوّام بن العاص ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان الفارسيّ ، وأبو ذرّ الغفاري ، وعمّار بن ياسر ، والبراء بن عازب ، وأُبيّ بن كعب ، فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطّاب وأبي عبيدة بن الجرّاح والمغيرة بن شعبة ، فقال : ما الرّأي ؟ قالوا : الرأي أن تلقى العبّاس بن عبد المطّلب، فتجعل له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه[1] من بعده ، فتقطعون به ناحية عليّ بن أبي طالب حجّة لكم على عليّ ، إذا مال معكم ؛ فانطلق أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجرّاح والمغيرة حتى دخلوا على العبّاس ليلاً ، فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : إنّ الله بعث محمّداً نبيّاً وللمؤمنين وليّاً ، فمنّ عليهم بكونه بين أظهرهم ، حتى اختار له ما عنده ، فخلّى على الناس أموراً ليختاروا لأنفسهم في مصلحتهم مشفقين ، فاختاروني عليهم والياً ولأمورهم راعياً ، فوُلّيتُ ذلك ، وما أخاف بعون الله وتشديده وهناً[2] ، ولا حَيرة ، ولا جبناً ، وما توفيقي إلاّ بالله ، عليه توكّلت ، وإليه أُنيب ، وما انفكّ يبلغني عن طاعن[3] يقول الخلاف على عامّة المسلمين ، يتّخذكم لجأً ، فتكون حصنه المنيع وخطبه البديع . فإمّا دخلتم مع الناس فيما اجتمعوا عليه ، وإمّا صرفتموهم عمّا مالوا إليه ، ولقد جئناك ونحن نريد أنّ لك في هذا الأمر نصيباً يكون لك ، ويكون لمن بعدك من عقبك إذ كنت عمّ رسول الله ، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك . . . .[4] عنكم ، وعلى رسلكم بني هاشم ، فإن رسول الله منّا ومنكم .

---

(١) عقبه : نسله .

(٢) وهناً : ضعفاً .

(٣) أي طاعن بخلافة أبي بكر الصديق .

(٤) بياض في الأصل .

فقال عمر بن الخطّاب : إي والله وأُخرى ، إنّا لم نأتكم لحاجة إليكم ، ولكن كرهاً أن يكون الطّعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم ، فيتفاقم الخطب بكم وبهم ، فانظروا لأنفسكم .

فحمد العبّاس الله وأثنى عليه وقال : إن الله بعث محمّداً كما وصفت نبيّاً وللمؤمنين وليّاً ، فمنّ على أمته به ، حتى قبضه الله إليه ، واختار له ما عنده ، فخلّى على المسلمين أُمورهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين الحق ، لا مائلين بزيغ الهوى ، فإن كنت برسول الله فحقّاً أخذت ، وإن كنت بالمؤمنين فنحن منهم ، فما تقدّمنا في أمرك فرضاً ، ولا حللنا وسطاً ، ولا برحنا سخطاً ؛ وإن كان هذا الأمر إنّما وجب لك بالمؤمنين ، فما وجب إذ كنّا كارهين . ما أبْعَدَ قوْلك من أنّهم طعنوا عليك من قولك إنّهم اختاروك ومالوا إليك ؛ وما أبعد تسميتك بخليفة رسول الله من قولك خلّى على النّاس أمورهم ليختاروا فاختاروك : فأما ما قلت إنّك تجعله لي ، فإن كان حقّاً للمؤمنين ، فليس لك أن تحكم فيه ؛ وإن كان لنا فلمْ نرضَ ببعضه دون بعض ، وعلى رِسْلك ، فإن رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها . فخرجوا من عنده .

وكان فيمن تخلّف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان بن حرب ، وقال : أرضيتم يا بني عبد مناف أن يَلِيَ هذا الأمر عليكم غيرُكم ؟ وقال لعليّ بن أبي طالب : امددْ يدك أبايعْك ، وعليّ معه قصيّ ، وقال :

بني هاشم لاتُطْمِعوا الناسَ فيكمُ ... ولا سيما تَيْمَ[1] بن مرّة أو عديّ[2]
فما الأمْرُ إلاّ فيكمُ وإليْكُمُ ، ... وَلَيْسَ لها إلاّ أبو حَسَنٍ عليّ
أبا حسَن ، فاشدُدْ بها كفّ حازِمٍ ، ... فإنّك بالأمْرِ الذي يُرْتَجى مَلِيّ

---

(١) تيم بن مرّة : بطن من قبيلة قريش المكية ، أنجبت أبا بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله .

(٢) يريد «عدي بن حاتم» وهو من أنصار علي بن أبي طالب . كان مسيحياً فأسلم سنة ٦٣٠ م . حارب في الجمل وحمل اللواء في القتال .

وإنّ امْــرأً يَــرْمــي قـصــيٌّ وراءَه عزيزُ الحمى ، والناسُ من غالبٍ قَصيّ

وكان خالد بن سعيد غائباً ، فقدم فأتى عليّاً فقال : هلمّ أبـايعك ، ، فـواللّهِ ما في النـاس أحدٌ أولى بمقـام محمّد منـك . واجتمع جمـاعـة إلى عليّ بن أبي طـالب يدعـونه إلى البيعـة له ، فقـال لهم : اغـدوا على هـذا محلّقين الرؤوس . فلم يغدُ عليه إلاّ ثلاثة نفر .

وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع عليّ بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله ، فأتوا في جماعـة حتى هجمـوا الدار ، وخـرج عليّ ومعـه السيف ، فلقيـه عمـر ، فصـارعـه عمـر فصرعه ، وكسر سيفه ، ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت : والله لتخرجنّ أو لأكشفنّ شعري ولأعجّـنّ إلى الله[1] ! فخرجـوا وخرج مَن كـان في الدار وأقام القوم أيّاماً . ثم جعل الواحد بعد الـواحد يبـايع ، ولم يبـايع عليّ إلاّ بعد ستة أشهر وقيل أربعين يوماً .

أيام أبي بكر[2]

وكـانت بيعـة أبي بكـر يـوم الاثنين لليلتين خلتـا من شهـر ربيـع الأول سنـة ١١ ، في اليـوم الـذي تـوفي فيـه رسـول الله . واسم أبي بكـر عبـد الله بن عثمـان ابن عـامر ، وكـان يسمّى عتيقاً لجمـالـه ؛ وأمّـه سلمى بنت صخـر من بني

---

(١) عجّ : صاح ورفع صوته .

(٢) أبو بكر الصديق (٥١ ق. هـ ـ ١٣ هـ = ٥٧٣ ـ ٦٣٤ م) : سيد من سـادات قريش في الجاهلية وغني من كبار موسريهم ، وهو ممن حرّم على نفسه الخمر في الجاهليـة ، فلم يشـربهـا . لقّب بـالصـديق لتصـديقـه النبي محمـد ﷺ في خبـر الإسـراء والمعـراج ، وذلك عنـدمـا سعى رجـال من المشـركين إليـه فقـالـوا : «إن صـاحبـك (ويقصدون رسول الله) يزعم كذا وكـذا» فقال : «إن كـان قال ذلـك فقد صـدق ، إني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك ، أصدّقه بخبر السماء في غدوة أو روحة» فسمّي أبو بكر الصديق من يومئذٍ.

[أنظر معجم الألقاب والأسماء المستعارة للدكتور فؤاد السيد ص١٩٤]

تيم بن مرّة، وكان منزله بالسُّنْح[1] خارج المدينة ، وكانت امرأته حبيبة بنت خارجة فيه ، وكان له أيضاً منزل بالمدينة فيه أسماء بنت عُمَيْس ، فلمّا ولي كان منزله المدينة ، وأتته فاطمة ابنة رسول الله تطلب ميراثها من أبيها ، فقال لها : قال رسول الله : إنا معشر الأنبياء لا نُورث ، ما تركنا صدقة . فقالت : أفي الله أن ترث أباك ولا أرث أبي ؟ أما قال رسول الله : المرءُ يحفظ ولده ؟ فبكى أبو بكر بكاءً شديداً .

وأمر أسامة[2] بن زيد أن ينفذ في جيشه . وسأله أن يترك له عمر يستعين به على أمره . فقال : فما تقول في نفسك ؟ فقال : يابن أخي ! فعل الناس ما ترى فدع لي عمر ، وانفذ لوجهك . فخرج أسامة بالنّاس وشيّعه أبو بكر فقال له : ما أنا بموصيك بشيء ، ولا آمرك به ، وإنّما آمرك ما أمرك به رسول الله ، وامض حيث ولاّك رسول الله . فنفذ أسامة ، فأقام منذ خرج إلى أن قدم المدينة منصرفاً ستّين يوماً ، أو أربعين يوماً ، ثمّ دخل المدينة ولواؤه معقود ، حتى يدخل المسجد ، فصلّى ، ثمّ دخل إلى بيته ولواؤه الذي عقده رسول الله معه ؛ وصعد أبو بكر المنبر عند ولايته الأمر ، فجلس دون مجلس رسول الله بمرقاة[3] ، ثمّ حمد الله وأثنى عليه وقال : إنّي وُلّيتُ عليكم ولستُ بخيركم ، فإن استقمت فاتبعوني ، وإن زُغت فقوّموني ! لا أقول إنّي أفضلكم فضلاً ، ولكنّي أفضلكم حملاً . وأثنى على الأنصار خيراً وقال : أنا وإيّاكم ، معشر الأنصار ، كما قال القائل :

جـزى الله عنّـا جَعْفَـراً حين أُزْلِقَتْ ... بنـا نَعْـلُنـا في الـوَاطئينَ فَـزَلَّـتِ

---

(١) السُنح : موضع في طرف من أطراف المدينة ، بينها وبين منزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميل واحد .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) توفي سنة ٦٧٣ . تقدمت ترجمته .

(٣) المرقاة : الدرجة .

أبـوا أنْ يـمـلّونـا ولـو أنّ أُمّـنَـا　　تُـلاقي الّـذي يلقـون منّـا لَمَلّتِ

فاعتزلت الأنصار عن أبي بكر ، فغضبت قريش ، وأحفظها[١] ذلك ، فتكلّم خطباؤها ، وقدم عمرو بن العاص فقالت له قريش : قم فتكلّم بكلام تنال فيه من الأنصار ! ففعل ذلك ، فقام الفضل بن العبّاس فردّ عليهم ثمّ صار إلى عليّ ، فأخبره وأنشده شعراً قاله ، فخرج عليّ مغضباً حتى دخل المسجد ، فذكر الأنصار بخير ، وردّ على عمرو بن العاص قوله . فلمّا علمت الأنصار ذلك سرّها وقالت : ما نبالي بقول من قال مع حسن قول عليّ ، واجتمعت إلى حسّان[٢] بن ثابت ، فقالوا : أجب الفضل ، فقال : إن عارضته بغير قوافيه فضحني . فقالوا : فاذكر عليّاً فقط ، فقال :

جزى اللّهُ خيراً ، والجَزاءُ بكفّه ،　　أبـا حَسَنٍ عنّـا ومَن كـأبي حسنْ
سبقتَ قـريشـاً بـالّـذي أنتَ أهلُهُ　　فصَـدرُك مشـرُوحٌ وقلبـك مُمتحَنْ
تَمَنّتْ رجـالٌ من قـريشٍ أعِـزّةٌ　　مكانَك ، هيهاتَ الهُزال من السمن
وأنتَ من الإسـلام في كـل منـزلٍ　　. . . . . . البـطين من الـرّسَنْ[٣]
وكنتَ المُـرَجّى مِن لؤيّ بن غالبٍ　　لمـا كان منـه والـذي بعـدُ لم يكنْ
حفـظتَ رسـول الله فينـا وعهـدُهُ　　إليـكَ ومَن أوْلى بـه منـك مَن ومَن
ألَسْتَ أخـاهُ في الإخـا وَوَصيّـهُ ،　　وأعلَمَ فِهـرٍ بـالْكتـاب وبـالسّنَنْ

وتنبّأ[٤] جماعة من العرب ، وارتدّ[٥] جماعة ، ووضعوا التّيجان على رؤوسهم ، وامتنع قوم من دفع الزكاة إلى أبي بكر .

---

(١) أحفظها : أثار حفيظتها وأغضبها .
(٢) تقدّمت ترجمته .
(٣) البيت ناقص في الأصل . والبطين : الملآن وليس لها معنى في البيت ، كذلك فإنه لا وجود لهذه الأبيات في ديوان حسّان .
(٤) تنبّأ : ادّعى النبوة .
(٥) أي عادوا عمّا كانوا عليه أيّام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان ممّن تنبّأ طليحة[1] بن خويلد الأسديّ بنواحيه ، وكان أنصاره غطفان ، ورئيسهم عيينة بن حصن الفزاريّ ؛ والأسود العنسيّ باليمن ، ومسيلمة[2] بن حبيب الحنفيّ باليمامة ؛ وسجاح[3] بنت الحارث التميميّة ، ثمّ تزوّجت بمسيلمة ، وكان الأشعث بن قيس مؤذنها . فخرج أبو بكر في جيشه إلى ذي القَصّة[4] . ودعا عمرو بن العاص فقال : يا عمرو إنّك ذو رأي في قريش، وقد تنبّأ طليحة . فما ترى في عليّ ؟ قال : لا يطيعك ! قال : فالزبير ؟ قال : شجاع حسن ! قال : فطلحة ؟ قال : للخفض والطعن ! قال : فسعد[5] ؟ قال : مِحَشّ حرب ! قال : فعثمان ؟ قال : أجلسْه واستعن برأيه ! قال : فخالد بن الوليد ؟ قال : بسوس للحرب ، نصير للموت . له أناة القطاة[6] ، ووثوب الأسد . فلمّا عقد له قام ثابت بن قيس بن شمّاس فقال : يا معشر قريش ، أما كان فينا رجل يصلح لما تصلحون له ؟ أما والله ما نحن عُمْياً عمّا نرى ، ولا صمّاً عما نسمع ، ولكن أمرنا رسول الله بالصبر ، فنحن نصبر . وقام حسّان فقال :

---

(١) طليحة بن خويلد : ادّعى بالنبوة وكان في طليعة أهل الردة . توفي سنة ٦٤١ م .

(٢) مسيلمة بن حبيب : متنبىء من المعمرين ، وُلد ونشأ باليمامة ، تلقب في الجاهلية بالرحمن ، وعرف برحمن اليمامة . قالوا في وصفه : «كان رويجلاً ، أصيغر ، أخينس» . كان اسمه «مسلمة» وصغّره المسلمون تحقيراً له .

[الزركلي : الأعلام ٧ ص ٢٢٦]

(٣) سجاح : متنبئة مشهورة ، وكانت شاعرة أديبة عارفة بالأخبار ، رفيعة الشأن في قومها . كان لها علم بالكتاب أخذته عن نصارى تغلب . نزلت باليمامة ، فبلغ خبرها مسيلمة وأقبل عليها في جماعةٍ من قومه وتزوّج بها . أسلمت وهاجرت إلى البصرة وتوفيت فيها نحو ٥٥ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٣ ص٧٨]

(٤) ذو القصة : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً وهو طريق الربذة .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٥) يريد سعد بن أبي وقاص .

(٦) القطاة : طائر في حجم الحمام ، قيل سميت بذلك لثقل مشيتها .

يـا للرجَـال لخلْفَـةِ الأطْـوارِ ولمـا أرادَ القـوْمُ بـالأنْصَـارِ
لَمْ يُـدْخلوا منّـا رئيسـاً واحـداً يـا صـاحِ في نقضٍ ولا إمْـرَارِ

فعـظم على أبي بكـر هـذا القـول ، فجعـل على الأنصـار ثـابت بن قيس ، وأنفذ خالـداً على المهاجـرين ، فقصد طليحـة ففرّق جمعـه ، وقتل خلقاً من أتباعه ، وأخذ عُيَيْنة بن حصن ، فبعث به إلى أبي بكر مع ثـلاثين أسيـراً ، وهو مكبّـل بالحـديـد، فجعـل الصبيـان يصيحـون بـه لمّـا دخـل المـدينة : يـا مرتـدّ ! فيقول : مـا آمنت طرفـةَ عين قـطّ ! فاستتـابـه وأطلق سبيله ، ولحق طليحـة بالشـأم ، وجاور بني حنيفـة ، وبعث بشعـر إلى أبي بكر يعتذر إليه ، ويراجع الإسلام ، يقول فيه :

فهـلْ يقبـلُ الصّـدّيقُ أنّي مُراجـعٌ ومُعْطٍ بمـا أحدثْتُ من حـدَثٍ يـدي
وأنّي مِنْ بعـدِ الضّـلالـةِ شـاهِـدٌ شـهـادَةَ حَقّ لسـتُ فـيهـا بِـمُلْحِـدِ

فلمّـا انتهى قولـه إلى أبي بكر رقّ لـه ، وبعث إليه ، فـرجـع ، وقـد هلك أبو بكر ، وقام عمر على قبره . وبعث به مع سعد بن أبي وقّاص إلى العراق ، وأمره أن لا يستعمله .

وأمّا الأسود[1] بن عنزة العنسيّ ، فقد كان تنبّأ على عهـد رسول الله ، فلمّا بويع أبو بكر ظهر أمره ، واتّبعه على ذلك قوم ، فقتله قيس بن مكشوح المُراديّ وفيروز الديلميّ ، دخلا عليه منزله ، وهو سكران ، فقتلاه .

وقـد كان أبـو بكـر عقـد لشُـرَحْبيـل[2] بن حسنـة ، وأمـره أن يقصـد

---

(١) الأسـود العنسي :هـو عيهلة بن كعب ، ذوالخمـار ،متنبىء مشعـوذ ،من أهـل اليمن . ادعى النبـوة ، وأرى قـومـه أعـاجيب استهواهم بها ، سمّى نفسه «رحمان اليمن» . كان له شيطان يخبره بالمغيبات ، فضلّ به كثير من الناس . قتل سنة ١١ هـ .
[الزركلي : الأعلام ٥ ص ١١١]

(٢) شرحبيل بن حسنة : هو شرحبيل بن عبد الله ، وحسنة هي «أمُّـه» أسلم بمكة . افتتح الأردن ما خلا طبرية ، عزله أبو عبيدة واستعمل مكانه معاونه . توفي بطاعون عمـواس .

لمسيلمة الكذّاب وألاّ يأتيه رأيه ، ثمّ عقد لخالد وبعثه على شرحبيل ، فكتب خالد إلى شرحبيل : ألاّ تعجل حتى آتيك ! ونفذ خالد بن الوليد مسرعاً إلى اليمامة ، إلى مسيلمة الحنفيّ الكذّاب ، وكان قد أسلم ثمّ تنبّأ في سنة ١٠ ، وزعم أنّه شريك لرسول الله في النبوّة ، وكان كتب إلى رسول الله : إني أشركت معك ، فلك نصف الأرض ، ولي نصفها ، ولكن قريش قوم لا يعدلون . فكتب إليه رسول الله : من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب : أمّا بعد فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتّقين ؛ فلقي خالد مُجّاعة في جماعة ، فأسرهم وضرب أعناقهم ، واستبقى مجّاعة ، وزحف إلى مسيلمة ، فخرج مسيلمة فقاتله بمن معه من ربيعة وغيرها قتالاً شديداً ، وقُتل من المسلمين خلق عظيم ، ثمّ قتل مسيلمة في المعركة ، طعنه أبو دجانة الأنصاريّ ، فمشى إليه مسيلمة في الرمح فقتله ، ورماه وحشيّ بحربته فقتله ، وهو يومئذ ابن مائة وخمسين سنة .

وأتى مجّاعة الحنفيّ إلى خالد ، فأوهمه أنّ في الحصن قوماً بعد ، وقال : ما أتاك إلاّ سرعان الناس ، ودعا إلى الصلح فصالحهم خالد على الصفراء والبيضاء ونصف السبي ، ثمّ نظروا وليس في الحصن أحد إلاّ النساء والصبيان ، فألبسهم السلاح ووقّفهم على الحصون ، ثمّ أشار إلى خالد فقال : أبوا عليّ ، فتأخذ الربع؟ ففعل ذلك خالد ، وقبل منهم . فلمّا فتحت الحصون لم يجد إلاّ النساء والصبيان فقال : أمَكْراً يا مجّاعة ؟ قال : إنّهم قومي . وأجاز لهم وافتتحت اليمامة ، وهربت سجاح ، فماتت بالبصرة .

وكان فتح مسيلمة في سنة ١١ وقتل في شهر ربيع الأول سنة ١٢ . وخطب خالد إلى مجّاعة ابنته ، فزوّجه إيّاها ، فكتب إليه أبو بكر : تتوثّب

= سنة ١٨ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٣ ص ١٥٩]

على النساء وعند أطناب[1] بيتك دماءُ المسلمين ؟ .

وأمر أبو بكر خالداً أن يسير إلى أرض العراق ، فسار ومعه المثنّى[2] بن حارثة ، حتى صار إلى مدينة بانِقِيا[3] ، فافتتحها وسبى مَن فيها ؛ ثمّ صار إلى مدينة كسكر[4] ، فافتتحها وسبى مَن فيها ، ثمّ سار حتى لقي بعض ملوك الأعاجم يقال له جابان ، فهزمه وقتل أصحابه ؛ ثمّ سار حتى انتهى إلى فُرات بادَقْلى يريد الحيرة ، وملكها النعمان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ؛ ثمّ انهزم النعمان فلحق بالمدائن ،ونزل خالد الخَوَرْنَق[5] ، وسار حتى صَيّر الحيرة خلف ظهره ، وكانوا على محاربته ؛ ثمّ دعوا إلى الصلح ، فصالحهم على سبعين ألفاً عن رؤوسهم ، وقيل مائة ألف درهم .

وتجرّد أبو بكر لقتال من ارتدّ ، وكان ممّن ارتدّ ، وممن وضع التاج على رأسه من العرب ، النعمانُ بن المنذر بن ساوى التميميّ بالبحرين ، فوجّه العلاءَ بن الحضرميّ فقتله ؛ ولقيط بن مالك ذو التاج بِعُمَان وجّه إليه حُذيفة بن مِحْصَن فقتله بِصُحار من أرض عُمان .

وكان ذو التّاج . . . . .[6] من بني ناجية وبشر كثير من عبد القيس ، فقتل الله ذا التاج، وسبى المسلمون ذراريّهم، وبعثوا بها إلى أبي بكر ، فباعها بأربعمائة درهم ، ثمّ وجّه لقتال من منع الزكاة ، وقال : لو منعوني

---

(١) أطناب هنا: أعتاب . والطنب في الأصل هو حبل طويل يشدّ به سرادق الخيمة أو البيت .

(٢) المثنّى بن حارثة : شيخ بني شيبان ، حمل برجاله على مهران قائد الفرس وغلبه في وقعة البُوَيب على الفرات سنة ٦٣٥ م .

(٣) بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٤) كسكر: كورة واسعة ، قصبتها واسط القصبة التي بين الكوفة والبصرة .

[ياقوت: معجم البلدان]

(٥) الخورنق: قصر النعمان .

(٦) بياض في الأصل .

عِقالاً لقاتلتهم ، وكتب إلى خالد بن الوليد أن ينكفىء إلى مالك بن نويرة اليربوعيّ ، فسار إليهم ، وقيل إنّه كان نَدَاهُم[1] ، فأتاه مالك بن نويرة يناظره ، واتّبعته امرأته، فلمّا رآها خالد أعجبته فقال : واللّهِ لا نلت ما في مثابتك حتى أقتلك ، فنظر مالكاً ، فضرب عنقه ، وتزوّج امرأته ، فلحق أبو قتادة بأبي بكر ، فأخبره الخبر ، وحلف ألّا يسير تحت لواء خالد لأنّه قتل مالكاً مسلماً . فقال عمر بن الخطّاب لأبي بكر : يا خليفة رسول الله ! إنّ خالداً قتل رجلاً مسلماً ، وتزوّج امرأته من يومها[2] . فكتب أبو بكر إلى خالد ، فأشخصه ، فقال : يا خليفة رسول الله إنّي تأوّلت ، وأصبت ، وأخطأت .

وكان متمّم[3] بن نويرة شاعراً فرثى أخاه بمراثٍ كثيرة ، ولحق بالمدينة إلى أبي بكر ، فصلّى خلف أبي بكر صلاة الصبح ، فلمّا فرغ أبو بكر من صلاته قام متمّم فاتّكأ على قوسه ، ثمّ قال :

نِعْمَ القتيلُ إذا الرِّياحُ تَناوَحَتْ   خلْفَ البُيوتِ قَتلْتَ يابن الأزْوَرِ[4]
أدَعَوْتَهُ باللّهِ ثُمّ غَدَرْتَهُ   لو هُو دَعاكَ بذِمّةٍ لم يَغْدرِ

فقال : ما دعوته ولا غدرت به . وكتب أبو بكر إلى زياد بن لبيد البَياضيّ في قتال مَن ارتدّ باليمن ، ومنع الزكاة ، فقاتلهم وكان لكندة ملوك عدّة يتسمّون بالملك ، ولكلّ واحد منهم حِمىً لا يرعاه غيره ، فأغار زياد ليلاً ، وهم في محاجرهم ، فأصاب الملوك : جَمَداً ومِخْوَصاً ومِشْرَحاً وأبْضَعَة ، وسبى النعم وسبايا كثيرة ، فعارضهم الأشعث بن قيس ، فانتزع السبايا من أيديهم .

---

(١) نداهم : خوّفهم وذعرهم .

(٢) أي دون أن تقضي عدّتها المنصوص عنها في الإسلام .

(٣) متمم بن نويرة : شاعر فحل ، وصحابي من أشراف قومه . اشتهر في الجاهلية والإسلام . من رثائه لأخيه مالك :

وكنا كندمانِ جذيمة حقبة)   من الدهر ، حتى قيل : لن يتصدعا .

[الزركلي : الأعلام ٥ ص ٢٧٤]

(٤) يريد «خالد بن الوليد» .

وانتهى إلى أبي بكر بارتداد الأشعث ، وما فعل ، فوجّه عِكرمة بن أبي جهل في جيش لمحاربتهم ، فوافى وقد حصرهم زياد بن لبيد والمهاجر بن أبي أمية ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وغنموا مغانم كثيرة ، فقال المهاجر وزياد لمن معهما : قد قدم إخوانكم من الحجاز ، فأشركوهم ، وأعطوهم ؛ وطلب الأشعث الصلح ، وأخذ الأمان لعشيرته ، ونسي نفسه ، فلمّا قرأ عكرمة الصحيفة وليس فيها اسم الأشعث كبّر وأخذه ، فأتى به أبا بكر في وثاق ، فمنّ عليه أبو بكر ، وأطلق سبيله ، وزوّجه أمّ فرْوة أخته .

وأراد أبو بكر أن يغزو الروم ، فشاور جماعة من أصحاب رسول الله ، فقدّموا وأخّروا ، فاستشار عليّ بن أبي طالب ، فأشار أن يفعل ، فقال : إن فعلت ظفرت ، فقال : بشّرت بخير ! فقام أبو بكر في الناس خطيباً ، وأمرهم أن يتجهّزوا إلى الروم ، فسكت الناس ، فقام عمر فقال : لو كان عَرَضاً قريباً وسفَراً قاصداً لانتدبْتموه . فقام عمرو بن سعيد فقال : لنا تضرب أمثال المنافقين يابن الخطّاب ، فما يمنعك أنت ما عبت علينا فيه ؟ فتكلّم خالد بن سعيد ، وأسكت أخاه فقال : ما عندنا إلاّ الطاعة ، فجزاه أبو بكر خيراً ، ثمّ نادى في النّاس بالخروج ، وأميرهم خالد بن سعيد ، وكان خالد من عمّال رسول الله باليمن ، فقدم وقد توفي رسول الله ، فامتنع عن البيعة ، ومال إلى بني هاشم ، فلمّا عهد أبو بكر لخالد قال له عمر : أتولّي خالداً وقد حبس عنك بيعته ، وقال لبني هاشم ما قد بلغك ؟ فواللّهِ ما أرى أن توجّهه . فحلّ لواءَه ، ودعا يزيد بن أبي سفيان ، وأبا عبيدة بن الجرّاح ، وشرحبيل بن حسنة ، وعمرو بن العاص ، فعقد لهم ، وقال : إذا اجتمعتم فأمير الناس أبو عبيدة .

وقدمت عليه العشائر من اليمن ، فأنفذهم جيشاً بعد جيش ، فلمّا قدمت الجيوش الشأم كتب إليه أبو عبيدة يعلمه إقبال ملك الروم في خلق عظيم ، فجعل يسرّح إليه الجيش بعد الجيش ، والأول فالأوّل ممن يقدم

عليه من قبائل العرب ، ثمّ تتابعت عليه كتب أبي عبيدة بكلّ أخبار جمع الروم ، فوجّه أبو بكر عمرو بن العاص في جيش من قريش وغيرهم ، ثمّ كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد أن يسير إلى الشأم ويخلّف المثنّى[1] بن حارثة بالعراق ، فنفذ خالد في أهل القوّة ممّن كان معه ، وخلّف المثنّى بن حارثة الشيبانيّ في بقيّة الجيش بالعراق .

وسار خالد نحو الشأم ، فلما صار إلى عين التمر[2] لقي رابطة لكسرى عليهم عقبة بن أبي هلال النمريّ ، فتحصنوا منه ، ثمّ نزلوا على حكمه ، فضرب عنق النمريّ . ثمّ سار حتى لقي جمعاً لبني تغلب عليهم الهذيل بن عمران ، فقدّمه فضرب عنقه ، وسبى منهم سبايا كثيرة بعث بهم إلى المدينة . وبعث إلى كنيسة اليهود ، فأخذ منهم عشرين غلاماً ، وصار إلى الأنبار[3] ، فأخذ دليلاً يدلّه على طريق المفازة ، فمرّ بتدمر ، فتحصّن أهلها ، فأحاط بهم ، ففتحوا له وصالحهم ؛ ثمّ مضى إلى حوران ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فقيل : انّ خالداً سار في البريّة والمفازة ثمانية أيام حتى وافاهم ، فافتتحوا بُصْرَى[4] ، وفِحْل[5] ، وأجْنادين[6] من فلسطين .

---

(١) تقدّمت ترجمته .

(٢) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة ، بقربها موضع يُقال له شفاثا ، منهما يُجلب القصب والتمر .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) أنظر الهامش ٢ .

(٤) بُصرى : بالشام من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٥) فِحْل : موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم . ويوم فحل مذكور في الفتوح .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٦) أجنادين : موضع بالشام من نواحي فلسطين .

[ياقوت : معجم البلدان]

وكانت بينهم وبين الروم وقعات بأجنادين صعبة في كلّ ذلك يهزم الله الروم وتكون العاقبة للمسلمين .

وروى بعضهم أن خالد بن الوليد صار إلى غوطة دمشق ، ثمّ فرعها إلى ثنيّة ومعه راية بيضاء تدعى العقاب ، فبها سميت ثنيّة العقاب ؛ وصار إلى حوران ، فقصد مدينة بصرى فحاربهم ، فسألوه الصلح ، فصالحهم ، ثمّ صار إلى أجنادين ، وبها جمع للروم ، فحاربهم محاربة شديدة ، وتفرّق جمع الكفرة . وكانت وقعة أجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ١٣ .

وبعث أبو بكر عثمان بنِ أبي العاص ، وندب معه عبد القيس ، فسار في جيش إلى تَوّج[١] فافتتحها وسبى أهلها ، وافتتح مكران[٢] وما يليها ، ووجّه العلاء بن الحضرميّ في جيش ، فافتتح الزّارة وناحيتها من أرض البحرين ، وبعث إلى أبي بكر بالمال ، فكان أول ما قسمه أبو بكر في الناس بين الأحمر والأسود ، والحرّ والعبد ، ديناراً لكل إنسان .

وقدم أياس بن عبد الله بن الفجاءة السّلميّ على أبي بكر فقال : يا خليفة رسول الله ! إني قد أسلمت ، فأعطاه أبو بكر سلاحاً ، فخرج من عنده ، فبلغه أنّه يقطع الطريق ، فكتب إلى طُرَيْفة بن حاجزة : إن عدو الله ابن الفجاءة خرج من عندي ، فبلغني أنّه قطع الطريق ، وأخاف السبيل ، فسِرْ إليه حتى تأخذه . وتقدّم طريفة ، فسار إليه ، فقتل قوماً من أصحابه ، ثمّ لقيه ، فقال : إنّي مسلم ، وإنّه مكذوب عليّ ! فقال طريفة : فإن كنت صادقاً ، فاستأسر حتى تأتي أبا بكر فتخبره ! فاستأسر . فلما قدم به على أبي بكر أخرجه إلى البقيع فحرّقه بالنار ، وحرّق أيضاً رجلاً من بني

---

(١) توّج : مدينة بفارس قريبة من كازرون شديدة الحر لأنها في غور من الأرض ذات نخل .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) مكران : ببلاد فارس ، قيل سميت مكران لأن مكران بن نوح نزلها واستوطنها لما تبلبلت الألسن في بابل ، وهي ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى .

[المصدر السابق]

أسد يقال له شجاع بن ورقاء كان ينكح ......[1] .

وقال عمر بن الخطّاب لأبي بكر : يا خليفة رسول الله ، إنّ حملة القرآن[2] قد قُتل أكثرهم يوم اليمامة ، فلو جمعت القرآن ، فإنّي أخاف عليه أن يذهب حملتُه . فقال أبو بكر : أفعلُ ما لم يفعله رسول الله ؟ فلم يزل به عمر حتى جمعه وكتبه في صحُف . وكان مفترقاً في الجريد وغيرها ، وأجلس خمسة وعشرين رجلاً من قريش ، وخمسين رجلاً من الأنصار ، وقال : اكتبوا القرآن ، واعرضوا على سعيد[3] بن العاص ، فإنه رجل فصيح .

وروى بعضهم أن عليّ بن أبي طالب كان جمعه لمّا قُبض رسول الله وأتى به يحمله على جمل ، فقال : هذا القرآن قد جمعته ، وكان قد جزّأه سبعة أجزاء ، فالجزء الأول البقرة ، وسورة يوسف ، والعنكبوت ، والروم ، ولقمان ، وحم السجدة ، والذاريات . وهل أتى على الإنسان ، والم تنزيل السجدة ، والنازعات ، وإذا الشمس كوّرت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقّت ، وسبّح اسم ربك الأعلى ، ولم يكن ، فذلك جزء البقرة ثمانمائة وستّ وثمانون آية ، وهو خمس عشرة سورة .

الجزء الثاني : آل عمران ، وهود ، والحجّ ، والحجر ، والأحزاب ، والدخان ، والرحمٰن ، والحاقّة ، وسأل سائل ، وعبس ، والشمس وضحاها ، وإنّا أنزلناه ، وإذا زُلزلت ، وويل لكلّ هُمَزَة ، وألم ترَ ، ولإيلاف قريش ، فذلك جزء آل عمران ثمانمائة وستّ وثمانون آية ، وهو ستّ عشرة سورة .

الجزء الثالث : النساء ، والنحل ، والمؤمنون ، ويس ، وحمعسق ، والواقعة ، وتبارك الملك ، ويا أيّها المدّثر ، وأرأيت ، وتبّت ، وقل هو الله أحد ، والعصر ، والقارعة ، والسماء ذات البروج ، والتين والزيتون ،

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) حملة القرآن : حفظته .

(٣) من الصحابة وقد تقدم ذكره .

وطس النمل ، فذلك جزء النّساء ثمانمائة وستّ وثمانون آية ، وهو ستّ عشرة سورة .

الجزء الرابع : المائدة ، ويونس ، ومريم ، وطسم الشعراء ، والزخرف ، والحجرات ، وق والقرآن المجيد ، واقتربت الساعة ، والممتحنة ، والسماء ، والطارق ، ولا أقسم بهذا البلد ، وألم نشرح لك ، والعاديات ، وإنّا أعطيناك الكوثر ، وقل يا أيّها الكافرون ، فذلك جزء المائدة ثمانمائة وستّ وثمانون آية ، وهو خمس عشرة سورة .

الجزء الخامس : الأنعام ، وسبحان ، واقترب ، والفرقان ، وموسى وفرعون ، وحم المؤمن ، والمجادلة ، والحشر ، والجمعة ، والمنافقون ، ون والقلم ، وإنّا أرسلنا نوحاً ، وقل أُوحيَ إليّ ، والمرسلات ، والضحى ، وألهاكم ، فذلك جزء الأنعام ثمانمائة وستّ وثمانون آية ،وهو ستّ عشرة سورة .

الجزء السادس : الأعراف ، وإبراهيم ، والكهف ، والنور ، وص ، والزمر ، والشريعة ، والذين كفروا ، والحديد ، والمزّمل ، ولا أقسم بيوم القيامة ، وعمّ يتساءلون ، والغاشية ، والفجر ، والليل إذا يغشى ، وإذا جاء نصر الله ، فذلك جزء الأعراف ثمانمائة وستّ وثمانون آية ، وهو ستّ عشرة سورة .

الجزء السابع : الأنفال ، وبَرَاءَة ، وطه ، والملائكة ، والصّافات ، والأحقاف ، والفتح ، والطور ، والنجم ، والصفّ ، والتغابن ، والطلاق ، والمطفّفين ، والمعوّذتين ، فذلك جزء الأنفال ثمانمائة وستّ وثمانون آية ، وهو خمس عشرة سورة .

وقال بعضهم : إن عليّاً قال : نزل القرآن على أربعة أرباع : ربع فينا ، وربع في عدوّنا ، وربع أمثال ، وربع محكم ومتشابه[1] .

---

(١) المحكم من القرآن : الظاهر الذي لا شبهة فيه ولا يحتاج إلى تأويل . قال تعالىٰ : =

وقسم أبو بكر بين الناس بالسويّة لم يفضّل أحداً على أحد ، وكان يأخذ في كلّ يوم من بيت المال ثلاثة دراهم أجرة ، وكان تسمّى خليفة رسول الله .

واعتلّ أبو بكر في جمادى الآخرة سنة ١٣ . فلمّا اشتدّت به العلّة عهد إلى عمر بن الخطّاب ، فأمر عثمان أن يكتب عهده ، وكتب : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله إلى المؤمنين والمسلمين : سلام عليكم ، فإنّي أحمد إليكم الله ، أمّا بعد ، فإنّي قد استعملت عليكم عمر بن الخطّاب ، فاسمعوا ، وأطيعوا ، وإني ما ألوتكم نصحاً ، والسلام .

وقال لعمر بن الخطاب : يا عمر ، أحبّك محبّ وأبغضك مبغض ، فلئن أُبغض الحقّ ، فلقديماً ما ، ولئن استُمرّ في الباطل ، فلربما .

ودخل عبد الرحمٰن[1] بن عوف في مرضه الذي توفي فيه ، فقال : كيف أصبحت يا خليفة رسول الله؟ فقال : أصبحت مولّياً ، وقد زدتموني على ما بي أن رأيتموني استعملت رجلاً منكم فكلّكم قد أصبح وارم أنفه ، وكلّ يطلبها لنفسه . فقال عبد الرّحمٰن : والله ما أعلم صاحبك إلاّ صالحاً مصلحاً ، فلا تأسَ على الدنْيا ! قال : ما آسى إلاّ على ثلاث خصال صنعتها ليتني لم أكن صنعتها ، وثلاث لم أصنعها ليتني كنت صنعتها ، وثلاث ليتني كنت سألت رسول الله عنها ، فأمّا الثلاث التي

= ﴿منه آيات محكمات هُنّ أُمّ الكتاب وأُخر متشابهات﴾ .

[سورة آل عمران؛ الآية : ٧]

والمتشابه هو الذي يحتمل عدة معان .

(١) عبد الرحمن بن عوف : صحابي ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورىٰ الذين جعل عمر الخلافة فيهم . كان اسمه في الجاهلية «عبد الكعبة» وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الرحمن . أعتق في يوم واحد ثلاثين عبداً . ولما حضرته الوفاة أوصى بألف فرس وبخمسين ألف دينار في سبيل الله . توفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٣ ص ٣٢١]

صنعتهـا ، فليت أنّي لم أكن تقلّدت هـذا الأمـر . وقـدّمت عمـر بـين يـديّ ، فكنت وزيـراً خيـراً منّي أميـراً ؛ وليتني لم أفتش بيت فـاطمـة بـنت رسـول الله وأُدْخـلْه الرجال ، ولو كان أغلق على حرب ، وليتني لم أحرّق الفجاءة[1] السلميّ ، إمّا أن أكون قتلته سريحاً[2] ، أو أطلقته نجيحاً[3] ، والثلاث التي ليت أنّي كنت فعلتها ، فليتني قدّمت الأشعث بن قيس تضرب عنقه ، فإنّه يُخيّل إليّ أنـه لا يرى شيئاً من الشرّ إلاّ أعـان عليه ، وليت أنّي بعثت أبـا عبيـدة إلى المغرب وعمر إلى أرض المشرق فأكـون قدّمت يـديّ في سبيل الله ، وليت أنّي ما بعثت خالد بن الوليد إلى بُزاخة[4] ، ولكن خرجت فكنت رداً له في سبيل الله .

والثلاث التي وددت أنّي سألت رسـول الله عنهنّ : فلمن هذا الأمـر ، فلا ينازعه فيه ، وهل للأنصار فيه من شيء ، وعن العمّة والخالة أتورّثان أو لا تـرثان ، وإني مـا أصبت من دنياكم بشيء ، ولقـد أقمت نفسي في مـال الله وفيء المسلمين مقـام الـوصيّ في مـال اليتيم إن استغنى تعفّف ، وإن افتقـر أكـل بـالمعـروف ، وإن والي الأمـر بعـدي عمـر بن الخـطّاب، وإني استسلفت من بيت المال مالاً ، فإذا متّ فليبع حائطي في موضع كـذا وليُردّ إلى بيت المال .

وأوصى أبـو بكـر بغسله أسمـاء بنت عُميس امـرأتـه ، فغسلتـه ودفن ليلاً ، وورّثه أبو قحافة السدس .

وكـان الغالبَ على أبي بكـر عمر بن الخـطاب ، وكانت وفـاتـه يـوم الثـلاثـاء لثمـاني ليـالٍ بقين من جمـادى الآخـرة ، ومن شهـور العجم في

---

(١) وكان قد أخرجه إلى البقيع وحرّقه بالنار . وهو إياس بن عبد الله بن الفجاءة السلمي .
(٢) سريحاً : متسرّعاً .
(٣) نجيحاً : صائب الرأي .
(٤) بُزاخة : ماء لطيء بأرض نجد ، وقيل : ماء لبني أسد .
[ياقوت : معجم البلدان]

آب ، وقيل لليلتين بقيتا منه سنة ١٣ ، وصلّى عليه عمر بن الخطّاب ، ودفن في البيت الذي فيه قبر رسول الله ، وكان له يوم توفي ثلاث وستّون سنة ، وكان له من الولد الذكور ثلاثة توفي أحدهم في حياته ، وهو عبد الله ، وخلّف اثنين محمّداً وعبد الرحمن ، وكان حاجبه مولاه سديداً ، وكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر ، وحجّ بالناس سنة ١٢ .

وكان عمّال أبي بكر لما توفي : عتّاب بن أسيد على مكّة ، وعثمان ابن أبي العاص على الطائف ، ورجلاً من الأنصار على اليمامة ، وحذيفة ابن محصن على عمان ، والعلاء بن الحضرميّ على البحرين، وخالد بن الوليد على جيش الشأم ، والمثنّى بن حارثة الشيباني على الكوفة ، وسُويد ابن قُطْبة على البصرة .

صفة أبي بكر : وكان أبو بكر أبيض ، نحيفاً ، خفيف العارضين ، أحنى[1]، لا يستمسك إزاره على حقويه ، معروق الوجه ، غائر العينين ، عاري الأشاجع[2] ، يخضب لحيته بالحناء والكتم[3] .

وكان من يؤخذ عنه الفقه ، في أيام أبي بكر ، عليّ بن أبي طالب ، وعمر بن الخطّاب ، ومعاذ بن جبل[4] ، وأبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ،وعبد الله بن مسعود .

أيام عمر بن الخطاب[5]

ثمّ استخلف عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن

---

(١) الأحنى : الأحدب .

(٢) الأشاجع : عروق ظاهر الكف .

(٣) الكتم : نبت يخضب به الشعر ويصنع منه مدادٌ للكتابة .

(٤) معاذ بن جبل : صحابي أنصاري ، أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن يدعو أهلها إلى الإسلام . مات بالطاعون في عمواس سنة ٦٤٠ م .

(٥) عمر بن الخطاب (٤٠ ق . هـ - ٢٣ هـ = ٥٨٤ - ٦٤٤ م) : الصحابي الجليل وهو أول من =

عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عديّ بن كعب ، وأمّه حَنْتَمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، وقيل لسبع بقين منه سنة ١٣، وكان ذلك من شهور العجم في آب ، وكانت الشمس يومئذ في الأسد ستّ عشرة درجة ، والقمر في العقرب أربعاً وعشرين درجة وعشر دقائق ؛ وزحل في القوس ثلاثين درجة راجعاً ، والمشتري في الحوت تسع درج وثلاثين دقيقة راجعاً ؛ والمرّيخ في الثور إحدى وعشرين درجة وخمسين دقيقة ؛ والزهرة في الحوت تسع درجات ؛ وعطارد في السنبلة عشر درجات وثلاثين دقيقة ؛ والرأس في القوس اثنتي عشرة درجة وخمساً وثلاثين دقيقة ، فصعد المنبر ، فجلس دون مجلس أبي بكر بمرقاة[1] ، وخطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبيّ ، وذكر أبا بكر ، وفضله ، وترحّم عليه . ثمّ قال: ما أنا إلاّ رجل منكم ، ولولا أنّي كرهت أن أردّ أمر خليفة رسول الله لما تقلّدت أمركم . فأثنى الناس عليه خيراً .

وكان أول ما عمل به عمر أن ردّ سبايا أهل الردّة إلى عشائرهم ؛ وقال : إنّي كرهت أن يصير السبيُ سُنّة على العرب ، وكتب عمر إلى أبي عُبيدة بن الجرّاح يخبره بوفاة أبي بكر مع يرفأ مولاه ؛ وكتب بعقده وولايته الشأم مكان خالد بن الوليد مع شدّاد بن أوس ، وصيّر خالداً موضع أبي عبيدة ، وكان عمر سيّء الرأي في خالد ، على أنّه ابن خاله ، لقول كان قاله في عمر ، وقد كان خالد بن الوليد ومن معه من المسلمين فتحوا مرج الصُّفَّر من أرض دمشق ، وحاصروا مدينة دمشق ، قبل وفاة أبي بكر ،

= لقب بأمير المؤمنين . يضرب بعدله المثل . كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم ، وله السفارة فيهم ، وهو أحد العمرين اللذين كان النبي ﷺ يدعو ربّه أن يعزّ الإسلام بأحدهما .

[الزركلي : الأعلام ٥ ص ٤٥]

(١) المرقاة : الدرجة ، وكان أبو بكر جلس دون مجلس الرسول ﷺ بمرقاة .

بأربعة أيّام ، فستر أبو عبيدة الخبر عن خالد ، حتى ورد كتاب ثانٍ من عمر على أبي عبيدة يأمره أن يتوجّه إلى حمص ونواحي الشأم ، فعلّم بذلك خالداً ، فقال : رحم الله أبا بكر ! لو كان حيّاً ما عزلني .

وكتب عمر إلى أبي عبيدة : إن كذّب خالد نفسه فيما كان قاله[1] عمِّله ، وإلاّ فانْزعْ عمامته وشاطره ماله . فشاور خالد أخته ، فقالت : والله ما أراد ابن حنتمة إلاّ أن تكذّب نفسك ، ثمّ ينزعك من عملك ، فلا تفعلنّ . فلم يكذّب نفسه ، فقام بلال فنزع عمامته وشاطره أبو عبيدة ماله ، حتى نعله فأفرد واحدة عن الأخرى .

وأقاموا على ما كانوا عليه في حصار دمشق حولاً كاملاً وأيّاماً ، وكان أبو عبيدة بباب الجابية ، وخالد بباب الشرقيّ ، وعمرو بن العاص بباب تُوما ، ويزيد بن أبي سفيان بباب الصغير ، فلمّا طال على صاحب دمشق الأمر أرسل إلى أبي عبيدة فصالحه ، وفتح له باب الجابية ، وألحّ خالد على باب الشرقيّ لمّا بلغه أن أبا عبيدة عزم على أن يصالح القوم ، وأن القوم قد وثقوا به للصلح ففتحه عنوةً ، فقال خالد لأبي عبيدة : اسْبِهم ، فإنّي دخلتها عنوةً ! فقال : لا ، قد أمنتُهم ! ودخل المسلمون المدينة ، وتمّ الصلح ، وذلك في رجب سنة ١٤ .

وروى الواقدي[2] أن خالد بن الوليد صالحهم ، وكتب للأسقف كتاباً للصلح ، وأعطاهم الأمان ، فأجاز أبو عبيدة ذلك .

وفي هذه السنة سنّ عمر بن الخطاب قيام شهر رمضان ، وكتب بذلك إلى البلدان ، وأمر أُبيّ بن كعب وتميماً الداريّ[3] أن يصلّيا

---

(١) أي ما قاله في عمر .

(٢) الواقدي : تقدّمت ترجمته في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) تميم الداري : صحابي أقطعه النبيّ ﷺ قرية حبرون الخليل ، ويدّعي خدّام حرم الخليل في أيامنا أنهم من سلالته .

بالناس ، فقيل له في ذلك : إنّ رسول الله لم يفعله ، وإن أبا بكر لم يفعله . فقال : إن تكن بدعة فما أحسنها من بدعة .

ووجّه أبو عبيدة عمرو بن العاص إلى الأردن وفلسطين ، فجمع القوم جموعاً ليدفعوا عمراً وأصحابه ، فوجّه أبو عبيدة إلى عمرو شرحبيل بن حسنة ، وتوجّه أبو عبيدة نحو جمع الروم ، ففُتح الأردنّ عنوة ما خلا طبريّة ، فإنّ أهلها صالحوه على أنصاف منازلهم وكنائسهم ، وكان المتولّي لذلك شرحبيل بن حسنة .

وقد كان الروم لمّا بلغهم إقبال أبي عبيدة تحوّلوا إلى فِحْل ، فعبّأ أبو عبيدة المسلمين ، فجعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسرته هاشم ابن عتبة ، وعلى الرجّالة سعد بن زيد ، وعلى الخيل خالد بن الوليد . وأقبلت الروم ، فكان أوّل من لقيهم خالد ، فهزم الله الروم ، وطلبوا الصلح على أن يؤدّوا الجزية ، فأجابهم أبو عبيدة إلى ذلك ، وانصرف ، وخلّف عمرو بن العاص على باقي الأردنّ ، ووجّه بخالد على مقدّمته إلى بعلبكّ وأرض البقاع ، فافتتحها وصار إلى حمص ، ولحقه أبو عبيدة ، فحصروا أهل حمص حصاراً شديداً ، ثمّ طلبوا الصلح ، فصالحهم عن جميع بلادهم على أن عليهم خراجاً مائة وسبعين ألف دينار ، ثمّ دخل المسلمون المدينة ، وبثّ أبو عبيدة عمّاله في نواحي حمص .

ثمّ أتاه خبر ما جمع طاغية الروم من الجموع في جميع البلدان ، وبعثه إليهم من لا قبل لهم به ، فرجع إلى دمشق ، وكتب إلى عمر بن الخطّاب بذلك ، وكتب إليهم عمر أنّه قد كره رجوعكم من أرض حمص إلى دمشق ، وجمع أبو عبيدة إليه المسلمين ، وعسكر باليرموك ، وكان جبلة[1] بن الأيهم الغسّاني على مقدّمة الروم في جيش من قومه ، وجعل أبو عبيدة خالد بن الوليد على مقدّمته ، فواقع المشركين ، ولقي ماهان صاحب الروم ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، ولحقه أبو عبيدة والمسلمون ،

---

(١) جبلة بن الأيهم : آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام . عاش زمناً في العصر الجاهلي ، وقاتل المسلمين في دومة الجندل سنة ١٢ هـ وحضر وقعة اليرموك سنة =

وكانت وقعة جليلة الخطب ، فقتل من الروم مقتلة عظيمة وفتح الله على المسلمين ، وكان ذلك في سنة ١٥ .

وأوفد أبو عبيدة إلى عمر وفداً فيهم حذيفة بن اليمان ، وقد كان عمر أرِقَ عدّة ليال ، واشتدّ تطلّعه إلى الخبر ، فلمّا ورد عليه الخبر خرّ ساجداً وقال : الحمد لله الذي فتح على أبي عبيدة ، فوالله لو لم يفتح لقال قائل : لو كان . . . .[1] خالد بن الوليد .

ورجع أبو عبيدة إلى حمص ووجّه بخالد في آثار الروم حتى صار إلى قنّسرين . وانتهى إلى حلب ، فتحصّن أهلها ، وجاء أبو عبيدة حتى نزل عليها ، وطلبوا الصلح والأمان ، فقبل أبو عبيدة ذلك منهم ، وكتب لهم أماناً ، ووجّه بمالك بن الحارث الأشتر على جمع إلى الروم ، وقد قطعوا الدرب ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثمّ انصرف وقد عافاه الله وأصحابه .

ورجع أبو عبيدة نحو الأردنّ ، فحاصر أهل إيلياء ، وهي بيت المقدس ، فامتنعوا عليه وطاولوه ، ووجّه أبو عبيدة عمرو بن العاص إلى قنّسْرين ، فصالحهم أهل حلب ، وقنّسرين ، ومنبج[2] ، ووضع عليهم الخراج على نحو ما فعل أبو عبيدة بحمص ، وجُمعت غنائم اليرموك بالجابية ، وكتبوا إلى عمر ، فكتب إليهم : لا تحدثوا فيها حدَثاً ، حتى تفتحوا بيت المقدس .

وكان جبلة بن الأيهم الغسّاني لمّا انهزمت الروم من اليرموك صار إلى موضعه في جماعة قومه ، فأرسل إليه يزيد بن أبي سفيان أن اقطعْ على

= ١٥ هـ وهو على مقدمة عرب الشام من لخم وجذام في جيش الروم ، وانهزم مع الروم ، ثم أسلم وهاجر إلى المدينة وارتدّ فيها وخرج إلى بلاد الروم . مات في القسطنطينية عند هرقل سنة ٢٠ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٢ ص ١١٢]

(١) بياض في الأصل .

(٢) منبج : مدينة كبيرة واسعة بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ .

[ياقوت : معجم البلدان]

أرضك بالخراج وأداء الجزيـة ، فقال : إنّمـا يؤدي الجزيـة العلوج[1] ، وأنا رجل من العرب .

وكان عمر قد بعث أبا عبيـد بن مسعود الثقفيّ في جيش مـع المثنّى بن حارثة الشيبانيّ إلى العراق ، وكان كسرى قد توفي ، وقـامت بوران[2] ابنتـه بـالملك ، وصيّرت رستم والفيـرُزان القيّمين بـأمـر الملك ، وكـانـا ضعيفين مهينين ، فتقـدّم أبو عبيـد الثقفيّ ، فلقي مسلحـة[3] من مسـالـح الفـرس ، فـأوقع بهم ، واقتتلوا قتـالاً شديـداً ، ثمّ أظفر الله المسلمين بهم ، ومنحهم أكتافهم .

وبعث إليهم رستم ، لمّـا بلغه الخبـر ، برجـل يقال لـه جـالينـوس ، فـالتقوا بمـوضع يقـال له بـاروسما ، فـانهزمت الفـرس ، وافتتـح أبو عبيد باروسما ، فوجّه إليهم رستم بـذي الحاجب ، وبعث معـه بالفيـل ، فاقتتلوا قتالاً شديداً . فجعلت خيل المسلمين تنفر من الفيـل ، فشدّ عليـه أبو عبيـد الثقفيّ بالسيف ، فقطع مشفره[4] ، وبرك عليـه الفيل فقتله ، وقـام بالجيش المثنّى بن حارثة الشيبانيّ ، فلما انتهى الخبر إلى عمر اشتدّ غمّه بذلك .

وقـدم جـريــر بن عبـد الله البجلي من اليمن في ركب من بجيلة ، رئيسهم عَـرْفَجَـة بن هَـرْثمـة ، حليف لهم من الأزد ، فـأمـرهم عمـر بـالنفــوذ إلى العراق ، وأمّر عليهم عرفجة ، فغضب جـرير وقـال : واللّهِ ما الـرجل منّـا ! فقال عرفجة : صدق ! فـوجّه عمـر جريـر بن عبد الله ، فقـدم الكوفـة ، ثمّ خرج منها فواقع مرزبان المَذار ، فقتله ، وانهزم جيشه ، وغرق أكثـرهم في دجلة ، ثمّ صـار إلى النّخَيْلَة ، وبها مهـران في جمعه ، فـواقعه ، فـاقتتلوا

(١) العلوج : جمـع علج وهـو الـرجـل من كفـار العجم ، والبعض يـطلقـه على الكـافـر عموماً .

(٢) أنظر خبرها بالتفصيل في الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) مسلحة : ثكنة فيها رجال وسلاح .

(٤) يريد خرطومه .

قتالاً شديداً ، وشدّ المنذر بن حسّان على مهران فطعنه فألقاه عن دابّته ، فبادر جرير فاحتزّ رأسه ، فاختصما في سلبه ، فأخذ جرير السلاح ، والمنذر المنطقة[1] ، وذلك في سنة ١٤ .

فلمّا رأت الفرس ما هم فيه من الضعف والمهانة وظهور المسلمين عليهم اجتمعوا على قتل رستم والفيرُزان ، ثمّ قالوا : إن في هذا إشتاتاً لأمرنا ، فطلبوا ابن كسرى حتى وجدوا يزدجرد ، وهو ابن عشرين سنة ، فملّكوه عليهم ، فضبط أمورهم ، وحسن تدبيره ، واشتدّت المملكة ، وقوي أمر الفرس ، وأخرجوا المسلمين عن المروج ، فارتدّ أهل السواد وخرقوا العهود التي كانت في أيديهم ، وصار المسلمون في الأطراف ، فلمّا بلغ ذلك عمر أراد الخروج إلى العراق ، ثمّ استشار ، فأشير عليه بسعد بن أبي وقّاص ، فوجّهه بثمانية آلاف ، فسار حتى نزل القادسيّة ، ووجّه عُتبة بن غزوان إلى كور دجلة والأُبُلّة[2] وأَبَرْقُباذ[3] وميسان ففتحها ، واختطّ البصرة ، وبنى مسجدها بالقصب ، وقد قيل : إنّ عمر وجهه لذلك .

وأقام سعد بالقادسية ، ثمّ ظفر المسلمون ببنت ازاذمرد ، وهي تُزفّ إلى بعض الملوك ، وأخذوا ما كان معها من الأموال والأثقال ، وفرّقوها على المسلمين فطابت أنفسهم ، وحسنت قوّتهم .

ثمّ وجّه سعد إلى كسرى بالنّعمان بن مقرّن وجماعة معه يدعونه إلى الإسلام ، فدخلوا عليه في أحسن زيّ ، وعليهم البرود والنعل ، فأخبروه بما وجّههم له سعد ، ودعوه إلى الإسلام وإلى شهادة الحقّ وإلى أداء

---

(١) المنطقة : ما يشد به الخصر، وقد يستعمل لوضع السلاح .

(٢) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) أبرقباذ : كورة ارّجان بين الأهواز وفارس . وقد وردت في معجم البلدان «أبزقباذ» بالزاي .

الجزية ، فأغضبه ذلك ، ودعا بتلّيس[1] تراب فقال : احملوه على رأس سيّدهم ، فلولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتهم ، فقال عاصم بن عمرو التميميّ : أنا سيّد القوم ، فحمّلوه التراب ، فمضى مسرعاً ، وقال : قد ظفرنا والله بهم ، ووطئنا أرضهم .

وبلغ رستم الخبر ، فغلظ ذلك عليه ، وقال : ما لابن الحجّامة[2] ولتدبير الملك . ويقال : إن أم يزدجرد كانت حجّامة ، ثمّ وجّه رسلاً في آثارهم ففاتوا الرسل ، فاشتدّ رعب كسرى والفرس منهم ، وأمر رستم أن يتوجّه إليهم ، فكره ذلك ، فحمل عليه بالقول حتى خرج وهو مكره ، فلمّا صار إلى النجف وجه إلى سعد أن ابعثْ إليّ بقوم من عندكم لأناظركم ، فأرسل سعد المغيرة بن شُعبة[3] ، وبشر بن أبي رُهْم ، وعرفجة بن هَرْثمة ، وحُذيفة بن محصن، ورِبْعِيّ بن عامر ، وقِرفة بن زاهر ، ومذعور بن عديّ ، ومُضارب بن يزيد ، وشعبة بن مرّة ، وكانوا من دهاة العرب ، فدخلوا عليه رجلاً رجلاً ، يقول كلّ واحد منهم مثل مقالة صاحبه ، ويدعونه إلى الإسلام ، أو أداء الجزية ، فتبيّنوا فيه أنّه يهوى الدخول في الإسلام ، ويخاف من أصحابه ، وكلّما عرض على واحد منهم لم ير عنده مسارعة ، ثمّ خرج رستم في التعبية للجيش ، وجلس على سرير من ذهب ، وأقام مصافّه ، وعدّل أصحابه ، وأيقن بالهلكة ، وكان منجّماً ، وكتب إلى أخيه : بسم الله وليّ الرحمة ، من الأصبهبد رستم إلى أخيه ، أمّا بعد ، فإنّي رأيت المشتري في هبوط ، والزهرة في علوّ ، وهو آخر العهد منك . والسلام عليك الدهر الدائم .

وخطب سعد بن أبي وقّاص المسلمين ، فرغّبهم في الجهاد ،

---

(١) تليس : وعاء يُحمل فيه التراب .

(٢) الحجّامة : التي تداوي بالمحجم وهو شيء كالكأس يُفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث تهيجاً ويجذب الدم أو المادة بقوة .

(٣) تقدم خبره .

وأعلمهم ما وعد الله نبيه من النصر وإظهار الدين ، ورغّب كلُّ رجل من المسلمين صاحبه ، وأُنشبت الحرب بينهم بعد صلاة الظهر ، واقتتلوا قتالاً شديداً وحسن بلاءُ المسلمين وغناؤهم ، وكان سعد يومئذ عليلاً فصار إلى قصر العُذيب[1] فنزله، وتحصّن فيه ، فبلغ رستم فوجّه خيلاً ، فأحدقت بالقصر ، فلمّا بلغ المسلمين ذلك صاروا إلى القصر ، فانهزم أصحاب رستم ، ثمّ أصبحوا من غد ، فوافاهم ستّة آلاف من جيش أبي عبيدة بن الجراح ، وهم الذين كانوا مع خالد بن الوليد : خمسة آلاف من مضر وربيعة، وألف من أفناء المسلمين، عليهم المرقال هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص ، وكان فتح الشأم قبل القادسيّة بشهر ، فأصبحوا في اليوم الثالث على مواقفهم ، وأخرج رستم الفيلة فلمّا نظرت إليها الكتائب كادت أن تفترق ، ثمّ حمل المسلمون عليها ففقأوا أعينها ، وقطعوا مشافرها .

وزحف المسلمون وأصبحوا ، في اليوم الرابع ، وللمسلمين العلوّ ، وقُتل رستم ، وقع عليه عدل[2] كان على بغل فقتله ، وكان الذي طرح عليه العدل هلال بن عُلّفة ، وصعد على سريره وصاح : قتلت رستم وربّ الكعبة ، إليّ إليّ ! وقيل : قتله زهير بن عبد شمس ابن أخي جرير بن عبد الله ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وانكشفوا مدبرين ، وجمعت الأموال والأسلاب وبيع سلب رستم ، فبلغ سهم الرجل لكلّ فارس أربعة عشر ألفاً ، وسهم الراجل سبعة آلاف ومائة ، ورضخ لعيال الشهداء من صلب الفيء ، ورضخ للنساء من صلب الفيء ، فأمّا العبيد فإنّهم عفوا ، وأوفد سعد إلى عمر وفداً ، فأجازهم عمر ثمانين ديناراً ثمانين ديناراً .

وكان بالقادسيّة من أصحاب رسول الله من أهل بدر سبعون رجلاً ، ومن أهل بيعة الرضوان ومن شهد الفتح مائة وعشرون ، ومن أصحاب

---

(١) العذيب : ماء بين القادسية والغيثة . والعذيب أيضاً : موضع بالبصرة .
[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) العِدْل : الجوالق لأنه يحمل على جنب البعير ويُعدل بآخر .

رسـول الله مائـة . ونفرت جميـع الفرس إلى المـدائن[١] منهزمين لا يلوون على شيء ، ويزدجرد الملك بها ، فـاتبعهم سعد بـالمسلمين ، فحـاصرهم شهـراً وخمسة عشـر يومـاً ، ثمّ خرج الفـرس هـاربين ، وفتحت المـدائن ، وقيل إن ذلك كان في سنة ١٦ .

وفيهـا أرّخ عمر الكتب ، وأراد أن يكتب التـأريخ منـذ مـولـد رسـول الله ، ثمّ قال : من المبعث ، فأشـار عليه عليّ بن أبي طـالب أن يكتبه من الهجرة ، فكتبه من الهجرة .

وتـوجّـه عتبـة بن غـزوان إلى عمـر ، واستخلف عـلى البـصـرة مجـاشـع[٢] بن مسعـود السلميّ ، والمغيـرة بن شعبـة في الجيش ، فلمّـا شخص عتبـة جاء من كـان بميسان ، ومن كـان بكُـوَر دجلة من الأعـاجم ، وعليهم الفيلكـان ، فجمـع لهم المغيـرة بن شعبـة عـدّة من المسلمين ، فسار بهم حتى لقي الأعاجم بميسـان ، فهزمهم وسبى أهلهـا عنـوةً ، وكتب المغيرة بذلك إلى عمر بن الخطّاب ، فقال عمر لعتبة : استُعْمِلَ أهل الـوبر على أهل المدر[٣] ؛ وكتب إلى المغيرة : إنّك خليفـة عتبة بن غـزوان حتى يقدم عتبة . وخرج عتبة من عند عمر ، فلمّا كان بين المدينة والبصـرة توفي عتبة ، فكتب عمر إلى المغيرة بولايته على البصرة .

فلمّا كانت وقعة القادسيّة صار المغيرة إلى سعد ثم رجـع إلى عمله ، وكـان يختلف إلى امـرأة من بني هـلال يُقـال لهـا : أم جميـل زوجـة الحجّـاج بن

(١) المدائن : عاصمة بلاد فارس سكنها الملوك من الأكاسرة الساسانية .

(٢) مجاشع بن مسعود : صحابي ، من القادة الشجعان ، كان يوم الجمل مع عائشة أميـراً على بني سليم ، فقتـل فيه ، قبـل الوقعـة سنة ٣٦ هـ . ودفن بـداره في بني سـدوس بالبصرة .

[الزركلي : الأعلام ٥ ص ٢٧٧]

(٣) أي البدو والحضر .

عتيك الثقفيّ ، فاستراب به جماعة من المسلمين ، فرصده أبو بكرة[١] ، ونافع بن الحارث ، وشِبْل بن مَعْبد ، وزياد بن عبيد ، حتى دخل إليها فرفعت الريح الستر فإذا به عليها ، فوفد على عمر ، فسمع صوت أبي بكرة وبينه وبينه حجاب ، فقال : أبو بكرة قال : نعم . قال : لقد جئت ببشر قال : إنّما جاء به المغيرة. ثمّ قصّ عليه القصة ، فبعث عمر أبا موسى الأشعري[٢] عاملاً مكانه ، وأمره أن يُشْخِصَ المغيرة ، فلمّا قدم عليه جمع بينه وبين الشهود ، فشهد الثلاثة ، وأقبل زياد ، فلما رآه عمر قال : أرى وجه رجل لا يخزي الله به رجلاً من أصحاب محمد، فلمّا دنا قال : ما عندك يا سَلْحَ العقاب ؟ قال : رأيت أمراً قبيحاً ، وسمعت نفساً عالياً ، ورأيت أرجُلاً مختلفة ، ولم أر الذي مثل الميل في المكحلة . فجلد عمر أبا بكرة ، ونافعاً ، وشبل بن معبد ، فقام أبو بكرة وقال : أشهد أن المغيرة زانٍ ، فأراد عمر أن يجلده ثانيةً ، فقال له : علي إذا توفي صاحبك بالحجارة. وكان عمر إذا رأى المغيرة قال : يا مغيرة ! ما رأيتك قطّ إلّا خشيتُ أن يرجمني الله بالحجارة . وكان بالبصرة من أصحاب رسول الله ثمانية وستّون رجلاً .

رجع الحديث إلى خبر أبي عبيدة بن الجراح وحصاره أهل بيت المقدس لأنّا جعلنا كلّ خبر في سنته ووقته .

وكتب أبو عبيدة إلى عمر يعلمه مطاولة أهل إيلياء[٣] وصبرهم ، وقال بعضهم : إنّ أهل إيلياء سألوه أن يكون الخليفة المصالح لهم ، فأخذ عليهم العقود والمواثيق ، وكتب إلى عمر فخرج إلى الشأم ، واستخلف على

---

(١) هو نفيع بن الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي ، صحابي له ١٣٢ حديثاً . اعتزل الفتنة يوم الجمل وأيام صفين . لقب بأبي بكرة لأنه تدلى ببكرة من حصن الطائف إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأعتقه يومئذٍ .

[معجم الألقاب والأسماء المستعارة للدكتور فؤاد السيد]

(٢) هو أحد الحكمين في التحكيم في صفين ، والآخر هو عمرو بن العاص .

(٣) يريد «بيت المقدس» .

المدينة عثمان بن عفان ، وقرّب خالداً ، وأدناه ، وأمّره . فسار في الناس على مقدمته ، وذلك في رجب سنة ١٦ ، فنزل الجابية من أرض دمشق ثمّ صار إلى بيت المقدس ، فافتتحها صلحاً ، وكتب لهم كتاباً : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، هذا كتاب كتبه عمر بن الخطّاب لأهل بيت المقدس ، إنّكم آمنون على دمائكم وأموالكم ، وكنائسكم لا تسكن ولا تخرّب ، إلا أن تحدثوا حدثاً عامّاً ، وأشهد شهوداً ، وأتاه عمرو بن العاص بالطّلاء فقال : كيف يُصْنَع هذا ؟ فقال : يطبخ حتى يذهب ثُلثاه ، ويبقى ثلثه ، فقال : ما أرى بذلك بأساً .

واختلف القوم في صلح بيت المقدس ، فقالوا : صالح اليهود ، وقالوا : النصارى ، والمجمع عليه النصارى ، وقام إليه بلال فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ أمراء أجناد الشأم يأكلون إلّا لحوم الطير والخبز النقيّ ، وما يجد ذلك عامّة الناس . فأخذ عمر أمراء الشأم بأن ضمنوا له القوت للمسلمين في كلّ يوم خبزين لكلّ رجل وما يصلحه من الخلّ والزيت ، وأمر عمر أن تقسم الغنائم بين النّاس بالسويّة خلا لخم وجذام ، وقال : لا أجعل من خرج من الشقّة إلى عدوّه كمن خرج من بيته . فقام إليه رجل[1] فقال : إن كان الله جعل الهجرة إلينا فخرجنا من بيوتنا إلى عدوّنا نحرم حظنا .

ومرّ عمر راجعاً إلى المدينة فمرّ قوم قد أقيموا يعذّبون في الخراج ، فقال عمر : دعوهم ولا تعذّبوهم ، فإنّي سمعت رسول الله يقول : إنّ الذين يعذّبون الناس في الدنيا يعذّبهم الله في الآخرة ، يوم القيامة ، فأرسل إليهم ، فخلّى سبيلهم . فأتاه جبلة بن الأيهم فقال له : تأخذ منّي الصدقة كما تصنع بالعرب ؟ قال : بل الجزية[2] ، وإلّا فالحقْ بمن هو

---

(١) يريد «رجل من الأنصار» .

(٢) الصدقة : عطية يراد بها المثوبة ، أما الجزية فهي ما يؤخذ من الذمي أي غير المسلم ، لأنها تجزي عنه أي تكفيه معاملة الحربيين .

على دينك . فخرج في ثلاثين ألفاً من قومه ، حتى لحق بأرض الروم ، وندم عمر على ما كان منه في أمره .

ووجّه عمرو بن العاص فقال له : يا أمير المؤمنين تأذن لي في أن أصير إلى مصر، فإنّا إن فتحناها كانت قوّة للمسلمين ، وهي من أكثر الأرض أموالاً ، وأعجزه عن القتال ، ولم يزل يعظّم أمرها في نفسه ، ويهوّن عليه فتحها ، حتى عقد له على أربعة آلاف كلّهم من عكّ ، وقال له : سيأتيك كتابي سريعاً ، فإن لحقك كتابي آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخل شيئاً من أرضها ، فانصرفْ ، فإن دخلْتَها ثمّ جاءك كتابي فامضِ ، واستعنْ بالله .

وسار عمرو مسرعاً ، فلمّا كان بِرَفَح ، وهي آخر عمل فلسطين ، أتاه رسول عمر ومعه كتاب ، فلم يفضّ الكتاب ، ونفذ حتى صار إلى قرية بالقرب من العريش ، وقرأ الكتاب ، ثمّ قال : من أين هذه القرية ؟ قالوا : من مصر ! قال : فإنّ أمير المؤمنين أمرني إن أتاني كتابه ، وقد دخلت شيئاً من أرض مصر ، أن أمضيَ لوجهي وأستعين بالله ، حتى أتى الفَرَما ، فقاتلوه نحواً من ثلاثة أشهر ، ثمّ فتح الله عليه ، ومضى حتى صار إلى أم دُنَيْن ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، وأبطأ عنه الفتح ، وكتب إلى عمر يستمدّه ، فوجه بأربعة آلاف ، وكتب إليه : إنّه قد صيّر على كلّ ألف رجل رجلاً يقوم مقام ألف رجل منهم : الزبير[1] بن العَوّام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، وخارجة بن حُذافة ، وقيل مسلمة بن مخلّد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثمّ قال الزبير : إنّي أهب نفسي لله ، وأرجو أن يفتح الله على المسلمين ، فوضع السلّم ليلاً إلى جانب الحصن ، ثمّ اقتحم معه

---

(١) الزبير بن العوام : قرشي من الصحابة ، أُمّه صفية عمة الرسول ﷺ وهو أحد الستة أصحاب الشورى . شهد بدراً واليرموك وفتح مصر . قتل يوم الجمل سنة ٦٥٦ .

[أعلام الشرق والغرب : المنجد]

جماعة ، وكبّر المسلمون ، فلمّا استحرّ[1] القتل دعوا إلى الصلح ، فقال بعضهم : صالح المقوقس عمرو بن العاص على دينارين دينارين لكلّ رجل ، وقيل لم يكن صلح ، وإنّما افتتح عنوة .

ثمّ مضى حتى صار إلى الإسكندرية وبها جموع الروم ، وعليها ثلاثة حصون ، فقاتلوه قتالاً شديداً ، فطالت المدة بينهم ثلاثة أشهر . وكان المقوقس[2] قد سأل عمراً أن يصالحه عن الإسكندريّة على أن يطلق من أراد منهم أن يمضي إلى بلاد الروم ، ومن أقام فعليه ديناران خراج ، فأجابه إلى ذلك ، فلما بلغ هرقل ملك الروم غضب . . . . .[3] فقال المقوقس : إنّي قد نصحت لهم فاستغَشّوني ، فلا تُجِبْهم إلى ما أجَبْتَني إليه .

وخرج عمر إلى مكّة سنة ١٧ ، فاعتمر عمرة رجب ، ووسّع المقام ، وباعده من البيت ، ووسّع الحجر ، وبنى المسجد الحرام ، ووسّع فيه ، واشترى من قوم منازلهم ، وامتنع آخرون ، فهدم عليهم ووضع أثمان منازلهم في بيت المال . وكان فيما هدم بيت العبّاس بن عبد المطّلب ، فقال له: تهدم داري؟ قال: لأوسّع بها في المسجد الحرام! فقال العبّاس: سمعت رسول الله يقول: إنّ الله أمر داوُد أن يبني له بيتاً بإيلياء فبناه ببيت المقدس ، وكان كلّما ارتفع البناء سقط فقال داوُد : يا ربّ إنّك أمرتني أن أبني لك بيتاً ، وإني كلّما بنيت سقط البناء ، فأوحى الله إليه : إني لا أقبل إلّا الطيّب ، وإنّك بنيت لي في غصب[4] ، فنظر داوُد فإذا قطعة أرض لم يكن شراها ، فابتاعها من صاحبها بحكمه ، ثمّ بنى فتمّ البناء . قال : ومن يشهد أنّه سمع هذا من رسول الله ؟ فقام قوم فشهدوا .

---

(١) استحرّ : اشتد .

(٢) تقدم خبره وخبر مارية التي أرسلها إلى النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فعقد عليها .

(٣) بياض في الأصل .

(٤) أي في أرض مغتصبة

قال : فتحكم إلينا يا أبا الفضل ، وإلّا أمسكنا ؟ قال : فإني قد تركتها لله . وانصرف عمر بعد عشرين يوماً ، وكان العبّاس يسايره ، وتحت العبّاس دابّة مصعب ، فتقدّمه عمر ثمّ وقف له حتى لحقه فقال له : تقدّمتُك ، وما لأحد أن يتقدّمكم معشر بني هاشم قوم ....[1] فيكم ضعف . قال : رآنا الله نقوى على النبوة ، ونضعف على الخلافة .

ثمّ خرج يريد الشأم حتى بلغ إلى سَرْغ[2] ، فبلغه أنّ الطاعون قد كثر ، فرجع ، فلقيه أمراء الشأم ، وكلّمه أبو عبيدة بن الجرّاح أشدّ كلام ، وقال : أفرارٌ من قدر الله تعالى ؟ قال عمر : نعم أفر من قدر الله إلى قدر الله .

وفي هذه السنة خطب عمر إلى عليّ بن أبي طالب أمّ كلثوم[3] بنت عليّ ، وأمّها فاطمة بنت رسول الله ، فقال عليّ : إنّها صغيرة ! فقال : إنّي لم أردْ حيث ذهبتَ. لكني سمعت رسول الله يقول :كلّ نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلاّ سببي ونسبي وصهري ، فأردت أن يكون لي سبب وصهر برسول الله . فتزوّجها ، وأمهرها عشرة آلاف دينار .

وفي هذه السنة نزل المسلمون الكوفة ، واختطّوا بها الخطط ، وبنوا المنازل . وقيل كان ذلك في أوّل سنة ١٨ .ونزلها من أصحاب رسول الله ثمانون رجلاً .

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) مسرغ : قرية بوادي تبوك ، وهي آخر عمل الحجاز الأول .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) هي بنت علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه، وأُمُّها فاطمة الزهراء ، رضي الله عنها ، تزوجها الإمام عمر ، رضي الله عنه، في السنة السابعة عشرة وأصدقها أربعين ألف درهم ، فولدت له زيد الأكبر ، ورقية ، وتوفي عنها .

[أسد الغابة ج ٥ ص ٦١٤]

وأصاب الناس جدب وقحط ومجاعة شديدة في عام الرّمادة[1] ، وهي سنة ١٨ ، فخرج عمر يستسقي ، وأخرج الناس ، وأخذ بيد العبّاس بن عبد المطّلب ، فقال : اللهمّ إنا نتقرّب إليك بعمّ نبيك ! اللهمّ فلا تخيّب ظنّهم في رسولك ؛ فأسقوا .

وأجرى عمر الأقوات في تلك السّنة على عيالات قوم من المسلمين ، وأمر أن تكون نفقات أولاد اللقط[2] ورضاعهم من بيت المال .

وفي هذه السنة سمّي عمر أمير المؤمنين ، وكان يسمّى خليفة خليفة رسول الله ، وكتب إليه أبو موسى الأشعري : لعبدالله عمر أمير المؤمنين ، وجرت عليه ، وقيل إنّ المغيرة بن شعبة دخل عليه فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : لتحرّجنّ ممّا قلت . فقال : ألسْنا مسلمين ؟ قال : بلى ! قال: وأنت أميرنا ؟ قال : اللهمّ نعم .

وكان أبو عبيدة بن الجرّاح قد وجّه عياض بن غنم الفهريّ إلى الجزيرة ، فلم يزل يحاصر عليهم ثمّ افتتح الرقّة ، وسَرُوج ، والرُّها ، ونصيبين ، وسائر مدن الجزيرة ، وكانت صلحاً كلّها ، ووضع عليها الخراج على الأرضين ورقاب الرجال ، على كلّ إنسان أربعة وخمسة دنانير وستّة في سنة ١٨ ، فانصرف إلى أبي عبيدة .

وكثر الطاعون بالشأم ، وكان طاعون عَمَواس[3] ، فمات أبو عبيدة بن الجرّاح ، واستخلف عياض بن غنم على حمص ، وما والاها من قنّسرين ،

---

(١) الرمادة : بلدة من وراء القريتين على طريق البصرة ، وهو نصف الطريق من البصرة إلى مكة .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) اللقط : السفاح أو الزنى .

(٣) عمواس : ضيعة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس .

[ياقوت : معجم البلدان]

ومعاذ بن جبل على الأردن ، ولم يلبث معاذ بن جبل إلّا أيّاماً حتى توفّي ، ومات يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة ، فأقرّ عمر معاوية على عمل يزيد ، ومات في تلك السنة في طاعون عَمَواس خمسة وعشرون ألفاً سوى من لم يُحْصَرْ منهم ، وغلا السعر ، واحتكر الناس ، فنهى عمر عن الاحتكار .

وفيها توفّي الفضل بن العبّاس بن عبد المطّلب بفلسطين ، وكانت فلسطين قد افتتحت خلا قيساريّة[1] ، وكان معاوية بن أبي سفيان مقيماً عليها ، فافتتحها سنة ١٨ ، وقيل كان بها ثمانون ألف مقاتل ، وبعث رجلَيْن من جذام إلى عمر بالبشارة ، ثمّ أردفهما برجل من خثعم يقال له : زهير ، وقال له : إن قدرت أن تسبق الجذاميّين فافعلْ ، فمرّ بهما الخثعميّ ، وهما نائمان ، فجازهما ، وقدم المدينة ليلاً ، فأتى عمر فأخبره ، فكبّر وحمد الله ، ثمّ خرج إلى المسجد ، وأمر بنار ، فأتي بها ، فحمد الله ، وأعلمهم بفتح قيساريّة .

وكتب سعد بن أبي وقّاص من المدائن إلى عمر بعد مقامه بثلاث سنين يعلمه اجتماع الفرس بجلولاء ، وهي قرية من قرى السواد ، بالقرب من حلوان ، وكتب إليه أن ينهض إليهم فيمن معه ، ووجّه عبد الله بن مسعود ، فأقامه مقام سعد ، وقيل صيّر سلمان بالمدائن ، وكان ابن مسعود يفقّههم ويعلّمهم ، فكانت وقعة جلولاء سنة ١٩ ، فلم يزل يقاتلهم حتى فتح الله عليه ، وقتل من الفرس مقتلة عظيمة ، وهرب يزدجرد فيمن بقي معه ، فلحق بأصبهان ، ثمّ سار إلى ناحية الريّ ؛ وأتاه صاحب طبرستان ، فأعلمه حصانة بلاده ، فامتنع عليه ، ومضى إلى مرو[2] ، وكان معه ألف

---

(١) قيسارية : بلد على ساحل الشام تعد من أعمال فلسطين .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) مرو: قرية في بلاد فارس .

[المصدر السابق]

إسوار من أساورته ، وألف جبّار ، وألف صنّاجة ، فكاتب نيزك طرخان ، فعلاه بعمود ، فمضى منهزماً حتى دخل بيت طحّان ، ولحقوه فقتلوه في بيت الطحّان ، فصارت أساورته إلى بلخ ، ووقعت صنّاجته إلى هراة وجبّاروه إلى مرو ، وافترقت جموع الفرس وأذهب الله ملكهم ، وفرّق جمعهم ، ورجع سعد إلى الكوفة ، فاختطّ مسجدها ، وقصر إمارتها ، فاختطّ الأشعث جبّانة كندة ، واختطّ كندة حوله ، واختطّ يزيد بن عبد الله ناحية البريّة ، واختطّت بجلة حوله .

وشاور عمر أصحاب رسول الله في سواد الكوفة ، فقال له بعضهم : تقسمها بيننا ، فشاور عليّاً ، فقال : إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ، ولكن تقرّها في أيديهم يعملونها ، فتكون لنا ولمن بعدنا . فقال : وفقك الله ! هذا الرأي . ووجّه عثمان بن حُنَيف وحذيفة بن اليمان، فمسحا السواد ، وأمرهما أن لا يحمّلا أحداً فوق طاقته ، فاجتبى خراج السواد ثمانين ألف ألف درهم ، وأجرى على عثمان بن حنيف خمسة دراهم في كلّ يوم وجراباً من دقيق ، وأمره أن لا يمسح تلاًّ ،ولا أجمة ، ولا مستنقع ماء ، ولا ما لا يبلغه الماء ، وأن يمسح بالذراع السوداء ، وهو ذراع وقبضة ، وأقام إبهامه فوق القبضة شيئاً يسيراً ، فمسح عثمان كلّ شيء دون جبل حلوان إلى أرض العرب وهو أسفل الفرات ، فكتب إلى عمر : إني وجدت كلّ شيء بلغه الماء من عامر وغير عامر ، بلغه الماء ، عمله صاحبه أو لم يعمله . . . .[1] درهماً وقفيزاً[2] وعلى الكرم عشرة دراهم ، وعلى الرطاب[3] خمسة دراهم .

وفرض على رقابهم : على الموسر ثمانية وأربعين ، وعلى من دون ذلك أربعة وعشرين ، وعلى من لا يجد اثني عشر درهماً ، وقال : درهم

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) القفيز : المكيال .

(٣) الرطاب : ما نضج من البُسر قبل أن يصير تمراً .

في الشهر لا يُعْوِز رجلاً ! فحُمل من خراج السواد ، في أوّل سنة ، ثمانون ألف ألف درهم ، وحمل من قابل[1] عشرون ومائة ألف ألف درهم .

واجتمع الدهاقين[2] إلى عثمان بن حنيف في الكرم ، فقالوا : إنّما في قرب من المصر يباع العنقود منه بدرهم ، فكتب إلى عمر بن الخطّاب بذلك فكتب إليه عمر أن يحمل من هذا ، ويوضع على هذا بقدر الموضعين . وكان عمر يأخذ الجزية من أهل كلّ صناعة من صناعتهم بقيمة ما يجب عليهم ، وكذلك فعل عليّ ، وكتب عمر إلى أبي موسى أن يضع على أرض البصرة من الخراج مثل ما وضع عثمان بن حنيف على أرض الكوفة ، وكتب إلى عثمان بن حنيف أن احمل إلى أهل المدينة أعطياتهم ، فإنّهم شركاؤهم . فكان يحمل ما بين العشرين ألف ألف إلى الثلاثين ألف ألف .

ودوّن عمر الدواوين وفرض العطاء سنة ٢٠ ، وقال : قد كثرت الأموال . فأشير عليه أن يجعل ديواناً ، فدعا عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل ، وجُبير بن مُطْعِم بن نوفل بن عبد مناف ، وقال : اكتبوا الناس على منازلهم ، وابدأوا ببني عبد مناف . فكتب أول الناس عليّ بن أبي طالب في خمسة آلاف ، والحسن بن عليّ في ثلاثة آلاف ، والحسين بن عليّ في ثلاثة آلاف ، وقيل بدأ بالعبّاس بن عبد المطّلب ، في ثلاثة آلاف ، وكلّ من شهد بدراً من قريش في ثلاثة آلاف ، ومن شهد بدراً من الأنصار في أربعة آلاف ، ولأهل مكّة من كبار قريش مثل أبي سفيان بن حرب ، ومعاوية بن أبي سفيان في خمسة آلاف ، ثمّ قريش على منازلهم ممّن لم يشهد بدراً ، ولأمهات المؤمنين ستّة آلاف ستة آلاف ، ولعائشة وأمّ حبيبة وحفصة في اثني عشر ألفاً ، ولصفيّة وجُوَيْرية[3] في

(١) القابل : العام التالي .

(٢) الدهاقين : التجار أو رؤساء الأقاليم . مفردها دهقان .

(٣) راجع أزواج الرسول ﷺ في هذا الكتاب .

خمسة آلاف خمسة آلاف ، ولنفسه في أربعة آلاف ، ولابنه عبد الله بن عمر في خمسة آلاف ، وفي أهل مكة الذين لم يهاجروا في ستمائة وسبعمائة ، وفرض لأهل اليمن في أربعمائة ، ولمضر في ثلاثمائة ، ولربيعة في مائتين .

وكان أول مالٍ أعطاه مالاً قدم به أبو زهرة[1] من البحرين ، مبلغه سبعمائة ألف درهم . قال : اكتبوا الناس على منازلهم ، وكتبوا بني عبد مناف ، ثمّ أتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثمّ أتبعوهم عمر بن الخطّاب وقومه على الخلافة . فلما نظر عمر قال : وددتُ والله أني هكذا في القرابة برسول الله ، ولكن ابدأوا برسول الله ثمّ الأقرب فالأقرب منه ، حتى تضعوا عمر بحيث وضعه الله . وفرض للنساء المهاجرات وغيرهنّ على قدر فضلهنّ ، وكانت فريضته لهنّ في ألفين ، وألف وخمسمائة ، وألف ، وفرض لأسماء بنت عُميس ، وأمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وخَوْلَة بنت حكيم بن الأوْقص امرأة عثمان بن مظعون في ألفين ، وفرض لأمّ عبد في ألف وخمسمائة ، وفرض لأشراف الأعاجم؛ وفرض لفيروز بن يزدجرد دهقان نهر الملك والنخيرخان ، ولخالد وللجميل ابني بُصْبُهْرى دهقان الفلّوجة ، وللهُرْمُزان ، ولبسطام بن نَرْسي دهقان بابل ، وجُفَيْنَة العباديّ في ألفين ألفين ، وقال : قوم أشراف أحببت أن أتألّف بهم غيرهم .

وقال عمر في آخر سنيه : إني كنت تألّفت الناس بما صنعت في تفضيل بعض على بعض ، وإن عشت هذه السنة ساويت بين الناس ، فلم

---

(١) أبو هريرة : هو عبد الرحمن بن صخر الدوْسي، الأزدي . لقب بأبي هريرة . والهريرة على وزن فُعَيلة تصغير هرّة . قيل له : ولم كنيت بأبي هريرة ؟ قال : «كنت أرعى غنم أهلي ، وكانت لي هرة صغيرة ، فكنت أضعها بالليل في شجرة ، وإذا كان النهار ذهبتُ بها معي فلعبتُ بها ، فكنوني أبا هريرة . كذلك لقب بذي التمرات .

[معجم الألقاب للدكتور فؤاد السيد]

أفضّل أحمر على أسود ، ولا عربيّاً على عجميّ ، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر .

ومصّر الأمصار في هذه السنة. وقال الأمصار سبعة : فالمدينة مصر، والشأم مصر ، والجزيرة مصر ، والكوفة مصر ، والبصرة مصر . . . . . .[1] وجنّد الأجناد فصيّر فلسطين جنداً ، والجزيرة جنداً ، والموصل جنداً ، وقنّسرين جنداً .

وفي هذه السنة فتح عمرو بن العاص الإسكندرية وسائر أعمال مصر ، واجتباها أربعة عشر ألف ألف دينار من خراج رؤوسهم، لكلّ رأس ديناراً، وخراج غلّاتهم من كلّ مائة إرْدبّ إردبّين[2] ، وأخرج أصحاب هرقل ، ومات هرقل ملك الروم ، فزاد ذلك في وهنهم وضعفهم .

ولمّا فتح عمرو بن العاص الإسكندرية أوفد إلى عمر بن الخطّاب معاوية بن حُدَيْج الكنديّ ، فقال له معاوية : أُكتب معي ! فقال : وما أصنع بالكتاب معك ؟ خبّرْه بما رأيت وأدّ إليه الرسالة . فلمّا أتى عمر وخبّره الخبر خرّ ساجداً ، وكتب عمر إلى عمرو بن العاص أن يحمل طعاماً في البحر إلى المدينة يكفي عامّة المسلمين، حتى يصير به إلى ساحل الجار، فحمل طعاماً إلى القُلْزُم[3]، ثمّ حمله في البحر في عشرين مركباً في المركب ثلاثة آلاف إردبّ وأقلّ وأكثر، حتى وافى الجار. وبلغ عمر قدومها، فخرج ومعه جِلّة أصحاب رسول الله ، حتى قدم الجار ، فنظر السفن ، ثمّ وكّل من قبض ذلك الطعام ، وبنى هنالك قصرين ، وجعل ذلك الطعام فيهما ، ثمّ أمر زيد بن ثابت أن يكتب الناس على منازلهم ، وأمره أن يكتب

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) الإردب : مكيال ضخم وهو ٢٤ صاعاً ، والصاع ٤ أمداد .

(٣) الجار : ساحل المدينة والقلزم وهو ساحل مكة .

[ياقوت : معجم البلدان]

لهم صكاكاً من قراطيس ، ثمّ يختم أسافلها ، فكان أول من صك وختم أسفل الصكاك .

رجع الحديث إلى خبر سعد بن أبي وقّاص .

وقد رجع سعد بن أبي وقّاص إلى الكوفة ، وأقام بها واختطّت الخطط ، وبنيت المنازل والمحالّ ، ثمّ إن أهل الكوفة شكوا سعداً وقالوا : لا يحسن يصلّي ، فعزله عمر عنهم ، فدعا عليهم سعد ألا يُرضيهم الله عزّ وجلّ عن أمير، ولا يرضي أميراً منهم. وولّى عمر مكان سعد بن أبي وقّاص عمّار[1] بن ياسر .....[2] ثمّ قدم عليه أهل الكوفة فقال : كيف خلّفتم عمار بن ياسر أميركم؟ قالوا : مسلم ضعيف . فعزله ، ووجّه جبير بن مطعم ، فمكر به المغيرة ، وحمل عنه خبراً إلى عمر ، وقال له : ولّني ، يا أمير المؤمنين . قال : أنت رجل فاسق . قال : وما عليك منّي ؟ كفايتي ورجلتي لك ، وفسقي على نفسي . فولّاه الكوفة ، فسألهم عن المغيرة ، فقالوا : أنت أعلم به وبفسقه . فقال : ما لقيت منكم يا أهل الكوفة ! إن ولّيتكم مسلماً تقيّاً قلتم : هو ضعيف ؛ وإن وليتكم مجرماً قلتم : هو فاسق . فيقال إنّه ردّ سعد بن أبي وقّاص .

وأخرج عمر يهود خيبر من الحجاز لمّا قتل مظهّر بن رافع الحارثي وقال : سمعت رسول الله يقول : لا يجتمع في جزيرة العرب دينان . وقسم خيبر على ستّة عشر سهماً .

ووجّه ميسرة بن مسروق العبسيّ إلى أرض الروم ، فكان أول جيش دخلها جيش ميسرة في هذه السنة ، وهي سنة ٢٠ ، وأغزى حبيب بن مسلمة الفهريّ ، وقدّر له أجلاً[3] ، فجاز ذلك الوقت ، واشتدّ غمّ عمر

---

(١) تقدم خبره .
(٢) بياض في الأصل .
(٣) أجلاً : زمناً معلوماً .

حتى وافى ، فقال له : ما أخّرك عن الوقت الذي وقّته لك ؟ قال : اعتلّ رجل من المسلمين فأقمنا عليه حتى قضى الله ما قضى. ولم يغزُ عمر بلاد الروم بعد حبيب ، وكان عمر يقول : إذا ذكر الروم والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم ، لنا ما دونه وللروم ما وراءه ، لما كان يكره قتالهم . ووجّه علقمة بن مجزّز المدلجيّ في عشرين مركباً ، أو نحوها ، فأصيبوا جميعاً ، فحلف عمر لا يحمل في البحر أحداً أبداً .

وفي هذه السنة كانت زلازل لم ير مثلها .

وافتتحت نهاوند[1] سنة ٢١ ، وأمير الناس النعمان بن مقرّن المُزَنيّ ، وكانت الأعاجم قد اجتمعت من الريّ وقومس وأصبهان وعدّة بلدان ، حتى صاروا إلى نهاوند ، وقالوا : قد غُلبنا على بلدنا ، ونالنا الذلّ في دارنا . فبعث عمر النعمان في جيش ، فصار إلى نهاوند ،وقد ملك الأعاجم عليهم ملكاً يقال له دوبر[2] . واقتتلوا قتالاً شديداً ، وقتل النعمان بن مقرّن ، ثمّ هزم الأعاجم ، وفتحت نهاوند .

وفي غزاة نهاوند كان عمر بن الخطاب على منبر رسول الله يخطب ، فبينا هو يخطب إذ قال : يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ . وكان سارية في جيش نهاوند ، فقال سارية لمّا قدم من نهاوند : أحدق بنا العدوّ ، فسمعنا صوتك يا أمير المؤمنين وأنت تقول : يا ساريةُ الجبلَ الجبلَ ، فانحزنا إلى الجبل ، فسلمنا .

وفتح عمرو بن العاص بَرْقَة[3] ، وصالحهم على ثلاثة عشر ألف

---

(١) نهاوند : مدينة عظيمة في قبلة همذان . سميت نهاوند لأنهم وجدوها كما هي ، ويُقال إنها من بناء نوح (ع) أي نوح وضعها وإنما اسمها نوح أوَنْد فخففت وقيل نهاوند . وقيل : أصلها بنو هاوند فاختصروا منها ومعناه الخير المضاعف .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) هكذا دون نقط في الأصل .

(٣) برقة : اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وأفريقية ، واسم =

دينار ، على أن يبيعوا من أبنائهم من أحبوا في جِزْيَتِهم في هذه السنة ، ثمّ سار حتى أتى أطرابُلُس أفريقية ، فافتتحها ، وكتب إلى عمر يستأذنه في غزو باقي أفريقية ، فكتب إليه أنّها مفرّقة ، ولا يغزوها أحد ما بقيتُ . ووجّه بسر بن أبي أرطأة ، فصالح أهل ودّان وأهل فزّان ، وبعث عقبة بن نافع الفهريّ ، وكان أخا العاص بن وائل السهميّ لأمّه ، إلى أرض النوبة ، ولقي المسلمون من النوبة قتالاً شديداً . ولما انصرف المسلمون من بلاد النوبة اختطوا الجيزة ، وكتب عمرو بن العاص بذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر : لا تجعل بيني وبينك ماء ، وانزلوا موضعاً متى أردتُ أن أركب راحلتي وأصير إليكم فعلتُ .

وافتتحت أذربيجان سنة ٢٢ ، وأمير الناس المغيرة بن شعبة . وقيل هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص ، وافتتح أبو موسى الأشعريّ كور الأهواز واصطخر[1] سنة ٢٣ ، وكتب إليه عمر أن ضعْ عليها الخراج كما وضع على سائر أرض العراق ، ففعل ذلك ؛ وافتتح عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعيّ همذان وأصبهان في هذه السنة ؛ وافتتح قرظة بن كعب الأنصاري الريّ ؛ وافتتح معاوية بن أبي سفيان عسقلان ، وولّى عمر خالد بن الوليد الرّها وحرّان ورقّة وتلّ موزن وآمد ، فأقام بها سنة ، ثم استعفى ، فأعفاه وقدم المدينة ، فأقام بها أيّاماً ، ثمّ توفي خالد بالمدينة .

وقال الواقدي إن خالد بن الوليد توفي بحمص ، فأوصى إلى عمر ، ولمّا ورد إليه خبر وفاته بكته حفصة وآل عمر ، وكثر بكاؤهنّ عليه ، فقال عمر : حقّ لهنّ أن يبكين على أبي سليمان ، وأظهر عليه جزعاً ، ووجّه

= مدينتها انطابلس وتفسيره الخمسَ مدن .

[ياقوت : معجم البلدان]

(١) اصطخر : بلدة بفارس من الإقليم الثالث .

[ياقوت : معجم البلدان]

حبيب بن مسلمة الفهريّ إلى أرمينية ، ثمّ أردفه سلمان بن ربيعة مدداً له ، فلم يصل إليه إلا بعد قتل عمر .

وأذن عمر لأزواج النبيّ في الحجّ في هذه السنة ، وحجّ معهنّ . قال بعضهم : فرأيت أزواج رسول الله في الهوادج ، وعليهنّ الطيالسة[1] الزرق سنة ٢٣ ، وكان يكون أمامهنّ عبد[2] الرحمٰن بن عوف ، وعثمان بن عفّان وراءهنّ ، فلا يدعان أحداً يدنو منهنّ .

وشاطر عمر جماعة من عمّاله أموالهم . قيل : إن فيهم سعد بن أبي وقّاص عامله على الكوفة ، وعمرو بن العاص عامله على مصر ، وأبا هريرة عامله على البحرين ، والنعمان بن عديّ بن حُرثان عامله على ميسان ، ونافع بن عمرو الخزاعيّ عامله على مكة ، ويعلى بن مُنْيَة عامله على اليمن . وامتنع أبو بكرة من المشاطرة وقال : واللّهِ لئن كان هذا المال لله ، فما يحل لك أن تأخذ بعضاً وتترك بعضاً ، وإن كان لنا فما لك أخذه . فقال له عمر : إمّا أن تكون مؤمناً لا تغل أو منافقاً أفِك[3] . فقال : بل مؤمن لا أغلّ . واستأذن قوم من قريش عمر في الخروج للجهاد ، فقال : قد تقدّم لكم مع رسول الله . قال : إنّي آخذ بحلاقيم قريش على أفواه هذه الحرّة[4] . لا تخرجوا ! فتسلّلوا بالناس يميناً وشمالاً . قال عبد الرحمٰن بن عوف ، فقلت : نعم ، يا أمير المؤمنين ، ولِمَ تمنعنا من الجهاد ؟ فقال : لأن أسكت عنك ، فلا أجيبك ، خير لك من أن أجيبك . ثمّ اندفع يحدّث عن أبي بكر ، حتى قال : كانت بيعة أبي بكر فَلْتَة وقى الله شرها ، فمن عاد لمثلها فاقتلوه .

وروي عن ابن عبّاس قال : طرقني عمر بن الخطاب بعد هدأة من

---

(١) الطيالسة : أكسية خضراء من لباس العجم . . مفردها طيلسان .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) أفِك : كذب .

(٤) الحرّة : أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أُحرقت بالنار .

الليـل ، فقال : أُخـرج بنا نحـرس نواحي المـدينة ! فخـرج ، وعلى عنقـه درّتـه[1] ، حافيـاً ، حتى أتى بقيع الغَـرقَد ، فـاستلقى على ظهره ، وجعـل يضرب أخمص قدميه بيده وتَـأوّه صَعَداً ، فقلت لـه : يا أميـر المؤمنين ، ما أخـرجك إلى هـذا الأمر ؟ قـال : أمـر الله يـا بن عبـاس ! قـال : إن شئت أخبرتك بمـا في نفسك . قـال : غصْ غوّاصُ ، إن كنت لتقـول فتحسن . قال : ذكرت هذا الأمر بعينه وإلى من تصيّره . قال : صدقت ! قـال فقلت له : أين أنت عن عبد الـرحمٰن بن عوف ؟ فقـال : ذاك رجل ممسـك[2] ، وهـذا الأمر لا يصلح إلاّ لمُعْطٍ في غيـر سرفٍ ومـانع في غيـر إقتـار . قـال فقلت : سعد بن أبي وقّاص ؟ قال : مؤمن ضعيف ! قال فقلت : طلحة بن عبد الله ؟ قال : ذاك رجل يناول للشرف والمديح ، يعطي مـاله حتى يصـل إلى مال غيره، وفيه بَأوٌ[3] وكبرٌ. قال فقلت: فالزبير بن العوام، فهـو فارس الإسلام ؟ قال : ذاك يوم إنسان ويوم شيطان ، وعفّة نفس ، إن كان ليكادح على المِكْيَلة من بكـرة إلى الـظهـر حتى يفـوتـه الصـلاة . قـال فقلت : عثمان بن عفّان ؟ قـال : إن ولي حمل ابن أبي معيط وبني أميـة على رقاب النـاس ، وأعـطاهم مـال الله ، ولئن ولي ليفعلنّ والله ، ولئن فعـل لتسيـرنّ العـرب إليـه حتى تقتله في بيتـه . ثمّ سكت . قـال فقـال : امضهـا يـا بن عبّاس ! أترى صاحبكم لها مـوضعاً ؟ قـال فقلت : وأين يتبعّد من ذلـك مع فضله وسابقته وقرابته وعلمه ؟ قال : هو والله كما ذكرت ولو وليهم تحمّلهم على منهج الطريق ، فأخذ المحجّة الواضحة ، إلاّ أن فيه خصالاً ؛ الدعابة في المجلس ، واستبداد الرأي ، والتبكيت[4] للنّاس مع حداثة السنّ . قـال قلت : يا أمير المؤمنين . هلاّ استحدثتم سنّه يوم الخندق إذ خرج عمرو بن

---

(١) الدرة : السوط يضرب به .

(٢) ممسك : بخيل مقتّر .

(٣) بأو : فخر وتكبّر .

(٤) التبكيت : التعنيف والتقريع .

عبد ودّ ، وقد كعم[1] عنه الأبطال ، وتأخّرت عنه الأشياخ ، ويوم بدر إذ كان يقطّ[2] الأقران قطّاً ، ولا سبقتموه بالإسلام ، إذ كان جعلته السعب[3] وقريش يستوفيكم ؟ فقال : إليك يا بن عباس ! أتريد أن تفعل بي كما فعل أبوك وعليّ بأبي بكر يوم دخلا عليه ؟ قال : فكرهت أن أغضبه فسكتّ . فقال : واللّهِ يا بن عبّاس إن عليّاً ابن عمّك لأحقّ الناس بها ، ولكن قريشاً لا تحتمله ، ولئن وليهم ليأخذنّهم بمرّ الحقّ لا يجدون عنده رخصة ؛ ولئن فعل لينكُثُنّ بيعته ثمّ ليتحاربُنّ .

وحجّ عمر جميع سني ولايته ، إلا السنة الأولى ، وهي سنة ١٣ ، فإن عبد الرحمٰن بن عوف حجّ بالناس ، وكان الغالب عليه عبدالله بن عبّاس ، وعبد الرحمٰن بن عوف ، وعثمان بن عفّان .

وروى بعضهم أن عبد الله بن عباس كان على شرطه ، وكان حاجبه يرفأ مولاه ، فطُعن عمر يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ ، وكان ذلك من شهور العجم في تشرين الآخر ، وكان الذي طعنه أبو لؤلؤة ، عبد للمغيرة بن شعبة ، وجأه[4] بخنجر مسموم ، وكانت سنو عمر يومئذ ثلاثاً وستّين سنة . وقيل أربعاً وخمسين سنة ، وكانت ولايته عشر سنين وثمانية أشهر .

ولمّا طُعن عمر قال لابنه : إنّي كنت استسلفت من بيت مال المسلمين ثمانين ألفاً ، فليرد من مال ولدي ، فإن لم يفِ مالهم فمال الخطّاب ، فإن لم يفِ فمال بني عديّ ، وإلاّ قريش عامّة ، ولا تعدوهم .

ولمّا حضرته الوفاة اجتمع إليه الناس فقال : إنّي قد مصّرت الأمصار ، ودونت الدواوين ، وأجريت العطايا ، وغزوت في البرّ والبحر ،

---

(١) كعم : دفع .
(٢) يقط الأقران : يقطع رؤوسهم .
(٣) هكذا دون نقط .
(٤) وجأه : شكه .

فإن أهلكْ فالله خليفتي عليكم ، وسترون رأيكم . إنّي قد تركتكم على الواضحة ، إنّما أخاف عليكم أحد رجلين : إمّا رجلاً يرى أنّه أحقّ بالملك من صاحبه فيقاتله عليه. . . . .[1] .

وإنّي قد قرأت في كتاب الله : الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتّة ، نكالاً من الله . والله عليم حكيم ، فلا تهلكوا عن الرجم[2] . وقد رجم رسول الله ، ورجمنا ، ولولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها بيدي ، فقد قرأتها في كتاب الله .

وصيّر الأمر شُورى بين ستّة نفر من أصحاب رسول الله : عليّ بن أبي طالب ، وعثمان بن عفّان ، وعبد الرحمٰن بن عوف ، والزبير بن العوّام ، وطلحة بن عبد الله ، وسعد بن أبي وقّاص ، وقال : أخرجت سعيد بن زيد لقرابته منّي . فقيل له في ابنه عبد الله بن عمر ، قال : حسب آل الخطّاب ما تحملوا منها ! إنّ عبد الله لم يحسن يطلق امرأته ؛ وأمر صُهَيْباً[3] أن يصلّي بالناس حتى يتراضوا من الستّة بواحد ، واستعمل أبا طلحة زيد بن سهل الأنصاري ، وقال : إن رضي أربعة وخالف اثنان ، فاضرب عنق الاثنين ؛ وإن رضي ثلاثة وخالف ثلاثة ، فاضرب أعناق الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمٰن ، وإن جازت الثلاثة الأيام ولم يتراضوا بأحد ، فاضرب أعناقهم جميعاً .

وكانت الشورى بقيّة ذي الحجّة سنة ٢٣ ، وصهيب يصلّي بالناس ، وهو الذي صلّى على عمر ، وكان أبو طلحة يدخل رأسه إليهم ويقول : العجلَ العجلَ ،فقد قرب الوقت ، وانقضت المدّة .

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) أي لا تكفوا عن الرجم ولا يكون موتهما في الرجم .

(٣) هو صهيب بن سنان بن مالك ، صحابي ، من أرمى العرب سهماً . وهو أحد السابقين إلى الإسلام . توفي بالمدينة سنة ٣٨ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٣]

ودفن عمر إلى جانب أبي بكر ، وخلّف من الولد الذكور ستّة : عبد الله ، وعبيد الله ، وعبد الرحمٰن ، وعاصماً ، وزيداً ، وأبا عبيد الله ، ووثب ابنه عبيد الله فقتل أبا لؤلؤة وابنته وامرأته ، واغترّ الهرمزان فقتله ؛ وكان عبيد الله يحدث أنّه تبعه ، فلمّا أحس الهرمزان بالسيف قال : أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله .

وروى بعضهم أن عمر أوصى أن يُقاد[1] عبيد الله بالهرمزان ، وأن عثمان أراد ذلك ، وقد كان قبل أن يلي الأمر أشدّ من خلق الله على عبيد الله ، حتى جرّ بشعره ، وقال : يا عدوّ الله قتلت رجلاً مسلماً ، وصبيّة طفلة ، وامرأة لا ذنب لها ! قتلني الله إن لم أقتلك . فلمّا ولي ردّه إلى عمرو بن العاص .

وروى بعضهم عن عبد الله بن عمر أنّه قال : يغفر الله لحفصة ، فإنّها شجّعت عبيد الله على قتلهم .

صفة عمر بن الخطّاب : وكان عمر طُوالاً ، أصلع ، أقبل[2] ، شديد الأدمة[3] ، أعسرَ يَسَراً ، يعمل بيديه جميعاً ، ويصفّر لحيته ، وقيل يغيّرها بالحنّاء والكتم .

وكان الفقهاءَ في أيامه الذين يؤخذ عنهم العلم : عليّ بن أبي طالب . وعبد الله بن مسعود ، وأُبيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري وأبو الدرداء وأبو سعيد الخدريّ وعبد الله بن عبّاس .

وكان عُمال عمر ، وقت وفاته : سعد بن أبي وقّاص على الكوفة ، وقيل المغيرة ، وأبو موسى الأشعريّ على البصرة ، وعُمير بن سعد

---

(١) يقاد : يقاصص .

(٢) رجل أقبل : كأنه ينظر إلى طرف أنفه .

(٣) الأدمة : السمرة .

الأنصــاريّ على حمص ، ومعـاويــة بن أبي سفيـان على بعض الشــأم ، وعمـرو بن العاص على مصـر ، وزياد بن لبيـد البياضيّ على بعض اليمن ، وأبـو هريـرة على عمـان ، ونـافـع بن الحـارث على مكّـة ، ويعلى بن منيـة التميميّ على صنعـاء ، والحـارث بن أبي العــاص الثقفيّ على البحـرين ، وعبد الله بن أبي ربيعة على الجَنَد .

أيـام عثمان[1] بن عفان

ثمّ استخلف عثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس ، وأمّـه أرْوَى بنت كُـريْـز بن ربيعـة بن حبيب بن عبــد شمس ، وكـان عبــد الرحمٰن[2] بن عوف الزهريّ، لمّا توفي عمر، واجتمعوا للشورى[3]، سألهم أن يخرج نفسه منهـا على أن يختار منهم رجـلاً، ففعلوا ذلك، فـأقام ثـلاثة أيّـام ، وخلا بعليّ بن أبي طـالب ، فقال : لنـا الله عليك ، إن وليت هـذا الأمر ، أن تسير فينـا بكتاب الله وسنّـة نبيه وسيـرة أبي بكر وعمـر . فقال : أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه ما استطعت . فخـلا بعثمان فقـال له : لنـا الله عليك ، إن وليت هذا الأمر ، أن تسير فينا بكتاب الله وسنّـة نبيّه وسيـرة أبي بكر وعمر. فقال : لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّـه وسيرة أبي بكر وعمر ، ثمّ خلا بعليّ فقال له مثل مقالته الأولى ، فأجابه مثل الجـواب الأول ، ثمّ خلا بعثمان فقال له مثل المقالـة الأولى ، فأجـابه مثـل ما كـان أجابه ، ثمّ خـلا بعليّ فقال لـه مثل المقـالة الأولى ، فقـال : إنّ كتاب الله

---

(١) عثمــان بن عفّــان (٤٧ ق . هـ ـ ٣٥ هـ = ٥٧٧ م ـ ٦٥٦ م) : أميــر المؤمنـين ، ذو النورين ، ثالث الخلفـاء الراشديـن ، وأحد العشـرة المبشّرين . وُلـد بمكة ، وأسلم بعـد البعثة بقليـل . كان غنيـاً شريفـاً في الجاهليـة . ومن أعظم أعمـاله في الإسـلام تجهيزه نصف جيش العسرة بماله ، فبذل ثلاث مائة بعير بأقتابها وأحلاسها وتبرع بألف دينار . لقّب بذي النورين لأنه تزوّج بنتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم رقية ثم أم كلثوم .
[الزركلي: الأعلام ٤ ص٢١٠]

(٢) تقدّمت ترجمته .

(٣) أنظر أيام عمر بن الخطاب .

وسنّة نبيّه لا يحتاج معهما إلى إجّيرى أحد . أنت مجتهد أن تزوي[1] هذا الأمر عنّي ، فخلا بعثمان فأعاد عليه القول ، فأجابه بذلك الجواب ، وصفق على يده .

وخرج عثمان ، والناس يهنّئونه ، وكان ذلك يوم الاثنين ، مستهلّ المحرّم ، سنة ٢٤ ، ومن شهور العجم في تشرين الآخر ، وكانت الشمس يومئذ في العقرب ثلاث عشرة درجة ، وزحل في الحمل إحدى وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمشتري في الجدي أربع درجات وأربعين دقيقة ، والمرّيخ في الميزان خمسين دقيقة ، والزهرة في العقرب إحدى عشرة درجة راجعاً ، والرأس في الثور أربعاً وعشرين درجة ، فصعد عثمان المنبر ، فجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله ، ولم يجلس أبو بكر ولا عمر فيه ، جلس أبو بكر دونه بمرقاة . وجلس عمر دون أبي بكر بمرقاة . فتكلّم الناس في ذلك ، فقال بعضهم ؛ اليوم ولد الشرّ ، وكان عثمان رجلاً حيياً فأُرتج عليه[2] . فقام مليّاً لا يتكلّم ، ثمّ قال : إن أبا بكر وعمر كانا يعدّان لهذا المقام مقالاً ، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام يشقّق[3] الخطب ، وإن تعيشوا فسيأتيكم الخطبة . ثمّ نزل .

وروى بعضهم أن عثمان خرج من الليلة التي بويع له في يومها لصلاة العشاء الآخرة ، وبين يديه شمعة ، فلقيه المقداد[4] بن عمرو ، فقال : ما هذا البدعة ! .

---

(١) تزوي : تُبعد .

(٢) ارتجّ عليه : التبس عليه الكلام .

(٣) يشقق : يدبّج .

(٤) المقداد بن عمرو : يعرف بابن الأسود ، وهو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام ، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله . وفي الحديث : «إن الله عزّ وجلّ أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم : علي ، والمقداد ، وأبو ذر (الغفاري) ، وسلمان» . وقع بين المقداد وابن شمر بن حجر الكندي خصام فضرب المقداد رجله بالسيف وهرب إلى مكة ، فتبناه الأسود بن عبد يغوث ، فصار يُقال له «المقداد بن =

ومال قوم مع عليّ بن أبي طالب ، وتحاملوا في القول على عثمان . فروى بعضهم قال : دخلت مسجد رسول الله ، فرأيت رجلاً جاثياً على ركبتيه يتلهّف تلهّف من كأنّ الدنيا كانت له فسُلبها ، وهو يقول : واعجباً لقريش ، ودفعهم هذا الأمر على أهل بيت نبيّهم ، وفيهم أول المؤمنين ، وابن عم رسول الله أعلم الناس وأفقههم في دين الله ، وأعظمهم غناءً في الإسلام ، وأبصرهم بالطريق ، وأهداهم للصراط المستقيم ، والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر النقيّ ، وما أرادوا إصلاحاً للأمّة ولا صواباً في المذهب ، ولكنّهم آثروا الدنيا على الآخرة ، فبُعداً وسحقاً للقوم الظالمين . فدنوت منه فقلت : من أنت يرحمك الله ، ومن هذا الرجل ؟ فقال : أنا المقداد بن عمرو ، وهذا الرجل عليّ بن أبي طالب . قال فقلت : ألا تقوم بهذا الأمر فأعينك عليه ؟ فقال : يا بن أخي ! إنّ هذا الأمر لا يجري فيه الرجل ولا الرجلان . ثمّ خرجت ، فلقيت أبا ذرّ ، فذكرت له ذلك ، فقال : صدق أخي المقداد ، ثمّ أتيت عبد الله بن مسعود ، فذكرت ذلك له فقال : لقد أُخبرنا فلم نألُ .

وأكثر الناس في دم الهرمزان وإمساك عثمان عبيد الله بن عمر ، فصعد عثمان المنبر ، فخطب الناس ، ثمّ قال : ألا إنّي ولي دم الهرمزان ، وقد وهبته لله ولعمر ، وتركته لدم عمر . فقام المقداد بن عمرو فقال : إن الهرمزان مولى لله ولرسوله ، وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله . قال : فننظر وتنظرون . ثمّ أخرج عثمان عبيد الله بن عمر من المدينة إلى الكوفة ، وأنزله داراً ، فنُسب الموضع إليه ، كُوَيْفة[1] ابن عمر ، فقال بعضهم :

= الأسود» إلى أن نزلت آية ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ فعاد يتسمى «المقداد بن عمرو» توفي على مقربة من المدينة سنة ٣٣ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٧ ص٢٨٢]

(١) كويفة : تصغير كوفة .

أبـا عـمـروٍ وعبيـدُ الله رَهْـنٌ فـلا تَشْكُـكْ بقتـل الهـرْمـزانِ

وافتتح المغيرة بن شعبة همذان ، وكتب إلى عثمان أنّه قد دخل الريّ وأنـزلها المسلمين . وكـانت الـريّ قـد افتتحت في حيـاة عمـر ؛ وقيـل لم تفتح ، ولكنها محاصرة ، وافتتحت سنة ٢٤ .

وكتب عثمان إلى الحكم بن أبي العاص أن يقدم عليه ، وكان طريـد رسول الله ، وقد كان عثمان لمّا ولي أبو بكر اجتمع هـو وقوم من بني أميّـة إلى أبي بكـر ، فسألـوه في الحكم ، فلم يأذن لـه ، فلمـا ولي عمـر فعلوا ذلـك ، فلم يـأذن لـه ، فـأنكـر النـاس إذنـه لـه ، وقـال بعضهم : رأيت الحكم بن أبي العـاص يوم قـدم المدينـة عليـه فَـزَر خلق[1] ، وهـو يسـوق تيسـاً ، حتى دخل دار عثمـان ، والناس ينـظرون إلى سوء حـاله وحـال من معه ، ثمّ خرج وعليه جبّة خزّ وطيلسان .

وانتقضت الإسكنـدرية سنـة ٢٥ ، وحاربهم عمـرو بن العاص ، حتى فتحهـا وسبى الـذراريّ ، ووجّـه بهم إلى المـدينـة . فـردّهم عثمـان إلى ذمّـتهـم الأولى ، وعــزل عـمــرو بن الـعــاص ، وولّى عـبــدالله بـن أبـي سرح ، فكان ذلك سبب العداوة بين عثمان وعمرو . وقال عثمان لعمرو لمّا قدم : كيف تركت عبـد الله بن سعد ؟ قـال : كما أحببت! قـال : وما ذاك؟ قـال : قويّ في ذات نفسـه ، ضعيف في ذات الله . قال : لقـد أمـرتـه أن يتبـع أثرك . قـال : لقد كلّفتـه شَطَطاً[2] . واجتبى عبـدالله مصر اثني عشـر ألف ألف دينار ، فقال عثمـان لعمرو : درّت اللقـاح[3] ! قال : ذاك إن يتمّ يضرّ بالفصلان[4] .

ووسّـع عثمان في المسجـد الحرام ، وزاد فيـه سنة ٢٦ ، وابتـاع من قـوم منـازلهم ، وأبى آخـرون ، فهـدم عليهم ، ووضـع الأثمـان في بيت

---

(١) فزر خلَق : ثوب بالٍ .
(٢) شططاً : بُعداً عن الحق .
(٣) اللقاح : النوق ذوات الألبان .
(٤) الفصلان : صغار النوق ، مفردها : فصيل .

المال ، فصاحوا بعثمان ، فأمر بهم للحبس . وقال ؛ ما جرّأكم عليّ إلاّ حلمي ، وقد فعل هذا عمر ، فلم تصيحوا ؛ وجدّد أنصاب الحرم .

وفي هذه السنة افتتح عثمان بن أبي العاص الثقفي سابور[١] .

وفيها ولّي الوليد بن عقبة بن أبي معيط الكوفة مكان سعد ، وصلّى بالناس الغداة ، وهو سكران ، أربع ركعات ، ثمّ تهوّع في المحراب ، والتفت إلى من كان خلفه ، فقال : أزيدكم ؟ ثمّ جلس في صحن المسجد ، وأتى بساحر يدعى بطروى من الكوفة ، فاجتمع الناس عليه ، فجعل يدخل من دبر[٢] الناقة ويخرج من فيها ، ويعمل أعاجيب ، فرآه جندب بن كعب الأزديّ ، فخرج إلى بعض الصياقلة[٣] ، فأخذ منه سيفاً ثم أقبل في الزحام وقد ستر السيف حتى ضرب عنقه ، ثمّ قال له : أحْيِ نفسك ، إن كنت صادقاً ! فأخذه الوليد ، فأراد أن يضرب عنقه ، فقام قوم من الأزد ، فقالوا : لا تقتل والله صاحبنا ، فصيّره في الحبس . وكان يصلّي الليل كلّه ، فنظر إليه السجّان ، وكان يكنى أبا سنان ، فقال : ماعذري عند الله إن حبستك على الوليد يقتلك ؟ فأطلقه ، فصار جندب إلى المدينة ، وأخذ الوليد أبا سنان فضربه مائتي سوط فوثب عليه جرير بن عبد الله ، وعديّ بن حاتم ، وحذيفة بن اليمان ، والأشعث بن قيس ، وكتبوا إلى عثمان مع رسلهم ، فعزله وولّى سعيد بن العاص مكانه . فلمّا قدم الوليد قال عثمان : مَن يضربه ؟ فأحجم الناس لقرابته ، وكان أخا عثمان لأمّه ، فقام عليّ فضربه ؛ ثم بعث به عثمان على صدقات كلب وبلقين .

وأغزى عثمان الناس أفريقية سنة ٢٧ ، وعليهم عبد الله بن

---

(١) تنسب إلى سابور الملك لأنه هو الذي بناها .

(٢) دبر الناقة : إستها .

(٣) الصياقلة : صانعو السيوف .

سعد[1] بن أبي سرح ، فلقي جرجيس ودعاه إلى الإسلام ، أو أداء الجزية ، فامتنع ، وكان جرجيس في جمع عظيم ، ففضّ الله ذلك الجمع ، فطلب جرجيس الصلح ، فأبي عليه ، وهزموه حتى صار إلى مدينة سُبَيْطَلَة[2] ، والتحمت الحرب حتى قتل جرجيس ، وكثرت الغنائم ، وبلغت ألفي ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار .

وروى بعضهم أن عثمان زوّج ابنته من مروان بن الحكم[3] ، وأمر له بخمس هذا المال . ووجّه عبد الله بن سعد بن أبي سرح عبد الله بن الزبير إلى عثمان بالبشارة ، فسار عشرين ليلة ، حتى قدم المدينة ، وأخبر عثمان ، فصعد عثمان المنبر ، فخبّر به الناس .

ووجّه عبد الله بن سعد جيشاً إلى أرض النوبة ، فسألوا الموادعة والصلح على أن عليهم في كلّ سنة ثلاثمائة رأس ، ويبعث إليهم مثل ذلك من الطعام والشراب ؛ فكتب إلى عثمان بذلك ، فأجابهم إلى ذلك ، وافتتح معاوية بن أبي سُفيان قُبْرُس[4] .

وفي هذه السنة بنى عثمان داره ، وبنى الزوراء ، ووسّع مسجد رسول الله في سنة ٢٩ ، وحملت له الحجارة من بطن نخل ، وجعل في

---

(١) عبد الله بن سعد : من أبطال الصحابة ، أسلم قبل فتح مكة ، وهو من أهلها . كان من كتّاب الوحي للنبي ﷺ ولي مصر سنة ٢٥ هـ بعد عمرو بن العاص . ظفر بالروم في معركة «ذات الصواري» سنة ٣٤ هـ . مات وهو يصلي بعسقلان سنة ٣٧ هـ . وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاع .

[الزركلي : الأعلام ٤ ص٨٨]

(٢) سبيطلة : مدينة من مدن أفريقية ، وهي كما يزعمون مدينة جرجير الملك الرومي .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) مروان بن الحكم ؛ إليه ينسب «بنو مروان» ودولتهم المروانية . أنظر ترجمته فيما بعد .

(٤) قبرس : جزيرة في بحر الروم .

[ياقوت : معجم البلدان]

عمده الرصاص ، وجعل طوله مائة وستين ذراعاً وخمسين ذراعاً وعرضه مائة ذراع وخمسين ذراعاً ، وأبوابه ستّة على ما كانت عليه على عهد عمر .

وعزل أبا موسى الأشعري ، وولّى مكانه عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، وهو يومئذ ابن خمس وعشرين سنة ، فلمّا بلغ أبا موسى ولاية عبد الله بن عامر قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه ، ثمّ قال : قد جاءكم غلام كثير العمّات والخالات والجدّات في قريش ، يفيض عليكم المال فيضاً ، فلمّا قدم ابن عامر البصرة وجّه الجنود لفتح سابور وفَسا ودرابجرد واصطخر[1] من أرض فارس ، وعلى ذلك الجند الذي فتح اصطخر عبيد الله بن معمر التيميّ ، فقُتل عبيدالله بن مَعْمر في أصل مدينة اصطخر ، فقام مكانه عمر بن عبيد الله حتى فتح المدينة ؛ ثم سار عبد الله بن عامر بنفسه إلى اصطخر ووجّه عبد الرحمن بن سَمُرة ، وكانت له صحبة ، إلى سجستان ، فافتتح زرنج بعد نكبة شديدة .

ولمّا ولّى عثمان عبد الله بن عامر البصرة وولّى سعيد بن العاص الكوفة كتب إليهما : أيّكما سبق إلى خراسان ، فهو أمير عليها . فخرج عبد الله بن عامر وسعيد بن العاص ، فأتى دهقان[2] من دهاقين خراسان إلى عبد الله بن عامر ، فقال : ما تجعل لي إن سبقت بك ؟ قال : لك خراجك وخراج أهل بيتك إلى يوم القيامة . فأخذ به على طريق مختصر إلى قومس[3] ، وعبد الله بن خازم السلميّ على مقدّمته ، فسار إلى نيسابور . وأقام على المدينة ، ولقيه عبد الله بن عامر ، فافتتح نيسابور عنوةً في سنة

---

(١) اصطخر : بلدة بفارس من الإقليم الثالث .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) الدهقان : رئيس الإقليم عند الفرس .

(٣) قومس : كورة كبيرة واسعة تشتمل على مدن وقرى ومزارع وهي في ذيل جبال طبرستان من بلاد فارس .

[ياقوت : معجم البلدان]

الفَصيـل البُرجُميّ على ربـع ، وعمرو بن مـالـك الخـزاعيّ على ربـع ، فلمّـا ردّه عثمان وجّه أمير بـن أحمد اليشكريّ إلى خراسان ، فصار إلى مرو ، فأنـاخ بها ، ثمّ أدركه الشتاء وأدخله أهل مرو ، وبلغه أنّهم يـريدون الـوثوب بـه ، فجـرّد فيهم السيف حتى أفنـاهم ، ثم قفـل إلى عثمـان . فلمـا رآه عثمـان خوّفه ، فانصرف عنه مغضباً ، وكان عثمان أنكر عليه قتل أهل مرو . ورجع عبد الله بن عامـر إلى البصرة ، ثمّ صـار إلى كرمـان[1] ، فأنـاخ بها فنـالهم مجاعة شديدة ، حتى كـان الرغيف بـدينار ، ثم أتـاه الخبر بـأن عثمان قـد حوصر ، فانصرف ، وخلّف بخـراسان قيس بن الهيثم بـن الصلت ، فـافتتح قيس طخارستـان ، وكان عثمان قـد وجّه حبيب[2] بن مسلمـة الفهريّ إلى أرمينية ، ثم أردفه سَلْمان بن ربيعة الباهلي مَدَداً له ، فلمّا قدم عليه تنافرا ، وقتل عثمان وهم على تلك المنافرة .

وقـد كـان حبيب بن مسلمة فتـح بعض أرمينيــة ، وكتب عثمـان إلى سلمان بإمرته على أرمينيـة ، فسار حتى أتى البَيْلَقـان ، فخرج إليـه أهلها ، فصالحوه ومضى حتى أتى بَرْذَعة[3] ، فصالحه أهلها على شيء معلوم .

وقيــل إن حبيب بن مسلمـة افتتـح جُـرْزان . ثم نفــذ سلمــان إلى شَرْوان ، فصالحه ملكها ، ثمّ سار حتى أتى أرض مَسْقَط ، فصالح أهلها ، وفعل مثل ذلك ملك اللّكْز وأهل الشّابران وأهل فِيـلان ، ولقيه خـاقان ملك

---

(١) كرمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بـلاد وقرى ومـدن واسعة بين فـارس ومكران وسجستان وخراسان .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) حبيب بن مسلمة : لقبه الفهري ، وكنيته أبو عبد الرّحمن ، قائد من كبار الفاتحين من رتبة خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح . كان يُقال له «حبيب الروم» لكثرة دخـوله بلادهم ونيله منهم . توفي في أرمينية سنة ٤٢ هـ .

[الزركلي . الأعلام ٢ ص ١٦٦]

(٣) برذعة : بلد في أقصى آذربيجان .

[ياقوت : معجم البلدان]

الخزر في جيشه ، خلف نهر البَلَنْجَر ، في خلق عظيم ، فقتل سلمان ومن معه ، وهم أربعة آلاف ، فولّى عثمان حذيفة بن اليمان العبسيّ ، ثمّ صرفه ، وولّى المغيرة بن شعبة .

وزوّج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد ، وأمر له بستّمائة ألف درهم ، وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة .

وحدّث أبو إسحاق عن عبد الرحمٰن بن يسار قال : رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى آتاها عثمان ، فقال له : ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص . وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة جعلها فرضاً من بيت المال ، فجعل يدافعه ويقول له : يكون فنعطيك إن شاء الله ، فألحّ عليه ، فقال : إنّما أنت خازن لنا ، فإذا أعطيناك فخذ ، وإذا سكتنا عنك فاسكت . فقال : كذبت والله ! ما أنا لك بخازن ، ولا لأهل بيتك إنّما أنا خازن المسلمين .

وجاء بالمفتاح يوم الجمعة وعثمان يخطب ، فقال : أيّها الناس زعم عثمان أنّي خازن له ولأهل بيته ، وإنّما كنت خازناً للمسلمين ، وهذه مفاتيح بيت مالكم . ورمى بها ، فأخذها عثمان ، ودفعها إلى زيد بن ثابت .

وفي هذ السنة توفي أبو سفيان بن حرب ، وصلّى عليه عثمان وهي سنة ٣١ .

وأغزى عثمان جيشاً ، أميرهم معاوية ، على الصائفة سنة ٣٢ ، فبلغوا إلى مضيق القسطنطينية ، وفتحوا فتوحاً كثيرة ، وصيّر عثمان إلى معاوية غزو الروم على أن يوجّه من رأى على الصائفة ، فولّى معاوية سفيان بن عوف الغامديّ فلم يزل عليها أيّام عثمان ....[1] لشيء

(١) بياض في الأصل .

شجر بينهما[1] في خلافة عثمان .

وروي أن عثمان اعتلّ علّة اشتدّت به ، فدعا حمران بن أبان ، وكتب عهداً لمن بعده . وترك موضع الاسم ، ثمّ كتب بيده : عبد الرحمٰن بن عوف ، وربطه وبعث به إلى أمّ حبيبة[2] بنت أبي سفيان ، فقرأه حمران في الطريق فأتى عبد الرحمٰن فأخبره ، فقال عبد الرحمٰن ، وغضب غضباً شديداً : أستعمله علانية ، ويستعملني سرّاً . ونمى الخبر وانتشر بذلك في المدينة . وغضب بنو أمية ، فدعا عثمان بحمران مولاه ، فضربه مائة سوط ، وسيّره إلى البصرة . فكان سبب العداوة بينه وبين عبد الرحمٰن بن عوف .

ووجّه إليه عبد الرحمٰن بن عوف بابنه ، فقال له قل له : والله لقد بايعتك ، وإن فيّ ثلاث خصال أفضلك بهنّ : إنّي حضرت بدراً ، ولم تحضرها ؛ وحضرت بيعة الرضوان ، ولم تحضرها ؛ وثبت يوم أحد وانهزمت فلمّا أدى ابنه الرسالة إلى عثمان قال له قل له : أمّا غيبتي عن بدر ، فإنّي أقمت على بيت رسول الله ، فضرب لي رسول الله سهمي وأجري ؛ وأمّا بيعة الرضوان ، فقد صفق لي رسول الله بيمينه على شماله ، فشمال رسول الله خير من أيمانكم ؛ وأمّا يوم أُحُد فقد كان ما ذكرت إلاّ أن الله قد عفا عنّي . ولقد فعلنا أفعالاً لا ندري أغفرها الله أم لا . وكان عبد الرحمٰن قد أطلق امرأته تُماضر بنت الأصبغ الكلبيّة لمّا اشتدّت علّته ، فورثها عثمان ، فصولحت عن ربع الثمن على مائة ألف دينار ، وقيل ثمانين ألف دينار .

---

(١) شجر بينهما : وقع خلاف بينهما .

(٢) أم حبيبة :تزوّجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سنة سبع ، وأسلمت قديماً وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش الهجرة الثانية فولدت له حبيبة ، وبها كانت تكنى وهي ربيبة رسول الله (ص) .

[أنظر ترجمتها في عيون الأثر ٢ ص ٣٠٦]

وجمع عثمان القرآن وألّفه[1] ، وصيّر الطوال مع الطوال ، والقصار مع القصار من السور ، وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جُمعت ، ثمّ سلقها بالماء الحارّ والخلّ ؛ وقيل أحرقها ، فلم يبق مصحف إلا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود[2] . وكان ابن مسعود بالكوفة ، فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبد الله بن عامر ، وكتب إليه عثمان أن أشخِصْه ، إنّه لم يكن هذا الدين خبالاً[3] وهذه الأمة فساداً . فدخل المسجد وعثمان يخطب ، فقال عثمان : إنّه قد قدمت عليكم دابّة سوء ، فكلّمه ابن مسعود بكلام غليظ فأمر به عثمان ، فجُزّ برجله حتى كُسر له ضلعان ، فتكلّمت عائشة ، وقالت قولاً كثيراً ، وبعث بها إلى الأنصار ، وبعث بمصحف إلى الكوفة ، ومصحف إلى البصرة ، ومصحف إلى المدينة ، ومصحف إلى مكة ، ومصحف إلى مصر ، ومصحف إلى الشأم ، ومصحف إلى البحرين ، ومصحف إلى اليمن ، ومصحف إلى الجزيرة ، وأمر الناس أن يقرأوا على نسخة واحدة .

وكان سبب ذلك أنّه بلغه أن الناس يقولون قرآن آل فلان ، فأراد أن يكون نسخة واحدة ، وقيل : إن ابن مسعود كان كتب بذلك إليه ، فلمّا بلغه أنّه يحرق المصاحف قال : لم أرد هذا .

وقيل : كتب إليه بذلك حذيفة بن اليمان ، واعتلّ ابن مسعود ، فأتاه عثمان يعوده ، فقال له : ما كلام بلغني عنك ؟ قال : ذكرت الذي فعلته بي ، أنّك أمرت بي فوطىء جوفي ، فلم أعقل صلاة الظهر ، ولا العصر ،

---

(١) ألفه : جعله في مؤلّف واحد .

(٢) ابن مسعود : هو عبد الله بن مسعود ، أبو عبد الرّحمٰن ، صحابي ، من أكابرهم عقلاً وفضلاً ، وهو أول من جهر بقراءة القرآن بمكة ، وكان خادم رسول الله الأمين وصاحب سره ، ورفيقه في حله وترحاله وغزواته . توفي في الكوفة نحو سنة ٣٢ هـ عن ستين عاماً .

[الزركلي : الأعلام ٤ ص ١٣٧]

(٣) خبالاً : فساداً .

ومنعتني عطائي . قال : فإنّي أقيدك من نفسي[1] فافعل بي مثل الذي فُعل بك ! قال : ما كنت بالذي أفتح القصاص على الخلفاء . قال : فهذا عطاؤك ، فخذه . قال : منعتنيه وأنا محتاج إليه ، وتعطينيه وأنا غنيّ عنه ؟ لا حاجة لي به ، فانصرف. فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي ، وصلّى عليه عمّار بن ياسر ، وكان عثمان غائباً فسُتر أمره ، فلمّا انصرف رأى عثمان القبر ، فقال : قبر من هذا ؟ فقيل : قبر عبد الله بن مسعود . قال : فكيف دفن قبل أن أعلم ؟ فقالوا : ولي أمره عمّار بن ياسر ، وذكر أنّه أوصى ألّا يخبر به ، ولم يلبث إلّا يسيراً حتى مات المقداد[2] ، فصلّى عليه عمّار ، وكان أوصى إليه ، ولم يؤذن عثمان به ، فاشتدّ غضب عثمان على عمّار ، وقال : ويلي على ابن السّوداء ! أما لقد كنت به عليماً .

وبلغ عثمان أن أبا ذرّ يقعد في مسجد رسول الله ، ويجتمع إليه الناس ، فيحدّث بما فيه الطّعن عليه ، وأنّه وقف بباب المسجد فقال : أيّها الناس مَن عرفني فقد عرفني ، ومَن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاريّ ، أنا جُنْدُب بن جُنادة الربذيّ ، إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذُرّيّة بعضها من بعض ، والله سميعٌ عليم ، محمد الصفوة من نوح ، فالأوّل من إبراهيم ، والسلالة من إسماعيل ، والعترة الهادية من محمد . إنّه شَرُفَ شَريفهم ، واستحقّوا الفضل في قوم هم فينا كالسماء المرفوعة وكالكعبة المستورة ، أو كالقبلة المنصوبة ، أو كالشمس الضاحية ، أو كالقمر الساري ، أو كالنجوم الهادية ، أو كالشجر الزيتونيّة أضاء زيتها[3] ، وبورك زبدها ، ومحمد وارث علم آدم وما فُضّل به

---

(١) أي : أجعل قصاصي بين يديك .

(٢) المقداد بن عمرو ، وقد تقدّمت ترجمته .

(٣) يقول الله عزّ وجلّ : **﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾** ويقول عزّ وجلّ : **﴿يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾** .

[سورة النور؛ الآية: ٣٥]

النبيّون ، وعليّ بن أبي طالب وصيّ محمد ، ووارث علمه . أيتها الأمّة المتحيّرة بعد نبيّها ! أما لو قدّمتم من قدّم الله ، وأخرتم من أخر الله ، وأقررتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيّكم لأكلتم مَن فوق رؤوسكم ومَن تحت أقدامكم ، ولما عال وليّ الله ، ولا طاش سهم من فرائض الله ، ولا اختلف اثنان في حكم الله ، إلاّ وجدتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنّة نبيّه ، فأما إذ فعلتم ما فعلتم ، فذوقوا وبال أمركم ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون[1] .

وبلغ عثمان أيضاً أن أبا ذرّ يقع فيه ، ويذكر ما غيّر وبدّل من سنن رسول الله وسنن أبي بكر وعمر ، فسيّره إلى الشأم إلى معاوية ، وكان يجلس في المسجد ، فيقول كما كان يقول ، ويجتمع إليه الناس ، حتى كثر مَن يجتمع إليه ويسمع منه . وكان يقف على باب دمشق ، إذا صلّى صلاة الصبح ، فيقول : جاءت القطار تحمل النار ، لعن الله الآمرين بالمعروف والتاركين له ، ولعن الله الناهين عن المنكر والآتين له .

وكتب معاوية إلى عثمان : إنّك قد أفسدت الشأم على نفسك بأبي ذرّ ، فكتب إليه أن احمله على قتب[2] بغير وطاء[3] ، فقدم به إلى المدينة ، وقد ذهب لحم فخذيه ، فلمّا دخل إليه وعنده جماعة قال : بلغني أنّك تقول : سمعت رسول الله يقول : إذا كملت بنو أميّة ثلاثين رجلاً اتّخذوا بلاد الله دولاً ، وعباد الله خولاً ، ودين الله دغلاً[4] . فقال : نعم ! سمعت رسول الله يقول ذلك . فقال لهم : أسمعتم رسول الله يقول ذلك ؟ فبعث إلى عليّ بن أبي طالب ، فأتاه، فقال: يا أبا الحسن أسمعت

---

(١) عملاً بالآية الكريمة : ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ .
[سورة الشعراء ؛ الآية : ٢٢٧]

(٢) القتب : الرحل .

(٣) الوطاء : خلاف الغطاء أي ما تفترشه .

(٤) الدغل : ما يدخل في الأمر يخالفه ويفسده ويزرع الشك فيه .

رسـول الله يقول مـا حكاه أبـو ذرّ ؟ وقصّ عليه الخبـر . فقال عليّ : نعم ! قال : وكيف تشهد ؟ قال : لقول رسول الله : ما أظلّت الخضـراء ولا أقلّت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذرّ . فلم يقم بالمدينة إلاّ أيـاماً حتى أرسـل إليـه عثمان : والله لتخـرجنّ عنها ! قـال : أتخرجني من حـرم رسول الله ؟ قـال : نعم ، وأنفك راغم . قـال : فـإلى مكّـة ؟ قـال : لا ! قـال : فـإلى البصرة؟ قال: لا! قال: فإلى الكوفة؟ قال: لا! ولكن إلى الربذة[1] التي خرجت منها حتى تموت بها . يا مروان ! أخرجْه ، ولا تدع أحداً يكلّمـه ، حتى يخرج . فأخرجه على جمل ومعه امرأته وابنته ، فخرج وعليّ والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وعمّار بن ياسر ينظرون ؛ فلمّا رأى أبو ذرّ عليّـاً قام إليه فقبّل يده ثمّ بكى وقـال : إنّي إذا رأيتك ورأيت ولـدك ذكرت قـول رسول الله فلم أصبر حتى أبكي ! فـذهب عليّ يكلّمه فقـال له مـروان : إنّ أمير المؤمنين قد نهى أن يكلّمه أحد . فرفع عليّ السوط فضرب وجـه ناقـة مروان ، وقال : تنحّ ، نحّاك الله إلى النار ! ثمّ شيّعه ، فكلّمه بكلام يـطول شرحـه ، وتكلّم كـلّ رجـل من القـوم وانصـرفوا ، وانصـرف مـروان إلـى عثمان ، فجرى بينـه وبين عليّ في هذا بعض الـوحشة ، وتـلاحيا كـلاماً ، فلم يزل أبو ذرّ بالرّبذة حتى توفي .

ولمّا حضرته الوفاة قالت له ابنته : إنّي وحدي فـي هـذا المـوضع ، وأخاف أن تغلبني عليك السباع . فقال : كلاّ إنّه سيحضرني نفر مؤمنـون ، فـانـظري ، أتـريـن أحـداً ؟ فقـالت : مـا أرى أحـداً ! قـال : مـا حضـر الـوقت ، ثم قـال : أنـظري ، هـل تـرين أحـداً ؟ قـالت : نعم أرى ركبـاً مقبلين ، فقـال : الله أكبـر ، صـدق الله ورسـولـه ، حـوّلي وجهي إلى القبلة ، فـإذا حضـر القـوم فـاقـرئيهم منّي السـلام ، فـإذا فـرغـوا من أمـري ، فـاذبحي لهم هـذه الشـاة ، وقـولي لهم : أقسمت عليكم إن برحتم حتى تأكلوا ، ثـم قضي عليـه ، فأتى القـوم ، فقالت لهم

---

(١) الربذة : من قرى المدينة . وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري ، رضي الله عنه .
[ياقوت : معجم البلدان]

الجارية : هذا أبو ذرّ صاحب رسول الله قد توفي ، فنزلوا ، وكانوا سبعة نفر ، فيهم حذيفة بن اليمان ، والأشتر[1] ، فبكوا بكاءً شديداً ، وغسلوه ، وكفنوه ، وصلّوا عليه ، ودفنوه . ثمّ قالت لهم : إنّه يقسم عليكم ألّا تبرحوا حتى تأكلوا ! فذبحوا الشاة ، وأكلوا ، ثمّ حملوا ابنته ، حتى صاروا بها إلى المدينة . فلمّا بلغ عثمان وفاة أبي ذرّ[2] قال : رحم الله أبا ذرّ ! قال عمّار : نعم ! رحم الله أبا ذرّ من كلّ أنفسنا ، فغلظ ذلك على عثمان . وبلغ عثمان عن عمّار كلام ، فأراد أن يسيّره أيضاً ، فاجتمعت بنو مخزوم إلى عليّ بن أبي طالب ، وسألوه إعانتهم ، فقال عليّ : لا ندع عثمان ورأيه . فجلس عمّار في بيته ، وبلغ عثمان ما تكلّمت به بنو مخزوم ، فأمسك عنه ، وسيّر عبد الرحمٰن بن حنبل صاحب رسول الله إلى القَموس من خيبر ، وكان سبب تسييره إيّاه أنّه بلغه كرهه مساوىء ابنه وخاله ، وأنّه هجاه .

وكان عثمان جواداً وصولاً بالأموال ، وقدّم أقاربه وذوي أرحامه ، فسوّى بين الناس في الأعطية وكان الغالب عليه مروان بن الحكم بن أبي العاص ، وأبو سفيان بن حرب ، وعلى شرطه عبد الله بن قنفذ التيميّ ، وحاجبه حمران بن أبان مولاه .

ونقم الناس على عثمان بعد ولايته بستّ سنين ، وتكلّم فيه من تكلّم ،وقالوا : آثر القرباء ، وحمى الحمى ، وبنى الدار ، واتّخذ الضياع والأموال بمال الله والمسلمين ، ونفى أبا ذرّ صاحب رسول الله ، وعبد

---

(١) الأشتر : هو مالك بن الحارث ، أمير من كبار الشجعان ويعدّ من الأجواد العلماء الفصحاء . شهد اليرموك وذهبت عينه فيها . لقب بالأشتر لضربة أصابته يوم اليرموك على رأسه ، فسالت الجراحة قيحاً من عينيه فشترتها . وشتر العين هو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه ، أو استرخاء أسفله .

[معجم الألقاب والأسماء المستعارة للدكتور فؤاد السيد]

(٢) أبو ذر الغفاري واسمه جندب بن جنادة .

ـرحمن بن حنبل ، وآوى الحكم بن أبي العاص ، وعبد الله بن سعد بن
ـي سرح طريدي رسول الله ، وأهدر دم الهرمزان ، ولم يقتل عبيد الله بن
ـمر به ، وولّى الوليد بن عقبة الكوفة ، فأحدث في الصلاة ما أحدث ،
ـم يمنعه ذلك من إعادته إيّاه ، وأجاز الرجم ، وذلك أنّه كان رجم امرأة
ـن جهينة دخلت على زوجها ، فولدت لستّة شهور ، فأمر عثمان برجمها ،
ـلمّا أخرجت دخل إليه عليّ بن أبي طالب فقال : إنّ الله عزّ وجلّ
ـقول : ﴿وحَمْلُهُ وفصالُه ثلاثون شهراً﴾[1] ، وقال في رضاعه حولين
ـاملين ، فأرسل عثمان في أثر المرأة ، فوجدت قد رجمت وماتت .
ـعترف الرجل بالولد .

وقدم عليه أهل البلدان فتكلّموا ، وبلغ عثمان أن أهل مصر قدموا
ـليهم السلاح ، فوجّه إليهم عمرو بن العاص وكلّمهم ، فقال لهم : إنّه
ـرجع إلى ما تحبّون ، ثمّ كتب لهم بذلك وانصرفوا ، فقال لعمرو بن
ـعاص : أخرج فاعذرني عند الناس ، فخرج عمرو ، فصعد المنبر ،
ـنادى : الصلاة جامعة ، فلمّا اجتمع الناس حمد الله وأثنى عليه ، ثمّ ذكر
محمداً بما هو أهله ، وقال : بعثه الله رأفة ورحمة ، فبلّغ الرسالة ، ونصح
ـلأمة ، وجاهد في سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، أفليس ذلك
ـذلك ؟ قالوا : بلى . فجزاه الله خير ما جزى نبيّاً عن أمّته ، ثمّ قال :
ـولي من بعده رجل عدل في الرعيّة، وحكم بالحقّ ، أفليس ذلك كذلك ؟
قـالوا : بلى ! فجزاه الله خيراً . قال : ثمّ ولي الأعسر الأحول ابن
حنتمة[2] ، فأبدت له الأرض أفلاذ كبدها ، وأظهرت له مكنون كنوزها ،
فخرج من الدنيا ، وما أنبل عصاه ، أفليس ذلك كذلك ؟ قالوا : بلى !
فجزاه الله خيراً . قال : ثمّ ولي عثمان ، فقلتم ، وقال ، تلومونه ويعذر
نفسه ، أفليس ذلك كذلك؟ قالوا : بلى ! قال : فاصبروا له ، فإن الصغير يكبر

(1) عملاً بالآية الكريمة : ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ .
[سورة الأحقاف؛ الآية: ١٥]

(2) يريد عمر بن الخطاب .

والهزيل يسمن ، ولعلّ تأخير أمر خير من تقديمه . ثمّ نزل ، فدخل أهل عثمان عليه فقالوا : هل عابك أحد بمثل ما عابك به عمرو؟ فلمّا دخل عليه عمرو قال : يا بن النابغة ! والله ما زدت أن حرضت الناس عليّ . قال : والله لقد قلت فيك أحسن ما علمت ، ولقد ركبت من الناس ، وركبوها منك ، فاعتزل إن لم تعتدل ! فقال : يا بن النابغة قَمِل درعك مذ عزلتك عن مصر .

وسار الركب الذين قدموا من مصر ، فلمّا صاروا في بعض الطريق ، إذا براكب على جمل ، فأنكروه ، ففتّشوه ، فوجدوا معه صحيفة من عثمان إلى خليفته عبد الله بن سعد : «إذا قدم عليك النفر ، فاقطع أيديهم وأرجلهم ، فقدموا واتّفقوا على الخروج ، وكان من يأخذون عنه محمد بن أبي بكر ، ومحمّد بن أبي حذيفة ، وكنانة بن بشر ، وابن عُدَيْس البلويّ[1] ، فرجعوا إلى المدينة ، وكان بين عثمان وعائشة منافرة وذلك أنّه نقصها ممّا كان يعطيها عمر بن الخطّاب ، وصيّرها أسوة غيرها من نساء رسول الله ؛ فإنّ عثمان يوماً ليخطب إذ دلّت عائشة قميص رسول الله ، ونادت : يا معشر المسلمين ! هذا جلباب رسول الله لم يُبْلَ ، وقد أبلى عثمان سنّته ! فقال عثمان : ربّ اصرفْ عنّي كيْدهنّ إن كيْدهنّ عظيم .

وحصر ابن عديس البلويّ عثمان في داره ، فناشدهم الله ، ثمّ نشد مفاتيح الخزائن ، فأتوا بها إلى طلحة بن عبيد الله ، وعثمان محصور في داره ، وكان أكثر من يؤلّب عليه طلحة والزبير وعائشة ، فكتب إلى معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه ، فتوجّه إليه في اثني عشر ألفاً ، ثمّ قال : كونوا

---

(١) ابن عديس : هو عبد الرّحمٰن بن عديس البلوي ، وهو ممن بايع تحت الشجرة . كان قائد الجيش الذي بعثه ابن أبي حذيفة إلى المدينة لخلع عثمان . وبعد مقتل عثمان ، عاد إلى مصر ، فطلبه معاوية وقبض عليه وسجنه في لد من فلسطين ففرّ ، فأدركه صاحب فلسطين فقتله سنة ٣٦ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٣ ص ٣١٦]

بمكانكم في أوائل الشأم ، حتى آتي أمير المؤمنين لأعرف صحّة أمره ، فأتى عثمان، فسأله عن المدّة ، فقال : قد قدمت لأعرف رأيك وأعود إليهم فأجيئك بهم . قال : لا والله ، ولكنّك أردت أن أُقْتَل فتقول : أنا وليّ الثأر . إرجع ، فجئني بالناس ! فرجع ، فلم يعد إليه حتى قُتل .

وصار مروان إلى عائشة ، فقال : يا أمّ المؤمنين ! لو قمت فأصلحت بين هذا الرجل وبين الناس ؟ قالت : قد فرغت من جهازي ، وأنا أريد الحجّ . قال : فيدفع إليك بكلّ درهم أنفقته درهمين ، قالت : لعلّك ترى أنّي في شك من صاحبك ؟ أما والله لوددت أنّه مقطّع في غرارة[1] من غرائري ، وأني أطيق حمله ، فأطرحه في البحر .

وأقام عثمان محاصَراً أربعين يوماً . وقتل لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجّة سنة ٣٥ ، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة ، وقيل ستّ وثمانين سنة ، وكان الذين تولّوا قتله : محمد بن أبي بكر ، ومحمّد بن أبي حذيفة ، وابن حزم ، وقيل كنانة بن بشر التجيبي ، وعمرو بن الحمق الخزاعيّ ، وعبد الرحمٰن بن عُديس البلويّ ، وسودان بن حمران ، وأقام ثلاثاً لم يدفن ، وحضر دفنه حكيم بن حزام ، وجبير بن مطعم ، وحويطب بن عبد العزّى ، وعمرو بن عثمان ابنه ، ودفن بالمدينة ليلاً في موضع يعرف بحشّ كوكب[2] ، وصلّى عليه هؤلاء الأربعة . وقيل لم يصلّ عليه ، وقيل أحد الأربعة قد صلّى عليه ، فدفن بغير صلاة .

وكانت أيّامه اثنتي عشرة سنة ، وحجّ عثمان بالناس أيّامه كلها إلّا السنة الأولى ، وهي سنة ٢٤ ، فإنّه حجّ بالناس عبد الرحمٰن بن عوف ، والسنة التي قتل فيها ، فإنّه حجّ بالناس عبد الله[3] بن عبّاس ، وهي سنة

---

(١) الغرارة : الجولق .

(٢) حش كوكب : عند بقيع الغرقد ، اشتراه عثمان بن عفان وزاده في البقيع .
[ياقوت: معجم البلدان]

(٣) عبد الله بن عباس : جد الأُمّة والصحابي الجليل . كفّ بصره في آخر عمره ، فسكن =

٣٥ ، وكان له من الولد الذكور سبعة : عمرو وعمر وخالد وأبان والوليد وسعيد وعبد الملك .

صفة عثمان بن عفان : وكان عثمان بن عفّان مربوعاً ، حسن الوجه، رقيق البشرة ، كثير اللحية ، عظيمها ، أسمر ، عظيم الكرادس[١] ، بعيد ما بين المنكبين . كثير شعر الرأس ، أسنانه مشدودة بالذهب ، يصفّر لحيته .

وكان عمّال عثمان : على اليمن يعلى بن منْية التميميّ ، وعلى مكة عبد الله بن عمرو الحضرميّ ؛ وعلى همذان جرير بن عبد الله البجليّ ، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي ، وعلى الكوفة أبا موسى الأشعريّ ، وعلى البصرة عبد الله بن عامر بن كريز ، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وعلى الشأم معاوية بن أبي سفيان بن حرب .

وكان الفقهاء في أيام عثمان أمير المؤمنين : عليّ بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأُبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبا موسى الأشعريّ ، وعبد الله بن عبّاس ، وأبا الدرداء ، وأبا سعيد الخدريّ ، وعبد الله بن عمر ، وسلمان بن ربيعة الباهليّ .

خلافة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب[٢]

واستخلف عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب ، وأمّه فاطمة بنت

= الطائف وتوفي بها سنة ٦٨ هـ .

[وصفة الصفوة ١ : ٣١٤]

(١) الكرادس : الفقرات من فقر الكاهلَ .

(٢) علي بن أبي طالب (٢٣ ق. هـ - ٤٠ هـ = ٦٠٠ - ٦٦١ م) : أمير المؤمنين ، رابع الخلفاء الراشدين . وأحد العشرة المبشرين ، وابن عم النبي وصهره ، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء ، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة . وُلد بمكة ، وربي في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يفارقه . ولما آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه قال له : أنت أخي .

[الطبري ٦ : ٨٣ ، وصفة الصفوة ١ : ١١٨]

أسد بن هاشم بن عبد مناف ، يوم الثلاثاء لسبع ليال بقين من ذي الحجّة سنة ٣٥ ، ومن شهور العجم في حزيران ، وكانت الشمس يومئذ في الجوزاء ستّاً وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، والقمر في الدلو ثماني عشرة درجة وأربعين دقيقة ، وزحل في السنبلة خمساً وعشرين درجة ، والمرّيخ في الجدي سبع درجات . . . . . . [(١)] بايعه طلحة والزبير والمهاجرون والأنصار ، وكان أوّل من بايعه وصفق على يده طلحة بن عبيد الله ، فقال رجل من بني أسد : أوّل يد بايعت يد شلّاء ، أو يد ناقصة ، وقام الأشتر[(٢)] فقال : أبايعك يا أمير المؤمنين على أن عليّ بيعة أهل الكوفة ، ثمّ قام طلحة والزبير فقالا : نبايعك يا أمير المؤمنين على أن علينا بيعة المهاجرين ، ثمّ قام أبو الهيثم بن التيّهان وعقبة بن عمرو وأبو أيّوب ، فقالوا : نبايعك على أن علينا بيعة الأنصار ، وسائر قريش .

وبايع الناس إلّا ثلاثة نفر من قريش : مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، والوليد[(٣)] بن عقبة ، وكان لسان القوم . فقال : يا هذا إنّك قد وترتنا جميعاً ، أمّا أنا فقتلت أبي صبراً يوم بدر ، وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر ،وكان أبوه من نور قريش ، وأمّا مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمّه إليه . . . . [(٤)] على ذلك بنو عبد مناف ، فتبايعنا على أن تضع عنّا ما أصبنا وتعفي لنا عمّا في أيدينا ، وتقتل قتلة صاحبنا[(٥)] . فغضب

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) الأشتر هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث وقد تقدم ذكره وسبب تلقيبه بالأشتر .

(٣) الوليد بن عقبة : من فتيان قريش وشعرائهم وأجوادهم ، فيه ظرف ومجون ولهو ، وهو أخو عثمان بن عفان لأمه . ولّاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبي وقاص فانصرف إليها ، فشهد عليه جماعة عند عثمان بشرب الخمر ، فعزله ودعا به إلى المدينة ، فجاء، فحدّه وحبسه . مات بالرقة سنة ٦١ هـ .

[الأغاني ، طبعة الدار : ١٢٢ ـ ١٥٣]

(٤) بياض في الأصل .

(٥) يريد «عثمان بن عفان» .

عليّ وقال : أمّا ما ذكرت من وتري إيّاكم ، فالحق وتركم ؛ وأما وضعي عنكم ما أصبتم ، فليس لي أن أضع حقّ الله تعالى ؛ وأمّا إعفائي عما في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم ؛ وأمّا قتلي قتلة عثمان ، فلو لزمني قتلهم اليوم لزمني قتالهم غداً ، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله وسنّة نبيّه ، فمن ضاق عليه الحقّ ، فالباطلُ عليه أضيق ، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم . فقال مروان : بل نبايعك ،ونقيم معك ، فترى ونرى .

وقام قوم من الأنصار فتكلّموا ، وكان أول من تكلّم ثابت بن قيس بن شمّاس الأنصاريّ ، وكان خطيب الأنصار ، فقال : والله ، يا أمير المؤمنين ، لئن كانوا تقدّموك في الولاية فما تقدّموك في الدين ، ولئن كانوا سبقوك أمس فقد لحقتَهم اليوم ، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك ، ولا يجهل مكانك ، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون ، وما احتجت إلى أحد مع علمك .

ثمّ قام خزيمة[1] بن ثابت الأنصاريّ ، وهو ذو الشهادتين ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك ، ولا كان المنقلب إلاّ إليك ، ولئن صدقنا أنفُسنا فيك ، فلأنت أقدم الناس إيماناً ، وأعلم الناس بالله ، وأولى المؤمنين برسول الله ، لك ما لهم ، وليس لهم ما لك .

وقام صعصعة[2] بن صوحان فقال : والله ، يا أمير المؤمنين ، لقد

---

(١) خزيمة بن ثابت : أبو عمارة ، صحابي ، من أشراف الأوس في الجاهلية والإسلام . كان من سكان المدينة ، وحمل راية بني خطمة يوم فتح مكة . قتل في صفين سنة ٣٧ هـ .

[الزركلي : الأعلام ١ : ٣٠٥]

(٢) صعصعة بن صوحان : من أهل الكوفة ، كان بليغاً عاقلاً ، قال الشعبي : كنت أتعلم منه الخطب . مات في البحرين سنة ٥٦ هـ عن سبعين عاماً ، ولا يزال قبره معروفاً في بلدة تسمى «الكلابية» بالبحرين . وقيل : مات بالكوفة . وفي تاريخها أن مسجده لا يزال معروفاً فيها إلى الآن .

[تهذيب ابن عساكر ٦ : ٤٢٣]

زيّنْتَ الخلافة وما زانَتك ، ورفعتَها وما رفعتك ، ولهي إليك أحوج منك إليها .

ثمّ قام مالك بن الحارث الأشتر فقال : أيّها الناس ، هذا وصيّ الأوصياء ، ووارث علم الأنبياء ، العظيم البلاء ، الحسن الغناء ، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان ، ورسوله بجنّة الرضوان ، مَن كملت فيه الفضائل ، ولم يشكّ في سابقته وعلمه وفضله الأواخر ، ولا الأوائل .

ثمّ قام عقبة بن عمرو فقال : من له يوم كيوم العقبة وبيعة كبيعة الرضوان ، والإمام الأهدى الذي لا يُخاف جورُه ، والعالم الذي لا يُخاف جهله .

وعَزل عليّ عمال عثمان عن البلدان خلا أبي موسى الأشعريّ ، كلّمه فيه الأشتر ، فأقرّه ، وولّى قثم بن العبّاس مكّة ، وعبيد الله بن العباس اليمن ، وقيس بن سعد بن عبادة مصر ، وعثمان بن حنيف الأنصاريّ البصرة . وأتاه طلحة والزبير فقالا : إنّه قد نالتنا بعد رسول الله جفْوة . فأشْركْنا في أمرِك ! فقال : أنتما شريكاي في القوّة والاستقامة ، وعوناي على العجز والأود[1] .

وروى بعضهم أنّه ولّى طلحة اليمن ، والزبير اليمامة والبحرين ، فلما دفع إليهما عهديهما قالا له : وصلتك رحم ! قال : وإنّما وصلتكما بولاية أمور المسلمين . واستردّ العهد منهما ، فعتبا من ذلك ، وقالا : آثرت علينا ! فقال : لولا ما ظهر من حرصكما لقد كان لي فيكما رأي .

وروى بعضهم أن المغيرة بن شعبة قال له : يا أمير المؤمنين ! أنفذْ طلحة إلى اليمن ، والزبير إلى البحرين ، واكتب بعهد معاوية على الشأم ، فإذا اسقامت الأمور ، فشأنك وما تريده فيهم ! فأجابه في ذلك بجواب ، فقال المغيرة : والله ما نصحتُه قبلها ، ولا أنصح له بعدها .

---

(١) الأود : الكد والتعب .

وكانت عائشة بمكّة ، خرجت قبل أن يقتل عثمان ، فلمّا قضت حجّها انصرفت راجعة ، فلمّا صارت في بعض الطريق لقيها ابن أمّ كلاب ، فقالت له : ما فعل عثمان ؟ قال : قتل ! قالت : بُعْداً وسُحْقاً ! قالت : فمن بايع الناس ؟ قال : طلحة . قالت : أيْها ذو الأصبع .

ثمّ لقيها آخر ، فقالت : ما فعل الناس ؟ قال : بايعوا عليّاً . قالت : والله ما كنت أبالي أن تقع هذه على هذه . ثمّ رجعت إلى مكّة ، وأقام عليّ أياماً ، ثمّ أتاه طلحة والزبير فقالا : إنّا نريد العمرة ، فأذن لنا في الخروج .

وروى بعضهم أن عليّاً قال لهما ، أو لبعض أصحابه : والله ما أرادا العمرة ، ولكنهما أرادا الغدرة . فلحقا عائشة بمكّة فحرّضاها على الخروج ، فأتت أمّ سلمة[1] بنت أبي أميّة ، زوج رسول الله ، فقالت : إن ابن عمّي وزوج أختي[2] أعلماني أن عثمان قُتل مظلوماً ، وأن أكثر الناس لم يرض ببيعة عليّ ، وأنّ جماعة ممن بالبصرة قد خالفوا ، فلو خرجت بنا لعلّ الله أن يصلح أمر أمّة محمّد على أيدينا ؟ فقالت لها أمّ سلمة ، إنّ عماد الدين لا يُقام بالنّساء ، حُماديات النساء غضّ الأبصار ، وخفض الأطراف ، وجرّ الذيول . إنّ الله وضع عنّي وعنك هذا ؛ ما أنت قائلة لو أنّ رسول الله عارضك بأطراف الفلوات قد هتكت حجاباً قد ضربه عليك ؟ فنادى مناديها : ألا إن أمّ المؤمنين مقيمة ، فأقيموا .

وأتاها طلحة والزبير وأزالاها عن رأيها ، وحملاها على الخروج ، فسارت إلى البصرة مخالفة على عليّ ، ومعها طلحة والزبير في خلق

---

(١) أم سلمة هي هند بنت أبي أُميّة ، وقيل اسمها رملة ، وكان أبوها يسمّى زاد الراكب لأنه كان يغني رفيقه في السفر عن الزاد ، وكانت أُم سلمة عند أبي سلمة بن عبد الأسد قبل أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

[أنظر ترجمتها في الروضة الفيحاء للموصلي]

(٢) تريد طلحة والزبير .

عظيم ؛ وقدم يعلى[1] بن مُنية بمال من مال اليمن قال : إنّ مبلغه أربعمائة ألف دينار ، فأخذه منه طلحة والزبير ، فاستعانا به ، وسارا نحو البصرة .

ومرّ القوم في الليل بماء يقال له : مرّ الحَوأب[2] ، فنبحتهم كلابه ، فقالت عائشة : ما هذا الماء ؟ قال بعضهم : ماء الحوأب . قالت : إنا لله وإنّا إليه راجعون ! ردّوني ردّوني ! هذا الماء الذي قال لي رسول الله : لا تكوني التي تنبحك كلاب الحوأب ، فأتاها القوم بأربعين رجلاً ، فأقسموا بالله أنّه ليس بماءِ الحوأب .

وقدم القوم البصرة ، وعامل عليّ عثمان بن حنيف ، فمنعها ومن معها من الدخول ، فقالا : لم نأت لحرب ، وإنّما جئنا لصلح ، فكتبوا بينهم وبينه كتاباً أنّهم لا يحدثون حدثاً إلى قدوم عليّ ، وأن كلّ فريق منهم آمن من صاحبه ، ثمّ افترقوا ، فوضع عثمان بن حنيف السلاح ، فنتفوا لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحاجبيه ، وانتهبوا بيت المال ، وأخذوا ما فيه ؛ فلمّا حضر وقت الصلاة تنازع طلحة والزبير ، وجذب كلّ واحد منهما صاحبه ، حتى فات وقت الصلاة ، وصاح الناس : الصلاة الصلاة يا أصحاب محمّد ! فقالت عائشة : يصلّي محمّد بن طلحة يوماً وعبد الله بن الزبير يوماً ، فاصطلحوا على ذلك . فلمّا أتى عليّاً الخبر سار إلى البصرة ، واستخلف على المدينة أبا حسن بن عبد عمرو ، أحد بني النجّار ، وخرج من المدينة، ومعه أربعمائة راكب من أصحاب رسول الله ، فلمّا صاروا إلى

---

(١) يعلى بن منية : منية هي أُمُّه . أما أبوه فاسمه أُميّة . وقيل : اسمه عبيد أو زيد ، وهو أول من أرّخ الكتب . أسلم بعد الفتح ، وشهد الطائف وحنيناً وتبوك مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم . كان الإمام علي يقول عنه : . . أما أعطى الناس فيعلى بن أُميّة ، كان يعطي الرجل الفرس والسلاح والثلاثين الدينار على أن يخرج فيقاتلني . .

[أسد الغابة ٥ : ١٢٨]

(٢) الحوأب : موضع بئر نبحت كلابه على عائشة أُم المؤمنين عند مقبلها إلى البصرة .

[ياقوت : معجم البلدان]

أرض أسد وطيّء تبعه منهم ستّمائة ، ثمّ صار إلى ذي قار[1] ، ووجّه الحسن وعمّار بن ياسر ، فاستنفر أهل الكوفة ، وعامله يومئذ على الكوفة أبو موسى الأشعري ، فخذّل[2] الناس عنه ، فوافاه منهم ستّة آلاف رجل ، ولقيه عثمان بن حنيف فقال : يا أمير المؤمنين ؛ وجّهتني ذا لحية فأتيتك أمرد ! وقصّ عليه القصة .

ثمّ قدم أمير المؤمنين البصرة ، وكانت وقعة الجمل بموضع يقال له الخُرَيْبة[3] في جمادى الأولى سنة ٣٦ . وخرج طلحة والزبير فيمن معهما ، فوقفوا على مصافّهم ، فأرسل إليهم عليّ : ما تطلبون وما تريدون ؟ قالوا : نطلب بدم عثمان ! قال عليّ : لَعَنَ الله قتلة عثمان ! واصطفّ أصحاب عليّ ، فقال لهم : لا ترموا بسهم ، ولا تطعنوا برمح ، ولا تضربوا بسيف ......[4] اعذروا. فرمَى رجلٌ من عسكر القوم بسم، فقتل رجلاً من أصحاب أمير المؤمنين ، فأُتي به إليه، فقال: اللّهُمَّ اشهد ؛ ثمّ رمى آخر ، فقتل رجلاً من أصحاب عليّ ، فقال : اللّهمّ اشهد ؛ ثمّ رمى رجل آخر ، فأصاب عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي فقتله ، فأتى به أخوه عبد الرحمٰن يحمله ، فقال عليّ : اللّهمّ اشهد ؛ ثمّ كانت الحرب ، وأطافت بنو ضبّة بالجمل ، وكانت تحمل الراية ، فقتل منهم ألفان ، وحفّت[5] به الأزد ، فقتل منهم ألفان وسبعمائة . وكان لا يأخذ خطام الجمل أحدٌ إلاّ سالت نفسه . فقُتل طلحة بن عبيد الله في

(١) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) خذّل الناس عنه : حملهم على خذلانه .

(٣) الخريبة : تصغير خربة : موضع بالبصرة ، وسميت بذلك لأن المرزبان كان قد ابتنى به قصراً وخرب بعده، فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده وفيه أبنية وسموها الخريبة .

[البكري : معجم ما استعجم]

(٤) بياض في الأصل .

(٥) حفّت : أحاطت .

المعركة ، رماه مروان بن الحكم بسهم فصرعه ، وقال : لا أطلب والله بعد اليوم بثأر عثمان ، وأنا قتلته ؛ فقال طلحة لمّا سقط : تالله ما رأيت كاليوم ، قطّ ، شيخاً من قريش أضيع مني ! إني والله ما وقفت موقفاً قطّ إلّا عرفت موضع قدمي فيه ، إلّا هذا الموقف .

وقال عليّ بن أبي طالب للزبير : يا أبا عبد الله ، أدْنُ إليّ أذكّرك كلاماً سمعته أنا وأنت من رسول الله ! فقال الزبير لعليّ : لي الأمان ؟ قال عليّ : عليك الأمان ، فبرز إليه فذكّره الكلام ، فقال ﷺ اللهمّ إني ما ذكرت هذا إلّا هذه الساعة ، وثنى عنان فرسه لينصرف ، فقال له عبد الله : إلى أين ؟ قال : ذكّرني عليّ كلاماً قاله رسول الله . قال : كلّا ، ولكنّك رأيت سيوف بني هاشم حداداً تحملها شدادٌ . قال : ويلك ! ومثلي يعيّر بالجبن ؟ هلمّ إليّ الرمحَ . وأخذ الرمح وحمل على أصحاب عليّ ، فقال عليّ : أفرجوا[1] للشيخ ، إنّه محرَّج ؛ فشقّ الميمنة والميسرة والقلب ثمّ رجع فقال لابنه : لا أمّ لك ! أيفعل هذا جبان ؟ وانصرف ، فاجتاز بالأحنف[2] بن قيس ، فقال : ما رأيت مثل هذا ، أتى بحرمة رسول الله يسوقها ، فهتك عنها حجاب رسول الله ، وستر حرمته في بيته ، ثمّ أسلمها وانصرف . ألا رجل يأخذ لله منه ! فاتبعه عمرو بن جُرْموز التميميّ ، فقتله بموضع يقال له وادي السباع[3] ؛ وكانت الحرب أربع ساعات من النهار ، فروى بعضهم أنّه قُتل في ذلك اليوم نيف وثلاثون ألفاً .

---

(١) أفرجوا : أفسحوا .

(٢) الأحنف بن قيس : سيد تميم ، يضرب به المثل في الحلم . اعتزل الفتنة يوم الجمل ، ثم شهد صفين مع علي . ولما انتظم الأمر لمعاوية عاتبه ، فأغلظ له الأحنف في الجواب ، فسئل معاوية عن صبره عليه ، فقال : هذا الذي إذا غضب غضب له مائة ألف لا يدرون فيم غضب .

[طبقات ابن سعد ٧ : ٦٦]

(٣) وادي السباع : بين البصرة ومكة .

[ياقوت : معجم البلدان]

ثمّ نـادى منـادي عليّ : ألا لا يجهـز على جريـح ، ولا يتبع مـولٍّ ، ولا يطعن في وجه مدبر ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهـو آمن . ثمّ آمن الأسـود والأحمر[1] ، ووجّـه ابن عبّاس إلى عـائشة يـأمـرهـا بالرجوع ، فلمّا دخـل عليها ابن عبّاس قالت : أخـطأت السنّة يـا بن عباس مرّتين ، دخلت بيتي بغير إذني ، وجلست على متـاعي بغير أمـري . قال : نحن علّمنا إيّاك السنّة ؛ إنّ هذا ليس ببيتك ، بيتك الذي خلّفك رسول الله به ، وأمرك القرآن أن تقرّي فيه . وجرى بينهمـا كلام مـوضعه في غيـر هذا من الكتاب .

وأتاها عليّ ، وهي في دار عبد الله بن خلف الخزاعيّ وابنه المعروف بطلحة الطلحات[2]، فقال : إيها يا حُميراء ! ألم تنتهي عن هـذا المسير ؟ فقـالت : يا بـن أبي طـالب ! قـدرت فـأسجـحْ[3] ! فقـال : اخـرجي إلى المدينة ، وارجعي إلى بيتك الذي أمرك رسول الله أن تقـرّي فيه . قـالت : أفعلْ . فوجّه معها سبعين امرأة من عبد القيس في ثياب الرجال ، حتى وافوا بها المدينـة ، وأعطى النـاس بالسـويّة لم يفضّـل أحداً على أحـد ، وأعطى المـوالي كما أعـطى الصلبيّـة ، وقيـل له في ذلـك ، فقال : قـرأت مـا بين الدفّتين ، فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضل هذا ، وأخـذ عوداً من الأرض ، فوضعه بين إصبعيه .

---

(١) يريد العبد الحبشي والأحمر الرومي .

(٢) طلحة الطلحات : هو طلحـة بن عبد الله بن خلف ، أجـود أهل البصـرة في زمانـه . لقب بالطلحـات ـ مضافـاً إلى اسمه طلحـة ـ وقد اختلف في سبب تلقيبـه بذلـك على وجهين :

الأوّل : لأنـه كان أجـود من سمّي طلحة، ولـذلك قيـل له : الـطلحات مضـافاً إلى اسمه .

والثاني : إن أُمّ طلحة ابنة الحارث بن أبي طلحة ، ولذلك سمي طلحة الطلحات .

[معجم الألقاب والأسماء المستعارة ٢٠٦]

(٣) أسجح : أحسن العفو .

ولما فرغ من حرب أصحاب الجمل ، وجّه جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي إلى خراسان ، وقدم عليه ماهويه مرزبان مرو ، فكتب له كتاباً ، وأنفذ له شروطه ، وأمره أن يحمل من الخراج ما كان وظّفه عليه ، فحمل إليه مالاً على الوظيفة المتقدّمة .

وخرج عليّ من البصرة متوجّهاً إلى الكوفة ، وقدم الكوفة في رجب سنة ٣٦ ، وكان جرير بن عبد الله على همذان ، فعزله ، فقال لعليّ : وجّهني إلى معاوية ، فإنّ جلّ من معه قومي ، فلعليّ أجمعهم على طاعتك ! فقال له الأشتر : يا أمير المؤمنين ! لا تبعثه ، فإنّ هواه هواهم . فقال : دَعْه يتوجه فإن نصح كان ممّن أدّى أمانته . وإن داهن[١] كان عليه وزر من اؤتمن ولم يؤدّ الأمانة ، ووُثق به فخالف الثقة ، ويا ويحهم مع من يميلون ويدعونني ، فوالله ما أردتهم إلّا على إقامة حقّ ، ولا يريدهم غيري إلّا على باطل . فقدم جرير على معاوية ، وهو جالس ، والناس حوله ، فدفع إليه كتاب عليّ ، فقرأه ، ثمّ قام جرير فقال : يا أهل الشأم ! إنّه من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير ، وقد كانت بالبصرة ملحمة لن يشفع البلاء بمثلها ، فلا بقاء للإسلام ، فاتّقوا الله يا أهل الشأم ، ورَوْا في عليّ ومعاوية خيراً ، فانظروا لأنفسكم ، ولا يكوننّ أحد أنظرَ لها منكم . ثمّ سكت ، وصمت معاوية ، فلم ينطق ، فقال : أبلعْني ريقي يا جرير .

وبعث معاوية من ليلته إلى عمرو بن العاص أن يأتيه وكتب إليه : أمّا بعد ، فإنّه قد كان من أمر عليّ وطلحة والزبير وعائشة ما قد بلغك ، فقد سقط إلينا مروان في رافضة أهل البصرة . وقدم عليّ جرير بن عبدالله في بيعة عليّ ، وحبست نفسي عليك حتى تأتيني ، فاقدم على بركة الله تعالى . فلمّا انتهى الكتاب إليه دعا ابنيه عبد الله ومحمّداً ، فاستشارهما ، فقال له عبد الله : أيّها الشيخ ! إنّ رسول الله قُبض وهو عنك راضٍ ، ومات أبو بكر وعمر وهما عنك راضيان . فإنّك إن تفسد دينك بدنيا يسيرة

---

(١) داهن : خدع وختل وأظهر خلاف ما يبطن .

تصيبها مع معاوية فتضجعان غداً في النار ؛ ثمّ قال لمحمد : ما ترى ؟ قال : بادر هذا الأمر ، فكن فيه رأساً قبل أن تكون ذنباً ، فأنشأ يقول :

تَطَاوَلَ لَيْلي لِلْهُمُومِ الطَّوارِقِ ، وَخَوْفِ التي تَجْلو وُجُوه العَوَاتِقِ
فإنّ ابنَ هِنْدٍ[١] سالَني أنْ أزُورَهُ ، وَتِلْكَ التي فِيها بَناتُ البَوَاقِ[٢]
أتَاهُ جريرٌ مِنْ عَلي بِخُطَّةٍ أمَرّتْ عَلَيْهِ العَيْشَ مَعْ كلّ دانقِ[٣]
فإنْ نَالَ مِنْهُ مَا يُؤَمِّلُ رَدَّهُ ، فإنْ لَمْ يَنَلْهُ ذَلّ ذُلّ المُطابِقِ
فَوَاللّهِ ما أدْري ، وَإني لَهكَذا أكُونُ ، وَمَهما قادَني ، فهوَ سائِقي
أأخْدَعُهُ فيه دَنِيّةٌ ، أم أعطيهِ من نفسي نصيحةَ وَامِقِ[٤]
أم أجلِسُ في بيتي ، وفي ذاك رَاحةٌ لِشَيخٍ يخافُ المَوْتَ في كلّ شارقِ
وَقَد قالَ عبد الله قَوْلاً تَعَلّقَتْ به النّفسُ ، إنْ لم يَعتقِلْني عَوَائقي
وَخَالَفَهُ فِيهِ أخُوهُ مُحَمّدٌ ، وَإني لصُلْبُ العُودِ عِنْدَ الحَقائِقِ

فلمّا سمع عبد الله شعره قال : بال الشيخ على عقبيه ، وباع دينه بدنياه ، فلمّا أصبح دعا وردان مولاه فقال له : إرحل يا وردان ، ثمّ قال حطّ يا وردان ، فحطّ ورحل ثلاث مرّات ، فقال وردان : لقد خلطت أبا عبدالله ، فإن شئت أخبرتك بما في نفسك . قال : هات! قال : اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : عليّ معه آخرة بلا دنيا ، ومعاوية معه دنيا بلا آخرة ، وليس في الدنيا عوَض من الآخرة ، فلستَ تدري أيّهما تختار . قال : لله درّك ما أخطأت ممّا في نفسي شيئاً ، فما الرأي يا وردان ؟ قال : الرأي أن تقيم في منزلك ، فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم ؛ وإن ظهر أهل الدنيا لم يُستغن عنك . قال عمرو : الآن ، وقد شهرتني العرب بمسيري إلى معاوية ، إرحلْ يا وردان ! ثمّ أنشأ يقول :

---

(١) يريد «معاوية بن أبي سفيان» .
(٢) البوائق : الويلات .
(٣) الدانق : الأحمق .
(٤) وامق : محب .

يـا قـاتَــلَ اللّهُ وَرْدانَ وَفِـطْنَتَــهُ ، أَبْدى لَعَمْرُكَ مـا في الصَّدرِ وَرْدانُ

فقـدم على معاويـة ، فذاكـره أمره ، فقـال له : أمّـا عليّ ، فـوالله لا تساوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشيـاء ، وإنّ له في الحـرب لحظّاً ما هو لأحد من قريش إلاّ أن تظلمه . قال : صدقت ، ولكنّا نقاتله على مـا في أيدينا ، ونلزمه قتل عثمان . قال عمرو : واسوءتـاه ! إنّ أحقّ الناس ألاّ يذكر عثمـان لا أنا ولا أنت . قـال : ولِمَ ويحك ؟ قـال : أمّا أنت فخـذلته ومعك أهل الشأم حتى استغاث بيزيد بن أسد البجليّ[1] ، فسار إليـه ؛ وأمّا أنا فتركته عياناً ، وهربت إلى فلسطين . فقال معاوية : دعني من هـذا ! مدّ يـدك فبـايعني ! قـال : لا . لعمـر الله ، لا أعـطيـك ديني حتى آخــذ من دنياك . قال له معاوية : لك مصر طعمة ، فغضب مروان بن الحكم وقال : ما لي لا أستشار ؟ فقـال معاويـة : أُسكت ، فإنّمـا يستشار بـك . فقال لـه معاوية : يا أبا عبـد الله ! بت عندنـا الليلة ، وكره أن يفسـد عليه النـاس ، فبات عمرو ، وهو يقول :

مُعَـاوِيَ لا أُعْطيـكَ دِيني ، وَلَـم أنلْ بـه منكَ دُنْيـا ، فانـظُرنْ كيفَ تصْنَـعُ
فـإنْ تُعـطِني مِصْـراً فـأَرْبِــحْ بصَفْقـةٍ أخَــذْتَ بهــا شَيْخــاً يَضـرّ وَيَنْفَــعُ
وَمَـا الـدّينُ وَالــدّنْيَـا سَــوَاءٌ ، وَإنّني لآخُــذُ مَـا أُعْــطَى ، وَرَأسي مُقَنّــعُ
وَلَـكنّـني أُعــطيــك هــذا ، وَإنّـني لأخْــدَعُ نَفْسي ، وَالمُخادِعُ يُخــدَعُ
أأُعـطِيـكَ أمْــراً فِيـهِ لِلْمُلْكِ قُــوّةٌ ، وَأبْقَى لَــهُ ، إنْ زَلّتِ النّعــلُ أُخــدعُ
وَتَمنَعُني مِصــراً ، وَلَيسَــتْ بِــرَغْبَــةٍ وَإنّ ثَــرى القَنُوعِ يَــوْمــاً لَمُــولَــعُ

فكتب له بمصر شـرطاً ، وأشهـد له شهـوداً ، وختم الشرط ، وبـايعه عمرو ، وتعاهدا على الوفاء .

---

(١) يزيد بن أسد : قائد يماني قحطاني ، من الشجعان ذوي الـرأي . لما حـوصر عثمـان في المدينة ، وجهه معاوية في أربعة آلاف ، فـدخلها بعـد مقتل عثمـان . حضر مـع عمرو بن العاص وقعة «المسنّاة» ومات قبل معاوية سنة ٥٥ هـ .
[الزركلي : الأعلام ٨ : ١٧٩]

واحتال معاوية لقيس[1] بن سعد بن عبادة عامل عليّ على مصر ، فجعل يكاتبه رجاء أن يستميله ، وكتب إليه قيس بن سعد : من قيس بن سعد إلى معاوية بن صخر : أمّا بعد ، فإنّما أنت وثن من أوثان مكّة دخلت في الإسلام كارهاً ، وخرجت منه طائعاً . وكتب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص : إنّ أحقّ الناس بنصر عثمان أهل الشورى من قريش ، الذين أثبتوا حقّه ، واختاروه على غيره ، وقد نصره طلحة والزبير ، وهما شريكاك في الأمر ونظيراك في الإسلام ، وخفّت لذلك أمّ المؤمنين ، ولا تكرهنّ ما رضوا ، ولا تردّنّ ما قبلوا ! فكتب إليه سعد : أمّا بعد ، فإنّ عمر لم يُدْخلْ في الشورى إلاّ من تحلّ له الخلافة ، فلم يكن أحد منّا أحقّ بها من صاحبه إلاّ باجتماعنا عليه ، غير أنّ عليّاً قد كان فيه ما فينا ، ولم يكن فينا ما فيه ، وأمّا طلحة والزبير فلو لزما بيوتهما كان خيراً لهما ، والله يغفر لأمّ المؤمنين .

وبلغ عليّاً أنّ معاوية قد استعدّ للقتال ، واجتمع معه أهل الشأم ، فسار عليّ في المهاجرين والأنصار ، حتى أتى المدائن[2] ، فلقيه الدهاقين[3] بالهدايا ، فردّها ، فقالوا : ولِمَ تردّ علينا ، يا أمير المؤمنين ؟ قال : نحن أغنى منكم بحقّ أحقّ بأن نفيض عليكم ، ثمّ صار إلى الجزيرة ، فلقيه بطون تغلب والنمر بن قاسط ، فسار معه منهم خلق عظيم ، ثمّ سار إلى الرقّة ، وجلّ أهلها العثمانية الذين هربوا من الكوفة إلى معاوية ، فغلقوا أبوابها ، وتحصنوا ، وكان أميرهم سماك بن مخرمة

---

(١) قيس بن سعد : والٍ ، صحابي . من دهاة العرب ، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب ، والنجدة ، وأحد الأجواد المشهورين . كان يحمل راية الأنصار مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويلي أموره . لم يكن في وجهه شعر ، وكان من أطول الناس ومن أجملهم .

[النووي ٢ : ٦١]

(٢) المدائن : عاصمة بلاد فارس .

(٣) الدهقان : التاجر أو رئيس الإقليم عند الفرس .

الأسدي ، فغلقوا دونه الباب ، فصار إليهم الأشتر مالك بن الحارث النخعي ، فقال : والله لتفتحُنّ ، أو لأضعنّ فيكم السيف ! ففتحوا ، وأقام بها أمير المؤمنين يومه .

ثم عبر إلى الجانب الشرقي من الفرات ، حتى صار إلى صفين[1] ، وقد سبق معاوية إلى الماء ووسعه المناخ ، فلمّا وافى عليّ وأصحابه لم يصلوا إلى الماء ، فتوسّل الناس إلى معاوية ، وقالوا : لا تقتل الناس عطشاً ، فيهم العبد والأمة[2] والأجير . فأبى معاوية ، وقال : لا سقاني الله ، ولا أبا سفيان من حوض رسول الله إن شربوا منه أبداً ، فوجّه عليّ الأشتر والأشعث[3] في الخيل ، والأشعث بن قيس في الرجّالة ، وكانت خيل معاوية مع أبي الأعور السلميّ ، فقاتله أصحاب عليّ حتى صارت سنابك الخيل في الفرات ، وغلبوا على المشرعة[4] ، وكان الواقف عليها عبد الله بن الحارث أخو الأشتر ،فلمّا غلب عليّ على المشرعة قال أصحاب معاوية : إنّه لا قوام لنا وقد أخذ عليّ الماء ! فقال عمرو بن العاص لمعاوية : إنّ عليّاً لا يستحلّ منك ومن أصحابك ما استحلَلت منه ومن أصحابه ، فأطلق عليّ الماء . وكان ذلك في ذي الحجة سنة ٣٦ .

ثمّ وجه عليّ إلى معاوية يدعوه ويسأله الرجوع ، وألّا يفرّق الأمّة بسفك الدماء ، فأبى إلّا الحرب ، فكانت الحرب في صفين سنة ٣٧ ، وأقامت بينهم أربعين صباحاً .

---

(١) صفين : موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات .

[ياقوت: معجم البلدان]

(٢) الأمة : الجارية .

(٣) الأشعث : هو الأشعث بن قيس ، أمير كندة في الجاهلية والإسلام . شهد اليرموك فأُصيبت عينه . وقف إلى جانب علي يوم صفين . لقب بالأشعث لتلبد شعره ، كما لقّب أيضاً بالأشج .

[معجم الألقاب والأسماء المستعارة : ٢٩]

(٤) المشرعة : مورد الشاربة .

وكـان مع عليّ يـوم صفين[1] من أهـل بـدر سبعـون رجـلاً ، وممّن بـايـع تحت الشجرة سبعمائة رجل ، ومن سائر المهـاجرين والأنصـار أربعمائـة رجل ، ولم يكن مـع معـاويـة من الأنصـار إلاَّ النعمـان بن بشيـر، ومسلمـة بن مخلد ، وصدقت نيّات أصحـاب عليّ في القتال ، وقـام عمّار بن يـاسر ، فصاح في الناس ، فاجتمع إليه خلق عظيم ، فقـال : والله إنّهم لو هـزمونـا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر[2] لعلمنا أنّا على الحقّ ، وأنّهم على الباطل ، ثمّ قال : ألا هل من رائح إلى الجنّة ؟ فتبعه خلق ، فضرب حول سرادق[3] معاوية ، فقاتل القوم قتالاً وقتل عمّار بن يـاسر ، واشتـدّت الحرب في تلك العشيّة ، ونادى الناس قتل صاحب رسول الله ، وقد قال رسـول الله : تقتل عمّاراً الفئة الباغية .

وزحف أصحاب عليّ وظهروا على أصحاب معاوية ظهوراً شـديداً ، حتى لصقوا به ، فدعا معـاوية بفـرسه لينجـو عليه ، فقـال له عمـرو بن العاص : إلى أين ؟ قـال : قد نـزل ما تـرى ، فمـا عنـدك ؟ قـال : لم يبق إلاّ حيلة واحدة ، أن ترفع المصاحف ، فتدعوهم إلى ما فيها ، فتستكفّهم وتكسر من حدّهم ، وتفتّ في أعضادهم . قال معاوية : فشأنك ! فرفعـوا المصاحف ، ودعـوهم إلى التحكم بما فيهـا ، وقالـوا : ندعـوكم إلى كتـاب الله . فقـال عليّ : إنّهـا مكيدة ، وليسـوا بأصحـاب قرآن . فـاعترض الأشعث بن قيس الكنديّ ، وقد كان معاوية استماله ، وكتب إليه ودعاه إلى نفسه ، فقـال : قد دعا القوم إلى الحق ! فقال عليّ : إنّهم إنّمـا كادوكم ، وأرادوا صـرفكم عنهم . فقال الأشعث : والله لئن لم تُجبهم انصرفت عنك . ومالت اليمانية مـع الأشعث ، فقـال الأشعث : والله لتجيبنّهم إلى مـا دعـوا إليـه ، أو

(١) أنظر تفصيل خبر صفين في تاريخ ابن خياط صفحة ١٩٣ وما بعدها .

(٢) هجر : قصبة بلاد البحرين .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) السرادق : الخيمة .

لندفعنّك إليهم برمّتك ، فتنازع الأشتر والأشعث في هذا كلاماً عظيماً ، حتى كاد أن يكون الحرب بينهم ، وحتى خاف عليّ أن يفترق عنه أصحابه ، فلمّا رأى ما هو فيه أجابهم إلى الحكومة[1] ، وقال عليّ : أرى أن أوجّه بعبد الله[2] بن عبّاس . فقال الأشعث : إنّ معاوية يوجّه بعمرو بن العاص ، ولا يحكم فينا مُضَريّان ، ولكن تُوجّه أبا موسى الأشعريّ ، فإنّه لم يدخل في شيء من الحرب . وقال عليّ : إنّ موسى عدوّ ، وقد خذّل الناس عنّي بالكوفة ، ونهاهم أن يخرجوا معي . قالوا : لا نرضى بغيره . فوجّه عليّ أبا موسى على علمه بعداوته له ومداهنته فيما بينه وبينه ، ووجّه معاوية عمرو بن العاص ، وكتبوا كتابين بالقضيّة : كتاباً من عليّ بخطّ كاتبه عبد الله بن أبي رافع ، وكتاباً من معاوية بخطّ كاتبه عمير بن عبّاد الكنانيّ ، واختصموا في تقديم عليّ أو تسمية عليّ بإمرة المؤمنين ، فقال أبو الأعور السلميّ : لا نُقدم عليّاً ، وقال أصحاب عليّ : ولا نغيّر اسمه ولا نكتب إلاّ بإمرة المؤمنين ، فتنازعوا على ذلك منازعة شديدة حتى تضاربوا بالأيدي ، فقال الأشعث : امحوا هذا الاسم ! فقال له الأشتر : والله يا أعور لهممت أن أملأ سيفي منك ، فلقد قتلتُ قوماً ما هم شرّ منك ، وإني أعلم أنّك ما تحاول إلاّ الفتنة ، وما تدور إلا على الدنْيا وإيثارها على الآخرة . فلما اختلفوا قال عليّ : الله أكبر! قد كتب رسول الله يوم الحديبية[3] لسهيل بن عمرو : هذا ما صالح رسول الله ، فقال سهيل : لو علمنا أنّك رسول الله ما قاتلناك . فمحا رسولُ الله اسمه بيده ، وأمرني فكتبت : من محمد بن

---

(١) الحكومة هنا : التحكيم .

(٢) عبد الله بن عباس : حبر الأمة ، الصحابي الجليل . شهد مع علي الجمل وصفين ، وَكُفّ بصره في آخر عمره . لقب بترجمان القرآن . وقال عطاء : كان ناس يأتون ابن عباس في الشعر والأنساب ، وناس يأتونه لأيام العرب ووقائعهم ، وناس يأتونه للفقه والعلم . كان آية في الحفظ ، وكان إذا سمع النوادب سدّ أذنيه بأصابعه مخافة أن يحفظ أقوالهن . توفي في الطائف سنة ٦٨ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٤ : ٩٥]

(٣) أنظر صلح الحديبية في موضع سابق من هذا الكتاب .

عبد الله ، وقال : إنّ اسمي واسم أبي لا يذهبان بنبوّتي ، وكذلك كتبت الأنبياء ، كما كتب رسول الله إلى الآباء ، وإنّ اسمي واسم أبي لا يذهبان بإمرتي ، وأمرهم فكتبوا : من عليّ بن أبي طالب ، وكتب كتاب القضيّة على الفريقين يرضون بذلك بما أوجبه كتاب الله ، واشترط على الحكمين في الكتابين أن يحكما بما في كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته لا يتجاوزان ذلك ، ولا يَحيدان عنه إلى هوى ، ولا إدهان ، وأخذ عليهما أغلظ العهود والمواثيق ، فإن هما جاوزا بالحكم كتاب الله من فاتحته إلى خاتمته ، فلا حكم لهما .

ووجّه عليّ بعبد الله بن عباس في أربعمائة من أصحابه ونفّذ معاوية أربعمائة من أصحابه ، واجتمعوا بدومة الجندل[1] في شهر ربيع الأوّل سنة ٣٨ . فخدع عمرو بن العاص أبا موسى ، وذكر له معاوية فقال : هو وليّ ثأر عثمان وله شرفة في قريش ، فلم يجد عنده ما يحب ، قال : فابني عبد الله ؟ قال : ليس بموضع لذلك . قال : فعبد الله بن عمر ؟ قال : إذاً يحيي سنّة عمر ، الآن حيث به[2] . فقال : فاخلع عليّاً وأخلع أنا معاوية ، ويختار المسلمون .

وقدّم عمرو أبا موسى إلى المنبر فلمّا رآه عبد الله بن عباس قام إلى عبد الله بن قيس ، فدنا منه ، فقال : إن كان عمرو فارقك على شيء ، فقدّمه قبلك ، فإنّه غدر ، فقال : لا ، قد اتّفقنا على أمر ؛ فصعد المنبر ، فخلع عليّاً ، ثمّ صعد عمرو بن العاص فقال : قد ثبتُّ معاوية كما ثبت خاتمي هذا في يدي . فصاح به أبو موسى : غدرت يا منافق ، إنّما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث . قال عمرو : إنّك مثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً[3] .

---

(١) دومة الجندل : من أعمال المدينة ، سميت بدوم بن إسماعيل .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) يلاحظ ارتباك في اللفظ والمعنى .

(٣) الأسفار : الكتب .

وتنادى الناس : حكمَ والله الحكمان بغير ما في الكتاب ، والشرط عليهما غير هذا . وتضارب القوم بالسياط ، وأخذ قوم بشعور بعض ، وافترق الناس ونادت الخوارج : كفر الحكمان ، لا حكم إلاّ لله .

وقيل : أوّل من نادى بذلك عروة[1] بن أُديّة التميميّ قبل أن يجتمع الحكمان ، وكانت الحكومة في شهر رمضان سنة ٣٨ .

قال ابن الكلبي : أخبرني عبد الرحمٰن بن حصين بن سويد . . . . .[2] قال : إنّي لأساير أبا موسى الأشعريّ على شاطىء الفرات ، وهو إذ ذاك عامل لعمر ، فجعل يحدّثني ، فقال : إنّ بني إسرائيل لم تزل الفتن ترفعهم وتخفضهم أرضاً بعد أرض ، حتى حكّموا ضالّين أضلاّ من اتّبعهما . قلت : فإن كنت يا أبا موسى أحد الحكمين ، قال فقال لي : إذاً لا ترك الله لي في السماء مصعداً ، ولا في الأرض مهرباً إن كنت أنا هو ، فقال سويد : لربّما كان البلاء موكّلاً بالمنطق ، ولقيته بعد التحكيم ، فقلت : إن الله إذا قضى أمراً لم يغالب .

وانصرف عليّ إلى الكوفة ، فلما قدمها قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أيّها الناس ! إنّ أوّل وقوع الفتن هَوىً يتُّبع ، وأحكام تُبتدع ، يعظّم فيها رجالٌ رجالاً ، يخالف فيها حكم الله ، ولو أنّ الحقّ أُخْلِصَ فعُمِلَ به لم يَخْفَ على ذي حجى[3] ولكن يؤخذ ضغث[4] من ذا وضغث من ذا ، فيخلط فيعمل به ، فعند ذلك يستولي الشيطان على أوليائه وينجو الذين سبقت لهم منّا الحسنى .

وصارت الخوارج إلى قرية يقال لها حروراء بينها وبين الكوفة نصف

---

(١) عروة بن أدية : هو عروة بن حُدير ، وأدية أُمه . أول من قال : «لا حكم إلاّ لله» وسيفه أول ما سلّ من سيوف أباة التحكيم . قتله عبيد الله بن زياد سنة ٥٨ هـ .

[الكامل ٢ : ١٢٨]

(٢) بياض في الأصل .

(٣) حجى : عقل .

(٤) ضغث : خلط .

فرسخ ، وبها سمّوا الحروريّة ، ورئيسهم عبد الله[1] بن وهب الراسبيّ ، وابن الكوّا ، وشبث بن رِبْعِي ، فجعلوا يقولون : لا حكم إلاّ لله ، فإذا بلغ عليّاً ذلك قال : كلمة حقّ أريد بها باطل ، ثمّ خرجوا في ثمانية آلاف ، وقيل : في اثني عشر ألفاً ، فوجّه إليهم عليّ عبد الله بن عبّاس ، فكلّمهم ، واحتجّوا عليه ، فخرج إليهم عليّ فقال : أتشهدون عليّ بجهل ؟ قالوا : لا ! قال : فتنفذون أحكامي ؟ قالوا : نعم ! قال : فارجعوا إلى كوفتكم حتى نتناظر ، فرجعوا من عند آخرهم ، ثمّ جعلوا يقومون فيقولون : لا حكم إلا لله ، فيقول عليّ : حكم الله أنتظر فيكم ، وخرجوا من الكوفة ، فوثبوا على عبدالله بن خبّاب بن الأرتّ، فقتلوه وأصحابه، فخرج إليهم عليّ، فناشدهم الله، ووجّه إليهم عبدالله بن عبّاس، فقال : يا بن عبّاس قل لهؤلاء الخوارج ما نقمتم على أمير المؤمنين ؟ ألم يحكم فيكم بالحقّ ، ويقيم فيكم العدل ، ولم يَبْخَسكم شيئاً من حقوقكم ؟ فناداهم عبد الله بن عباس بذلك ، فقالت طائفة منهم : والله لا نجيبه . وقالت الأخرى : والله لنجيبنّه ثم لنخصمنّه ، نعم ، يا بن عبّاس ، نقمنا على عليّ خصالاً كلّها موبقة لو لم نخصمه منها إلاّ بخصلة خصمناه ، محا اسمه من إمرة المؤمنين يوم كتب إلى معاوية ، ورجعنا عنه يوم صفين ، فلم يضربنا بسيفه حتى نفيء إلى الله ، وحكّم الحكمين ، وزعم أنّه وصيّ ، فضيّع الوصيّة ، وجئتنا يا بن عبّاس في حلّة حسنة جميلة تدعونا إلى مثل ما يدعونا إليه ؟ .

فقال ابن عباس : قد سمعت ، يا أمير المؤمنين ، مقالة القوم ، وأنت أحقّ بالجواب ، فقال : حججتهم والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ، قل لهم : ألستم راضين بما في كتاب الله ، وبما فيه من أسوة رسول الله ؟ قالوا : بلى ! قال : فعليّ بذلك أرضى . كتب كاتب رسول الله يوم

---

(1) عبد الله بن وهب : من أئمة الإباضية ، كان ذا علم ورأي وفصاحة وشجاعة ، وكان عجباً في العبادة . أنكر التحكيم مع جماعة له وقاتلوا علياً ، وقُتل عبد الله الراسبي في هذه الوقعة سنة ٣٨ هـ .

[المبرد : الكامل ٢ : ١١٩]

الحُدَيْبية ، إذ كتب إلىٰ سهيـل بن عمرو وصخـر بن حرب ومن قبلهمـا من المشركين : من محمّد رسول الله ، فكتبوا إليه : لو علمنـا أنّك رسـول الله ما قاتلناك ، فاكتبْ إلينا : من محمّد بن عبد الله لنجيبك ، فمحا رسول الله اسمـه بيـده ، وقـال : إنّ اسمي واسم أبي لا يـذهبـان بنبـوّتي وأمـري ، فكتب : من محمد بن عبد الله ، وكذلك كتب الأنبيـاء كما كتب رسـول الله إلى الآباء ، ففي رسول الله أسوة حسنة .

وأمّـا قولكم إنّي لم أضـربكم بسيفي يوم صفين حتى تفيئـوا إلى أمـر الله ، فـإن الله عزّ وجـلّ يقول : ﴿**ولا تُلْقـوا بأيْديكم إلى التّهْلُكة**[1]﴾ ،وكنتم عدداً جمّاً ، وأنا وأهل بيتي في عدّة يسيرة .

وأمّا قولكم إنّي حكّمت الحكمين ، فإن الله عزّ وجـلّ حكّم في أرنب يُبـاع بربـع درهم ، فقـال:﴿**يحكم بــه ذَوَا عـدل منكم**﴾ ، ولـو حكم الحكمان بما في كتاب الله لما وسعني الخروج من حكمهما .

وأمّـا قـولكم إنّي كنت وصيّـاً فضيّعت الـوصيّـة ، فـإن الله عـزّ وجـلّ يقول : ﴿**ولله على الناس حـجّ البيت من استطاع إليـه سبيلاً ومن كفـر فإن الله غنيّ عن العالمين**﴾[2] أفرَأيتمْ هـذاالبيت ،لو لم يحجـج إليه أحـد كـان البيت يكفـر ، إنّ هذا البيت لـو تركـه من استطاع إليـه سبيـلاً كفـر ، وأنتم كفرتم بترككم إيّاي لا أنا كفرتُ بتركي لكم .

فـرجع يـومئـذ من الخـوارج ألفـان ، وأقـام أربعـة آلاف ، والتحمت الحرب بينهم مع زوال الشمس ، فأقامت مقـدار ساعتين من النهـار ، فقُتلوا من عند آخرهم ، وقتل ذو الثُّدَيّة ، ولم يفلت من القوم إلاّ أقلّ من عشرة ، ولم يقتل من أصحاب عليّ إلا أقلّ من عشرة ، وكـانت وقعة النهـروان سنة ٣٩[3] .

---

(١) سورة البقرة؛ الآية: ١٩٥ .

(٢) سورة آل عمران؛ الآية : ٩٧ .

(٣) أنظر وقعة النهروان بالتفصيل في تاريخ ابن الخياط ص ١٩٧ .

ولمّا قدم علي الكوفة قام خطيباً فقال : بعد حمد الله والثناء عليه والتذكير لنعمه والصّلاة على محمّد وذكره بما فضّله الله به ، أمّا بعد أيّها الناس ! فأنا فقأت عينَ الفتنة ، ولم يكن ليجترىء عليها أحدٌ غيري ، ولو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون ، ولا القاسطون[١] ، ولا المارقون[٢] ، ثمّ قال : سلوني قبل أن تفقدوني ، فإني عن قليل مقتول ، فما يحبس أشقاها أن يخضبها بدم أعلاها ، فوالّذي فَلَقَ البحرَ وبرأ النسمة لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ، ولا عن فتنة تُضِلّ مائة أو تهدي مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها إلى يوم القيامة . إنّ القرآن لا يعلم علمه إلاّ من ذاق طعمه . وعلم بالعلم جهله ، وأبصر عمله ، واستمع صَمَمَه وأدرك به مأواه ، وحيَ به إن مات ، فأدرك به الرّضى من الله ، فاطلبوا ذلك عند أهله ، فإنّهم في بيت الحياة ، ومستقرّ القرآن ، ومنزل الملائكة ، وأهلُ العلم الذين يخبركم عملهم عن علمهم وظاهرهم عن باطنهم هم الذين لا يخالفون الحقّ ، ولا يختلفون فيه ، قد مضى فيهم من الله حكمٌ صادق ، وفي ذلك ذكرى للذاكرين .

وأمّا أنّكم ستلقون بعدي ذلاًّ شاملاً وسيفاً قاتلاً وأثرة[٣] قبيحة يتّخذها الظالمون عليكم سنّة تفرّق جموعكم ، وتبكي عيونكم ، وتدخل الفقر بيوتكم ، وستذكرون ما أقول لكم عن قليل ، ولا يبعد الله إلاّ من ظلم[٤] .

ووجّه معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص على مصر على شرط له ، فقدمها سنة ٣٨ ، ومعه جيش عظيم من أهل الشأم ، فكان على دمشق يزيد بن أسد البجلي ، وعلى أهل فلسطين شُمير الخثعمي ، وعلى أهل الأردنّ أبو الأعور السلميّ ، ومعاوية بن حُدَيج الكندي على

---

(١) القاسطون : العادلون .

(٢) المارقون : الخارجون من الدين بضلالة أو بدعة .

(٣) الأثرة : الأنانية .

(٤) أنظر «نهج البلاغة» للإمام علي بن أبي طالب .

الخارجة ، فلقيهم محمد بن أبي بكر بموضع يقال له المسنّاة[١] ، فحاربهم محاربة شديدة ، وكان عمرو يقول : ما رأيتُ مثل يوم المسنّاة ، وقد كان محمد استذمّ إلى اليمانية[٢] ، فمايل عمرو بن العاص اليمانية ، فخلّفوا محمد بن أبي بكر وحده ، فجالد ساعة ، ثمّ مضى فدخل منزل قوم خرابة ، واتبعه ابن خديج الكنديّ ، فأخذه وقتله ، وأدخله جيفة حمار ، وحرّقه بالنّار في زقاق يعرف بزقاق الحوف[٣] .

وبلغ عليّاً ضعف محمد بن أبي بكر وممالأة اليمانية معاوية وعمرو بن العاص فقال : ما أُوتي محمّد من حرض ، ووجّه مالك بن الحارث الأشتر إلى مصر قبل أن ينتهي إليه قتل محمّد بن أبي بكر ، وكتب إلى أهل مصر : إنّي بعثت إليكم سيفاً من سيوف الله لا نابيَ الضربة ، ولا كليل الحدّ ، فإن استنفركم فانفروا وإن أمركم بالمقام فأقيموا ، فإنّه لا يقدم ولا يحجم إلّا بأمري ، وقد آثرتكم به على نفسي . فلمّا بلغ معاوية أنّ عليّاً قد وجّه الأشتر عظم عليه ، وعلم أن أهل اليمن أسرعُ إلى الأشتر منهم إلى كلّ أحد ، فدسّ له سمّاً ، فلمّا صارَ إلى القلزم من الفسطاط[٤] على

---

(١) المسنّاة : وردت في معجم البلدان لياقوت في شعر لكميت بن معروف دون أن يحدد موقعها . . قال الشاعر :

وقلت لندماني والحزن بيننا	وشمُّ الأعالي من خفافٍ نوازع
أنارٌ بدتْ بين المسنّاة فالحمى	لعينيك أم برق من الليل ساطع

(٢) أي لقي ذمّاً منهم .

(٣) الحوف : وهو في مصر حوفان : الشرقي والغربي ، وهما متصلان ، أول الشرقي من جهة الشام وآخر الغربي قرب دمياط ، يشتملان على بلدان وقرى كثيرة .

[معجم البلدان لياقوت]

(٤) الفسطاط : من مدن مصر ، وتعني المدينة التي يجتمع فيها الناس .

مرحلتين نزل منزل رجل من أهل المدينة يقال له . . . . [1] فخدمه وقام بحوائجه ، ثمّ أتاه بقعب فيه عسل قد صيّر فيه السمّ ، فسقاه إيّاه ، فمات الأشتر بالقلزم وبها قبره ، وكان قتله وقتل محمد بن أبي بكر في سنة ٣٨ .

ولمّا بلغ عليّاً قتل محمد بن أبي بكر والأشتر جزع عليهما جزعاً شديداً ، وتفجّع ، وقال عليّ : على مثلك فلتبك البواكي يا مالك ، وأنّى مثل مالك ؟ وذكر محمد بن أبي بكر ، وتفجّع عليه ، وقال: إنّه كان لي ولداً ولولدي وولد أخي أخاً ، وخرج الخرّيت[2] بن راشد الناجيّ في جماعة من أصحابه ، فجرّدوا السيوف بالكوفة ، فقتلوا جماعة ، وطلبهم الناس ، فخرج الخرّيت وأصحابه من الكوفة ، فجعلوا لا يمرّون ببلد إلّا انتهبوا بيت ماله حتى صاروا إلى سيف عمان .

وكان عليّ قد وجّه الحلو بن عوف الأزديّ عاملاً على عمان فوثبت به بنو ناجية فقتلوه ، وارتدّوا عن الإسلام ، فوجّه عليّ معقل بن قيس الرياحيّ إلى البلد ، فقتل الخرّيت بن راشد وأصحابه ، وسبى بني ناجية ، فاشتراهم مصقلة بن هبيرة الشيبانيّ ، وأنفذ بعض الثمن ثمّ هرب إلى معاوية ، وأمر عليّ بهدم داره ، وأنفذ عتق بني ناجية ، وكانوا يدّعون أنّهم من ولد سامة بن لؤيّ .

ووجّه معاوية النّعمان بن بشير ، فأغار على مالك بن كعب الأرحبيّ ، وكان عامل عليّ على مسلحة عين التمر ، فندب عليّ فقال : يا أهل الكوفة انتدبوا إلى أخيكم مالك بن كعب ، فإنّ النعمان بن بشير قد نزل به في جمع ليس بكثير لعلّ الله أن يقطع من الظالمين طرفاً . فأبطأوا ، ولم يخرجوا ، فصعد عليّ المنبر فتكلّم كلاماً خفيّاً لا يُسمع ، فظنّ الناس أنّه

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) الخريت بن راشد الناجي : صحابي ، ثائر ، من بني ناجية . لما كان التحكيم ، خرج بمن معه إلى بلاد فارس . فسيّر علي معقل بن قيس لقتاله . قتله النعمان بن صهبان الراسبي سنة ٣٩ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٢ : ٣٠٣]

يدعو، الله، ثمّ رفع صوته فقال: أمّا بعد يا أهل الكوفة أكلّما أقبل منسر[1] من مناسر أهل الشأم أغلق كلّ امرىء بابه وانجحر في بيته انجحار الضّبّ والضبع الذليل في وجاره؟ أفٍ لكم! لقد لقيت منكم يوماً أناجيكم ويوماً أناديكم، فلا إخوان عند النجاء، ولا أحرار عند النّداء. فلمّا دخل بيته قام عديّ[2] بن حاتم فقال: هذا والله الخذلان القبيح! ثمّ دخل إليه فقال: يا أمير المؤمنين! معي ألف رجل من طيّء لا يعصونني، وإن شئت أن أسير بهم سِرت؟ فقال عليّ: جَزَاكَ الله خيراً، يا أبا طريف، ما كنت لأعرض قبيلة واحدة لحدّ أهل الشأم، ولكن اخرج إلى النُّخَيْلَة[3]! فخرج واتبعه الناس فسار عديّ على شاطىء الفرات، فأغار على أدنى الشأم.

وأغار الضحّاك[4] بن قيس على القُطْقُطانة، فبلغ عليّاً إقباله. وأنّه قد قتل ابن عميش، فقام عليّ خطيباً، فقال: يا أهل الكوفة اخرجوا إلى جيش لكم قد أصيب منه طرف، وإلى الرّجل الصالح ابن عميش، فامنعوا حريمكم، وقاتلوا عدوّكم. فردّوا ردّاً ضعيفاً، فقال: يا أهل العراق! وددت أن لي بكم بكل ثمانية منكم رجلاً من أهل الشأم، وويل لهم قاتلوا مع تصبرهم على جور، ويحكم! اخرجوا معي، ثمّ فرّوا عنّي إن بدا لكم، فوَاللّهِ إنّي لأرجو شهادة، وإنّها لتدور على رأسي مع ما لي من

(١) المنسر: قطعة من الجيش صغيرة العدد.

(٢) عدي بن حاتم: أمير، صحابي، كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام. قام في حرب الردة بأعمال كبيرة حتى قال ابن الأثير: خير مولود في أرض طيء وأعظمه بركة عليهم. مات بالكوفة سنة ٦٨ هـ.

[رغبة الآمل ٦: ١٣٥]

(٣) النخيلة: موضع قرب الكوفة على سمت الشام. وهو تصغير نخلة.

[ياقوت: معجم البلدان]

(٤) الضحاك بن قيس: سيد بني فهر في عصره، وأحد الولاة الشجعان. شهد فتح دمشق، وسكنها، وشهد صفين مع معاوية، ولاّه معاوية على الكوفة، فتفقد الخورنق (قصر النعمان) وأصلحه. قُتل في مرج راهط سنة ٦٥ هـ.

[الزركلي: الأعلام ٣: ٢١٤]

الـروح العظيم في تـرك مداراتكم كمـا تُـدارى البكـار الغَمْـرة ، أو الثيـاب المتهتّكـة ، كلّمـا حيصت[1] من جـانب تهتكت من جـانب . فقـام إليـه حجر[2] بن عديّ الكنديّ فقال : يـا أمير المؤمنين ! لا قـرّب الله منّي إلى الجنّـة من لا يحبّ قربـك ، عليك بعـادة الله عندك ، فـإنّ الحقّ منصور ، والشهـادة أفضل الـرياحين ، انـدبْ معي الناس المنـاصحين ، وكن لي فئة بكفايتك ، والله فئة الإنسان وأهله ، إن الشيطان لا يفارق قلوب أكثر الناس حتى تفارق أرواحهم أبدانهم . فتهلّل وأثنى على حجر جميلاً ، وقـال : لا حرمك الله الشهادة ، فإنّي أعلم أنّك من رجالها .

وجلس عليّ في المسجد فندب الناس ، وانتدب أربعـة آلاف ، فسار بهم في طلب القـوم ، وأغذّ المسيـر حتى لقيهم بتدمـر من عمـل حمص ، فقاتلهم فهزمهم ، حتى انتهـوا إلى الضحّاك ، وحجـز بينهم الليل ، فـأدلج الضحّاك على وجهه منصرفاً ، وشنّ حجر بن عديّ ومن معه الغارة في تلك البلاد يومين وليلتين ، ثمّ أغـار سفيان بن عـوف على الأنبار ، فقتـل أشرس ابن حسّـان البكريّ ، فـأتبعه عليّ سعيـد بن قيس ، فلمّا أحسّ بـه انصـرف مولّياً ، وتبعه سعيد إلى عانات[3] ، فلم يلحقه .

وبعث معـاوية عبـد الله بن مسعـدة بن حـذيفـة بن بـدر الفـزاريّ في جريدة خيل ، وأمره أن يقصـد المدينـة ومكة ، فسـار في ألف وسبعمائـة ،

---

(١) حيصت : رُتقت .

(٢) حجـر بن عدي : ويسمى حجـر الخيـر . كـان من أصحـاب علي وشهـد معـه وقعتي الجمـل وصفين . أمـر معـاويـة بقتله ، فقتـل في مـرج عـذراء من قـرى دمشق سنـة ٥١ هـ .

[الكامل لابن الأثير ٣ ؛ ١٨٧]

(٣) عانات : سميت بثلاثة إخـوة من قوم عـاد خرجـوا هرابـاً فنزلـوا تلك الجزائـر فسميت بأسمائهم وهم : ألوس وسالوس وناووس ، فلما نظرت العـرب إليها ، قـالت : كأنهـا عانات أي قطع من الظباء .

[ياقوت : معجم البلدان]

فلمّا أتى عليّاً الخبر وجّه المسيّب بن نَجَبَة الفزاريّ ، فقال له : يا مسيّب ! إنّك ممّن أثق بصلاحه وبأسه ونصيحته ، فتوجّهْ إلى هؤلاء القوم وأثّرْ فيهم ، وإن كانوا قومك . فقال له المسيّب : يا أمير المؤمنين ! إن سعادتي أن كنت من ثقاتك ، فخرج في ألفي رجل من همدان وطيّء وغيرهم ، وأغذّ السير ، وقدّم مقدّمته ، فلقوا عبد الله بن مسعدة ، فقاتلوه ، فلحقهم المسيّب ، فقاتلهم حتى أمكنه أخذ ابن مسعدة ، فجعل يتحاماه ، وانهزم ابن مسعدة ، فتحصّن بتيماء ، وأحاط المسيّب بالحصن ، فحصر ابن مسعدة وأصحابه ثلاثاً ، فناداه : يا مسيّب ! إنّما نحن قومك ، فليمسّك الرّحم . فخلّى لابن مسعدة وأصحابه الطريق ونجا من الحصن .

فلمّا جنّهم الليل خرجوا من تحت ليلتهم حتى لحقوا بالشأم ، وصبّح المسيّب الحصن ، فلم يجد أحداً ، فقال عبد الرحمٰن بن شبيب : داهنت والله يا مسيّب في أمرهم ، وغششت أمير المؤمنين ، وقدم على عليّ فقال له عليّ : يا مسيّب ! كنت من نصّاحي ، ثمّ فعلت ما فعلت ! فحبسه أيّاماً ، ثمّ أطلقه وولّاه قبض الصّدقة بالكوفة .

ووجّه معاوية بسر[1] بن أبي أرطأة، وقيل ابن أرطأة العامري ، من بني عامر بن لؤيّ ، في ثلاثة آلاف رجل ، فقال له : سر حتى تمرّ بالمدينة ، فاطرد أهلها ، وأخف من مررت به ، وانهب مال كلّ من أصبت له مالاً ممّن لم يكن دخل في طاعتنا ، وأوهم أهل المدينة أنّك تريد أنفسهم ، وأنّه لا براءة لهم عندك ، ولا عذر ، وسر حتى تدخل مكّة ، ولا تعرض فيها لأحد ، وارهب الناس فيما بين مكّة والمدينة ، واجعلهم

---

(١) بسر بن أبي أرطأة: قائد فتاك من الجبارين. كان من رجال معاوية، وشهد فتح مصر، ولّاه معاوية على البصرة بعد مقتل علي وصلح الحسن. غزا الروم فبلغ القسطنطينية، وأصيب بعد ذلك في عقله . مات في دمشق أو في المدينة سنة ٨٦ هـ عن نحو تسعين عاماً .

[الزركلي : الأعلام ٢ : ٥١]

شرادات ، ثمّ امضِ حتى تأتي صنعاء ، فإن لنا بها شيعة[1] ، وقد جاءني كتابهم . فخرج بسر ، فجعل لا يمرّ بحيّ من أحياء العرب إلاّ فعل ما أمره معاوية ، حتى قدم المدينة ، وعليها أبو أيّوب الأنصاريّ ، فتنحّى عن المدينة ، ودخل بسر ، فصعد المنبر ثم قال : يا أهل المدينة ! مثل السوء لكم ، قرية كانت آمنةً مطمئنّةً يأتيها رزقها رَغَداً من كلّ مكان ، فكفرتْ بأنعُم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون : ألا وإن الله قد أوقع بكم هذا المثل وجعلكم أهله ، شاهت الوجوه . ثمّ ما زال يشتمهم حتى نزل .

قال : فانطلق جابر بن عبد الله الأنصاري إلى أم سلمة[2] زوج النبيّ ، فقال : إنّي قد خشيتُ أن أُقْتَل ، وهذه بيعة ضلال . قالت : إذاً فبايع ، فإنّ التقيّة حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الأعياد مع قومهم . وهدم بسر دوراً بالمدينة ، ثمّ مضى حتى أتى مكّة ، ثمّ مضى حتى أتى اليمن ، وكان على اليمن عبيد الله بن عبّاس ، عامل عليّ ، وبلغ عليّاً الخبر ، فقام خطيباً فقال[3] : أيّها الناس ! إنّ أول نقصكم ذهاب أولي النّهى والرأي منكم الذين يحدّثون فيصدقون ، ويقولون فيفعلون ، وإني قد دَعَوْتكم عَوداً وبدأً ، وسرّاً وجهراً ، وليلاً ونهاراً ،فما يزيدكم دعائي إلاّ فراراً ، ما ينفعكم الموعظة ولا الدعاء إلى الهدى والحكمة ، أما واللّهِ إنّي لعالم بما يصلحكم ، ولكن في ذلك فسادي ، امهلوني قليلاً ، فوالله لقد جاءني من يحزنكم ويعذّبكم ويعذّبه الله بكم ، إنّ من ذلّ الإسلام وهلاك الدين أنّ ابن أبي سفيان يدعو الأراذل والأشرار فيجيبون ، وأدعوكم ، وأنتم لا تصلحون ، فتراعون . هذا بسر قد صار إلى اليمن وقبلها إلى مكّة والمدينة .

---

(١) شيعة : أنصار .

(٢) راجع أزواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في فصل سابق من هذا الكتاب .

(٣) راجع كتاب «نهج البلاغة» للإمام علي بن أبي طالب .

فقام جارية بن قدامة السعديّ فقال : يا أمير المؤمنين ! لا عدمنا الله قربك ، ولا أرانا فراقك ، فنعم الأدب أدبك ، ونعم الإمام والله أنت . أنا لهؤلاء القوم فسرّحْني إليهم ! قال : تَجَهّز ، فإنّك ما علمتك رجل في الشدّة والرخاء ، المبارك الميمون النقيبة ؛ ثمّ قام وهب بن مسعود الخثعميّ فقال : أنا أنتدب يا أمير المؤمنين . قال : انتدبْ ، بارك الله عليك . فخرج جارية في ألفين ووهب بن مسعود في ألفين ، وأمرهما عليّ أن يطلبا بسراً حيث كان حتى يلحقاه ، فإذا اجتمعا فرأس الناس جارية ، فخرج جارية من البصرة ووهب من الكوفة ، حتى التقيا بأرض الحجاز ، ونفذ بسر من الطائف ، حتى قدم اليمن ، وقد تنحّى عبيد الله بن عباس عن اليمن ، واستخلف بها عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، فأتاه بسر فقتله ، وقتل ابنه مالك بن عبد الله ، وقد كان عبيد الله خلّف ابنيه عبد الرحمٰن وقثم عند جويرية ابنة قارظ الكنانيّة ، وهي أمّهما ، وخلف معها رجلاً من كنانة ، فلما انتهى بسر إليها دعا ابني عبيد الله ليقتلهما ، فقام الكنانيّ فانتضى سيفه وقال : والله لأقتلنّ دونهما فألاقي عذراً لي عند الله والناس ؛ فضارب بسيفه حتى قُتل ، وخرجت نسوة من بني كنانة فقلن : يا بسر ! الرجال يقتلون ، فما بال الولدان ، واللّهِ ما كانت الجاهليّة تقتلهم ، واللّهِ إنّ سلطاناً لا يشتدّ إلاّ بقتل الصبيان ورفع الرحمة لسلطان سوء . فقال بسر : والله لقد هممتُ أن أضع فيكنّ السيف . وقدّم الطفلين فذبحهما ، فقالت أمّهما ترثيهما :

هـا مَنْ أحَسّ بنيّيّ اللّذيْن هُما ... سَمْعي وقَلْبي فقلبي اليوم مُختَطَفُ
ها مَن أحَسّ بُنَيّيّ اللّذَيْن هُما ... مُخّ العظام فمخّي اليوْمَ مُزْدهَفُ[1]
ها مَنْ أحَسّ بُنَيّيّ اللّذَيْن هُما ... كَالدّرّتَينِ تشظّى عنهما الصّدَفُ
نُبّئتُ بُسْراً وما صَدّقْتُ ما زَعَموا ... من قَوْلهمْ ومِن الإفْكِ الذي اقترَفوا
أنْحَى على وَدَجَيْ[2] إبنَيّ مُرْهَفَةً ... مشحوذَةً وكذاكَ الأمْرُ مُقتَرَفُ

(١) مزدهف : هالك .

(٢) الودج : عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة .

مَـنْ دَلَّ والِـهَـةً حَـرّى وثـاكِـلَةً   على صَبيَّيْـن ضَـلّا إذ غَـدا السلَفُ

ثمّ جمع بسر أهل نجران فقـال : يا إخـوان النصارى ! أمـا والذي لا إلـه غيـره لئن بلَغَني عنكم أمـر أكـرهــه لأكثـرنّ قتـلاكم . ثمّ سـار نحـو جيشان[1] ، وهم شيعةٌ لعليّ ، فقاتلهم ، فهزمهم ، وقتل فيهم قتلاً ذريعاً ، ثمّ رجع إلى صنعاء .

وسار جارية بن قدامة السعديّ حتى أتى نجران وطلب بسراً ، فهـرب منه في الأرض ، ولم يقم له ، وقتل من أصحابه خلقاً ، وأتبعهم بقتل وأسر حتى بلغ مكّـة ، ومرّ بسـر حتى دخل الحجاز لا يلـوي على شيء ، فـأخـذ جارية بن قدامة أهل مكة بالبيعة ، فقالوا : قـد هلك عليّ فلِمن نبايع؟ قال: لمن بـايـع لـه أصحـاب عليّ بعـده ، فتثـاقلوا ، فقـال : والله لتُبـايعُنّ ولـو بـأستاهكم ، فبـايعوا ودخـل المدينـة ، وقد اصطلحوا على أبي هـريـرة[2] فصلّى بهم ففـرّ منه أبـو هريـرة ، فقال جـارية : يـا أهـل المـدينـة بـايعـوا للحسن بن عليّ ! فبـايعوا ، ثمّ خـرج يريـد الكوفـة ، فردّ أهـل المدينـة أبا هريرة .

قال غياث عن فِطر بن خليفة : حدّثني أبو خالد الوالبي قال : قـرأتُ عهد عليّ لجارية بن قدامة : أوصيك يـا جاريـة بتقوى الله ، فـإنّها جَمـوع الخير ، وسِرْ على عوْن الله ، فالقَ عدُوّكَ الذي وجّهْتُـك له ، ولا تُقـاتل إلا من قاتلك ، ولا تجهزْ على جـريح ، ولا تسخـرنّ دابة ، وإن مشيت ومشى أصحـابك ، ولا تستـأثر على أهـل المياه بميـاههم ، ولا تشربنّ إلّا فضلهم عن طيب نفـوسهم ، ولا تشتمنّ مسلماً ولا مسلمـة فتوجب على نفسـك ما

(١) جيشان : مدينة وكورة يُنسب إليها الخُمُر السود ، قال عبيد :

عليهن جيشانية ذات أعسال

أي خطوط ووشي . وسميت جيشـان بجيشـان بن غيـدان الذي كان ينـزلهـا حين يقصـد اليمن .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي . وقد تقدمت ترجمته .

لعلّك تُؤدّب غيرك عليه ؛ ولا تـظلمنّ معاهـداً ، ولا معاهـدة ، واذكر الله ، ولا تفتـر ليـلاً ولا نهـاراً ، واحملوا رجّـالتكم ، وتـواسـوا في ذات أيديكم ، وأجدد السير ، وأجْـلِ العدوّ من حيث كـان ، واقتله مقبلاً ، واردده بغيـظه صـاغراً ، واسفـك الدم في الحقّ ، واحقنـه في الحقّ ، ومَن تـاب فـاقبـلْ تـوبته ، وأخبـارك في كلّ حين بكـلّ حـال ، والصـدقَ الصـدق ، فـلا رأي لكذوب .

قال وحدّث أبو الكنود أنّ جارية مرّ في طلب بسر فما كان يلتفت إلى مـدينة ولا يعـرج على شيء حتى انتهى إلى اليمن ونجران ، فقتـل من قتل وهرب منه بسر ، وحرّق تحريقاً ، فسمّي محرّقاً .

وكتب عليّ إلى عماله يستحثّهم بالخروج ، فكتب إلى الأشعث[1] بن قيس ، وكان عامله بـآذربيجان : أمّـا بعد ، فـإنّما غـرّك من نفسك وجـرّأك على آخرك إملاء الله لك ، إذ ما زلت قديماً تأكل رزقه ، وتلحد في آياته ، وتستمتع بخلاقك[2] ، وتذهب بحسناتك إلى يومك هذا ، فإذا أتـاك رسولي بكتابي هذا ، فأقبل ، واحمـل ما قِبلك من مـال المسلمين ، إن شاء الله . فلمّا قرأ الأشعث كتابه أقبل إليه .

وكتب إلى يزيد[3] بن قيس الأرحبيّ : أما بعد ، فإنّك أبـطأت بحمل

---

(١) الأشعث بن قيس : أمير كندة في الجاهلية والإسلام . وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ظهور الإسلام ، في جمع من قومه ؛ فأسلم ، وشهد اليرموك فأصيبت عينـه . كان من ذوي الـرأي والإقدام ، مـوصوفـاً بـالهيبـة ، وهـو أول راكب في الإسـلام مشت معـه الرجال يحملون الأعمدة بين يديـه ومن خلفه . وفي ثقـات مؤرخيه من يسميـه «معدي كرب» كجدّه ويجعل الأشعث لقباً له . توفي في الكوفة سنة ٤٠ هـ .

[ابن عساكر ٣ : ٦٤]

(٢) الخلاق : النصيب الوافر من الخير .

(٣) يـزيد بن قيس الأرحبي : والٍ ، من الـرؤساء الكبـار في اليمانيين . كـان مع علي في حروبه ، وولي شرطته . وهو الذي عناه القائل ، واسمه ثمامة ، يخاطب معاوية :

معاوي إن لا تسـرع السير نحـونـا فبـايـع عليّـاً أو يـزيـد اليمـانيـا .

=

خراجك ، وما أدري ما الـذي حملك على ذلك . غيـر أنّي أوصيك بتقـوى الله وأُحذرك أن تُحْبط أجرك وتبطل جهادك بخيانة المسلمين ، فاتّقِ الله ونزّه نفسك عن الحرام ، ولا تجعل لي عليك سبيلاً ، فلا أجـد بدّاً من الإيقـاع بـك ، وأعزِز المسلمين ولا تـظلم المعاهـدين ، وابتغ فيمـا آتاك الله الـدار الآخـرة ، ولا تَنْسَ نصيبك من الـدنْيا ، وأحسن كمـا أحسن الله إليك ، ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحبّ المُفسدين .

وكتب إلى سعد بن مسعـود عمّ المختـار بن أبي عبيـد ، وهـو على المدائن : أمّا بعـد ، فإنـك قد أدّيت خـراجك ، وأطعتَ ربّـك ، وأرضيت إمامك ، فعل المبرّ التقيّ النجيب ، فغفر الله ذنبك ، وتقبّـل سعيك وحسّن مآبك .

وكتب إلى عمر بن أبي سلمة المخـزوميّ ، وهو ابن أم سلمة[1] زوج النبيّ ، وكـان عامله على البحـرين : أمّا بعـد ، فإنّي قـد ولّيتُ النعمان بن العجلان البحرين بلا ذمّ لك ، فأقبلْ ، غير ظنين ، واخرجْ إليه من عمل ما وليت ، فقـد أردت الشخـوص إلى ظلمـة أهـل الشـأم وبقيّـة الأحـزاب ، فأحببت أن تشهد معي لقـاءهم ، فإنّـك ممّن أستظهـر به على إقـامة الـدين ونصـر الهدى ، جعلنـا الله وإياك من الـذين يعملون بالحقّ وبـه يعدلـون . فأقبل عمر ، فشهد معه ، ثمّ انصرف وتبـع عليّاً إلى الكـوفة ، فمكث معـه سنة وبعض أُخرى .

فبلغه أن النعمان بن العجـلان قد ذهب بمـال البحرين ، فكتب إليـه عليّ : أمّـا بعد ، فـإنّه من استهـان بالأمـانة ورغب في الخيـانة ، ولم ينـزّه نفسه ودينه ، أخلّ بنفسه في الدنْيا ، وما يشفي عليه بعـدُ أمرّ وأبقى وأشقى

= وهـو القائـل لعلي في أوائل حـروب «صفين» : «إن أخا الحـرب ليس بـالسؤوم ولا النؤوم ، ولا من إذا أمكنته الفرصة أجّلها واستشار فيها» قتل في صفين سنة ٣٧ هـ .
[الزركلي : الأعلام ٨]

(١) راجع باب أزواج الرسول في موضع سابق من هذا الكتاب .

وأطول ، فخف الله ! إنّك من عشيرة ذات صلاح ، فكن عند صالح الظنّ بك ، وراجعْ ، إن كان حقّاً ما بلغني عنك ، ولا تقلّبن رأيي فيك ، واستنظف خراجك ، ثمّ اكتب إليّ ليأتيك رأيي وأمري إن شاء الله . فلمّا جاءه كتاب عليّ ، وعلم أنّه قد علم حمل المال ، لحق معاوية .

وكتب إلى مصقلة[1] بن هبيرة ، وبلغه أنّه يفرّق ويهب أموال اردشير خرّة[2] ، وكان عليها : أمّا بعد ، فقد بلغني عنك أمر أكبرت أن أصدّقه أنّك تقسم فيْءَ المسلمين في قومك ومن اعتراك من السّألة والأحزاب وأهل الكذب من الشعراء ، كما تقسم الجوز ، فوالّذي فَلَقَ الحبّة وبرأ النسمة لأفتّش عن ذلك تفتيشاً شافياً . فإن وجدتُه حقّاً لتجدنّ بنفسك عليّ هواناً ، فلا تكونَنّ من الخاسرين أعمالاً ، الذين ضَلّ سعيُهُم في الحياة الدنْيا ، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صُنعاً .

فكتب مصقلة إليه : أمّا بعد ، فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين فليسأل إن كان حقّاً فليعجل عزلي بعد نكالي[3] ، فكلّ مملوك لي حرّ ، وعليّ أيّام

---

(١) مصقلة بن هبيرة : قائد ، من الولاة ، كان من رجال علي بن أبي طالب فأقامه في بعض كور الأهواز ، ثم تحوّل إلى معاوية بن أبي سفيان فقاتل معه في صفين . ولاّه معاوية طبرستان قبل فتحها فتوجه إليها ، وتوغل في بلادها ومضايقها وأهمل خط الرجعة ، وبينما هو عائد يجتاز بعض عقباتها ، تسلّط عليه العدو ، فقذفوه بالحجارة والصخور من الجبال ، فقُتل ، وهلك أكثر من معه . وضرب الناس به المثال فقالوا : «لا يكون هذا حتى يرجع مصقلة من طبرستان !» . وقال الأخطل :

دع المغمر لا تسأل بمصرعه ... واسأل بمصقلة البكري : ما فعلا ؟

[الزركلي : الأعلام ٧ : ٢٤٩]

(٢) أردشير خرة : من أجلّ كور فارس ، ومنها مدينة شيراز وجور وخبر وغير ذلك من أعيان مدن فارس . وأردشير هو ملك وخرّة تعني بهاء فيصبح المعنى المركب «بهاء أردشير» .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) نكالي : تعذيبي .

ربيعة ومضر إن كنتُ رزأتُ[1] من عملي ديناراً ، ولا درهماً ، ولا غيرهما ، منذ وُلّيته إلى أن ورد عليّ كتاب أمير المؤمنين ، ولتعلمنّ أن العزل أهون عليّ من التهمة . فلمّا قرأ كتابه قال : ما أظنّ أبا الفضل إلاّ صادقاً.

ووجّه رجلاً من أصحابه إلى بعض عُمّاله مستحثّاً . فاستخفّ به فكتب إليه : أمّا بعد ، فإنّك شتمْتَ رسولي وزَجَرْتَه ، وبلغني أنّك تبخّر وتكثر من الأدهان وألوان الطّعام ، وتتكلّم على المنبر بكلام الصّدّيقين ، وتفعل ، إذا نزلت ، أفعال المحلّين ، فإن يكن ذلك كذلك فنفسَك ضررت وأدبي تعرّضت ، ويحك أن تقول العظمة والكبرياء ردائي فمن نازعنيهما سخطت عليه ، بل ما عليك أن تدهن رفيهاً[2] ، فقد أمر رسول الله بذلك ، وما حملك أن تشهد الناس عليك بخلاف ما تقول ، ثمّ على المنبر حيث يكثر عليك الشاهد ، ويعظم مقت الله لك ، بل كيف ترجو ، وأنت متهوّع[3] في النّعيم جمعتَه من الأرملة واليتيم ، أن يوجب الله لك أجر الصالحين ، بل ما عليك ، ثكلتْك أُمّك ، لو صمْتَ لله أياماً ، وتصدّقت بطائفة من طعامك ، فإنّها سيرة الأنبياء وأدب الصالحين . أصلحْ نفسك وتبْ من ذنبك وأدّ حقّ الله عليك والسلام .

وكتب إلى قيس[4] بن سعد بن عبادة ، وهو على آذربيجان : أمّا بعد ، فأقبل على خراجك بالحقّ ، وأحسن إلى جنْدك بالإنصاف ، وعَلّمْ من قِبلك مما علّمك الله ، ثمّ إن عبد الله بن شبيل الأحمسي سألني الكتاب إليك فيه بوصايتك به خيراً ، فقد رأيته وادعاً متواضعاً ، فألِنْ حجابك وافتح بابك ، واعمد إلى الحقّ ، فإن وافق الحقّ ما يحبو أسرّه ، ولا تتّبع الهوَى فيضلّك عن سبيل الله . إن الذين يضلّون عن سبيل الله لهم

---

(١) رزأت : أصبت .
(٢) الرفيه : من لان عيشه وطاب .
(٣) تهوّع : تقيّأ مع تكلف .
(٤) تقدّمت ترجمته .

عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب .

قال غياث : ولمّا أجمع عليّ القتال لمعاوية كتب أيضاً إلى قيس : أمّا بعد ، فاستعمل عبد الله بن شبيل الأحمسيّ خليفة لك ، وأقبلْ إليّ ، فإنّ المسلمين قد أجمع ملؤهم وانقادت جماعتهم ، فعجّل الإقبال ، فأنا سأحضرنّ إلى المحلّين عند غرّة الهلال ، إن شاء الله ، وما تأخري إلاّ لك ، قضى الله لنا ولك بالإحسان في أمرنا كلّه .

وكتب إلى سهل[1] بن حنيف ، وهو على المدينة : أمّا بعد ، فقد بلغني أن رجالاً من أهل المدينة خرجوا إلى معاوية ، فمن أدركتَه فامنعْه ، ومن فاتكَ فلا تأسَ عليه ، فبُعداً لهم ، فسوف يلقَوْن غيّاً ، أما لو بُعْثرت القبور ، واجتمعت الخصوم ، لقد بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ، وقد جاءني رسولك يسألني الإذن ، فأقبلْ ، عفا الله عنّا وعنك ، ولا تَذَرْ خَلَلاً ، إنْ شاء الله تعالىٰ .

وكتب عليّ إلى عمر بن مسلمة الأرحبي : أما بعد ، فإنّ دهاقين عملك شكوا غلظتك ، ونظرت في أمرهم فما رأيت خيراً ، فلتكن منزلتك بين منزلتين : جلبابُ لين بطرف من الشدّة في غير ظلم ولا نقص ، فإنّهم أحيونا صاغرين ، فخذ ما لك عندهم وهم صاغرون ، ولا تتّخذ من دون الله وليّاً ، فقد قال الله عزّ وجلّ : **﴿لا تتّخذوا بطانةً من دونكم لا يألونَكم خبَالاً﴾**[2] ؛ وقال جلّ وعزّ في أهل الكتاب : **﴿لا تتّخذوا اليهود والنصارى**

---

(١) سهل بن حنيف : أبو سعد ، صحابي ، من السابقين . شهد بدراً وثبت يوم أُحد . آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين علي بن أبي طالب . توفي بالكوفة سنة ٣٨ هـ ، فصلّى عليه علي .

[الزركلي : الأعلام ٣ : ١٤٢]

(٢) سورة آل عمران ؛ الآية : ١١٨ .

أوليـاءَ﴾[1] ؛ وقالَ تبـارك وتعالىٰ : ﴿**ومن يتـولّهم منكم فـإنّـه منهم**﴾[2] ، وقرّعْهُم بخراجهم . وقابل في ورائهم وإيّاك ودماءَهم والسلام .

وكتب إلى قـرظة بن كعب الأنصـاري : أمّـا بعـد ، فـإنّ رجـالاً من أهـل الذمّـة من عملك ذكروا نهـراً في أرضهم قـد عفـا وادّفن ، وفيـه لهم عمارة على المسلمين ، فانْظر أنت وهم ، ثمّ اعمر وأصلح النهر ، فلعمري لأن يعمروا أحبّ إلينا من أن يخـرجوا ، وأن يعجـزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام .

وكتب إلى المنذر بن الجارود ، وهو على اصطخر[3] : أما بعد ، فإن صلاح أبيك غرّني منك ، فإذا أنت لا تدع انقيـاداً لهواك أزرى ذلـك بك . بلغني أنّك تدع عملك كثيراً ، وتخرج لاهياً بمنبرها ، تطلب الصيـد وتلعب بالكـلاب وأقسم لئن كان حقّاً لنثيبنّـك فعلك ، وجاهـل أهلك خير منـك ، فأقبل إليّ حين تنظر في كتابي والسلام .

فأقبل فعزله وأغرمه ثـلاثين ألفاً ، ثم تـركها لصعصعـة[4] بن صوحـان بعد أن أحلفه عليها ، فحلف ، وذلك أنّ عليّاً دخل على صعصعـة يعوده ، فلمـا رآه عليّ قال : إنّـك ما علمت حسن المـونـة خفيق المؤونـة . فقـال صعصعـة : وأنت والله ، يا أميـر المؤمنين ، عليم وأبهٌ في صـدرك عظيم . فقال له عليّ : لا تجعلها أبّهة على قومك أن عادك إمامك . قال : لا ، يـا أميـر المؤمنين ، ولكنّـه مَنٌّ من الله عليّ أن عـادني أهـل البيت وابن عمّ رسول ربّ العالمين . قـال غيـاث فقـال له صعصعـة : يا أميـر المؤمنين ! هذه ابنة الجارود تعصر عينيها كلّ يوم لحبسك أخـاها المنـذر ، فأخـرجه ، وأنـا أضمن ما عليـه في أعطيـات ربيعة . فقـال لـه عليّ : ولِمَ تضمنهـا ،

---

(١) سورة المائدة ؛ الآية : ٥١ .

(٢) سورة المائدة ؛ الآية : ٥١ .

(٣) اصطخر : بلدة بفارس من الإقليم الثالث .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٤) تقدّمت ترجمته .

وزعم لنا أنّه لم يأخذها ، فليحلف ونخرجه . فقال لـه صعصعة : أراه والله سيحلف . قـال : وأنـا واللّه أظنّ ذلـك . وقـال عليّ : أما أنّـه نـظّار في عطفيه ، مختال في برديه ، نقّال في شراكيه[1] ، فليحلف بعد ، أو ليدع ، فحلف فخلّى سبيله .

وكتب إلى زياد وكان عـامله على فـارس : أمّـا بعـد ، فـإن رسـولي أخبرني بعجب زعم أنّك قلت له فيما بينك وبينه : إن الأكراد هاجت بك ، فكسـرت عليـك كثيـراً من الخـراج ، وقلت لـه : لا تُعلِم بـذلـك أميرَ المؤمنين . يـا زياد ! وأقسم بـالله إنّك لكـاذب ، ولئن لم تبعث بخـراجـك لأشـدّن عليك شـدّة تدعـك قليل الـوفر ، ثقيـل الظهـر ، إلاّ أن تكون لمـا كسرت من الخراج محتملاً .

وكتب إلى كعب[2] بن مـالك : أمّـا بعـد ، فـاستخلف على عملك ، واخـرج في طائفـة من أصحابـك حتى تمرّ بـأرض كورة السـواد فتسـأل عن عمّـالي وتنـظر في سيـرتهم فيمـا بين دجلة والعُـذَيْب[3] ، ثـمّ ارجـع إلى البِهقُباذات[4] فتولّ معونتها ، واعمل بطاعـة الله فيما ولاّك منهـا . واعلم أن كلّ عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزيّ به . فـاصنع خيـراً صنع الله بنـا وبك

---

(١) الشراك : سير النعل على ظهر القدم .

(٢) كعب بن مالك : صحابي . من أكابر الشعراء الـذين عرفـوا في الجاهليـة ، وكان في الإسلام من شعراء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم كـان من أصحاب عثمـان . عمي في آخر عمره وعاش سبعاً وسبعين عامـاً . قال أحـدهم : أشجع بيت وصف بـه رجل قـومه ، قول كعب بن مالك :

«نصـل السيوف إذا قصـرن بخـطونـا يـومـاً ونـلحقـهـا إذا لم تـلحق» .

[الأغاني ١٥ : ٢٩]

(٣) العذيب : تقدّم .

(٤) البهقبـاذات : اسم لثلاث كور ببغداد من أعمال سقي الفرات منسوبة إلى قباذ بن فيروز والد انوشروان .

[ياقوت : معجم البلدان]

خيراً ، وأعلمْني الصدق فيما صنعت والسلام .

قال : وقدم على عليّ أبو مريم القرشيّ المكيّ ، كان صديقاً له ، فلمّا رآه قال : ما أقدمك يا أبا مريم ؟ قال : والله ما جئت في حاجة ، ولكن عهدي بك قديم ، فأحببت أن أراك ، ولو اجتمع أهل الأرض عليك لأقمتم على الطريق . فقال : يا أبا مريم ، والله إنّي لصاحبك الذي تعلم ، ولكن منيت بشرار خلق الله إلّا من رحم الله ، يدعونني فآبى عليهم ثمّ أجيبهم ، فيتفرّقون عنّي ، والدنْيا محنة الصالحين ، جعلنا الله وإياك منهم ، ولولا ما سمعت من حبيبي أنّه يقول لضاق ذرعي غير هذا الضيق ، سمعته يقول : الجهد والبلاء أسرع إلى من أحبَّ الله وأحبّني من السيل إلى مجاريه .

وكتب أبو الأسود الدّئلي[1] ، وكان خليفة عبد الله بن عبّاس بالبصرة ، إلى عليّ يعلمه أنّ عبد الله أخذ من بيت المال عشرة آلاف درهم ، فكتب إليه يأمره بردّها ، فامتنع ، فكتب يقسم له بالله لتردّنها ، فلما ردّها عبد الله بن عبّاس ، أو ردّ أكثرها ، كتب إليه عليّ : أما بعد ، فإنّ المرء يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ، فما أتاك من الدنْيا فلا تكثر به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً ، واجعل همّك لما بعد الموْت ، والسلام . فكان ابن عباس يقول : ما اتّعظت بكلام قطّ اتّعاظي بكلام أمير المؤمنين .

وقال كُمَيْل بن زياد : وأخذ بيدي عليّ ، فأخرجني إلى ناحية الجبّانة ، فلما أصحر[2] تنفّس الصّعداء ثلاثاً ، ثمّ قال : يا كُمَيْل ، إنّ

---

(١) أبو الأسود الدئلي : هو ظالم بن عمرو بن سفيان ، واضع علم النحو . كان معدوداً من الفقهاء ، والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان . رسم له علي بن أبي طالب شيئاً من أصول النحو ، فكتب فيه أبو الأسود وأخذ عنه جماعة ، وفي صبح الأعشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتنوين لا غير . مات بالبصرة سنة ٦٩ هـ .

[صبح الأعشى ٣ ؛ ١٦١]

(٢) أصحر : خرج إلى الصحراء .

القلوب أوعية فخيرها أوعاها ؛ إحفظ عني ما أقول لك : الناس ثلاثة : عالمٌ ربّانيّ ، ومتعلّم على سبيل نجاة ، وهَمَجٌ رَعاعٌ[1] أتباعُ كلّ ناعق ، لم يستضيئوا بنور العلم ، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق . يا كميل ! العلم خيرٌ من المال ، العلمُ يحرسك ، وأنت تحرس المال ، والعلم حاكمٌ ، والمال محكومٌ عليه ، مات خزّانُ المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانُهم مفقودة وأمثلتُهم في القلوب موجودةٌ ، ها إنّ هاهنا وأشار إلى صدره ، لَعلماً جماً لو أصبتُ له حَمَلَةً ، اللّهمّ إلاّ أن أُصيبَ لَقِناً[2] غير مأفونٍ[3] يستعمل آلةَ الدين في طلب الدنْيا ، ويستظهر بحجج الله على أوليائه وبِنِعَمه على خلقه ،أو منقاداً لحَمَلَة الحقّ لا بصيرة في احيائه ، يقدح الشكّ في قلبه لأوّل عارض من شبهة ، ألا لا ذا ولا ذاك ، أو منهوماً باللّذّة ، سلس القيادة للشهوة ، أو مُغْرَماً بالجمع والادخار ، ليسوا من رعاة الدين في شيء ، أقرب شبهاً بهم الأنعام السائمة[4] ، اللهمّ كلاّ ! لا تخلو الأرض من قائم بحقّ إمّا ظاهر مشهور ، وإما خائب مغمور ، لئَلاّ يبطل حجج الله عزّ وجلّ وبيّناته أولئك الأقلون عدداً ، والأعظمون خطراً ، هجم بهم العلم ، حتى حقائق الأمور ، وباشروا رَوْح اليقين ، فاستلانوا ما استوعر[5] المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدنْيا بأبدان ، أرواحها معلّقة بالمحلّ الأعلى ، يا كميل ! أولئك أولياء الله من خلقه والدعاة إلى دينه ، بهم يحفظ الله حججه ، حتى يودعوها أمثالهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم ، هاه شوقاً إلى رؤيتهم .

وقال : لو أن حَمَلة العلم حملوه لحقّه لأحبّهم الله وملائكته وأهل

---

(١) الرعاع : سفلة الناس .

(٢) اللقن : الذكي العاقل .

(٣) المأفون : ذو العقل الناقص .

(٤) السائمة : الراعية .

(٥) استوعر المكان : وجده وعراً .

طاعته من خلقه ، ولكنّهم حملوه لطلب الدنْيا ،فمنعهم الله ، وهانوا على الناس .

وقال : قيمة كلّ امرىء ما يحسن .

وقال : أيّها الناس لا تَرجوا إلاّ ربّكم ، ولا تخشوا إلاّ ذنوبكم ، ولا يستحي من لا يعلم أن يتعلّم ، ولا يستحي من يعلم أن يُعَلّم ، واعلموا أنّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

وقال : مَن كان يريد العزّ بلا عشيرة ، والنسل بلا كثرة ، والغناءَ بلا مال ، فليتحوّلْ من ذلّ المعصية إلى عزّ الطاعة .

وقال : كم من مستدرج بالإحسان إليه ، وكم من مغرور بالسّتر عليه ، وكم من مفتون بحسن القوْل فيه . وما ابتُلي أحدُ بمثل الإملاءِ له ، ألم تسمع قوْل الله عزّ وجلّ : ﴿**إنّما نُملي لهم ليزدادوا إثماً**﴾[1] .

وقال : من اشتاق إلى الجنّة تسلّى عن الشهوات ، ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ، ومن زهد في الدنْيا هانت عليه المصيبات ، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات .

وخطب فتلا قول الله عزّ وجلّ : ﴿**إنّا نحنُ نُحيي الموْتى ونكتُبُ ما قدّموا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في إمامٍ مُبين**﴾[2] . ثمّ قال : إن هذا الأمر ينزل من السماء كقطر المطر إلى كلّ نفس بما كتب الله لها من نقصان في نفس أو أهل أو مال، فمن أصابه نقص في أهله وماله، ورأى عند أخيه عفوة ، فلا يكونَنّ ذلك عليه فتنة ، فإن المرء المسلم ما لم يأت دنياه يخشع لها وتُذِلّه ، إذا ذُكرتْ تغري به ليألم ، الناس كالياسر[3] الفالح الذي ينتظر

---

(١) سورة آل عمران؛ الآية : ١٧٨ .

(٢) سورة يّس ؛ الآية : ١٢ .

(٣) الياسر : لاعب اليسر .

أول فوزه من قداحه[1] يوجب له المغنم ، ويدفع عنه المغرم ، كذلك المرء البريء من الخيانة والكذب يترقّب كلّ يوم وليلة إحدى الحسنَيَيْن : إما داعي الله فما عند الله خير له ، وإمّا فتحاً من الله ، فإذا هو ذو أهل ومال ، ومعه حسبه ودينه . المال والبنون حزب الدنْيا ، والعمل الصالح حزب الآخرة ، وقد يجمعهم الله لأقْوَام .

وقال : مَن عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدّثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، كان ممن حرمت غيبته ، وكملت مروّته ، وظهر عدله ، ووجب وصله .

وخرج يوماً فقال : يا طالب العلم ! إن للعالِم ثلاث علامات : العلم بالله ، وبما يحبّ الله ، وبما يكره الله . وللعامل ثلاث علامات : الصلاة ، والزكاة ، والورع . وللمتكلّف من الرجال ثلاث علامات : ينازع مَن هو فوقه ، ويقول بما لا يعلم ، ويتعاطى ما لا ينال . وللظالم ثلاث علامات : يظلم مَن هو فوقه بالمعصية ، ومَن هو دونه بالغلبَة ، ويظاهر الظلمة والآثم . وللمرائي ثلاث علامات : يكسل إذا كان وحده ، وينشط إذا كان من يراه ، ويحبّ أن يُحمد في جميع أموره . وللحاسد ثلاث علامات : يغتاب إذا غاب ، ويتقرّب إذا شهد ، ويشمت بالمصيبة . وللمنافق ثلاث علامات : يخالف لسانه قلبه ، وقوله فعله ، وعلانيته سريرته . وللمسرف ثلاث علامات : يأكل ما ليس له ، ويشرب ما ليس له ، ويلبس ما ليس له ، وللكسلان من الرجال ثلاث علامات : يتوانى حتى يفرط ، ويفرط حتى يضيع ، ويضيع حتى يأثم . وإنّما هلك الذين قبلكم بالتكلّف ، فلا يتكلّف رجل منكم أن يتكلّم في دين الله بما لا يعرف ، فإنّ الله عزّ وجلّ يعذر على الخطأ إن أجهدت رأيك .

وقال لعمر بن الخطّاب : ثلاث إن حفظتهنّ وعملت بهنّ كفينك ما

---

(١) القِداح : الأزلام . أنظر «أزلام العرب» في الجزء الأول من هذا الكتاب .

سواهنّ ، وإن تركتهنّ ، فلا ينفعك شيء سواهنّ . قال : وما هنّ ؟ فقال : الحدود[1] على القريب والبعيد ، والحكم بكتاب الله في الرضى والسخط ، والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود[2] . فقال له عمر : أبلغت وأوجزت .

وسمع رجلا يذمّ الدنْيا ، فقال : الدنْيا دارُ صدقٍ لمن صَدَقها ، ودار عافية لمَن فهم عنها ، ودار غنىً لمن تزوّد منها ؛ مسجد أحبّاء الله ، ومهبط وحيه ، ومصلّى ملائكته ، ومتجر أوليائه ، اكتسبوا فيها الرحمة فربحوا فيها الجنّة ، فمَن ذا يذمّها ، وقد أذنت ببيْنها ، ونادت بفراقها ، ونَعَتْ نفسها وأهلها ، مثلت ببلاها البلا ، وشوّقت بسرورها السرور ، راحت بفجيعة ، وأبكرت بعافية ترغيباً وترهيباً وتحذيراً وتخويفاً ، ذمّها رجال غداةَ النّدامة ، وحمدها آخرون ذكّرتهم فذكروا، وحدّثتهم فصدقوا، فيا ذامّ الدنْيا، المغترّ بغرورها ! متى استذمّت إليك بل متى غرّتْك ؟ أبمضاجع آبائك من البلى ، أو بمنازل أمّهاتك من الثرى ؟ كم مرّضت بيديك ، وعلّلت بكفيك ، مَن تبتغي له الشفاء وتستوصف له الأطباء ، فلم ينفعه تطبيبك ولم يستعف له بعافيتك ، مثلت به الدنْيا نفسك ، وبمصرعه مصرعك ، غداةَ لا يغني عنك بكاؤك ولا ينفعك أحبّاؤك .

وخطب فقال : إنّ من أخوف ما أخاف عليكم خصلتين : اتّباع الهوى ، وطول الأمل . أمّا طول الأمل فينسي الآخرة ، وأمّا اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ . من أصبح آمناً في سِربه ، معافىً في بدنه ، له قوت يومه ، فكأنّما حيزت له الدنيا ، إنّ الله تعالىٰ يقول : وعزّتي وجلالي وجمالي وبهائي وعلوّي وارتفاعي في مكاني لا يؤثر عبدٌ هوايَ على هواه إلّا جعلت همّه في الآخرة وغناءَه في قلبه ، وضمنت السموات والأرض رزقه ، وأتته الدنْيا وهي راغمة[3] .

(١) الحدّ : العقوبة .

(٢) يريد بين الأبيض والأسود .

(٣) راغمة : كارهة .

وقال : حصر بالبلاء من عرف الناس ، ومن جهلهم عاش معهم .

وقال : يأتي على الناس زمانٌ لا يعزّ فيه إلّا الماحل[1] ، ولا يُستظرف إلّا الفاجر ، ولا يضعّف إلّا المنصف ، يتّخذون الفيْءَ مغنماً ، والصدقة مغرماً ، والعبادة استطالةً على الناس ، وصلة الرحم مَنّاً ، والعلم متجراً ، فعند ذلك يكون سلطان النساء ومشورة الإماء وإمارة الصبيان .

وقال : لا تصلح الناس إمارةٌ يعمل فيها المؤمن ، ويستمتع فيها الكافر ، ويبلغ فيها الكتاب الأجل .

وغزا فقال لرجل : لئن جزعت إنّ الرحم ليستحقّ ذاك ، وإن صبرت كأنّي بها مأجوراً ، وإلّا صبرت كارهاً مأزوراً .

وقيل لعليّ : كم بين السماء والأرض ؟ قال : دعوة مظلوم . وقيل له : كم مسافة الدنيا ؟ فقال : مسير الشمس يوماً إلى الليل .

وقال يوم الجمل : الموت طالب حثيث لا يعجزه المقيمُ ، ولا يفوته الهاربُ ، اقدموا ولا تنكلوا ليس عن الموت محيصٌ[2] ، إنّكم إن لم تُقتلوا تموتوا ، وإنّ أشرفَ الموت القتل ، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهْوَن من موت على فراش .

وقال له رجل : أوصني . فقال : أوصيك بتقوى الله ، واجتناب الغضب ، وترك الأمانيّ ، وأن تحافظ على ساعتين من النهار : من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، ومن العصر إلى غروبها ، ولا تفرح بما علمت ، ولكن بما عملت فيها .

وأُتي برجل جنى جناية ، فرأى ناساً يعدون خلفه ، فقال : لا مرْحباً بوجوهٍ لا تُرَى إلا عند كلّ سوء .

وقال له الحارث بن حوط الرانيّ : أظنّ طلحة والزبير وعائشة[3]

---

(١) الماحل : المجدب الفارغ من كل عقل وخير ، والمعنى هنا : إنه سيأتي زمن يسود فيه اللئيم الخسيس .

(٢) محيص : بد .

(٣) طلحة والزبير هما اللذان حرّضا عائشة على خوض وقعة الجمل .

اجتمعوا على باطل . فقال : يا حارث ! إنّه ملبوس عليك ، وإن الحقّ والباطل لا يعرفان بالناس ، ولكن اعرف الحقّ تعرف أهله ، واعرف الباطل تعرف من أتاه .

ورأى رجلاً يسأله عشيّة عرفة[1] ، فقال : ويحك تسأل في هذا اليوم غير الله !

وروي عنه أنّه قال : يا معشر الفتيان حصّنوا أعراضكم بالأدب ودينكم بالعلم . وكان إذا انصرف من صلاته أقبل على الناس بوجهه فقال : كونوا مصابيح الهدى ، ولا تكونوا أعلام ضلالة ، واكرهوا المزاح بما يسخط الله ، وليهنْ عليكم الذمّ فيما يرضي الله . علّموا الناس الخير بغير ألسنتكم ، وكونوا دعاة لهم بفعلكم ، والزموا الصدق والورع .

وقال : الصمت حلم ، والسكوت سلامة ، والكتمان سعادة .

واجتمع عنده جماعة فتذاكروا المعروف ، فقال : المعروف كنز من أفضل الكنوز ، وزرع من أزكى الزروع ، فلا يُزهدنّكم في المعروف كفر من كفره وجحد من جحده ، فإنّ من يشكرك عليه ممّن لم يصل إليه منه شيء أعظم ممّا ناله أهل منّة ، فلا تلتمس من غيرك ما أسْديْت إلى نفسك ، إن المعروف لا يتمّ إلاّ بثلاث خصال : تصغيره ، وستره ، وتعجيله ، فإذا صغّرته فقد عظّمته ، وإذا سترته فقد أتممته ، وإذا عجّلته فقد هنّأته .

وقدم عليه قوم من أهل الغرب فقال لهم : أفيكم من قد شهر نفسه حتى لا يُعْـرَف إلاّ به ؟ فقالوا : نعم ! قال : وفيكم قوم بين ذلك يتصوّنون[2] من السيّئات ويعملون الحسنات قالوا : نعم ! قال أولئك خير أمّة محمّد ، أولئك النمرقة[3] الوسطى ، بهم يرجع الغالي ، وبهم يلحق المقصر .

---

(١) أي الوقوف على جبل عرفة بمكة وهذا من مناسك الحج .

(٢) يتصونون : يحفظون أنفسهم .

(٣) النمرقة في الأصل : الوسادة الصغيرة يتكأ عليها ، وهنا تعني المرجع والمتكأ للمسلمين .

وروي عنه أنّه قال : أُلْهِمَ البهائم كلّ شيء إلاّ أربع خصال : أنّ الله عزّ وجلّ خالقها ورازقها . . . . . [1] ، وإتيان الذكر الأنثى ، والفرار من الموت ، وطلب الرزق .

وقال : ستّة لا يُسلّم عليهم : اليهوديّ ، والنصرانيّ ، والمجوسيّ ، والشاعر يقذف المحصنات[2] ، وقوم يتفكّهون بسبّ الأمّهات ، وقوم على مائدة يُشرب عليها الخمر .

وقال : الأئمّة من قريش خيارهم على أخيارهم ، وشرارهم على شرارهم .

وقضى على رجل بقضيّة فقال : يا أمير المؤمنين ! قضيت عليّ بقضيّة هلك فيها مالي ، وضاع فيها عيالي ! فغضب حتى استبان الغضب في وجهه ، ثمّ قال : يا قُنْبُر ! نادِ في الناس الصلاة جامعةً ، فاجتمع الناس ورقي المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أما بعد فذمّتي رهينة ، وأنا به زعيم ، بجميع من صرّحت له العبَر ألاّ يهيج على التقوى زرْع قوم ، ولا يظمأ على التقوى سنخ[3] أصل ، وإنّ الخير كلّه فيمن عرف قدره ، وكفى بالمرء جهلاً ألاّ يعرف قدره ؛ إنّ من أبغض خلق الله إلى الله العبدَ وكله إلى نفسه جائراً عن قصد السبيل ، مشغوفاً بكلام بدعة ، قد قمس[4] في أشباهه من الناس عشواء ، غاراً بأغباش[5] الفتنة قد لهج فيها بالصوم والصلاة ، فهو فتنة على من تبعه ؛ قد سمّاه أشباه النّاس عالماً ، ولم يَغْنَ فيه يوْماً ،سالماً بكّر ، فاستكثر ممّا قلّ منه ، فهو خير مما كثر ، حتى إذا

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) يقذف المحصنات : يشبّب بالنساء المتزوجات والعفيفات .

(٣) السنخ : الأصل والمنبت .

(٤) قمس : رمى .

(٥) أغباش : ظلمات .

ارتوَى من آجِن[1] ، وأكثر من غير طائل ، جلس بين الناس قاضياً ، ضامناً بتخليص ما التبس على غيره ، إن قايس شيئاً بشيء لم يكذب نفسه ، وإن التبس عليه شيء كتمه من نفسه لكيلا يقال لا يعلم ، ولا مليء والله بإصدار ما ورد عليه ، ولا هو أهل بما قُرّظ به من حسن ، مفتاحُ عشوات ، خَبّاطُ جهالات ، لا يعتذر ممّا لا يعلم فيسلَم ، ولا يعرض في العلم ببصيرة، يذرو الروايات ذَرْوَ الريحِ الهشيمَ ، تصرخ منه الدماءُ ، وتبكي منه المواريثُ ، ويستحلّ بقضائه الفرجَ الحرام ، ويحرم بمرضاته الفرج الحلال ، فأين يتاه بكم ، بل أين تذهبون عن أهل بيت نبيّكم ؟ إنّا من سِنْخ أصلاب أصحاب السفينة ، وكما نجا في هاتيك من نجا ينجو في هذه من ينجو ، وويل رهين لمن تخلّف عنهم ، إنّي فيكم كالكهف لأهل الكهف[2] ، وإني فيكم باب حِطّة مَنْ دخل منه نجا ، ومَنْ تخلّف عنه هلك ، حجّة من ذي الحجّة في حجّة الوداع ، إنّي قد تركت بين أظهركم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي أبداً : كتاب الله وعترتي أهل بيتي .

وحكم بأحكام عجيبة ، حتى إنّه حرّق قوماً ، ودخّن على آخرين ، وقطع بعض أصابع اليد في السرقة ، وهدم حائطاً على اثنين وجدهما على فسق ، وكان يقول : استتروا ببيوتكم ، والتوبة وراءكم ، من أبدى صفحته للحقّ هلك ، إنّ الله أدّب هذه الأمّة بالسوط والسيف ، وليس لأحد عند الإمام هوادة .

وقدم عبدالرحمٰن[3]بن ملجم المراديّ الكوفة لعشر بقين من شعبان

---

(١) ماء آجن : متغيّر اللون والطعم .

(٢) أنظر الجزء الأول من هذا الكتاب .

(٣) عبد الرحمن بن ملجم : أدرك الجاهلية ، وهاجر في خلافة عمر ، وقرأ على معاذ بن جبل ، فكان من القراء وأهل الفقه والعبادة . وكان من شيعة علي بن أبي طالب وشهد معه صفين ، ثم خرج عليه ، فاتفق مع «البرك» و«عمرو بن بكر» على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة واحدة (١٧ رمضان) . قتله الحسن بن علي سنة ٤٠ هـ . وحُكي أن الحسن قطع يديه ورجليه وشقّ لسانه ثم أحرقه بعد قتله .

[المبرد ٢ : ١٣٦ وابن سعد ٣ : ٢٣]

سنة ٤٠ ، فلمّا بلغ عليّاً قدومه قال : وقد وافى ؟ أما إنّه ما بقي عليّ غيره ، هذا أوانه ، فنزل على الأشعث[1] بن قيس الكنديّ ، فأقام عنده شهراً يستحدّ سيفه ، وكانوا ثلاثة نفر[2] توجّهوا ، فواحد منهم إلى معاوية بالشأم ، وآخر إلى عمرو بن العاص بمصر ، والآخر إلى علي ، وهو ابن ملجم ، فأمّا صاحب معاوية فضربه ، فوقعت الضربة على اليته . وبادر فدخل داره ، وأما صاحب عمرو بن العاص فإنّه ضرب خارجة بن حذافة خليفة عمرو في الصبح . وكان عمرو تخلّف لعلّة ، فقال الخارجي : أردت عمراً وأراد الله خارجة ؛ وأما عبد الرحمٰن بن ملجم ، فإنّه وقف له عند المسجد ، وخرج عليّ في الغلس[3] ، فتبعه إوزّ كنّ في الدار ، فتعلّقن بثوبه ، فقال : صوائح تتبعها نوائح ، وأدخل رأسه من باب خَوْخَة[4] المسجد . وضربه على رأسه ، فسقط ، وصاح : خذوه ! فابتدره الناس ، فجعل لا يقرب منه أحد إلّا نفحه بسيفه ، فبادر إليه قثم بن العباس ، فاحتمله وضرب به الأرض ، فصاح : يا عليّ نحّ عنّي كلبك ، وأتى به إلى عليّ ، فقال : ابن ملجم ؟ قال : نعم ! فقال : يا حسَنُ شأنك بخصمك ، فأشبع بطنه ، واشدد وثاقه ، فإن متّ فألحقه بي أخاصمه عند ربّي ، وإن عشت فعفو أو قصاص . وأقام يومين ومات ليلة الجمعة أول ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان سنة ٤٠ ، ومن شهور العجم في كانون الآخر ، وهو ابن ثلاث وستّين سنة ، وغسله الحسن ابنه بيده ، وصلى عليه وكبر عليه سبعاً ، وقال : أما إنّه لا يكبّر على أحد بعده ؛ ودفن بالكوفة في موضع يقال له الغَرِيّ[5] ، وكانت خلافته أربع سنين وعشرة أشهر .

وكان له من الولد الذكور أربعة عشر ذكراً : الحسن ، والحسين ،

---

(١) تقدّمت ترجمته .

(٢) أنظر الهامش ٢ .

(٣) الغلس : ظلمة آخر الليل .

(٤) خوخة المسجد : كوّته التي تؤدي الضوء إليه .

(٥) أنظر معجم البلدان لياقوت وفيه تفصيل عن الغريين ، وهذا واحد منهما .

ومحسِّن ، مات صغيراً ، أمهم فاطمة بنت رسول الله ، ومحمد الأكبر ، أمّه خَوْلة بنت جعفر الحنفيّة ، وعبيد الله ، وأبو بكر ، لا عقب لهما[1] ، أمّهما ليلى بنت مسعود الحنظليّة من بني تميم، والعباس وجعفر قتلا بالطّف[2]، وعثمان وعبد الله ، أمهم أم البنين بنت حرام الكلابيّة ، وعمرو ، أمّه أمّ حبيب بنت ربيعة البكريّة ، ومحمّد الأصغر ، لا عقب له ، أمّه أُمامة بنت أبي العاص ، وعثمان الأصغر ويحيىٰ وأمّهما أسماءُ بنت عُميس الخثعمية ، وكان له من البنات ثماني عشرة ابنة ، منهنّ من فاطمة ثلاث ، والباقيات لعدّة نسوة ، وأمّهات أولاد شتّى ، وكان على شرطه معقل بن قيس الرياحي ، وحاجبه قنبر مولاه .

ولمّا مات قام الحسن خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبي ، ثمّ قال : ألا إنّه قد مضى في هذه الليلة رجل لم يدركه الأوّلون ، ولن يرى مثله الآخرون ، من كان يقاتل وجبرائيل عن يمينه وميكائيل عن شماله ، والله لقد توفي في الليلة التي قبض فيها موسى بن عمران ، ورفع فيها عيسى بن مريم ، وأُنزل القرآن ، ألا وإنّه ما خلف صفراً[3] ولا بيضاً إلّا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله . فقام القعقاع بن زرارة على قبره ، فقال : رضوان الله عليه ، يا أمير المؤمنين ، فَوالله لقد كانت حياتك مفتاح خير ، ولو أن الناس قبلوك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ولكنهم غمطوا[4] النعمة ، وآثروا الدنْيا على الآخرة .

وأقام الحجّ للناس في خلافته في سنة ٣٦ عبد الله بن العباس ، وفي سنْة ٣٧ قثم بن العباس ، وقيل عبدالله بن العباس ، وفي سنة ٣٨ عبيدالله بن العباس ، وفي سنة ٣٩ شيبة بن عثمان . وكان أصحاب عليّ الذين يحملون عنه العلم :

---

(١) أي لا نسل لهما .

(٢) الطف : أرض من ضاحية الكوفة في طريق البرية ، فيها كان مقتل الحسين بن علي ، وهي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية .
[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) صفراً : دنانير .

(٤) غمطوا : جحدوا .

الحارث الأعور ، أبو الطفيل عامر بن واثلة ، حبّة العُرني ،رشيد الهجريّ ، حويزة بن مسهر ، الأصبغ بن نباتة ، مِيثَم التمّار ، الحسن بن عليّ .

خلافة الحسن[1] بن عليّ

واجتمع الناس ، فبايعوا الحسن بن عليّ ، وخرج الحسن بن عليّ إلى المسجد الجامع ، فخطب خطبة له طويلة ، ودعا بعبد الرحمٰن بن ملجم ، فقال عبد الرحمٰن : ما الذي أمرك به أبوك ؟ قال : أمرني ألاّ أقتل غير قاتله ، وأن أشبع بطنك ، وأنعم وطاءَك[2] ، فإن عاش أقتصّ أو أعفو، وإن مات أُلحقنّك به. فقال ابن ملجم: إن كان أبوك ليقول الحقّ ويقضي به في حال الغضب والرضى ؛ فضربه الحسن بالسيف فالتقاه بيده فندَرَتْ[3] ، وقتله .

وأقام الحسن بن عليّ بعد أبيه شهرين ، وقيل أربعة أشهر ، ووجّه بعبيد الله بن العبّاس في اثني عشر ألفاً لقتال معاوية ، ومعه قيس بن سعد بن عُبادة الأنصاريّ ، وأمر عبيد الله أن يعمل بأمر قيس بن سعد ورأيه ، فسار إلى ناحية الجزيرة ، وأقبل معاوية لمّا انتهى إليه الخبر بقتل عليّ ، فسار إلى الموصل بعد قتل عليّ بثمانية عشر يوماً ، والتقى العسكران ، فوجّه معاوية إلى قيس بن سعد يبذل له ألف ألف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه ، فأرسل إليه بالمال ، وقال له: تخدعني عن ديني ! فيقال : إنّه أرسل إلى عبيد الله بن عبّاس وجعل له ألف ألف

---

(١) الحسن بن علي : خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم ، وثاني الأئمّة الاثني عشر عند الإمامية ، وهو أكبر أبناء فاطمة الزهراء . كان عاقلاً حليماً محباً للخير ، ومن أحسن الناس منطقاً وبديهة . حج عشرين حجة ماشياً . نقش خاتمه : «الله أكبر وبه أستعين» . توفي بالمدينة مسموماً على الأرجح سنة ٥٠ هـ بعد خلافة دامت ستة أشهر وخمسة أيام .

[الزركلي : الأعلام ٢ ؛ ٢٠٠]

(٢) الوطاء : الفراش .

(٣) ندرت : سقطت .

درهم ، فصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه ، وأقام قيس على محاربته .

وكان معاوية يدسّ إلى عسكر الحسن من يتحدّث أن قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه ، ويوجّه إلى عسكر قيس من يتحدث أن الحسن قد صالح معاوية ، وأجابه .

ووجّه معاوية إلى الحسن المغيرة بن شعبة ، وعبد الله بن عامر بن كريز ، وعبد الرحمٰن بن أمّ الحكم ، وأتوه ، وهو بالمدائن نازل في مضاربه ، ثمّ خرجوا من عنده ، وهم يقولون ويُسمعون الناس : إن الله قد حقن بابن رسول الله الدماء ، وسكّن به الفتنة وأجاب إلى الصلح ؛ فاضطرب العسكر ولم يشكك الناس في صدقهم ، فوثبوا بالحسن فانتهبوا مضاربه وما فيها ، فركب الحسن فرساً له ومضى في مظلم ساباط[1] ، وقد كمن الجرّاح بن سنان الأسديّ ، فجرحه بمعول في فخذه ، وقبض على لحية الجرّاح ثمّ لواها فدقّ عنقه .

وحمل الحسن إلى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً ، واشتدّت به العلّة ، فافترق عنه الناس ، وقدم معاوية العراق ، فغلب على الأمر ، والحسن عليل شديد العلّة ، فلمّا رأى الحسن أن لا قوّة به ، وأنّ أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له ، صالح معاوية ، وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيّها الناس ! إنّ الله هداكم بأوّلنا وحقن دماءكم بآخرنا ، وقد سالمت معاوية ، وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين .

أيام معاوية[2] بن أبي سفيان

وملك معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس ، وأمّه

---

(١) ساباط : موضع معروف بالمدائن . وسمي بساباط بن باطا الذي كان ينزله فسمي به . [ياقوت : معجم البلدان]

(٢) معاوية بن أبي سفيان (٢٠ ق. هـ - ٦٠ هـ = ٦٠٣ - ٦٨٠ م) : مؤسس الدولة الأموية =

هند(١) بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وبويع بالكوفة في ذي القعدة سنة ٤٠ ، وكانت الشمس في الحمل درجتين ، والقمر في الثور خمس عشرة درجة ، وزحل في العقرب تسعاً وعشرين درجة ، والمشتري في الثور تسعاً وعشرين درجة ، وخمسين دقيقة ، والمرّيخ في الثور ستّ عشرة درجة ، والزهرة في الثور أربع درجات ، وعطارد في الحوت ستّ عشرة درجة . وقدم الكوفة فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ذلكم ، فإنّه لم تختلف أمّة بعد نبيّها إلاّ غلب باطلها حقّها ، إلاّ ما كان من هذه الأمّة ، فإنّ حقّها غلب باطلها . ثمّ نزل .

وأحضر الناس لبيعته ، وكان الرجل يحضر فيقول : والله يا معاوية ! إني لأبايعك ، وإني لكاره لك ، فيقول : بايع ، فإن الله قد جعل في المكروه خيراً كثيراً ، ويأبى الآخر فيقول : أعوذ بالله من شرّ نفسك ! وأتاه قيس(٢) بن سعد بن عبادة فقال : بايع قيس ! قال : إن كنت لأكره مثل هذا اليوم ، يا معاوية . فقال له : مه ، رحمك الله ! فقال : لقد

= في الشام ، وأحد دهاة العرب المتميزين الكبار . وُلد بمكة وأسلم يوم فتحها سنة ٨ هـ . وهو أول مسلم ركب بحر الروم للغزو ، وأول من جعل دمشق مقر خلافة ، وأول من اتخذ المقاصير ، وأول من اتخذ الحرس والحجاب في الإسلام ، وأول من نصب المحراب في المسجد . وكان عمر بن الخطاب إذا نظر إليه يقول : هذا كسرى العرب .

[ابن الأثير ٤ : ٢]

(١) هند بنت عتبة : عُرفت بآكلة الأكباد لأنها كانت مع الكفّار في وقعة أُحد ، فاجتمعت معها نساء قريش ، لمّا التحم القتال قامت هند في النسوة اللاتي معها ، وأخذن يضربن الدفوف خلف الرجال ويقلن :

وَيْها عبد الدار ويها حماة الأديار
ضرباً بكل تبار

وقد مثّلت هند وصواحبها بقتلى المسلمين . فجدعن أنوفهم وآذانهم ، واتخذن منها قلائد ، وبقرت هند بطن حمزة ، وأخرجت كبده فمضغته ولفظته ، وقيل إنها شوته وأكلته ، ولهذا كان يُقال لها : آكلة الأكباد .

[أنظر الاستيعاب ٤ : ٤٠٩]

(٢) تقدّمت ترجمته .

حرصت أن أفرّق بين روحك وجسدك قبل ذلك ، فأبى الله ، يا بن أبي سفيان ، إلّا ما أحبّ . قال : فلا يُردّ أمر الله . قال : فأقبل قيس على الناس بوجهه ، فقال : يا معشر الناس ! لقد اعتضتم الشرّ من الخير ، واستبدلتم الذّل من العزّ ، والكفر من الإيمان ، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين ، وسيّد المسلمين ، وابن عمّ رسول ربّ العالمين ، وقد وليكم الطليق ابن الطليق يسومكم الخسف ، ويسير فيكم بالعسف ، فكيف تجهل ذلك أنفسكم ، أم طبع الله على قلوبكم ، وأنتم لا تعقلون ؟ .

فجثا معاوية على ركبتيه ثمّ أخذ بيده وقال : أقسمت عليك ! ثمّ صفق على كفّه ، ونادى الناس : بايع قيس ! فقال : كذبتم ، والله ، ما بايعت ، ولم يبايع لمعاوية أحد إلّا أخذ عليه الأيمان ، فكان أول من استخلف على بيعته ، ودخل إليه سعد[1] بن مالك فقال : السّلام عليك أيّها الملك . فغضب معاوية فقال : ألا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ذاك إن كنا أمّرناك إنّما أنْت مُنْتَزٍ[2] .

وخرج فَرْوَة بن نوفل الأشجعي سنة ٤٠ ، وكان معتزلاً بشهرزور[3] في جماعة من الخوارج ، فلمّا بلغه قتل عليّ وغلبة معاوية أقبل في ألف وخمسمائة حتى صار بالنُّخَيْلة[4] ، فوجّه إليه معاوية خيلاً ، فكشفهم ،

---

(١) سعد بن مالك الخدري الأنصاري الخزرجي : صحابي ، كان من ملازمي النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وروى عنه أحاديث كثيرة ، وله ١١٧٠ حديثاً . توفي في المدينة سنة ٧٤ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٣ : ٨٧]

(٢) منتز : مستلب .

(٣) شهرزور : كورة واسعة في الجبال بين إرمل وهمذان أحدثها زور بن الضحاك ومعنى شهر بالفارسية المدينة ، وأهلها كلهم أكراد .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٤) النخيلة : موضع قرب الكوفة على طريق الشام .

[المصدر السابق]

فأخذ معاوية أهل الكوفة بالخروج إليهم ، فخرجوا خوفاً منه ، فلمّا لقوهم قال لهم فروة بن نوفل : دَعُونا فإنّ معاوية عدونا وعدوكم ، فقاتلهم أهل الكوفة أشدّ قتال ، حتى قتل فروة ، وأفرخ روع معاوية .

ورجع معاوية إلى الشأم سنة ٤١ ، وبلغه أن طاغية الروم قد زحف في جموع كثيرة وخلق عظيم ، فخاف أن يشغله عمّا يحتاج إلى تدبيره وإحكامه ، فوجّه إليه ، فصالحه على مائة ألف دينار .

وكان معاوية أول من صالح الروم . وكان صلحه إيّاهم في أول سنة ٤٢ ، فلمّا استقام الأمر لمعاوية أغزى أمراء الشأم على الصوائف ، فسبوا في بلاد الروم سنة بعد سنة ، وقد ذكرنا أسماءهم في موضع الصوائف . وطلب صاحب الروم الصلح على أن يضعّف المال ، فلم يجبه .

وولّى عبد الله بن عامر بن كريز البصرة ، فلمّا قدمها وجّه عبد الرحمٰن بن سمرة إلى خراسان ، فغزا بلخ وكابُل ، ومعه عبد الله بن خازم السلميّ ، فافتتح بلخ بعد حرب شديدة ، وصار إلى كابُل ، فأقام عليها ليالِيَ ، ثمّ أتاه بوّاب باب المدينة ، فجعل له شيئاً حتى فتح الباب ، وكانت الحرب في المدينة ، ثمّ طلبوا الصلح ، فصالحهم ابن سمرة ، وانصرف وخلّف ابن خازم بخراسان .

وولّى معاوية عبد الله بن درّاج مولاه خراج العراق ، وكتب إليه : إحمل إليّ من مالها ما أستعين به ! فكتب إليه ابن درّاج يعلمه أن الدهاقين أعلموه أنّه كان لكسرى وآل كسرى صوافي يجتبون مالها لأنفسهم ولا تجري مجرى الخراج ، فكتب إليه أن أحصِ تلك الصوافي واستصفِها ، واضرب عليها المُسنّيَات . فجمع الدهاقين ، فسألهم ، فقالوا : الديوان بحُلوان . فبعث فأتي به ، فاستخرج منه كلّ ما كان لكسرى وآل كسرى ، وضرب عليه المسنّيات ، واستصفاه لمعاوية فبلغت جبايته خمسين ألف ألف درهم من أرض الكوفة وسوادها .

وكتب إلى عبد الرحمٰن بن أبي بكرة بمثل ذلك في أرض البصرة ،

وأمرهم أن يحملوا إليه هدايا النيروز والمهرجان[1] ، فكان يحمل إليه في النيروز وغيره وفي المهرجان عشرة آلاف ألف .

وكان زياد بن عبيد عامل عليّ بن أبي طالب على فارس ، فلمّا صار الأمر إلى معاوية كتب إليه يتوعّده ويتهدّده ، فقام زياد خطيباً فقال : إن ابن آكلة الأكباد وكهف النفاق وبقيّة الأحزاب كتب يتوعّدني ويتهدّدني ، وبيني وبينه ابنا بنت رسول الله في تسعين ألفاً واضِعي قبائع[2] سيوفهم تحت أذقانهم لا يلتفت أحدهم حتى يموت ، أما والله لئن وصل إليّ ليجدني أحمز[3] ، ضرّاباً بالسيف .

فوجّه معاوية إليه المغيرة[4] بن شعبة ، فأقدمه ثمّ ادّعاه ، وألحقه بأبي سفيان ، وولّاه البصرة ، وأحضر زياد شهوداً أربعة ، فشهد أحدهم أن عليّ بن أبي طالب أعلمه أنّهم كانوا جلوساً عند عمر بن الخطّاب حين أتاه زياد برسالة أبي موسى الأشعريّ[5] ، فتكلم زياد بكلام أعجبه ، فقال : أكنْتَ قائلاً للناس هذا على المنبر ؟ قال : هم أهون عليّ منك ، يا أمير المؤمنين ، فقال أبو سفيان : والله لهو ابني ، ولأنا وضعته في رحم أمّه . قلت : فما يمنعك من ادّعائه ؟ قال : مخافة هذا العير الناهق .

وتقدّم آخر فشهد على هذه الشهادة . قال زياد الهمدانيّ : لمّا سأله زياد كيف قولك في عليّ ؟ قال : مثل قولك حين ولّاك فارس ، وشهد لك أنّك ابن أبي سفيان .

---

(١) النيروز عند الفرس : أول يوم من أيام السنة الشمسية وهو يوم الفرح عموماً ، والمهرجان مركبة من مِهْر أي محبّة ومن جان أي روح فيكون معناها محبة الروح وهو الاحتفال العظيم عموماً .

[لسان العرب مادة نير ومهر]

(٢) القبيعة من السيف : ما على طرف مقبضه من فضة وحديد .

(٣) أحمز : شديد وصلب .

(٤) تقدّمت ترجمته .

(٥) هو جندب بن جنادة وقد تقدّم .

وتقدّم أبو مريم السلوليّ فقال : ما أدري ما شهادة عليّ ، ولكنّي كنت خمّاراً بالطائف ، فمرّ بي أبو سفيان منصرفاً من سفر له ، فطعم وشرب ، ثمّ قال : يا أبا مريم طالت الغربة ، فهل من بغيّ ؟ فقلت : ما أجد لك إلّا أمة بني عجلان . قال : فأتني بها على ما كان من طول ثدييها ونتن رفغها[1] ، فأتيته بها ، فوقع عليها ، ثمّ رجع إليّ فقال لي : يا أبا مريم ! لاستلّت ماء ظهري استلالاً تثيب ابن الحبل في عينها[2] . فقال له زياد : إنّما أتينا بك شاهداً ، ولم نأتِ بك شاتماً . قال : أقول الحقّ على ما كان ، فأنفذ معاوية . . . . .[3] قال ما قد بلغكم وشهد بما سمعتم ، فإن كان ما قالوا حقّاً ، فالحمد لله الذي حفظ منّي ما ضيّع الناس ، ورفع منّي ما وضعوا ، وإن كان باطلاً ، فمعاوية والشهود أعلم ، وما كان عبيد إلا ولداً مبروراً مشكوراً . ونزل وولّى المغيرة ابن شعبة الكوفة في جمادى . . . .[4] سنة ٤٢ فأقام عليها حيناً ، ثمّ بدا له وولّى عبد الله بن عامر بن كريز الكوفة ، فلمّا بلغ أهل الكوفة الخبر خرج كثير من الناس إلى عبد الله بن عامر ، فجعل المغيرة لا يسأل عن أحد إلّا قيل له قد خرج إلى عبد الله بن عامر ، حتى سأل عن كاتبه ، فقيل له : قد لحق بعبد الله ، فقال : يا غلام شُدّ رحلي وقدمْ بغلي ، فخرج حتى أتى دمشق ، فدخل على معاوية ، فلمّا رآه قال : ما أقدمك يا مغيرة ، تركت العمل ، وأخللت بالمصر وأهل العراق ، وهم أسرع شيء إلى الفتن ؟ قال : يا أمير المؤمنين كبرت سنّي ، وضعفت قوّتي ، وعجزتُ عن العمل ، وقد بلغت من الدنيا حاجتي ، والله ما آسى على شيء منها إلا على شيء واحد قدّرتُ به قضاء حقّك ، ووددت أنّه لا يفوتني أجلي وإن

---

(١) رفغها ، هنا : فرجها ، والمرافغ هي أُصول الفخذين أو اليدين .

(٢) يلاحظ ارتباك في المعنى ، وربما قصد أنها امرأة شبقة تستل ما في ظهر الرجل استلالاً حتى يقع الحبل .

(٣) بياض في الأصل .

(٤) بياض في الأصل .

الله أحسن عليه معونتي . قال : وما هو؟ قال : كنت دعوتُ أشراف الكوفة إلى البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين بولاية العهد بعد أمير المؤمنين ، فأجابوا إلى ذلك ، ووجدتهم سراعاً نحوه ، فكرهت أن أُحدث أمراً دون رأي أمير المؤمنين ، فقدمت لأشافهه بذلك ، وأستعفيه من العمل . فقال : سبحان الله يا أبا عبد الرحمٰن ! إنّما يزيد ابن أخيك ، ومثلك إذا شرع في أمر لم يدعه حتى يحكمه ، فنشدتك الله إلا رجعت فتمّمت هذا . فخرج من عنده ، فلقي كاتبه ، فقال : إرجع بنا إلى الكوفة . فوالله لقد وضعت رجل معاوية في غَرْز[1] لا يخرجها منه إلاّ سفك الدماء . وانصرف إلى الكوفة .

وكتب معاوية إلى زياد ، وهو بالبصرة ، أن المغيرة قد دعا أهل الكوفة إلى البيعة ليزيد بولاية العهد بعدي ، وليس المغيرة بأحقّ بابن أخيك منك ، فإذا وصل إليك كتابي فادعُ الناس قبلك إلى مثل ما دعاهم إليه المغيرة ، وخذ عليهم البيعة ليزيد . فلمّا بلغ زياداً وقرأ الكتاب دعا برجل من أصحابه يثق بفضله وفهمه ، فقال : إنّي أريد أن آتمنك على ما لم آتمن عليه بطون الصحائف ، إيتِ معاوية فقل له : يا أمير المؤمنين إن كتابك ورد عليّ بكذا ، فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد ، وهو يلعب بالكلاب والقرود ، ويلبس المصبّغ ، ويُدْمن الشراب ، ويمشي على الدفوف ، وبحضرتهم الحسين بن عليّ ، وعبد الله بن عبّاس ، وعبد الله ابن الزبير ، وعبد الله بن عمر ، ولكن تأمره ويتخلّق بأخلاق هؤلاء حولاً وحولين ، فعسينا أن نموّه على الناس ، فلمّا صار الرسول إلى معاوية وأدّى إليه الرسالة قال : ويلي على ابن عبيد[2] ! لقد بلغني أنّ الحادي حدا له أن الأمير بعدي زياد ، والله لأردّنّه إلى أمّه سُميّة[3] ، وإلى أبيه عبيد .

وقدم المغيرة الكوفة منصرفاً من عند معاوية ، وقد خرج شبيب بن

---

(١) الغرز : ركاب الرحل من جلد .

(٢) يريد زياد الدعيّ .

(٣) هي أمة بني عجلان التي وقع عليها أبو سفيان وهو في سفره .

بَجَرة الأشجعيّ الخارجيّ ، فلمّا علم أن قدم المغيرة هرب إلى معاوية فقال : أنا قاتل عليّ بن أبي طالب ، وكان شبيب بن بَحَرة مع ابن ملجم في الليلة التي ضرب فيها عليّاً ، فقال له معاوية : لا أراك ولا تراني ، فرجع إلى الكوفة فقاتل المغيرة ، فوجّه إليه جيشاً فقتله .

وخرج المستورد بن عُلّفة التيميّ من تيم الرّباب سنة ٤٣ فوجّه إليه المغيرة خيلاً . فقُتل بأسفل ساباط ، وقُتل أصحابه جميعاً .

وخرج بعده معاذ بن جُوَين الطّائي أبو المستورد ، فوجّه إليه المغيرة خيلاً عليها رجل من همدان ، فقتلوه .

وخرجت عصابة من الموالي ، أميرهم أبو عليّ من أهل الكوفة ، وهو مولى لبني الحارث بن كعب ، وكانت أول خارجة خرجت فيها الموالي ، فبعث المغيرة إليهم رجلاً من بجيلة ، فالتقوا ببادوريا ،فناداهم البجلي : يا معشر الأعاجم ! هذه العرب تقاتلنا على الدين ، فما بالكم ؟ فنادوه : يا جابر ! إنّا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد ، فآمَنّا به ، ولن نشرك بربّنا أحداً ، وإن الله بعثَ نبيّنا للناس كافّة ، ولم يَزْوِه[1] عن أحد . فقاتلهم حتى قتلهم .

وكانت مصر والمغرب لعمرو بن العاص طعمة شرطها له يوم بايع ، ونسخة الشرط : هذا ما أعطى معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص مصر ، أعطاه أهلها ، فهم له حياته ، ولا تنقص طاعته شرطاً . فقال له وردان مولاه : فيه الشعر من بدنك ، فجعل عمرو يقرأ الشرط ، ولا يقف على ما وقف عليه وردان ، فلمّا ختم الكتاب وشهد الشهود قال له وردان : وما عمركَ أيّها الشيخ إلاّ كظِمءِ[2] حمار ، هلاّ شرطت لعقبك من بعدك ؟ فاستقال معاوية ، فلم يُقله ، فكان عمرو لا يحمل إليه من مالها شيئاً ،

(١) لم يزوه : لم يبعده .
(٢) ظِمْء : ظمأ .

يفرّق الأعطية في الناس . فما فضل من شيء أخذه لنفسه .

وولي عمرو بن العاص مصر عشر سنين ، منها لعمر بن الخطّاب أربع سنين ، ولعثمان بن عفّان أربع سنين إلاّ شهرين ، ولمعاوية سنتين وثلاثة أشهر ، وتوفي وله ثمان وتسعون سنة[1] ، وكان داهية العرب رأياً وحزماً وعقلاً ولساناً ، وكان عمر بن الخطّاب ، إذا رأى رجلاً يكلّم فلا يقيم كلامه يقول : سبحان مَن خلقك وخلق عمرو بن العاص .

وقال بعضهم : سمعت عمراً يقول : سلطان عادل خير من سلطان ظلوم ، وسلطان ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم ، وزلّة الرِّجْل عَظْمٌ يُجْبَر ، وزلّة اللسان لا تبقي ولا تَذَر ، واستراح مَن لا عقل له .

ولمّا حضرت عمراً الوفاة قال لابنه : لودّ أبوك أنه كان مات في غزاة ذات السلاسل[2] . إنّي قد دخلت في أمور لا أدري ما حجّتي عند الله فيها . ثمّ نظر إلى ماله فرأى كثرته، فقال : يا ليته كان بعراً ، يا ليتني متّ قبل هذا اليوم بثلاثين سنة ، أصلحت لمعاوية دنياه ، وأفسدت ديني ، آثرت دنْياي وتركت آخرتي ، عُمّي عليّ رشدي حتى حضرني أجلي ، كأنّي بمعاوية قد حوى مالي وأساء فيكم خلافتي .

وتوفي عمرو ليلة الفطر سنة ٤٣ ، فأقرّ معاوية ابنه عبد الله بن عمرو ، ثمّ استصفى مال عمرو ، فكان أول من استصفى مال عامل ، ولم يكن يموت لمعاوية عامل إلاّ شاطَرَ وَرَثَته ماله ، فكان يكلَّم في ذلك ، فيقول : هذه سنّة سنّها عمر بن الخطّاب . ثمّ عزل معاوية عبد الله بن عمرو ، وولّى أخاه عتبة[3] بن أبي سفيان مصر .

---

(١) توفي في القاهرة سنة ٤٣ هـ . ليلة عيد الفطر .

(٢) السلاسل : ماء بأرض جُذام ، وبذلك سميت غزاة ذات السلاسل ؛ وقال ابن إسحاق : اسم الماء سلسل ، وبه سميت ذات السلاسل .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) عتبة بن أبي سفيان : ولي مصر من قبل أخيه معاوية بعد موت عمرو بن العاص سنة =

وكتب معاوية إلى زياد بن أبي سفيان : إن قبلك رجلاً من أصحاب رسول الله فولّه خراسان ، وهو الحكم بن عمرو الغفاريّ ، فولّاه زياد خراسان ، فقدمها سنة ٤٤ ، فصار إلى هراة ، ثمّ مضى منها إلى الجوزجان ، فافتتحها ، ونالتهم شدّة حتى أكلوا دوابّهم ، وكان المهلّب[1] مع الحكم بن عمرو في ذلك الوقت ، وقد عرف بلاء المهلّب وبأسه ، وتوفي الحكم بن عمرو ، فولّى زياد مكانه الربيع بن زياد الحارثيّ ، وفتحت خوارزم في ذلك الوقت ، وكان الذي افتتحها عبد الله بن عقيل الثقفي .

وحجّ معاوية سنة ٤٤ ، وقدم معه من الشأم بمنبر ، فوضعه عند باب البيت الحرام ، فكان أول من وضع المنبر في المسجد الحرام ، ولمّا صار إلى المدينة أتاه جماعة من بني هاشم ، وكلّموه في أمورهم ، فقال : أما ترضون يا بني هاشم أن نقرّ عليكم دماءكم ، وقد قتلتم عثمان . حتى تقولوا ما تقولون ؟ فوالله لا أنتم أجلّ دماً من كذا وكذا ، وأعظم في القول ، فقال له ابن عبّاس : كلّ ما قلت لنا يا معاوية من شرّ بين دفّتيْك ، أنت والله أولى بذلك منّا ، أنت قتلت عثمان ، ثمّ قمت تَغمِصُ[2] على الناس أنّك تطلب بدمه . فانكسر معاوية ، فقال ابن عباس : والله ما رأيتك صدقت إلّا فزعت وانكسرت . قال : فضحك معاوية ، وقال : والله ما

= ٤٣ هـ . شهد مع عثمان يوم الدار ، وشهد مع عائشة يوم الجمل ، وفقئت عينه . قال الأصمعي : الخطباء من بني أميّة عتبة بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان . توفي في الإسكندرية سنة ٤٤ هـ .

[النجوم الزاهرة ١ : ١٢٢ - ١٢٤]

(١) هو المهلّب بن أبي صفرة ، أمير ، قيل فيه : إنه سيّد أهل العراق . فقئت عينه بسمرقند ، وانتدب لقتال الخوارج الأزارقة ، فحاربهم تسعة عشر عاماً حتى ظفر بهم . مات في خراسان سنة ٧٩ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٧ : ٣١٥]

(٢) تغمص : تكذب .

أحبّ أنّكم لم تكونوا كلّمتموني .

ثمّ كلّمه الأنصار ، فأغلظ لهم في القول ، وقال لهم : ما فعلت نواضحكم[1] ؟ قالوا : أفنيناها يوم بدر لما قتلنا أخاك وجدّك وخالك ، ولكنّا نفعل ما أوصانا به رسول الله . قال : ما أوصاكم به ؟ قالوا : أوصانا بالصبر . قال : فاصبروا .

ثمّ أدلج معاوية إلى الشأم ، ولم يقض لهم حاجة .

وفي هذه السنة عمل معاوية المقصورة في المسجد وأخرج المنابر إلى المصلّى في العيدين ، وخطب الخطبة قبل الصلاة ، وذلك أن الناس ، إذا صلّوا ، انصرفوا لئلّا يسمعوا لعن عليّ ، فقدّم معاوية الخطبة قبل الصلاة ، ووهب فدكاً[2] لمروان[3] بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله .

واستعمل مُعاوية ابن أُثال النصرانيّ على خراج حمص ، ولم يستعمل النصارى أحد من الخلفاء قبله ، فاعترضه خالد بن عبد الرحمٰن بن خالد ابن الوليد بالسيف، فقتله ، فحبسه معاوية أيّاماً ، ثمّ أغرمه ديته ، ولم يُقده منه .

وكان ابن أُثال قتل عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد ، دسّ إليه شربة سمّ ، فعيّره ابن المنذر بن الزبير بن العوام ، وقال : تتكلّم ، وابن أُثال بحمص يأمر وينهى ؟ فلمّا قتله قال خالد بن عبد الرحمٰن : أما أنا فقد قتلت ابن أُثال وهذا عمرو بن جُرموز التميميّ قاتل الزبير آمِن السِّرْب .

وكان عبد الرحمٰن بن العباس بن عبد المطلب قد قدم على معاوية

---

(١) النواضح : مفردها ناضح وهو البعير يُستقى عليه . وربما أراد بها هنا النبال ، لأنه يُقال على جهة التشبيه : نضح فلاناً بالنبل أي رماه به .

(٢) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) تقدمت ترجمته .

إلى الشأم، فجفاه معاوية، ولم يقض له حاجة، ودخل إليه يوماً، فقال له: يا بن العباس! كيف رأيت الله فعل بنا وبأبي الحسن؟ فقال: فعلاً، والله، غير مختَلّ عجّله إلى جنّة لن تنالها، وأخرك إلى دنْيا قد كان أمير المؤمنين نالها. قال: وإنك لتحكم على الله! قال: بما حكم الله به على نفسه، ومن لم يحكم بما أنزل الله، فأولئك هم الظالمون. قال معاوية: والله لو عاش أبو عمرو[1] حتى يراني لرأى نقم ابن العمّ. فقال ابن عباس: أما والله لو رآك أيقن أنّك خذَلتَه حين كانت النصرة له ونصرته حين كانت النصرة لك. قال: وما دخولك بين العصا ولحائها؟ قال: ما دخلت إلا عليهما لا لهما، فدَعْني مما أكره أدعْك من مثله، فلأن تحسن فأُجازي أحبّ إليّ من أن تُسيء فأُكافي، ثمّ نهض.

وفاة الحسن بن عليّ

وتُوفي الحسن بن عليّ في شهر ربيع الأول سنة ٤٩، ولمّا حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين: يا أخي إن هذه آخر ثلاث مرار سُقيتُ فيها السمّ، ولم أَسْقَهُ مثل مرّتي هذه، وأنا ميّت من يومي، فإذا أنا متّ فادفنّي مع رسول الله، فما أحد أولى بقربه منّي، إلاّ أن تمنع من ذلك فلا تسفك فيه محجمة دم.

ولمّا لفّ في أكفانه قال محمد[2] بن الحنفيّة: رحمك الله أبا محمّد، فوَالله لئن عزّتْ حياتك لقد هدّتْ وفاتك، ونعم الرّوح روح عمر به بدنك، ونعم البدن بدن ضمّه كفنك، لِمَ لا يكون كذلك، وأنت سليل

(١) أبو عمرو: كنية عثمان بن عفّان.

(٢) محمد بن الحنفية: هو محمد بن علي بن أبي طالب، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية. وهو أخو الحسن والحسين، غير أن أمهما فاطمة الزهراء، وأُمه خولة بنت جعفر الحنفية، يُنسب إليها تمييزاً له عنهما. وكان يقول: الحسن والحسين أفضل مني، وأنا أعلم منهما. وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته. توفي بالمدينة سنة ٨١ هـ.

[طبقات ابن سعد ٥: ٦٦]

الهدى ، وحلف أهل التقوى ، وخامس أصحاب الكساء[1] ، غذتك كفّ الحقّ ، وربيتَ في حجر الإسلام ، وأرضعتك ثديا الإيمان ، فطب حيّاً وميتاً ، فعليك السلام ورحمة الله ، وإن كانت أنفسنا غير قالية[2] لحياتك ، ولا شاكّة في الخيار لك .

ثمّ أُخرج نعشه يُراد به قبر رسول الله ، فركب مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، فمنعا من ذلك ، حتى كادت تقع فتنة .

وقيل إن عائشة ركبت بغلة شهباء[3] ، وقالت : بيتي لا آذن فيه لأحد ، فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر ، فقال لها : يا عمّة ! ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر ، أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء ؟ فرجعت .

واجتمع مع الحسين بن عليّ جماعة وخلق من الناس ، فقالوا له : دعنا وآل مروان ، فوَالله ما هم عندنا كأكلَة رأسٍ . فقال : إنّ أخي أوصاني أن لا أريق فيه محجمة دم . فدفن الحسن في البقيع[4] ، وكانت سنّه سبعاً وأربعين سنة ، وتوفي الحسن بن عليّ وابن عبّاس عند معاوية ، فدخل عليه لمّا أتاه نعيّ الحسن ، فقال له : يا بن عبّاس ! إن حسناً مات . قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون على عظم الخطب وجليل المصاب ، أما والله يا معاوية لئن كان الحسن مات ، فما ينسىء[5] موته في أجلك ، ولا يسدّ جسمه حفرتك ، ولقد مضى إلى خير وبقيتَ على شرّ . قال : لا أحسبه قد خلّف إلاّ صِبْيَة صغاراً . قال : كلّنا كان صغيراً فكبر . قال : بخ بخ ، يا بن عبّاس ، أصبحت سيّد قومك . قال : أما ما أبقى الله أبا عبد الله

---

(١) خامس الخلفاء الراشدين .

(٢) قالية : باغضة .

(٣) شهباء : خالط بياضَها سواد .

(٤) البقيع : موضع في المدينة فيه مقبرة أهلها .

(٥) ينسىء : يؤخر .

الحسين ابن رسول الله ، فلا .

وكانِ الحسن بن عليّ جواداً كريماً وأشبه برسول الله خَلقاً وخُلُقاً . وسئل الحسن : ماذا سمعتَ من رسول الله ؟ فقال : سمعته يقول لرجل : دع ما يريبك ، فإن الشرّ ريبة والخير طُمَأنينة . وعقلت عنه أنّي بينا أنا أمشي معه إلى جنب جُرن الصِّيْقَة ، تناولت تمرة فأدخلتها في فمي . قال : فأدخل رسول الله إصبعه في فمي ، فاستخرجها ، فألقاها ، وقال : إنّ محمداً وآل محمد لا تحلّ لهم الصدقة . وعقلت عنه الصلوات الخمس .

وحجّ الحسن خمس عشرة[1] حجّة ماشياً ، وخرج من ماله مرّتين ، وقاسم الله عزّ وجلّ ثلاث مرّات ، حتى كان يعطي نعلاً ويمسك نعلاً ، ويعطي خفّاً ويمسك أُخرى .

وقال معاوية للحسن : يا أبا محمد ثلاث خلال ما وجدت من يخبرني عنهنّ . قال : وما هنّ ؟ قال : المروّة ، والكرم ، والنجدة . قال : أما المروّة فإصلاح الرجل أمر دينه ، وحسن قيامه على ماله ، ولين الكفّ ، وإفشاء السلام والتحبّب إلى الناس . والكرم العطية قبل السؤال ، والتبرّع بالمعروف ، والإطعام في المحل ، ثمّ النجدة الذبّ عن الجار والمحاماة في الكريهة والصبر عند الشدائد .

وقال جابر : سمعت الحسن يقول : مكارم الأخلاق عشر : صدق اللسان ، وصدق البأس ، وإعطاء السائل ، وحسن الخلق ، والمكافأة بالصنائع ، وصلة الرحم ، والتذمّم[2] على الجار ، ومعرفة الحقّ للصاحب ، وقِرى[3] الضيف ، ورأسهنّ الحياء .

وقيل للحسن : مَنْ أحسن الناس عيشاً ؟ قال : مَن أشرك الناس في

---

(١) وقيل أيضاً : عشرين حجة .

(٢) التذمم : الحماية .

(٣) القِرى : حسن الضيافة .

عيشه . وقيل : مَن شرّ الناس عيشاً ؟ قال : مَن لا يعيش في عيشه أحد .

وقال الحسن : فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها ، وأشدّ من المصيبة سوء الخلق ، والعبادة انتظار الفرج .

ودعا الحسن بن علي بنيه وبني أخيه ، فقال : يا بنيّ وبني أخي ! إنّكم صغار قوم ، وتوشكون أن تكونوا كبار قوم آخرين ، فتعلّموا العلم ، فمن لم يستطع منكم يرويه أو يحفظه ، فليكتبه وليجعله في بيته .

وقال رجل للحسن : إنّي أخاف الموت ! قال : ذاك أنّك أخرت مالك ، ولو قدّمته لسرّك أن تلحق به .

وقال معاوية : ما تكلّم عندي أحد كان أحبّ إليّ إذا تكلّم أن لا يسكت من الحسن بن عليّ ، وما سمعت منه كلمة فحش قطّ إلاّ مرّة ، فإنّه كان بين الحسن بن عليّ وبين عمرو بن عثمان بن عفّان خصومة في أرض ، فعرض الحسن بن عليّ أمراً لم يرضه عمرو ، فقال الحسن : ليس له عندنا إلاّ ما رغم أنفه ، فهذه أشدّ كلمة فحش سمعتها منه قطّ .

وقال له معاوية يوماً: ما يجب لنا في سلطاننا ؟ قال : ما قال سليمان ابن داوُد. قال معاوية : وما قال سليمان بن داوُد ؟ قال : قال لبعض أصحابه : أتدري ما يجب على الملك في ملكه ، وما لا يضرّه ؟ إذا أدّى الذي عليه منه ، وإذا خاف الله في السرّ والعلانية ، وعدل في الغضب والرضى ، وقصد في الفقر والغنى ، ولم يأخذ الأموال غصباً ، ولم يأكلها إسرافاً وبذاراً لم يضرّه ما تمتّع به من دنياه ، إذا كان ذلك من خلّته .

وقال الحسن : كان رسول الله إذا سأله أحد حاجة لم يردّه إلاّ بها وبميسور من القول .

ومرّ الحسن يوماً وقاصّ يقصّ على باب مسجد رسول الله ، فقال الحسن : ما أنت ؟ فقال : أنا قاصّ يا بن رسول الله . قال : كذبت ، محمد

قاصّ ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿فاقْصُص القَصَص﴾[1] . قال : فأنا مذكِّر . قال : كذبت ، محمّد المذكِّر ، قال له عزّ وجلّ : ﴿فذكّر إنّما أنت مذكّر﴾[2] . قال : فما أنا ؟ قال : المتكلّف من الرجال .

وكان للحسن من الولد ثمانية ذكور ، وهم : الحسن بن الحسن ، وأُمّه خولة بنت منظور الفزاريّة ، وزيد بن الحسن ، وأُمّه أمّ بشير بنت أبي مسعود الأنصاريّ الخزرجيّ ، وعمر والقاسم وأبو بكر وعبد الرحمٰن لأُمّهات أولاد شتّى ، وطلحة وعبيدالله .

ولمّا توفي الحسن وبلغ الشيعة ذلك اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان[3] بن صرد ، وفيهم بنو جعدة بن هبيرة ، فكتبوا إلى الحسين بن عليّ يعزّونه على مصابه بالحسن : بسم الله الرحمٰن الرّحيم ، للحسين بن عليّ من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين سلام عليك ، فإنّا نحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو ، أمّا بعد ، فقد بلغنا وفاة الحسن بن عليّ يوم ولد ويوم يموت ويوم يُبعث حيّاً ، غفر الله ذنبه وتقبّل حسناته ، وألحقه بنبيّه ، وضاعف لك الأجر في المصاب به وجبر بك المصيبة من بعده فعند الله نحتسبه ، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ما أعظم ما أصيب به هذه الأمّة عامّة ، وأنت وهذه الشيعة خاصّة ، بهلاك ابن الوصيّ وابن بنت النبيّ ، عَلَم الهدى ، ونور البلاد المرجوّ لإقامة الدين وإعادة سِير الصّالحين ، فاصبرْ رحمك الله على ما أصابك ، إنّ ذلك لمنْ عَزْم الأمور ، فإنّ فيك خلفاً ممّن كان قبلك ، وإن الله يُؤتي رُشْدَه من يُهدى بهديك ، ونحن

---

(١) سورة الأعراف؛ الآية: ١٧٦ .

(٢) سورة الغاشية؛ الآية: ٢١ .

(٣) سليمان بن صرد: صحابي ، شهد الجمل وصفين مع علي ، وسكن الكوفة ، ثم كان ممن كاتب الحسن وتخلّف عنه ، وخرج بعد ذلك مطالباً بدمه ، فترأس «التوابين» . وعرفوا بالتوابين لقعودهم عن نصرة الحسين حين دعاهم ، وقيامهم بطلب ثأره بعد مقتله . قتل بعين الوردة سنة ٦٥ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٢ : ١٢٧]

شيعتك المصابة بمصيبتك ، المحزونة بحزنك ، المسرورة بسرورك ، السائرة بسيرتك ، المنتظرة لأمرك ، شرح الله صدرك ، ورفع ذكرك ، وأعظم أجرك ، وغفر ذنبك ، وردّ عليك حقّك .

وبايع معاوية لابنه يزيد بولاية العهد ، بعد وفاة الحسن بن عليّ ، ولم يتخلّف عن البيعة إلّا أربعة نفر : الحسين بن عليّ ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمٰن بن أبي بكر ، وعبد الله بن الزبير ، وقال عبد الله بن عمر : نبايع من يلعب بالقرود والكلاب ، ويشرب الخمر ، ويظهر الفسوق ! ما حجّتنا عند الله ! وقال عبد الله بن الزبير : لا طاعة لمخلوق في معصية خالق ، وقد أفسد علينا ديننا .

وحجّ معاوية تلك السنة فتألّف القوم ، ولم يكرههم على البيعة ، وأغزى معاوية يزيد ابنه الصائفة ، ومعه سفيان بن عوف العامريّ ، فسبقه سفيان بالدخول إلى بلاد الروم ، فنال المسلمين في بلاد الروم حمّى وجدريّ ، وكانت أمّ كلثوم بنت عبد الله بن عامر تحت يزيد بن معاوية ، وكان لها محبّاً ، فلمّا بلغه ما نال الناس من الحمى والجدريّ قال :

ما أن أُبالي بما لاقَتْ جُمُوعُهُمُ بالغَذْقَذونة[1] من حُمّى ومن موم[2]
إذا اتّكأتُ على الأنْماطِ في غُرَفٍ بدَيْرِ مُرّان عندي أمّ كلثومِ

فبلغ ذلك معاوية فقال : أقسم بالله لتدخلنّ أرض الروم فليصيبنك ما أصابهم ، فأردف به ذلك الجيش ، فغزا به حتى بلغ القسطنطينية .

ووجّه معاوية عقبة بن نافع الفهريّ إلى أفريقية فافتتحها واختطّ قيروانها ، وبناه ، وكان موضع دَغَل وحلفاء[3] تنزله الأسد ، وكان ذلك سنة

---

(١) غذقذونة : اسم جامع للثغر الذي منه المصيصة وطرسوس وغيرهما .
[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) الموم : المفازة الواسعة أو الفلاة التي لا ماء فيها .

(٣) الحلفاء : نبت أطرافه محددة كأنها سعف النخل والخوص .

٥٠ ، ثمّ ولّى معاوية ديناراً أبا المهاجر ، مولى الأنصار ، مكان عقبة[1] بن نافع الفهريّ ، فأخذ عقبة بن نافع ، فحبسه وقيّده ، فأقام في الحبس شهوراً ، ثمّ أطلقه ، فلما صار إلى مصر ردّه عمرو بن العاص إلى المغرب .

وقيل ورد كتاب من معاوية على عمرو يأمره بذلك ، فلمّا قدم عقبة أفريقية أخذ ديناراً فحبسه ، وخرج على عقبة رجل من البربر يقال له ابن الكاهنة ، ولم يزل عقبة على البلد أيام معاوية ويزيد بن معاوية .

وتوفي المغيرة بن شعبة سنة ٥١ ، فولّى معاوية الكوفة زياداً ، وضمّها إليه مع البصرة ، فكان أول من جمع له المصران .

وكتب زياد إلى معاوية : إنّي شغلت شمالي بالعراق ويميني فارغة ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يولّيني الموسم ؟ فكتب إليه بولاية الحجاز ، وقيل بولاية الموسم .

وكان عبد الله بن عمر يدخل فيقول : ارفعوا أيديكم فادعوا الله أن يكفيكم يمين زياد .

وروى بعضهم أن أبا بكرة أخاه أتاه ، فخاطب صبيّاً له ، وكان قد حلف ألّا يكلّمه مذ كاع عن الشهادة على المغيرة ، فقال : يا بنيّ أبوك ركب في الإسلام عظيماً ، شتم أمّه ، وانتفى من أبيه ، ثمّ هو الآن يريد أن يفعل ما هو أكبر من هذا ، يمرّ بالمدينة . فيستأذن على أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فإن أذنت فأَعْظِمْ بها مصيبة على رسول الله ، وعلى المسلمين ، فإن لم تأذن له فأعْظِمْ بها فضيحة على أبيك . فتأخّر عن الخروج .

وكان حجر بن عديّ الكنديّ ، وعمرو بن الحمق الخزاعيّ

(١) عقبة بن نافع : من كبار القادة في صدر الإسلام ، وهو باني مدينة القيروان . وقد بنى في وادي القيروان مسجداً لا يزال إلى اليوم يعرف بجامع عقبة . قتل سنة ٦٣ هـ . ودُفن بالزاب .

[الزركلي : الأعلام ٤ : ٢٤١]

وأصحابهما من شيعة عليّ بن أبي طالب ، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية ، وهم يلعنون عليّاً على المنبر ، يقومون فيردّون اللعن عليهم ، ويتكلّمون في ذلك . فلمّا قدم زياد الكوفة خطب خطبة له مشهورة[1] لم يحمد الله فيها ، ولم يصلّ على محمد . وأرعد فيها وأبرق ، وتوعّد وتهدّد ، وأنكر كلام من تكلّم ، وحذّرهم ، ورهبهم ، وقال : قد سمّيت الكلبة ، على المنبر ، الصلعاء ، فإذا أوعدتكم أو وعدتكم ، فلم أفِ لكم بوعدي ووعيدي، فلا طاعة لي عليكم .

وكانت بينه وبين حجر بن عديّ مودّة ، فوجّه إليه فأحضره ، ثمّ قال له : يا حجر ! أرأيت ما كنت عليه من المحبّة والموالاة لعليّ ؟ قال : نعم ! قال : فإنّ الله قد حوّل ذلك بغضة وعداوة ، أوَرأيت ما كنت عليه من البغضة والعداوة لمعاوية ؟ قال : نعم ! قال : فإن الله قد حوّل ذلك محبّة وموالاة ، فلا أعلمنّك ما ذكرت عليّاً بخير ولا أمير المؤمنين معاوية بشر .

ثمّ بلغه أنّهم يجتمعون ، فيتكلّمون ويدبّرون عليه وعلى معاوية ، ويذكرون مساويهما ، ويحرضون الناس ، فوجّه صاحب شرطه إليهم ، فأخذ جماعةً منهم فقُتلوا، وهرب عمرو بن الحمق الخزاعيّ إلى الموصل وعدّة معه ، وأخذ زياد حجر بن عديّ الكنديّ وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه فأشخصهم إلى معاوية ، فكتب فيهم أنهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب[2] ، وزَرَوْا على الولاة ، فخرجوا بذلك من الطاعة ، وأنفذ شهادات قوم أوّلهم بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، فلمّا صاروا بمرج عذراء[3] من دمشق على أميال ، أمر معاوية بإيقافهم هناك ، ثمّ وجّه إليهم من يضرب أعناقهم ، فكلّمه قوم في ستّة منهم ، فوقف عنهم ، فقتل

(١) وقد سميت خطبته «البتراء» للسبب المذكور .

(٢) لقب الإمام علي بن أبي طالب «بأبي تراب» لكثرة صلاته وسجوده .

(٣) عذراء : قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة ، وإليها ينسب مرج .

[ياقوت : معجم البلدان]

سبعة ، حجر بن عديّ الكنديّ ، وشريك بن شـدّاد الحضرميّ ، وصَيْفي بن فسيـل الشيباني ، وقَبيصـة بن ضُبَيْعَة العبسي ، ومُحـرز بن شهاب التميمي ، وكـدام بـن حيّـان العـنـزيّ ، ولـمّـا أراد قـتـلهـم قـال حـجـر بـن عديّ : دعوني حتى أُصلّي ؛ فصلّى ركعتين خفيفتين ثمّ أقبل عـليهم فقال : لـولا أن تـظنّـوا بـي خـلاف مـا بـي لأحـبـبـت أن تـكـونـا أطـول ممّا همـا ، وإني لأوّل من رمى بسهم في هذا المـوضـع ، وأول من هلك فيـه . فقيل لـه : أجزعت ؟ فقـال : ولم لا أجـزع ، وأنـا أرى سيفـاً مشهوراً ، وكفناً منشـوراً ، وقبراً محفوراً ؟ ثمّ ضربت عنقـه وأعناق القـوم ، وكفنوا ودفنوا ، وكان ذلك في سنة ٥٢ .

وقال معاوية للحسين بن عليّ : يا أبا عبد الله ! علمتَ أنّا قتلنا شيعـة أبيك ، فحنّطناهـم ، وكفّناهم ، وصلينا عليهم ، ودفنّاهم ؟ فقـال الحسين : حجـرك ، وربّ الكعبـة ، لكنّـا والله إن قتلنـا شيعتـك مـا كفنّـاهم ، ولا حنّطناهم ، ولا صلّينا عليهم ولا دفنّاهم .

وقالت عائشة لمعاويـة حين حجّ ، ودخـل إليها : يـا معاويـة ! أقتلت حجـراً وأصحابـه ، فأين عـزب حلمك عنهم ؟ أمـا إنّي سمعت رسـول الله يقـول : يُقتـل بمـرج عـذراء نفـر يغضبُ لهم أهـل السمـوات . قـال : لم يحضرني رجل رشيد ، يا أمّ المؤمنين .

وروي أن معاوية كـان يقول : مـا أعدّ نفسي حليمـاً بعد قتلي حجـراً وأصحاب حجر .

وبلغ عبـد الـرحمٰن بـن أم الحكم ، وكـان عـامـل معـاويـة على الموصل ، مكان عمرو بن الحمق الخزاعيّ ، ورفاعـة بن شدّاد ، فـوجّه في طلبهما ، فخرجـا هاربين ، وعمـرو بن الحمق شديـد العلّة ، فلمّا كـان في بعض الـطريق لدغت عمـراً حيّة ، فقـال : الله أكبر ! قـال لي رسول الله : ياعمرو ليشترك في قتلك الجنّ والإنس . ثمّ قال لرفاعة : إمضِ لشأنـك ، فإني مأخوذ ومقتول . ولحقتـه رسل عبـد الرحمٰن بـن أمّ الحكم ، فـأخذوه وضربت عنقه ، ونصب رأسه على رمح ، وطيف به ، فكان أوّل رأس طيف

بـه في الإسلام . وقـد كان معـاوية حبس امـرأته بـدمشق ، فلمّا أتى رأسـه بعث بـه ، فوضع في حجرهـا ، فقالت للرسـول : أبلغ معاوية ما أقـول : طالبه الله بدمه ، وعجّل له الويل من نقمته ، فلقد أتى أمراً فريّـاً[١] ، وقتل برّاً نقيّاً . وكان أول من حبس النساء بجرائر[٢] الرجال .

وخرج قريب وزحّاف الخارجيّـان بالبصـرة في جماعـة من الخوارج ، فاستعرضا الشرط ، فقتلا منهم خلقاً عظيماً ، وصارا إلى المسجد الجـامع ، فقتلا خلقاً من الناس ، ومالـوا إلى القبائـل ، ففعلوا مثل ذلك . وكان زيـاد بـالكوفـة وعامله على البصـرة عبيد الله بن أبي بكـرة ، فحاربهم ، فلمّـا لم يكن له بهم طاقة كتب إلى زياد ، فأقبل زياد حتى صار إلى البصرة ، فصار إلى دار الإمارة ، ثمّ قال : يـا أهل البصـرة ما هذا الذي قـد اشتملتم عليه ؟ إني أعـطي الله عهداً لا يخـرج عليّ خارجيّ بعـدها فـأدع من حيّـه وقبيلتـه أحداً ، فاكفوني بوائقكم[٣] . فقام خطباء البصرة ، فتكلّموا واعتذروا .

وكـان معاويـة أول من أقام الحـرس والشرط والبـوّابين في الإسلام ، وأرخى السـتـور ، واستكتب النصارى ، ومُشي بين يـديه بـالحراب ، وأخـذ الـزكاة من الأعـطية ، وجلس على السـرير ، والنـاس تحته ، وجعـل ديوان الخاتم ، وبنى وشيّد البناء ، وسخّر الناس في بنائه ، ولم يسخّر أحد قبله ، واستصفى أموال الناس ، فأخذها لنفسه .

وكـان سعيد[٤] بن المسيّب يقول : فعل الله بمعاوية وفعل ، فإنّه أول

---

(١) فريّاً : كاذباً ومختلفاً .

(٢) الجرائر : جمع جريرة وهي الذنب والجناية .

(٣) البائقة : الشر والمصيبة .

(٤) سعيد بن المسيّب : سيد التابعين ، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة . جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع ، وكان يعيش من التجارة بالزيت ، لا يأخذ عطاءً . وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب وأقضيته ، حتى سمّي راوية عمر . توفي بالمدينـة سنة ٩٤ هـ .

[طبقات ابن سعد ٥ : ٨٨]

من أعاد هذا الأمر ملكاً . وكان معاوية يقول : أنا أول الملوك .

ورحل إليه عبد الله بن عمر يوماً ، فقال : يا أبا عبد الله! كيف ترى بنياننا ؟ قال : إن كان من مال الله فأنت من الخائنين ، وإن كان من مالك فأنْت من المسرفين .

ودخل إليه عديّ[1] بن حاتم ، فقال له : كيف زماننا هذا يا أبا طريف ؟ قال: إن صدقناكم خفناكم، وإن كذبناكم خفنا الله. قال: أقسمت عليك ! قال : عدل زمانكم هذا جور زمان قد مضى ، وجور زمانكم هذا عدل زمان ما يأتي .

واستقرّ خراج العراق وما يضاف إليه ممّا كان في مملكة الفرس في أيام معاوية على ستمائة ألف ألف وخمسة وخمسين ألف ألف درهم .

وكان خراج السواد مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم ، وخراج فارس سبعين ألف ألف ، وخراج الأهواز وما يضاف إليها أربعين ألف ألف ، وخراج اليمامة والبحرين خمسة عشر ألف ألف درهم ، وخراج كور دجلة عشرة آلاف ألف درهم ، وخراج نهاوند وماه الكوفة ، وهو الدينور ، وماه البصرة ، وهو همذان ، وما يضاف إلى ذلك من أرض الجبل أربعين ألف ألف درهم ، وخراج الريّ وما يضاف إليها ثلاثين ألف ألف درهم ، وخراج حلوان عشرين ألف ألف درهم ، وخراج الموصل وما يضاف إليها ويتصل بها خمسة وأربعين ألف ألف درهم ، وخراج آذربيجان ثلاثين ألف ألف درهم ، بعد أن أخرج معاوية من كلّ بلد ما كانت ملوك فارس

---

(١) عدي بن حاتم : أمير ، صحابي ، من الأجواد العقلاء . كان رئيس طيء في الجاهلية والإسلام . قام في حرب الردة بأعمال كبيرة حتى قال ابن الأثير : خير مولود في أرض طيء وأعظمه بركة عليهم . عاش أكثر من مئة سنة ، وهو ابن حاتم الطائي الذي يضرب بجوده المثل .

[الزركلي : الأعلام ٤ : ٢٢٠]

تستصفيه لأنفسها من الضياع العامرة وجعله صافية لنفسه ، فأقطعه جماعة من أهل بيته .

وكان صاحب العراق يحمل إليه من مال صوافيه في هذه النواحي مائة ألف ألف درهم ، فمنها كانت صِلاته وجوائزه ، واستقرّ خراج مصر في أيّام معاوية على ثلاثة آلاف ألف دينار ، وكان عمرو بن العاص يحمل منها إليه الشيء اليسير[1] ، فلمّا مات عمرو حمل المال إلى معاوية ، فكان يفرق في الناس أعطياتهم ، ويحمل إليه ألف ألف دينار ، واستقرّ خراج فلسطين على أربعمائة وخمسين ألف دينار ، واستقرّ خراج الأردنّ على مائة وثمانين ألف دينار ، وخراج دمشق على أربعمائة ألف وخمسين ألف دينار ، وخراج جند حمص على ثلاثمائة وخمسين ألف دينار، وخراج قنّسرين والعواصم على أربعمائة ألف وخمسين ألف دينار ، وخراج الجزيرة ، وهي ديار مضر وديار ربيعة ، على خمسة وخمسين ألف ألف درهم ، وخراج اليمن على ألف ألف ومائتي ألف دينار ، وقيل تسعمائة ألف دينار .

وكان معاوية قد ولى اليمن ، لمّا استقامت له الأمور ، فيروز الديلمي[2] ، ثمّ استعمل مكانه عثمان بن عفّان الثقفي ، ثمّ استعمل ابن بشير الأنصاري .

وفعل معاوية بالشأم والجزيرة واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفاء ما كان للملوك من الضياع وتصييرها لنفسه خالصة ، وأقطعها أهل بيته

---

(١) وكان اتفق معه أن لا يدفع له من خراج مصر مقابل مؤازرته له في صفين في قتاله مع علي بن أبي طالب .

(٢) فيروز الديلمي : أمير ، صحابي يماني ، فارسي الأصل . من أبناء الذين بعثهم كسرى لقتال الحبشة . كان يُقال له «الحميري» لنزوله بحمير ، ومحالفته إياهم . أعان على قتل الأسود العنسي . ولّاه معاوية على «صنعاء» فأقام بها إلى أن توفي سنة ٥٣ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٥ : ١٦٤]

وخاصته . وكان أول من كانت لـه الصوافي في جميـع الدنْيـا ، حتى بمكّة والمـدينة ، فـإنّـه كـان فيهمـا شيء يحمـل في كـل سنـة من أوسـاق التمـر والحنطة .

وكـان معاويـة وجّه إلى ثغـر الهند ابن سَـوّار بن هَمّام ، فشخص في أربعـة آلاف حتى أتى مكران[1] ، فـأقـام بهـا شهـوراً ، ثمّ غـزا القيقـان ، فقاتلهم ، وصبر على قتالهم ، فقُتل ابن سوّار وعامّة ذلك الجيش ، ورجـع من بقي معه إلى مكران ، فكتب معـاوية إلى زيـاد أن يوجّـه رجلاً لـه حزم وجزالة . فوجّه سنان بن سلمة الهذليّ فأتى مكران ، فلم يزل بهـا مقيماً ثمّ صرفه زياد ، وولّى راشد بن عمرو الجُديديّ الأزديّ ، فغزا القيقان ، فظفـر وغنم ، وغزا بعض بلاد السنـد ، وفتح بـلاد الهند ، وكـانت الهند ، يـومئذ أهون شوكة من السند ، فقُتل راشد ببلاد السند .

وأقـام زياد على ولايـة العراق اثنتي عشـرة سنة ، وكـان لـزيـاد دهـاء ورجلة[2] وصـولة ، وكـان أوّل من دوّن الـدواوين ووضـع النسـخ للكتب ، وأفرد كتّاب الرسائل من العرب والموالي المتفصّحين .

وكان زياد يقول : ينبغي أن يكون كتّـاب الخراج من رؤسـاء الأعاجم العالمين بأمور الخراج .

وكان زياد يقول : مَلاك السلطان أربـع خلال : العفـاف عن المال ، والقرب من المحسن ، والشدّة على المسيء ، وصدق اللسان .

وكان زياد أول من بسط الأرزاق على عمّـاله ألف درهم ألف درهم ، ولنفسه خمسة وعشرين ألف درهم .

---

(١) سميت مكـران بمكران بن فـارك بن سام بن نـوح الذي نـزلها واستـوطنها لمـا تبلبلت الألسن في بابل ، وهي ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) الرجلة : القوة والرجولية .

وكـان زيـاد يقـول : ينبغي للوالي أن يكـون أعلم بـأهـل عمله منهم بأنفسهم . فقام إليه رجل فقال :أصلح الله الأمير! تعرفني؟ فقال: نعم المعـرفـة الجامعة ! أعرفك باسمك واسم أبيك ، وكنيتك ، وعـريفك ، وعشيـرتك ، وفصيلتـك ، ولقـد بلغ من معـرفتي بكم أنّي أرى البـرد على أحـدكم ، ثمّ آخـر عاريّـةً ، فأعرفه .

واختصم إلى زياد رجلان فقال أحدهما : أصلح الله الأمير ! إنّـه يدِلّ بناحية ذكر أنها له من الأمير . قال : صدق ! سأخبرك بما ينفعه من ذلـك ، ويضرك ، إن وجب له الحقّ عليك أخذتك له أخذاً عنيفاً ، وإن وجب عليه حكمت وأدّيت عنه .

وقـال زياد وهـو على المنبر : إن أعـظم الناس كـذباً أميـر يقف على المنبر ، وتحته مائة ألف من الناس ، فيكذبهم ، وإنّي والله لا أعـدكم أجراً إلا أنجزته ، ولا أعاقبكم حتى أتقدّم عليكم .

وكان زياد يقول لأصحابه : ليس كلٌّ يصل إليّ ولا كلّ من وصل إليّ أمكنه الكلام ، فاستشفعوا لمن وراءكم، فإنّي من ورائكم أمنع إن أردت أن أمنع .

وكـان زياد يقـول : أربعة أعمـال لا يليها إلاّ المسنّ الـذي قـد عضّ على ناجذه[1] : الثغر ، والصائفـة ، والشرط ، والقضـاء . وينبغي أن يكون صـاحب الشرط شـديد الصـولة ، قليـل الغفلة ، وينبغي أن يكون صـاحب الحـرس مسنّاً ، عفيفـاً ، مأمـونـاً ، لا يُـطعن عليـه . وينبغي أن يكـون في الكاتب خمس خلال : بعـدُ غور ، وحسن مـداراة ، وإحكام للعمـل ، وألاّ يؤخّـر عمل اليـوم لغد ، والنصيحـة لصاحبـه . وينبغي للحـاجب أن يكـون عـاقلاً ، فـطناً ، قـد خـدم الملوك قبـل أن يتولّى حجـابتهم . وتـوفي زيـاد

---

(١) يُقال : «عضّ على ناجذه» أي بلغ أشدّه لأن النواجذ تنبت بعد البلوغ وكمال العقل . ويُقال أيضاً لمن صبر على الملمات والشدائد .

بالكوفة سنة ٥٤[١] .

وروي أنّه كان أحضر قوماً بلغه أنّهم شيعة لعلي ليدعوهم إلى لعن عليّ والبراءة منه ، أو يضرب أعناقهم ، وكانوا سبعين رجلًا ، فصعد المنبر ، وجعل يتكلّم بالوعيد والتهديد ، فنام بعض القوم ، وهو جالس ، فقال له بعض أصحابه : تنام وقد أُحضرتَ لتُقتل ؟ فقال : من عمود إلى عمود فرقان، لقد رأيت في نومتي هذه عجباً. قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت رجلاً أسود دخل المسجد فضرب رأسه السقف، فقلت: من أنت يا هذا؟ فقال: أنا النقّاد داقّ الرقبة. قلت: وأين تريد؟ قال: أدقّ عنق هذا الجبّار الذي يتكلّم على هذه الأعواد .

فبينا زياد يتكلّم على المنبر إذ قبض على إصبعه ، ثمّ صاح : يدي ! وسقط عن المنبر مغشيّاً عليه ، فأُدخل القصر ، وقد طُعن في خنصره اليمنى ، فجعل لا يتغاذّ[٢] ، فأحضر الطبيب ، فقال له : إقطع يدي ! قال : أيّها الأمير ! أخبرني عن الوجع تجده في يدك ، أو في قلبك ؟ قال : والله إلّا في قلبي . قال : فعش سويّاً .

فلمّا نزل به الموت كتب إلى معاوية : إنّي كتبت إلى أمير المؤمنين ، وأنا في آخر يوم من الدنْيا ، وأوّل يوم من الآخرة ، وقد استخلفت على عملي خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

فلمّا توفي زياد ووضع نعشه ليصلّى عليه تقدّم عبيد الله ابنه فنحّاه ، وتقدّم خالد بن عبد الله فصلّى عليه ، فلمّا فرغ من دفنه خرج عبيد الله من ساعته إلى معاوية ، فلما قيل لمعاوية هذا عبيد الله قال : يا بنيّ ! ما منع أباك أن يستخلفك ؟ أما لو فعل لفعلتُ . فقال : نشدتك الله ، يا أمير

---

(١) عن إحدى وخمسين سنة ، ولم يخلف بعد موته غير ألف دينار ، وقد رثاه كثير من الشعراء منهم مسكين الدارمي .

(٢) لا يتغاذ : لا ينقطع سيلان الدم منها .

المؤمنين ، أن يقولها لي أحد بعدك ما منع أباه وعمّه[1] أن يستعملاه ؟ فولّاه خراسان ، وصيّر إليه ثغري الهند .

وتوفي المنذر فولّى مكانه سنان بن سلمة ، فقاتل القيقان ، والبوقان ، وظفر ، ورزقه الله النصر عليهم .

وصار عبيدالله بن زياد إلى خراسان ، فبدأ ببخارى[2] ، وعليها ملكة يقال لها خاتون[3] ، فقاتلهم حتى فتحها ، ثم قطع نهر بلخ ، وكان أول عربي قطع نهر بلخ ، وحاربه القوم محاربة شديدة ، وكان الظفر له ، ثمّ انصرف من خراسان إلى معاوية فولّاه البصرة سنة ٥٦ ، وقيل أوّل سنة ٥٧ .

وولّى معاوية عبد الله بن زياد خراسان ، فاستضعفه ، فعزله ، وولّى عبد الرحمٰن بن زياد ، فلم يحمده ، فعزله ، فقدم عبد الرحمٰن بمال عظيم ، فقيل إنه قال : قدمت معي بمال يكفيني مائة سنة لكلّ يوم ألف درهم ، فذهب ذلك المال ، حتى نُظر إليه في أيّام الحُجّاج على حمار ، فقيل له : أين المال ؟ فقال : لا يكفي إلا وجه الله ، والحمار أيضاً ليس لي ، إنّما هو عاريّة .

وولى معاوية خراسان بعد عبد الرحمٰن بن زياد سعيد بن عثمان بن عفّان ، فقطع النهر ، وصار إلى بخارى ، فطلبت خاتون ملكة بخارى الصلح ، فأجابها إلى ذلك ، ثمّ رجعت عن الصلح ، وطمعت في سعيد ، فحاربهم سعيد ، فظفر وقتل مقتلة عظيمة . وسار إلى سمرقند ،

---

(١) أي ما منع زياداً ومعاوية .

(٢) بخارى : من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) خاتون : من أجمل النساء هيبة ووقاراً مع حسن رأي وأفكار تزوّجها خوارزم شاه بن ارسلان . أقامت في أرغد عيش إلى أن ظهر التتار وحاربوا ولدها محمد شاه وقتلوه .

[الروضة الفيحاء : ٥٠٠]

فحاصرها ، فلم يكن له طاقة بها ، فظفر بحصن فيه أبناء الملوك ، فلمّا صاروا في يده طلب القوم الصلح ، فحلف ألاّ يبرح حتى يدخل المدينة ، ففتح له باب المدينة ، فدخلها ، ورمى القهندز بحجر ، وكان معه قثم بن العبّاس بن عبد المطّلب فتوفي بسمرقند(١) . فلما بلغ عبد الله بن عباس موته قال : ما أبعد ما بين مولده ومقبره ، مولده بمكّة ، وقبره بسمرقند ؛ فانصرف سعيد بن عثمان إلى معاوية ، فولى معاوية مكانه أسلم بن زُرعَة .

وصار سعيد إلى المدينة ، ومعه أسراء من أولاد ملوك السغد ، فوثبوا عليه ، وقتلوه ، وقتل بعضهم بعضاً ، حتى لم يبق منهم أحد ، وأقام أسلم ابن زُرعة شهوراً ، وكان عمّال خراسان ينزلون هراة(٢) ، ثمّ ولّى معاوية خليد بن عبدالله الحنفيّ ، فكان آخر ولاته على خراسان .

وأراد سعد بن أبي وقاص أن يعمل له ، فامتنع عليه ، ولزم منزله ، وكان يسكن قصراً له خارج المدينة على عشرة أميال ، فلم يزل نازلاً به حتى توفي ، وكانت وفاته سنة ٥٥ ، وحُمل على أيدي الرجال من قصره إلى المدينة ، حتى دفن بالبقيع .

وتوفي أيام معاوية أربع من أزواج رسول الله(٣) : حفصة بنت عمر ، توفيت سنة ٤٥ ، وصلّى عليها مروان بن الحكم ، وهو عامل المدينة ، وصفيّة بنت حييّ بن أخطب توفيت سنة ٥٠ ، وصلى عليها أبو هريرة ، وكان خليفة لمروان على المدينة ، فقال بعض من حضر : صلى عليها

---

(١) سمرقند : يُقال لها بالعربية سمران ، وهي بلد معروف مشهور ، قيل : إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) هراة : مدينة عظيمة مشهورة من أُمهات مدن خراسان ، وقد أصابها عين الزمان ونكبتها طوارق الحدثان وجاءها الكفار من التتر فخرّبوها .

[المصدر السابق]

(٣) أنظر أزواج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في موضع سابق من هذا الكتاب .

أعدى الناس لها . وتوفي أبو هريرة سنة ٥٩ .

وكان لمعاوية حلم ودهاء ، وجود بالمال على المداراة من رجل يبخل على طعامه . وقال سعيد بن العاص : سمعت معاوية يوماً يقول : لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت . قيل : وكيف ، يا أمير المؤمنين ؟ قال : كانوا إذا مدّوها خليتها ، وإذا خلّوها مددتها .

وكان إذا بلغه عن رجل ما يكره قطع لسانه بالإعطاء ، وربما احتال عليه فبعث به في الحروب ، وقدّمه ، وكان أكثر فعله المكر والحيلة .

وحجّ بالناس ، في جميع سني ولايته ، حجّتين سنة ٤٤ وسنة ٥٠ ، وأراد أن يحمل منبر رسول الله ، فنال المنبر زلزلة ، حتى ظنّ أنّه آخر الدنْيا ، فتركه ثمّ زاد فيه خمس مراقٍ من أسفله ، واعتمر عمرة رجب في سنة ٥٦ .

وكان أول من كسا الكعبة الديباج . واشترى لها العبيد .

وكان يغلب عليه عمرو بن العاص ، ويزيد بن الحرّ العبسي ، والضحّاك[١] بن قيس الفهريّ ، وكان الضحاك على شرطته ، وعلى حرسه أبو مخارق مولى حمير ، وحاجبه رباح ، مولاه .

وكان معاوية جهم الوجه ، جاحظ العين ، وافر اللحية ، عريض الصدر ، عظيم الإليتين ، قصير الساقين والفخذين ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وتوفي مستهلّ رجب ، ويقال للنصف من رجب سنة ٦٠ ، وهو ابن سبع وسبعين سنة ، ويقال ثمانين سنة ، وقد كان

---

(١) الضحاك بن قيس : سيد بني فهر في عصره . شهد صفين مع معاوية ، فولّاه على الكوفة سنة ٥٣ هـ (بعد موت زياد بن أبيه) فتفقد الخورنق وأصلحه . تولى الصّلاة على معاوية يوم وفاته ، وقام بخلافته إلى أن قدم يزيد . امتنع عن بيعة مروان بن الحكم وقتل في مرج راهط سنة ٦٥ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٣ : ٢١٤]

ضعف ونحل ، وسقطت ثنيّتاه[1] .

قال صالح بن عمرو : ورأيت معاوية على المنبر معتمّاً بعمامة سوداء ، قد سدلها على فيه ، وهو يقول : معشر الناس ! كبرت سنّي ، وضعفت قوّتي ، وأُصبت في أحسني ، فرحم الله من دعا لي ! ثمّ بكى ، فبكى معه الناس .

وخرج الضحّاك بن قيس ، لمّا مات معاوية ، فوضع أكفانه على المنبر ، ثمّ قال : إن معاوية كان ناب العرب وحبلها ، وقد مات ، وهذه أكفانه ونحن مُدرجوه فيها ، ومورِدوه قبره ، ثمّ هو آخر اللّقاء .

وصلى عليه الضحّاك بن قيس الفهريّ لغيبة يزيد في ذلك الوقت ، ودفن بدمشق ، وخلّف من الذكور أربعة : يزيد ، وعبد الله ، ومحمداً ، وعبد الرحمٰن .

وأقام الحجّ في أيّامه سنة ٤١ و٤٢ عتبة[2] بن أبي سفيان ؛ وفي سنة ٤٣ مروان[3] بن الحكم ؛ وفي سنة ٤٤ معاوية بن أبي سفيان ؛ وفي سنة ٤٥ مروان بن الحكم ؛ وفي سنة ٤٦ عتبة بن أبي سفيان ؛ وفي سنة ٤٧ عتبة بن أبي سفيان ؛ وفي سنة ٤٨ مروان بن الحكم ؛ وفي سنة ٤٩ سعيد[4] بن العاص ؛ وفي سنة ٥٠ معاوية بن أبي سفيان ؛ وفي سنة ٥١ يزيد بن معاوية ؛ وفي سنة ٥٢ سعيد بن العاص ؛ وفي سنة ٥٣

---

(١) الثنايا: مقدم الأسنان .

(٢) تقدّمت ترجمته .

(٣) تقدّمت ترجمته .

(٤) سعيد بن العاص : صحابي ، من الأمراء الفاتحين . ربي في حجر عمر بن الخطاب . ولاّه عثمان الكوفة فشكوه أهلها فاستدعاه إلى المدينة ، وحين قامت الثورة على عثمان دافع عنه وقاتل دونه إلى أن قتل عثمان ، فخرج إلى مكة حتى ولاية معاوية الذي عهد إليه بولاية المدينة إلى أن مات سنة ٥٩ هـ .

[طبقات ابن سعد ٥: ١٩]

سعيد بن العاص أيضاً ؛ وفي سنة ٥٤ مروان بن الحكم ؛ وفي سنة ٥٥ مروان بن الحكم أيضاً ؛ وفي سنة ٥٦ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ؛ وفي سنة ٥٧ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان أيضاً ؛ وفي سنة ٥٨ الوليد بن عتبة أيضاً ؛ وفي سنة ٥٩ عثمان بن محمّد بن أبي سفيان .

وغزا بالناس في ولايته سنة ٤١ ، وجّه حبيب[(١)] بن مسلمة ، فصالح صاحب الروم ، وكره أن يشغله .

وسنة ٤٣ غزا بسر[(٢)] بن أبي أرطأة أرض الروم ، ومشتاه بها .

سنة ٤٤ غزا عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد حتى بلغ قلونية[(٣)] .

سنة ٤٥ عبد الرحمٰن بن خالد بن الوليد وشتا بأرض الروم .

وبلغ انطاكية سنة ٤٦ مالك بن عبدالله الخثعميّ ، وقيل مالك بن هبيرة السكونيّ ، وشتا بأرض الروم .

سنة ٤٧ مالك[(٤)] بن هبيرة السكونيّ وشتا بأرض الروم .

سنة ٤٨ عبد الرحمٰن العتبي وبلغ انطاكية السوداء .

سنة ٤٩ فُضالة بن عبيد ، ففتح الله على يده ، وسبَى سبياً كثيراً .

سنة ٥٠ غزا بسر بن أبي أرطأة ، وشتا سفيان بن عوف .

سنة ٥١ غزا محمد بن عبد الرحمٰن ، وشتا فضالة بن عبيد الأنصاريّ .

---

(١) تقدّمت ترجمته . وهو المشهور بحبيب الفهري .

(٢) تقدّمت ترجمته .

(٣) قلونية : بلد بالروم بينه وبين قسطنطينية ستون بريداً .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٤) مالك بن هبيرة : من رؤساء كندة في العصر الأموي بالشام ، ومن الخطباء . كان مع معاوية أيام صفين . ولما بويع معاوية ، جاءه فخطب بين يديه ، وقال : «أبسط يدك أبايعك على ما أحببنا وكرهنا» فكان أول من بايع على ذلك . توفي سنة ٦٥ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٥ : ٢٦٧]

سنــة ٥٢ سفيان بن عــوف ، فتوفّي ، فـاستخلف عبـد الله بن مسعـدة الفزاريّ .

سنــة ٥٣ محمّد بن مـالك ، وقيـل فتحت طرطـوس في هذه السنـة ، فتحها جنادة[1] بن أبي أميّة الأزدي .

سنة ٥٥ مالك بن عبد الله الخثعميّ ، وشتا بأرض الروم .

سنة ٥٦ يزيـد بن معاويـة ، فبلغ القسطنـطينيّة ، وشتـا مسعود بن أبي مسعود ، وكان على البرّ يزيد بن شجرة ، وعلى البحر عياض بن الحارث ، كل هذا يقال .

سنة ٥٧ عبد الله بن قيس .

سنة ٥٨ مالك بن عبد الله الخثعميّ ، ويقال عمرو بن يزيد الجهنيّ ، وقيل يزيد بن شجرة في البحر .

سنة ٥٩ عمرو بن مرّة الجهنيّ في البرّ ، لم يكن عامئذ غزوة بحر .

وكان الفقهاء في أيّام معاوية عبد الله بن عبّاس ، عبد الله بن عمر بن الخطّاب ، المسور بن مَخْرَمَة الزهريّ ، السائب بن يزيد ، عبد الرحمٰن بن حاطب ، أبو بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث ، سعيـد بن المسيب ، عروة ابن الزبير، عطاء بن يسار، القاسم بن محمد بن أبي بكـر، عَبِيدة بن قيس السّلْمـانيّ ، الربيـع بـن خُثَيْم الثـوريّ ، زِرّ بن حُبَيْش ، الحـارث بن قيس الجعفيّ ، عمـرو بن عتبة بن فـرقد ، الأحنف بن قيس ، الحـارث بن عمير الزبيدي ، سويد بن غَفَلة الجعفيّ ، عمـرو بن ميمون الأوديّ ، مـطرِّف بن

(١) جنادة بن أبي أُمية : قـائد بحـري ، صحابي . كـان قائـد غزوات البحـر أيام معـاوية كلها . دخل جزيرة رودس فاتحاً سنـة ٥٣ هـ . أراد معـاويـة استلحاقـه أخاً كمـا فعل بزياد فأبى ذلك جنادة . توفي بالشام سنة ٨٠ هـ .

[تهذيب ابن عساكر ٣ : ٤٠٨]

عبد الله بن الشخّير شَقيق ابن سلمة، عمرو بن شرحبيل ، عبد الله بن يزيد الخطميّ ، الحارث الأعور الهمدانيّ ، مسروق بن الأجدع ، علقمة بن قيس الخثعميّ ، شُرَيح بن الحارث الكنديّ ، زيد بن وهب الهمداني .

أيام يزيد[1] بن معاوية

وملك يزيد بن معاوية ، وأمّه ميسون بنت بحدل الكلبيّ ، في مستهلّ رجب سنة ٦٠ ، وكانت الشمس يومئذ في الثور درجة وعشرين دقيقة ؛ والقمر في العقرب . . . . . .[2] درجات وثلاثين دقيقة ؛ وزحل في السرطان إحدى عشرة درجة ، والمشتري في الجدي تسع عشرة درجة ؛ والمرّيخ في الجوزاء اثنتين وعشرين درجة وثلاثين دقيقة ؛ والزهرة في الجوزاء ثماني درجات وخمسين دقيقة ؛ وعطارد في الثور عشرين درجة وثلاثين دقيقة ؛ وكان غائباً فلمّا قدم دمشق كتب إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ؛ وهو عامل المدينة: إذا أتاك كتابي هذا، فأحضر الحسين بن عليّ، وعبدالله ابن الزبير، فخذهما بالبيعة لي ، فإن امتنعا فاضرب أعناقهما ، وابعث لي برؤوسهما ، وخذ الناس بالبيعة ، فمن امتنع فأنفذْ فيه الحكم ، وفي الحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير ، والسلام .

فورد الكتاب على الوليد ليلاً ، فوجّه إلى الحسين وإلى عبد الله بن الزبير ، فأخبرهما الخبر ، فقالا : نصبح ونأتيك مع الناس . فقال له مروان : إنّهما والله إن خرجا لم ترهما ، فخذهما بأن يبايعا ، وإلاّ فاضرب أعناقهما . فقال : والله ما كنت لأقطع أرحامهما! فخرجا من عنده وتنحيا من

---

(١) يزيد بن معاوية : ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام . كان نزوعاً إلى اللهو ، يُروى له شعر رقيق ، وإليه ينسب «نهر يزيد» في دمشق . وُلد بالماطرون سنة ٢٥ هـ . وتوفي بحوارين من أرض حمص سنة ٦٤ هـ . وفيه قول أحد الشعراء :

يا أيُّها القبر بحوارينا ضممت شرَّ الناس أجمعينا

[جمهرة الأنساب : ١٠٣]

(٢) بياض في الأصل .

تحت ليلتهما ، فخرج الحسين إلى مكّة ، فأقام بها أيّاماً ، وكتب أهل العراق إليه ، ووجّهوا بالرسل على أثر الرسل ، فكان آخر كتاب ورد عليه منهم كتاب هانىء بن أبي هانىء ، وسعيد بن عبد الله الخثعميّ :

بسم الله الرحمٰن الرحيم ، للحسين بن عليّ من شيعته المؤمنين والمسلمين ، أمّا بعد فحيّ هَلا ، فإنّ الناس ينتظرونك ، لا إمام لهم غيرك ، فالعجل ثمّ العجل والسلام .

فوجّه إليهم مسلم[1] بن عقيل بن أبي طالب ، وكتب إليهم ، وأعلمهم أنّه أثر كتابه ، فلمّا قدم مسلم الكوفة اجتمعوا إليه ، فبايعوه وعاهدوه وعاقدوه ، وأعطوه المواثيق على النصرة والمشايعة والوفاء .

وأقبل الحسين من مكّة يريد العراق ، وكان يزيد قد ولّى عبيد الله بن زياد العراق ، وكتب إليه : قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم ، وأنّه قد خرج من مكّة متوجّهاً نحوهم ، وقد بُلي به بلدك من بين البلدان ، وأيّامك من بين الأيّام ، فإن قتلته ، وإلاّ رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد ، فاحذر أن يفوتك .

مقتل الحسين[2] بن عليّ

وقدم عبيد الله بن زياد الكوفة ، وبها مسلم بن عقيل قد نزل على هانىء بن عروة ، وهانىء شديد العلّة ، وكان صديقاً لابن زياد ، فلمّا قدم

---

(١) مسلم بن عقيل : تابعي ، من ذوي الرأي والعلم والشجاعة . كان مقيماً بمكة ، وانتدبه الحسين بن علي ليتعرف له حال أهل الكوفة حين وردت عليه كتبهم يدعونه ويبايعون له . قبض عليه ابن زياد وقتله سنة ٦٠ هـ . وفي الكوفة الآن ، ضريح يُقال إنه قبره الذي دفن فيه ، وهو معروف باسمه .

[الكامل لابن الأثير ٤ : ٨ ـ ١٥]

(٢) الحسين بن علي : أبو عبد الله ، السبط الشهيد ، ابن فاطمة الزهراء . وفي الحديث : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة . اختلفوا في الموضع الذي دفن فيه الرأس فقيل في دمشق ، وقيل في كربلاء مع الجثة ، وقيل في مكان آخر ، =

ابن زياد الكوفة أُخبر بعلّة هانىء ، فأتاه ليعوده ، فقال هانىء لمسلم بن عقيل وأصحابه ، وهم جماعة : إذا جلس ابن زياد عندي وتمكّن ، فإني سأقول اسقوني ، فاخرجوا فاقتلوه ؛ فأدخلهم البيت وجلس في الرواق .

وأتاه عبيد الله بن زياد يعوده ، فلمّا تمكّن قال هانىء بن عروة : اسقوني ! فلم يخرجوا ، فقال : اسقوني ، ما يؤخّركم ؟ ثمّ قال : اسقوني، ولو كانت فيه نفسي، ففهم ابن زياد، فقام، فخرج من عنده، ووجّه بالشرط يطلبون مسلماً ، وخرج وأصحابه ، وهو لا يشك في وفاء القوم ، وصحّة نيّاتهم ، فقاتل عبيدالله ، فأخذوه ، فقتله عبيدالله ، وجرّ برجله في السوق ، وقتل هانىء بن عروة لنزول مسلم منزله وإعانته إيّاه .

وسار الحسين يريد العراق ، فلمّا بلغ القُطْقُطانة[1] أتاه الخبر بقتل مسلم بن عقيل ووجّه عبيد الله بن زياد ، لمّا بلغه قربه من الكوفة ، بالحُرّ بن يزيد ، فمنعه من أن يعدل[2] ، ثمّ بعث إليه بعمر بن سعد بن أبي وقاص في جيش ، فلقي الحسين بموضع على الفرات يقال له كربلاء ، وكان الحسين في اثنين وستّين ، أو اثنين وسبعين رجلاً من أهل بيته وأصحابه ، وعمر بن سعد في أربعة آلاف ، فمنعوه الماء ، وحالوا بينه وبين الفرات ، فناشدهم الله عزّ وجلّ ، فأبوا إلاّ قتاله أو يستسلم ، فمضوا به إلى عبيد الله بن زياد فيرى رأيه فيه ، وينفذ فيه حكم يزيد ، فروي عن عليّ بن الحسين أنّه قال : إني لجالس في العشيّة التي قتل أبي الحسين

= فتعددت المراقد ، وتعذرت معرفة مدفنه ، وكان مقتله يوم الجمعة عاشر المحرّم سنة ٦١ هـ .

[تهذيب ابن عساكر ٤ : ٣١١]

(١) القطقطانة : موضع قرب الكوفة من جهة البرية بالطف ، به كان سجن النعمان بن المنذر .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) يعدل : أن يحيد أو يميل .

ابن علي في صبيحتها ، وعمّتي زينب تمرّضني ، إذ دخل أبي ، وهو يقول :

يا دَهْرُ أُفٍ لك من خَليلِ ، كم لَكَ في الإشراقِ والأصيلِ
من طالِبٍ وصاحبٍ قَتيلِ ، وَالدّهْرُ لا يقْنَعُ بالبَديلِ
وإنّما الأمْرُ إلى الجَليلِ ، وكُلّ حَيّ سالِكُ السّبِيلِ

ففهمتُ ما قال ، وعرفتُ ما أراد ، وخنقتني عبرتي ، ورددت دمعي ، وعرفت أن البلاء قد نزل بنا ، فأمّا عمّتي زينب ، فإنّها لمّا سمعت ما سمعت ، والنساء من شأنهنّ الرقّة والجزع ، لم تملك أن وثبت تجرّ ثوبها حاسرةً ، وهي تقول : وا ثكلاه ! ليت الموت أعدمني الحياة اليوم ! ماتت فاطمة وعليّ والحسن بن عليّ أخي ؛ فنظر إليها فردّد غصته ، ثمّ قال : يا أختي اتّقي الله ، فإنّ الموت نازل لا محالة ! فلطمت وجهها ، وشقّت جيبها ، وخرّت مغشيّاً عليها ، وصاحت : وا ويلاه ! وا ثكلاه ! فتقدم إليها ، فصبّ على وجهها الماء ، وقال لها : يا أختاه ، تعزّي بعزاء الله ، فإنّ لي ولكلّ مسلم أسوة برسول الله ، ثمّ قال : إني أقسم عليك ، فأبرّي قسمي ، لا تشقّي عليّ جيباً ولا تخشمي عليّ وجهاً ، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور ، ثمّ جاء بها حتى أجلسها عندي ، فإني لمريض مدنف[1]،وخرج إلى أصحابه .

فلمّا كان من الغد خرج فكلّم القوم ، وعظّم عليهم حقّه ، وذكّرهم الله عزّ وجلّ ورسوله ، وسألهم أن يخلوا بينه وبين الرجوع ؛ فأبوا إلّا قتاله ، أو أخذه حتى يأتوا به عبيد الله بن زياد ، فجعل يكلّم القوم بعد القوم والرجل بعد الرجل ، فيقولون : ما ندري ما تقول : فأقبل على أصحابه فقال : إن القوم ليسوا يقصدون غيري ، وقد قضيتم ما عليكم فانصرفوا ، فأنتم في حلّ . فقالوا : لا والله ، يا بن رسول الله ، حتى

---

(١) المدنف: المشرف على الموت .

تكون أنفسنا قبل نفسك ، فجزاهم الخير .

وخرج زهير بن القين على فرس له فنادى : يا أهل الكوفة ! نَذارِ لكم من عذاب الله ! نَذار عباد الله ! ولد فاطمة أحقّ بالودّ والنصر من ولد سميّة[1] ، فإن لم تنصروهم ، فلا تقاتلوهم . أيّها الناس ! إنّه ما أصبح على ظهر الأرض ابن بنت نبيّ إلاّ الحسين ، فلا يعين أحد على قتله ولو بكلمة إلاّ نغّصه الله الدنيا ، وعذّبه أشدّ عذاب الآخرة .

ثمّ تقدّموا رجلاً رجلاً ، حتى بقي وحده ما معه أحد من أهله ، ولا ولده ، ولا أقاربه ، فإنّه لواقف على فرسه إذ أُتيَ بمولود قد ولد له في تلك الساعة ، فأذّن في أذنه ، وجعل يحنّكه[2] ، إذ أتاه سهم ، فوقع في حلق الصبيّ ، فذبحه ، فنزع الحسين السهم من حلقه ، وجعل يلطخه بدمه ويقول : والله لأنت أكرم على الله من الناقة ، ولمحمّد أكرم على الله من صالح ! ثمّ أتى فوضعه مع ولده وبني أخيه ، ثمّ حمل عليهم ، فقتل منهم خلقاً عظيماً ، وأتاه سهم فوقع في لبّته[3] ، فخرج من قفاه ، فسقط ، وبادر القوم فاحتزّوا رأسه ، وبعثوا به إلى عبيد الله بن زياد ، وانتهبوا مضاربه ، وابتزّوا حرمه ، وحملوهنّ إلى الكوفة ، فلمّا دخلن إليها خرجت نساء الكوفة يصرخن ويبكين ، فقال عليّ بن الحسين : هؤلاء يبكين علينا فمن قَتَلنا ؟ .

وأُخرج عيال الحسين وولده إلى الشأم ، ونُصب رأسه على رمح ، وكان مقتله لعشر ليال خلون من المحرّم سنة ٦١ ؛ واختلفوا في اليوم ، فقالوا : يوم السبت ، وقالوا : يوم الاثنين ؛ وقالوا : يوم الجمعة ، وكان من شهور العجم في تشرين الأوّل .

---

(١) يريد عبيد الله بن زياد .

(٢) يحنكه : يهذّبه .

(٣) اللبة : موضع النحر .

قال الخوارزميّ[1] : وكانت الشمس يومئذ في الميزان سبع عشرة درجة وعشرين دقيقة ؛ والقمر في الدلو عشرين درجة وعشرين دقيقة ؛ وزحل في السرطان تسعاً وعشرين درجة وعشرين دقيقة ؛ والمشتري في الجدي اثنتي عشرة درجة وأربعين دقيقة ؛ والزهرة في السنبلة خمس درجات وخمسين دقيقة ؛ وعطارد في الميزان خمس درجات وأربعين دقيقة ؛ والرأس في الجوزاء درجة وخمساً وأربعين دقيقة .

ووضع الرأس بين يدي يزيد ، فجعل يزيد يقرع ثناياه[2] بالقصب .

وكان أوّل صارخة صرخت في المدينة أمّ سَلِمة زوج رسول الله ، كان دفع إليها قارورة فيها تربة ، وقال لها : إن جبرائيل أعلمني أن أُمتي تقتل الحسين ، وأعطاني هذه التربة ، وقال لي : إذا صارت دماً عبيطاً[3] فاعلمي أن الحسين قد قتل ، وكانت عندها ، فلمّا حضر ذلك الوقت جعلت تنظر إلى القارورة في كلّ ساعة ، فلمّا رأتها قد صارت دماً صاحت : وا حسيناه ! وابن رسول الله ! وتصارخت النساء من كلّ ناحية ، حتى ارتفعت المدينة بالرجّة التي ما سُمع بمثلها قطّ .

وكانت سنّ الحسين يوم قتل ستّاً وخمسين سنة ، وذلك أنّه ولد في سنة ٤ من الهجرة .

وقيل للحسين : ما سمعت من رسول الله ؟ قال : سمعته يقول : إنّ الله يحبّ معالي الأمور ويكره سفسافها ؛ وعقلتُ عنه أنّه يكبّر فأكبّر خلفه ،

---

(١) الخوارزمي : هو محمد بن موسى ، رياضي فلكي مؤرخ ، من أهل خوارزم ، ينعت بالأستاذ . أقامه المأمون العباسي قيماً على خزانة كتبه ، وعهد إليه بجمع الكتب اليونانية وترجمتها ، وأمره باختصار «المجسطي» لبطليموس ، فاختصره وسمّاه «السند هند» أي الدهر الداهر ، فكان هذا الكتاب أساساً لعلم الفلك بعد الإسلام .

[دائرة المعارف الإسلامية ٩ : ١٨ ـ ٢٢]

(٢) الثنايا : مقدمات الأسنان . واحدها : ثنية .

(٣) دم عبيط : خالص طريّ .

فإذا سمع تكبيري أعاد التكبير حتى يكبّر سبعاً ؛ وعلّمني : قل هو الله أحد ، وعلّمني الصلوات الخمس ، وسمعته يقول : من يُطِع الله يرفعه ، ومن يَعْصِ الله يضعه ، ومن يخلص نيّته لله يزينه ، ومن يثق بما عند الله يغنه ، ومن يتعزز على الله يذلّه .

وقال بعضهم : سمعت الحسين يقول : الصدق عزّ ، والكذب عجز ، والسرّ أمانة ، والجوار قرابة ، والمعونة صداقة ، والعمل تجربة ، والخلق الحسن عبادة ، والصمت زين ، والشحّ فقر ، والسخاء غنى ، والرفق لبّ .

ووقف الحسين بن عليّ بالحسن البصري[1] ، والحسن لا يعرفه ، فقال له الحسين : يا شيخ هل ترضى لنفسك يوم بعثك ؟ قال : لا ! قال : فتحدّث نفسك بترك ما لا ترضاه لنفسك من نفسك يوم بعثك ؟ قال : نعم بلا حقيقة . قال : فمن أغشّ لنفسه منك يوم بعثك ، وأنت لا تحدث نفسك بترك ما لا ترضاه لنفسك بحقيقة ؟ ثمّ مضى الحسين ، فقال الحسن البصري : مَن هذا ؟ فقيل له : الحسين بن علي . فقال : سهّلتم عليّ .

وكان للحسين من الولد : عليّ الأكبر ، لا بقية له ، قُتل بالطّفّ ، وأمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي ، وعليّ الأصغر ، وأُمّه حرار بنت يزدجرد ، وكان الحسين سمّاها غزالة .

وقيل لعليّ بن الحسين : ما أقلّ ولد أبيك ! قال : العجب كيف ولدت له ، إنّه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، فمتى كان يفرغ للنساء ؟ .

---

(١) الحسن البصري : هو الحسن بن يسار ، تابعي ، كان إمام أهل البصرة ، وحبر الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء . وُلد بالمدينة ، وشبّ في كنف علي بن أبي طالب . قال عنه الغزالي : كان الحسن البصري أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء ، وأقربهم هدياً من الصحابة . توفي بالبصرة سنة ١١٠ هـ .

[أمالي المرتضى ١ : ١٠٦]

وأقام عبد الله بن الزبير بمكة خالعاً يزيد ، ودعا إلى نفسه ، وأخرج عامل يزيد . ووجّه إليه يزيد بن عضاه الأشعريّ ، وكتب إليه يعطيه الأمان ، ويعلمه أنّه كان حلف ألاّ يقبل بيعته إلاّ وهو في جامعة حديد[1] ، حتى يبايع ثمّ يطلقه . وكان مروان بن الحكم عامل المدينة ، فكره ابن الزبير أن يجيب إلى ذلك ، وداخله الهلع عندما بلغه من قتل الحسين ، فوجّه إليه مع بعض ثقاته بشعر يقول فيه :

فخُذْهَا فَلَيْستْ للعزيزِ بخطّةٍ وفيها مَقالٌ لامرِىءٍ متُذَلّل

وكان ابن الزبير شديد العزة ، فلم يفعل ، وأجاب ابن عضاه بجواب غليظ ، فقال ابن عضاه : إنّ الحسين بن عليّ كان أجلّ قدراً في الإسلام وأهله من قبل ، وقد رأيت حاله . فقال له ابن الزبير : إن الحسين بن عليّ خرج إلى من لا يعرف حقّه ، وإن المسلمين قد اجتمعوا عليّ . فقال له : فهذا ابن عبّاس ، وابن عمر لم يبايعك ، وانصرف .

وأخذ ابن الزبير عبد الله بن عباس بالبيعة له ، فامتنع عليه ، فبلغ يزيد بن معاوية أن عبد الله بن عباس قد امتنع على ابن الزبير ، فسرّه ذلك ، وكتب إلى ابن عبّاس : أما بعد فقد بلغني أن الملحد ابن الزبير دعاك إلى بيعته ، وعرض عليك الدخول في طاعته لتكون على الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكاً ، وأنّك امتنعت عليه ، واعتصمت ببيعتنا وفاء منك لنا ، وطاعةً لله فيما عرّفك من حقّنا . فجزاك الله من ذي رحم بأحسن ما يجزي به الواصلين لأرحامهم ، فإنّي ما أنْسَ من الأشياء فلست بناسٍ برّك ، وحسن جزائك ، وتعجيل صلتك بالّذي أنْت منّي أهله في الشرف والطاعة والقرابة بالرسول ، وانظر ، رحمك الله ، فيمن قِبلك من قومك ، ومن يطرؤ عليك من الآفاق ممن يسحره الملحدُ بلسانه وزُخْرُفِ قوله ، فأعْلِمْهم حسنَ رأيك في طاعتي والتمسّك ببيعتي ، فإنّهم لك أطْوَع ،

---

(١) الجامعة : الغُل والقيد .

ومنك أسمع منهم للمُحلّ الملحد. والسلام .

فكتب إليه عبد الله بن عباس : من عبد الله بن عباس إلى يزيد بن معاوية . أمّا بعد ، فقد بلغني كتابك بذكر دعاء ابن الزبير إيّاي إلى نفسه وامتناعي عليه في الذي دعاني إليه من بيعته ، فإن يكُ ذلك كما بلغك ، فلستُ حمدَك أردتُ ، ولا ودّك ، ولكن الله بالّذي أنوي عليم . وزعمتَ أنّك لستَ بناسٍ ودّي فلعمري ما تؤتينا ممّا في يديك من حقّنا إلاّ القليل، وإنّك لتحبس عنّا منه العريض الطويل ، وسألتني أن أحثّ الناسَ عليك وأخذّلهم عن ابن الزبير، فلا ، ولا سروراً ، ولا حبوراً ، وأنْت قتلت الحسين بن عليّ ، بفيك الكَثْكَثُ[1] ، ولك الأثْلَبُ[2] ، إنّك إن تمنّك نفسك ذلك لَعازبُ الرأي ، وإنّك لأنْت المُفْنِد المُهوّر[3] . لا تحسبني ، لا أبا لك ، نسيتُ قتلك حسيناً وفتيان بني عبد المطلب ، مصابيح الدّجى ، ونجوم الأعلام ، غادَرَهم جنودك مصرَّعين في صعيد ، مُرَمّلين بالتراب ، مسلوبين بالعراء ، لا مكفّنين ، تسفي عليهم الرياح ، وتعاورهم[4] الذئاب ، وتنشي بهم عرج الضباع ، حتى أتاح الله لهم أقواماً لم يشتركوا في دمائهم ، فأجنّوهم[5] في أكفانهم ، وبي والله وبهم عززت وجلست مجلسك الذي جلستَ ، يا يزيد .

وما أنْسَ من الأشياء ، فلست بناسٍ تسليطك عليهم الدعيّ[6] العاهر ، ابن العاهر ، البعيد رحماً ، اللئيم أباً وأُمّاً ، الذي في ادّعاء أبيك إيّاه ما اكتسب أبوك به إلاّ العار والخزي والمذلّة في الآخرة والأولى، وفي الممات والمَحيا ، إنّ نبيّ الله قال : الولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، فألحقه بأبيه

---

(١) الكثكث : التراب .

(٢) الأثلب : الأسوء وكل ما يشين .

(٣) المفند المهور : الكاذب المتهوّر .

(٤) تعاورهم : تتناوبهم .

(٥) أجنّوهم : ستروهم .

(٦) الدعي : زياد الذي ألحقه به معاوية .

كما يُلْحَقُ بالعفيف النقي ولدُه الرشيدُ ، وقد أمات أبوك السنّة جهلاً ، وأحيا البِدع والأحداث المضلّة عمداً .

وما أنس من الأشياء ، فلست بناسٍ اطرادك الحسين بن عليّ من حرم رسول الله إلى حرم الله ، ودسّك إليه الرجال تغتاله ، فأشخصته من حرم الله إلى الكوفة ، فخرج منها خائفاً يترقّب ، وقد كان أعزّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً ، وأعزّ أهلها بها حديثاً ، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوّأ بها مقاماً واستحلّ بها قتالاً ، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحلّ حرمة البيت وحرمة رسول الله فأكبر من ذلك ما لم تكبر حيث دسستَ إليه الرجال فيها ليقاتل في الحرم وما لم يكبر ابن الزبير حيث ألحد بالبيت الحرام وعرضه للعائر[1] وأراقل[2] العالم ، وأنت ؟ لأنت المستحلّ فيما أظن بل لا شكّ فيه أنك لَلْمُحرّف العريف ، فإنّك حلف نسوة ، صاحب ملاهٍ ، فلمّا رأى سوء رأيك شخص إلى العراق ، ولم يبتغك ضراباً ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

ثمّ انّك الكاتب إلى ابن مرجانة[3] أن يستقبل حسيناً بالرجال ، وأمرته بمعاجلته ، وترك مطاولته ، والإلحاح عليه ، حتى يقتله ومَن معه من بني عبد المطّلب ، أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس ، وطهّرهم تطهيراً ، فنحن أولئك لسنا كآبائك الأجلاف الجفاة الأكباد الحمير .

ثمّ طلب الحسين بن عليّ إليه الموادعة ، وسألهم الرجعة ، فاغتنمتم قلّة أنصاره ، واستئصال أهل بيته ، فعدوتم عليهم ، فقتلوهم كأنّما قتلوا أهل بيت من الترك والكفر ، فلا شيء عندي أعجب من طلبك ودّي ونصري ، وقد قتلتَ بني أبي ، وسيفك يقطر من دمي ، وأنت آخذ ثأري ، فإن يشأ الله لا يطلّ لديك دمي ولا تسبقني بثأري ، وإن سبقتني به في

(١) العائر من السهام : ما لا يُدرى راميه .
(٢) الأراقل ، هنا : المفازات .
(٣) يريد عبيد الله بن زياد .

الـدنّيا ، فقبلنـا ما قُتـل النبيّـون وآل النبيّين وكـان الله المـوعـد ، وكفى بـه للمـظلومين ناصـراً ، ومن الـظالمين منتقمـاً . فـلا يعجبنّـك أن ظفـرت بنـا اليوم ، فوالله لنظفرنّ بك يوماً .

فـأمّا مـا ذكرت من وفـائي ، وما زعمت من حقي ، فـإن يـك ذلـك كـذلك ، فقـد والله بـايعت أبـاك ، وإنّي لأعلم أنّ ابني عمّي وجميـع بني أبي أحقّ بهـذا الأمر من أبيـك ، ولكنّكم ، معاشـر قريش ، كـاثـرتمـونـا ، فاستأثرتم علينا سلطاننا ، ودفعتمونا عن حقنا ، فبعداً على من يجترىء على ظلمنا ، واستغوى السفهاء علينا ، وتولّى الأمر دوننا . فبعداً لهم كما بعـدت ثمود[1] ، وقـوم لوط[2] ، وأصحاب مدين ، ومكذّبو المرسلين .

ألا ومن أعجب الأعاجيب ، وما عشتُ أراك الدهرُ العجيبَ ، حملك بنـات عبـد المـطلب وغلمـة صغـاراً من ولـده إليـك بـالشـأم كـالسبي المجلوب ، تُـري الناسَ أنّـك قهـرتنـا ، وأنّـك تـأمـر علينـا ، ولعمـري لئن كنت تصبـح وتمسي آمنـاً لجرح يـدي ، إني لأرجـو أن يعـظم جـراحـك بلسـاني ونقضي وإبـرامي ، فـلا يستقـرّ بك الجـدل ، ولا يمهلك الله بعد قتلك عترة رسول الله إلاّ قليـلاً ، حتى يأخذك أخذاً أليماً ، فيخرجك الله من الدنيا ذميماً أثيماً ، فعشْ لا أبـا لك ، فقد والله أرداك عند الله ما اقترفت . والسلام على من أطاع الله .

وولّى يزيد عثمان بن محمد بن أبي سفيان المدينة ، فأتـاه ابن مينا ، عامل صوافي معاوية ، فأعلمه أنّه أراد حمل ما كان يحمله في كلّ سنـة من تلك الصـوافي من الحنـطة والتمـر ، وأن أهـل المـدينـة منعـوه من ذلـك ، فأرسل عثمـان إلى جماعـة منهم ، فكلّمهم بكلام غليظ ، فـوثبوا بـه وبمن كان معه بالمدينة من بني أمية ، وأخرجوهم من المدينة واتّبعوهم يرجمونهم

---

(١) ثمود : من القبائل البائدة .

(٢) لوط : ابن أخي إبراهيم . تحوّلت امرأتـه إلى شخص من الملح لأنها نـظرت وراءها عند خروجها من سدوم المدينة المضروبة بغضب الله على أبنائها الـذين فعلوا ما فعلوا فنسب إليهم اللواط .

بالحجارة ، فلمّا انتهى الخبر إلى يزيد بن معاوية وجّه إلى مسلم[1] بن عقبة ، فأقدمه من فلسطين ، وهو مريض ، فأدخله منزله ، ثمّ قصّ عليه القصة ، فقال : يا أمير المؤمنين ! وجّهني إليهم ، فوَالله لأدعَنّ أسفلها أعلاها ، يعني مدينة الرسول ، فوجّهه في خمسة آلاف إلى المدينة ، فأوقع بأهلها وقعة الحرّة[2] ، فقاتله أهل المدينة قتالاً شديداً ، وخندقوا على المدينة ، فرام ناحية من نواحي الخندق ، فتعذّر ذلك عليه ، فخدع مروان بعضهم ، فدخل ومعه مائة فارس ، فأتبعه الخيل حتى دخلت المدينة ، فلم يبق بها كثير أحدٍ إلاّ قتل ، وأباح حرم رسول الله ، حتى ولدت الأبكار لا يُعرف مَن أولدهنّ ، ثمّ أخذ الناس على أن يبايعوا على أنهم عبيد يزيد بن معاوية ، فكان الرجل من قريش يؤتى به ، فيقال : بايع آيةَ أنّك عبد قنّ[3] ليزيد ، فيقول : لا ! فيضرب عنقه ، فأتاه عليّ بن الحسين فقال : علام يريد يزيد أن أبايعك ؟ قال : على أنّك أخ وابن عمّ . فقال : وإن أردت أن أبايعك على أنّي عبد قنّ ، فعلت . فقال : ما أحشمك هذا ، فلمّا أن رأى الناس إجابة عليّ بن الحسين قالوا : هذا ابن رسول الله بايعه على ما يريد ، فبايعوه على ما أراد ، وكان ذلك سنة ٦٢ .

وكان جيش مسلم خمسة آلاف رجل : من فلسطين ألف رجل عليهم روح[4] بن زنباع الجذاميّ ، ومن الأردن ألف رجل عليهم حبيش بن دَلَجَة القينيّ ،ومن دمشق ألف رجل عليهم عبد الله بن مسعدة الفزاريّ ، ومن أهل حمص ألف رجل عليهم الحصين بن نمير السكونيّ ، ومن قنّسرين ألف رجل عليهم زفر[5] بن الحارث الكلابي . وكان المدبّر لأمر أهل

---

(١) مسلم بن عقبة : تقدّمت ترجمته .

(٢) وقعت سنة ثلاث وستين . والحرّة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار .

(٣) القنّ : عبدٌ مُلِك هو وأبواه .

(٤) تقدّمت ترجمته .

(٥) زفر بن الحارث : من أهل الجزيرة . كان كبير قيس في زمانه . شهد صفين مع =

المدينة والرئيس في محاربة أهل الشأم عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر الأنصاريّ .

وخرج مسلم بن عقبة من المدينة يريد مكة لمحاربة ابن الزبير ، فلمّا صار بثنيّة المُشلّل[1] احتُضر ، واستخلف الحصين بن نمير ، وقال له : يا بردعة الحمار ! لولا حبيش بن دلجة القينيّ لما ولّيتك ، فإذا قدمت مكّة ، فلا يكون عملك إلّا الوقاف ثمّ الثقاف ، ثمّ الانصراف ، ثمّ قال : أللهمّ إن عذّبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية وقتل أهل الحرّة ، فإنّي إذاً لشقيّ . ثمّ خرجت نفسه فدفن بثنيّة المُشلّل ، وجاءت أمّ ولد يزيد بن عبد الله بن زمعة ، فنبشته وصلبته على المُشلل ، وجاء الناس فرجموه ، وبلغ الخبر الحصين بن نمير فرجع فدفنه ، وقتل جماعة من أهل ذلك الموضع ، وقيل لم يدع منهم أحداً .

وقدم الحصين بن نمير مكّة فناوش ابن الزبير الحربَ في الحرم ، ورماه بالنيران حتى أحرق الكعبة ، وكان عبد الله بن عمير الليثيّ قاضي ابن الزبير ، إذا تواقف الفريقان قام على الكعبة ، فنادى بأعلى صوته : يا أهل الشأم ! هذا حرم الله الذي كان مأمناً في الجاهليّة يأمن فيه الطير والصيد ، فاتّقوا الله ، يا أهل الشأم ! فيصيح الشاميون : الطاعة الطاعة ! الكرّة الكرّة ! الرواح قبل المساء ! فلم يزل على ذلك حتى أُحرقت الكعبة ، فقال أصحاب ابن الزبير : نطفىء النار ، فمنعهم ، وأراد أن يغضب الناس

= معاوية أميراً على أهل قنسرين ، وشهد وقعة مرج راهط مع الضحاك بن قيس الفهري ، وقُتل الضحاك ، فهرب زفر إلى قرقيسيا ولم يزل متحصناً فيها حتى مات نحو سنة ٧٥ هـ .

[خزانة الأدب ١ : ٣٩٣]

(١) ثنية المشلل : هي ثنية مشرفة على المدينة يطؤها من يريد مكة ، وتسمّى أيضاً «ثنية الوداع» لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودّع بها بعض من خلّفه بالمدينة في آخر خرجاته .

[ياقوت : معجم البلدان]

للكعبة ، فقال بعض أهل الشأم : إن الحرمة والطاعة اجتمعتا ، فغلبت الطاعة الحرمة . وكان حريق الكعبة في سنة ٦٣ .

وولّى يزيد سلم بن زياد خراسان ، وبعث معه بعدّة من الأشراف ، أحدهم طلحة الطلحات[1] ، وهو طلحة بن عبدالله بن خلف الخزاعيّ ، والمهلّب[2] بن أبي صفرة ، وعمر بن عبيدالله بن معمر التيميّ ، وعبد الله بن خازم السلميّ ، فصار إلى خراسان ، فأقام بنيسابور[3] ، ثمّ صار إلى خوارزم ، ففتحها .

ثمّ صار إلى بخارى ، وملكتها خاتون[4] ، فلمّا رأت كثرة جمعه هالها ذلك ، وكتبت إلى طرخون ملك السغد : إنّي متزوّجتك ، فأقبلْ إليّ لتملك بخارى ، فأقبل إليها في مائة ألف وعشرين ألفاً ، فوجّه سلم المهلّب بن أبي صفرة طليعة له لمّا بلغه إقبال طرخون ، فخرج وتبعه الناس ، فلمّا أشرفوا على عسكر طرخون زحف أصحاب طرخون إليهم ، والتحم القتال ، ورشقهم المسلمون بالنبل ، فقتل طرخون وانهزم أصحابه ، فقتل منهم بشر كثير ، فبلغت سهام المسلمين يومئذ للفارس ألفين وأربعمائة ، وللراجل ألفاً ومائتين ، ولم يزل ابن زياد بخراسان حتى توفي يزيد ، وكان يكتم موته حتى ذاع في الناس ، فانصرف سلم من خراسان ، فاستخلف عليها ابن خازم السلميّ ، وذلك أنّه خاف أن يثب به ، فداراه وبلّغه اختلاط الناس ، فأعطاه عهده ومضى .

---

(١) طلحة الطلحات : هو طلحة بن عبد الله بن خلف . وقد تقدّم . أما سبب تلقيبه بذلك فلأنه كان أجود من سمي طلحة ، أو لأن أمه هي ابنة الحارث بن أبي طلحة .
[معجم الألقاب والأسماء المستعارة]

(٢) تقدّمت ترجمته .

(٣) نيسابور : اختلف في تسميتها بهذا الاسم ، فقال بعضهم : إنما سميت بذلك لأن سابور مرّ بها وفيها قصب كثير فقال : يصلح أن يكون هٰهنا مدينة ، فقيل لها نيسابور .
[ياقوت : معجم البلدان]

(٤) تقدّم خبرها مع البربر وما آل إليه مصيرها وابنها .

وأقام ابن خازم بخراسان فعمل العجائب ، ولم يكن يردّ عليه ، وسار سليمان إلى هراة ، ووثب أوس بن ثعلبة بالطالقان[1] ، فلم يزل يحاربهما ويحارب الترك ، وهو في كل ذلك منصور عليهم .

وتوفي يزيد بن معاوية في صفر سنة ٦٤ بموضع يقال له حُوّارين[2] ، وحُمل إلى دمشق ، فدفن بها ، وصلّى عليه معاوية بن يزيد ، وكان له من الولد الذكور أربعة : معاوية ، وخالد ، وأبو سفيان ، وعبد الله ، وكان الغالب عليه حسّان بن بحدل الكلبيّ ، وروح بن زنباع الجذاميّ ، والنعمان بن بشير ، وعبد الله بن رياح ؛ وكان على شرطه عبد الله بن عامر الهمدانيّ ، وعلى حرسه سعيد مولى كلب ، وحاجبه صفوان مولاه .

وكتب مروان بن الحكم إلى الحصين بن نمير ، وهو في محاربة ابن الزبير : لا يهولنّك ما حدث ، وامضِ لشأنك . وبلغ الخبر ابن الزبير وذاع في العسكر ، فانكسرت شوكة القوم ، وأرسل الحصين بن نمير إلى ابن الزبير : نلتقي الليلة على الأمان ، فالتقيا ، فقال له الحصين بن نمير : إن يزيد قد مات ، وابنه صبيّ ، فهل لك أن أحملك إلى الشأم ، فليس بالشأم أحد ، فأبايع لك ، فليس يختلف عليك اثنان ؟ فقال ابن الزبير ، رافعاً صوته : لا والله الذي لا إله إلاّ هو ، أو تقتل بأهل الحرّة أمثالهم من أهل الشأم . فقال له الحصين : من زعم أنّك داهية فهو أحمق ، أقول لك ما لك سرّاً ، وتقول لي ما عليك علانية ؟ ثمّ انصرف .

وكان سعيد[3] بن المسيب يسمّي سني يزيد بن معاوية بالشؤم : في

---

(١) الطالقان : بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ ، وقيل : أكبر مدينة بطخارستان هي طالقان .

[ياقوت: معجم البلدان]

(٢) حوارين : من قرى حلب معروفة .

[المصدر السابق]

(٣) سعيد بن المسيّب : أحد الفقهاء السبعة بالمدينة . سمي راوية عمر . توفي بالمدينة سنة ٩٤ هـ .

السنة الأولى قُتل الحسين بن عليّ وأهل بيت رسول الله ، والثانية استبيح حرم رسول الله وانتهكت حرمة المدينة ، والثالثة سُفكت الدماء في حرم الله وحُرّقت الكعبة .

وأقام الحجّ في ولاية يزيد بن معاوية سنة ٦٠ عمرو بن سعيد ، بن العاص ، وفي سنة ٦١ الوليد بن عتبة ، وفي سنة ٦٢ الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وغزا في الناس في ولايته سنة ٦١ ، غزا مالك بن عبدالله الخثعمي الصائفة، وهي غزاة سوريّة .

أيام معاوية بن يزيد بن معاوية

ثمّ ملك معاوية بن يزيد بن معاوية ، وأُمّه أمّ هاشم بنت أبي هاشم بن عُتْبَة بن ربيعة ، أربعين يوماً ، وقيل : بل أربعة أشهر ، وكان له مذهب جميل ، فخطب الناس ، فقال : أما بعد حمد الله والثناء عليه ، أيّها الناس فإنّا بُلينا بكم وبُليتم بنا فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا ، ألا وإن جدّي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر مَن كان أولى به منه في القرابة برسول الله ، وأحقّ في الإسلام ، سابق المسلمين ، وأوّل المؤمنين ، وابن عمّ رسول رب العالمين ، وأبا بقيّة خاتم المرسلين ، فركب منكم ما تعلمون ، وركبتم منه ما لا تنكرون ، حتى أتته منيّته وصار رهناً بعمله ، ثمّ قلّد أبي وكان غير خليق للخير فركب هواه ، واستحسن خطأه ، وعظم رجاؤه ، فأخلفه الأمل ، وقصر عنه الأجل ، فقلّت منعته ، وانقطعت مدّته ، وصار في حفرته رهناً بذنبه ، وأسيراً بجرمه . ثمّ بكى ، وقال : إنّ أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه ، وقد قتل عترة الرسول ، وأباحَ الحرمة ، وحرّق الكعبة ، وما أنا المتقلّد أموركم ، ولا المتحمّل تبعاتكم، فشأنكم أمركم ، فوالله لئن كانت الدنْيا مغنماً لقد نلنا منها حظّاً ، وإن تكن شرّاً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها[1] .

---

(١) معاوية بن يزيد : ومما جاء في خطبته أيضاً : «أما بعد فإني ضعفت من أمركم فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر فلم أجد ، فابتغيت ستة مثل ستة الشورى فلم أجد ، فأنتم أولى بأمركم فاختاروا له من أحببتم» . ثم توفي بعد =

فقال له مروان بن الحكم : سنّها فينا عُمريّة[1] ! قال : ما كنت أتقلّدكم حيّاً وميتاً ، ومتى صار يزيد بن معاوية مثل عمر ، ومن لي برجل مثل رجال عمر . وتوفي وهو ابن ثلاث وعشرين سنة ، وصلى عليه خالد ابن يزيد بن معاوية ، وقيل بل عثمان بن محمّد بن أبي سفيان ، ودفن بدمشق ، وكان بها ينزل .

أيام مروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير وأيام من أيام عبد الملك[2]

وكان عبد الله بن الزبير بن العوّام ، وأُمّه أسماء[3] بنت أبي بكر ، قد تغلّب على مكّة ، وتسمّى بأمير المؤمنين ، ومال إليه أكثر النواحي ، وكان ابتداء أمره في أيّام يزيد بن معاوية ، على ما اقتصصنا من خبره ، ومحاربته للحصين بن نمير، فلمّا توفي يزيد بن معاوية مال الناس من البلدان جميعاً إلى ابن الزبير، وكان بمصر عبد الرحمن بن جحدم الفهريّ عاملاً لابن الزبير، وأهل مصر في طاعته ، وبفلسطين ناتل بن قيس الجذاميّ ، وبدمشق الضحّاك[4] بن قيس الفهريّ ، وبحمص النعمان بن بشير الأنصاريّ ، وبقنّسرين[5] والعواصم زفر بن الحارث الكلابيّ ، وبالكوفة عبد الله بن

= قليل بدمشق سنة ٦٤ هـ . وكانت كنيته أبا ليلى ، وفيه يقول الشاعر :

إني أرى فتنة تغلي مراجلها ... فالملك بعد أبي ليلى لمن غلبا .

[ابن الأثير ٤ : ٥١]

(١) أي : على سنّة عمر .

(٢) أنظر أيام عبد الملك بن مروان فيما بعد .

(٣) أسماء بنت أبي بكر : لقّبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بـ «ذات النطاقين» . لما رأت ولدها عبد الله معلّقاً حاضت ودرّ ثديها ، فقالت : حنّت إليه مراتعه ومراضعه .

(٤) تقدّمت ترجمته .

(٥) قنسرين : سميت قنسرين لأن ميسرة بن مسروق العبسي مرّ عليها فلما نظر إليها قال : ما هذه ؟ فسميت له بالرومية ، فقال : والله لكأنها قنّ نسرٍ ، فسميت قنسرين بالعربية .

[ياقوت : معجم البلدان]

مطيع ، وبالبصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وبخراسان عبد الله بن خازم السلميّ ، ولم تبق ناحية إلاّ مالت إلى ابن الزبير خلا الأردنّ ، ورئيسها يومئذ حسّان بن بَحْدل الكلبيّ .

وأخرج ابن الزبير بني أُميّة من المدينة ، وأخذ مروان بالخروج ، فأتى عبد الملك ابنه ، وهو عَليل مُجدّر ، فقال له : يا بنيّ إن ابن الزبير قد أخرجني ! قال : فما يمنعك أن تخرجني معك ؟ قال : كيف أخرجك وأنت على هذا الحال ؟ قال : لفّني في القطن ، فإن هذا رأي لم يتعقّبه ابن الزبير . فخرج وأخرج عبد الملك ، وتعقّب ابن الزبير الرأي ، فعلم أنّه قد أخطأ ، فوجّه يردّهم ففاتوه .

وقدم مروان ، وقد مات معاوية بن يزيد ، وأمر الشأم مضطرب ، فدعا إلى نفسه ، واجتمع الناس بالجابية من أرض دمشق ، فتناظروا في ابن الزبير وفيما تقدّم لبني أُميّة عندهم ، وتناظروا في خالد بن يزيد بن معاوية ، وفي عمرو بن سعيد بن العاص بعده ، وكان روح بن زنباع الجذاميّ يميل مع مروان ، فقام خطيباً ، فقال : يا أهل الشأم ! هذا مروان بن الحكم شيخ قريش ، والطالب بدم عثمان ، والمقاتل لعليّ بن أبي طالب يوم الجمل ، ويوم صفين ، فبايعوا الكبير ، واستنيبوا للصغير ، ثمّ لعمرو بن سعيد ، فبايعوا لمروان بن الحكم ، ثمّ لخالد بن يزيد ، ثمّ لعمرو بن سعيد .

فلمّا عقدوا البيعة جمعوا من كان في ناحيتهم ، ثمّ تناظروا في أيّ بلدٍ يقصدون ، فقالوا : نقصد دمشق ، فإنّها دار الملك ، ومنزل الخلفاء ، وقد تغلّب بها الضحّاك بن قيس . فقصدوا دمشق ، فلقوا الضحّاك بمرج راهط[1] ، وكان مع الضحّاك من أهل دمشق وفتيتهم جماعة ، وقد أمدّه

---

(١) راهط : اسم رجل من قضاعة ، أُضيف إليه مرج وهو موضع في الغوطة من دمشق . [ياقوت : معجم البلدان]

النعمان بن بشير عامل حمص بشرحبيل بن ذي الكلاع في أهل حمص ، وأمدّه زفر بن الحارث الكلابيّ بقيس بن طريف بن حسّان الهلاليّ ، والتقوا بمرج راهط ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقُتل الضحّاك بن قيس وخلق من أصحابه ، وهرب من بقي من جيشه .

وبلغ الخبر النعمان بن بشير ، وهو بحمص ، فخرج هارباً ، ومعه امرأته الكنانيّة وثقله وولده ، فتبعه قوم من حمير وباهلة ، فقتلوه في البريّة ، واحتزّوا رأسه ، ووجّهوا به إلى مروان بن الحكم . وهرب زفر بن الحارث الكلابيّ والخيل تتبعه حتى أتى قرقيسيا[1] ، وبها عياض الحرشيّ من مذحج ، فأغلق أبوابها دونه ، فلم يزل يخدعه حتى دخلها .

ووجّه مروان حبيش بن دلجة القينيّ إلى الحجاز لمحاربة ابن الزبير ، فسار حتى أتى المدينة ، وعليها جابر بن الأسود بن عوف الزهريّ ، عامل ابن الزبير ، وكتب ابن الزبير إلى الحارث بن عبد الله عامله على البصرة أن يوجّه إليهم بجيش ، فلقوا حبيشاً فقتلوه وقتلوا عامّة أصحابه ، فلم يفلت منهم إلا الشريد ، فكان فيمن أفلت منهم : يوسف بن الحكم الثقفي ، وابنه الحجاج[2] بن يوسف .

ثمّ خرج مروان يريد مصر ، فلمّا سار إلى فلسطين وجد ناتل بن قيس الجذاميّ متغلّباً على البلد ، وأخرج روح بن زنباع . فحاربه ، فلمّا لم يكن لناتل قوة على محاربة مروان هرب ، فلحق بابن الزبير ، وسار مروان يريد مصر حتى دخلها ، فصالحه أهلها ، وأعطوه الطاعة ، وأخرج ابن

---

(١) قرقيسيا : عند مصب نهر الخابور في الفرات .

(٢) الحجاج بن يوسف : قال عنه أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أحداً أفصح من الحسن البصري والحجاج . وهو أول من ضرب درهماً عليه «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» مات بواسط سنة ٩٥ هـ .

[وفيات الأعيان ١ :١٢٣]

جحدم الفهريّ ، عامل ابن الزبير ، وقيل اغتاله فقتله ، وقتل أكيدر بن حمام اللخميّ ، واستعمل عليها ابنه عبد العزيز بن مروان وانصرف .

وقام سليمان بن صُرد الخزاعيّ ، والمسيّب بن نَجَبَة الفزاريّ ، وخرجا في جماعة معهما من الشيعة بالعراق ، بموضع يقال له عين الوردة[1] ، يطلبون بدم الحسين بن عليّ ، ويعملون بما أمر الله به بني إسرائيل ، إذ قال : فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم ، فتاب عليكم ، إنه هو التوّاب الرحيم ، واتّبعهم خلق من الناس ، فوجّه إليهم مروان عبيدالله بن زياد ، وقال : إن غلبت على العراق فأنْت أميرها ، فلقي سليمان بن صرد ، فلم يزل يحاربه حتى قتله ، وقيل لم يقتل سليمان في أيام مروان ، ولكنّه قُتل في أيّام عبد الملك.

ولمّا صار مروان إلى الصِّنَّبرة[2] من أرض الأردنّ ، منصرفاً من مصر ، بلغه أن حسّان بن بحْدل قد بايع عمرو بن سعيد ، فأحضره فقال له : قد بلغني أنّك بايعت عمرو بن سعيد ، فأنكر ذلك ، فقال له : بايع لعبد الملك ، فبايع لعبد الملك ، ثمّ بعده لعبد العزيز بن مروان ، ولم يبرح مروان من الصِّنَّبرة حتى توفي .

وكان سبب وفاته أنّه تزوّج أمّ خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل إليه يوماً فأفحش له في القول ، ثمّ أعاد عليه في يوم آخر مثل ذلك ، فدخل خالد إلى أُمّه مغضباً ، فخبّرها ، فقالت : والله لا يشرب البارد بعدها ! فصيّرت له سمّاً في لبن ، فلمّا دخل سقته إيّاه . وقال بعضهم : بل وضعت على وجهه وسادة حتى قتلته . وقال قوم : إنّه توفي بدمشق ودفن بها .

---

(١) عين الوردة : رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة كانت فيها وقعة للعرب ويوم من أيامهم .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) الصِّنَّبرة : موضع بالأردن مقابل لعقبة افيق ، بينه وبين طبرية ثلاثة أميال .

[المصدر السابق]

وكانت ولاية مروان تسعة أشهر ، فتوفي في شهر رمضان سنة ٦٥ ، وهو ابن إحدى وستّين سنة . وكان صاحب شرطته يحيىٰ بن قيس الغسّاني ، وحاجبه أبو سهل الأسود ، وصلى عليه عبد الملك ابنه ، وخلّف من الولد اثني عشر ذكراً وهم : عبد الملك ، وعبد العزيز ، ومعاوية ، وبشر ، وعمر ، وأبّان ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وأيوب ، وداوُد ، وعثمان ، ومحمد .

وخلف أهل الشأم عبد الملك ، فأقبل مسرعاً إلى دمشق خوفاً من وثوب عمرو بن سعيد ، واجتمع الناس عليه ، فقال لهم : إنّي أخاف أن يكون في أنفسكم منّي شيء . فقام جماعة من شيعة مروان ، فقالوا : والله لتقومَنّ إلى المنبر ، أو لنضربنّ عنقك ! فصعد المنبر وبايعوه .

وكان المختار[1] بن أبي عبيد الثقفي أقبل في جماعة عليهم السلاح ، يريدون نصر الحسين بن عليّ ، فأخذه عبيد الله بن زياد ، فحبسه ، وضربه بالقضيب ، حتى شتَر عينه[2] ، فكتب فيه عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية ، وكتب يزيد إلى عبيد الله أن خلّ سبيله ، فخلّى سبيله ، ونفاه ، فخرج المختار إلى الحجاز ، فكان مع ابن الزبير ، فلمّا لم يرَ ابن الزبير يستعمله شخص إلى العراق ، فوافى وقد خرج سليمان بن صرد الخزاعيّ يطلب بدم الحسين ، فلمّا صار إلى الكوفة اجتمعت إليه

---

(١) المختار بن أبي عبيد الثقفي : من زعماء الثائرين على بني أُميّة . انقطع إلى بني هاشم ، وتزوج عبد الله بن عمر بن الخطاب أخته «صفية» .
شاعت في الناس أخبار عنه بأنه ادّعى النبوة ونزول الوحي عليه ، ونقلوا عنه أسجاعاً ، قيل : كان يزعم أنها من الإلهام ، منها : «أما والذي شرع الأديان ، وحبّب الإيمان ، وكره العصيان ، لأقتلنّ أزد عمان وجلّ قيس عيلان ، وتميماً أولياء الشيطان ، حاشا النجيب ابن ظبيان!» وقد يكون هذا من اختراع القصص والتشويه على سيرته لما عُرف عنه من تعصب لآل البيت .
[ابن الأثير ٤ : ٨٢ ـ ١٠٨]

(٢) شتر عينه : قلب جفنها .

الشيعة ، فقال لهم : إن محمد بن عليّ بن أبي طالب بعثني إليكم أميراً ، وأمرني بقتل المحلين ، وأطلب بدماء أهل بيته المظلومين ، وإني والله قاتل ابن مرجانة[1] ، والمنتقم لآل رسول الله ممّن ظلمهم . فصدّقه طائفة من الشيعة ، وقالت طائفة : نخرج إلى محمد بن عليّ فنسأله ، فخرجوا إليه ، فسألوه ، فقال : ما أحبّ إلينا من طلب بثأرنا ، وأخذ لنا بحقّنا ، وقتل عدوّنا ، فانصرفوا إلى المختار ، فبايعوه وعاقدوه ، واجتمعت طائفة .

وكان ابن مطيع عامل ابن الزبير على الكوفة ، فجعل يطلب الشيعة ويخيفهم ، فواعد المختار أصحابه ، ثمّ خرجوا بعد المغرب ، وصاحب الجيش إبراهيم بن مالك بن الحارث الأشتر ، ونادى : يا لثارات الحسين ابن علي! وكان ذلك سنة ٦٦ ، والتحم القتال بينهم وبين عبد الله بن مطيع ، وكانت أشدّ حرب وأصعبها .

ثمّ صار ابن مطيع إلى القصر ودعا الناس إلى البيعة ، فبايعوا لآل رسول الله ، ودفع المختار إلى ابن مطيع مائة ألف ، وقال له : تحمّل بها وانفذ لوجهك . وسرّح المختار عمّاله إلى النواحي ، فأخرجوا مَن كان فيها ، وأقاموا بها .

وكان عامل المختار على الموصل عبد الرحمٰن[2] بن سعيد بن قيس الهمدانيّ ، فزحف إليه عبيد الله بن زياد ، بعد قتله سليمان بن صرد ، فحاربه عبد الرحمٰن ، وكتب إلى المختار بخبره ، فوجّه إليه يزيد بن أنس ، ثمّ وجّه إبراهيم بن مالك بن الحارث الأشتر[3] ، فلقي عبيد الله بن زياد فقتله ، وقتل الحصين بن نمير السكونيّ ، وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميريّ ، وحرّق أبدانهما بالنّار ، وأقام والياً على الموصل وأرمينية

---

(١) يريد زياد بن عبيد الله .

(٢) عبد الرحمن بن سعيد : من أشراف اليمانيين، من شِبام . كان سيد قومه . قتل في إحدى وقائعه مع المختار الثقفي سنة ٦٦ هـ .

[ابن الأثير : حوادث سنة ٦٦]

(٣) ذكرنا في موضع سابق سبب تلقيبه بالأشتر .

وآذربيجان من قبل المختار ، وهو على العراق والٍ ، ووجّه برأس عبيد الله ابن زياد إلى عليّ بن الحسين إلى المدينة مع رجل من قومه ، وقال له : قف بباب عليّ بن الحسين ، فإذا رأيت أبوابه قد فُتحت ودخل الناس ، فذاك الوقت الذي يوضع فيه طعامه ، فادخل إليه . فجاء الرسول إلى باب عليّ بن الحسين ، فلمّا فتحت أبوابه ، ودخل الناس للطعام ، نادى بأعلى صوته : يا أهل بيت النبوّة ، ومعدن الرسالة ، ومهبط الملائكة ، ومنزل الوحي ! أنا رسول المختار بن أبي عبيد معي رأس عبيد الله بن زياد ، فلم تبق في شيء من دور بني هاشم امرأة إلاّ صرخت ، ودخل الرسول ، فأخرج الرأس ، فلمّا رآه عليّ بن الحسين قال : أبعده الله إلى النار .

وروى بعضهم أن عليّ بن الحسين لم يُر ضاحكاً يوماً قطّ ، منذ قُتل أبوه ، إلاّ في ذلك اليوم ، وأنّه كان له إبل تحمل الفاكهة من الشأم ، فلمّا أتي برأس عبيد الله بن زياد أمر بتلك الفاكهة ، ففرقت في أهل المدينة وامتشطت نساء آل رسول الله ، واختضبن[1] ، وما امتشطت امرأة ولا اختضبت منذ قتل الحسين بن علي .

وتتبّع المختار قتلة الحسين ، فقتل منهم خلقاً عظيماً ، حتى لم يبق منهم كثير أحد ، وقتل عمر بن سعد وغيره ، وحرّق بالنّار ، وعذّب بأصناف العذاب .

وهدم ابن الزبير الكعبة في جمادى الآخرة سنة ٦٤ ، حتى ألصقها بالأرض ، وذلك أن الحصين بن نمير لما أراد الزبير هدمها امتنع ، وامتنع الناس من الهدم ، فعلا عبد الله بن الزبير على البيت ، فهدم ، فلمّا رآه الناس يهدم هدموا ، فلمّا ألصقها بالأرض خرج ابن عبّاس من مكّة إعظاماً للمقام بها ، وقد هدمت الكعبة ، وقال له : إضرب حوالي الكعبة الخشب لا تبق الناس بغير قبلة .

وروى ابن الزبير عن خالته عائشة زوج النبي أنّها قالت : قال لي رسول الله : يا عائشة إن بدا لقومك أن يهدموا الكعبة ثمّ يبنوها ، فلا

---

(١) اختضبن : ادّهنّ بالخضاب .

يرفعوها عن الأرض ، وليصيّروا لها بابين . فلمّا بلغ ابن الزبير بالهدم إلى القواعد أدخل الحجر في البناء حتى رفعها ، وجعل لها بابين باباً شرقيّاً وباباً غربيّاً ، وصيّر على كلّ باب مصراعين ، وكان على بابها الأول مصراع واحد ، وجعل طول البابين إحدى عشرة ذراعاً ، وكان ارتفاعها في السماء ثماني عشرة ذراعاً ، فجعلها ابن الزبير تسعاً وعشرين ذراعاً ، ولم يرفعها عن الأرض بل جعلها مستوية مع وجه الأرض .

وكان قد أخذ الحجر الأسود فجعله عنده في بيته ، فلمّا بلغ البناء إلى موضع الحجر أمر فحفر له في الحجارة على قدره ، ثمّ أمر ابنه عبّاداً أن يأتي ، وهو في صلاة الظهر ، فيضعه في موضعه ، والناس في الصلاة لا يعلمون ، فإذا فرغ من وضعه كبّر ، فجاء عبّاد بن عبد الله بن الزبير بالحجر ، وأبوه يصلّي بالناس الظهر في يوم شديد الحرّ ، فشقّ الصفوف حتى صار إلى الموضع ، ثمّ وضعه وطوّل ابن الزبير الصلاة حتى وقف عليه ، فلمّا رأت قريش ذلك غضبت وقالت : واللّهِ ما هكذا فعل رسول الله ، ولقد حكّمتْه قريش ، فجعل لكلّ قبيلة نصيباً .

وكان الركن لمّا أصابه الحريق تصدّع بثلاث قطع ، فشدّه ابن الزبير بالفضّة ، ولمّا فرغ من البناء خلّق[1] داخل الكعبة وخارجها ، فكان أول من خلّقها وكساها القباطيّ[2] ، واعتمر من التنعيم ، ومشى .

ومنع عبد الملك أهل الشأم من الحجّ ، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم ، إذا حجّوا ، بالبيعة، فلمّا رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكّة ، فضجّ الناس ، وقالوا : تمنعنا من حجّ بيت الله الحرام ، وهو فرض من الله علينا ! فقال لهم : هذا ابن شهاب الزهريّ

---

(١) خلّق : طيّبه بالخَلوق وهو ضربٌ من الطيب أعظم أجزائه الزعفران .
(٢) القباطي : ثياب من كتان منسوبة إلى القبط .

يحدثكم أن رسول الله قال : لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي ، ومسجد بيت المقدس ، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام ، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها ، لمّا صعد إلى السماء ، تقوم لكم مقام الكعبة ، فبنى على الصخرة قبّة ، وعلّق عليها ستور الديباج ، وأقام لها سدنة ، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وأقام بذلك أيّام بني أُميّة .

وتحامل عبدالله بن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً ، وأظهر لهم العداوة والبغضاء ، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمّد في خطبته ، فقيل له : لِمَ تركت الصلاة على النبيّ ؟ فقال : إن له أهل سوء يشرئبون لذكره ، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به .

وأخذ ابن الزبير محمّد[1] بن الحنفيّة ، وعبد الله[2] بن عبّاس ، وأربعة وعشرين رجلاً من بني هاشم ليبايعوا له ، فامتنعوا ، فحبسهم في حجرة زمزم ، وحلف بالله الذي لا إله إلّا هو ليبايَعَنَّ أو ليحرقنّهم بالنار ، فكتب محمد بن الحنفية إلى المختار بن أبي عبيد : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، من محمد بن عليّ ومَن قِبَله من آل رسول الله إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين ، أما بعد فإن عبد الله بن الزبير أخذنا ، فحبسنا في حجرة زمزم ، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو لنبايعنّه ، أو ليضرمنّها علينا بالنار، فيا غوثاً ! فوجّه إليهم المختار بن أبي عبيد بأبي عبد الله الجَدَلي في أربعة آلاف راكب ، فقدم مكّة ، فكسر الحجرة ، وقال لمحمّد بن عليّ :

---

(١) محمد بن الحنفية : هو محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية ، وهو أخو الحسن والحسين من غير فاطمة الزهراء بل من خولة بنت جعفر الحنفية ، ينسب إليها تمييزاً له عنهما . وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته ويزعم أنه المهدي . مات في المدينة . وقيل في الطائف سنة ٨١ هـ .

[وفيات الأعيان ١ : ٤٤٩]

(٢) تقدّمت ترجمته .

دعني وابن الزبير ! قال : لا أستحِلّ من قطع رحمه ما استحلّ منّي .

وبلغ محمد بن عليّ بن أبي طالب أن ابن الزبير قام خطيباً فنال مِن عليّ بن أبي طالب ، فدخل المسجد الحرام ، فوضع رحلاً ، ثمّ قام عليه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على محمد ، ثمّ قال : شاهت الوجوه ، يا معشر قريش ، أيقال هذا بين أظهركم وأنتم تسمعون ، ويُذكر عليّ فلا تغضبون ؟ ألا إنّ عليّاً كان سهماً صائباً من مرامي الله أعداءه ، يضرب وجوههم ويهوعهم مآكلهم ، ويأخذ بحناجرهم . ألا وإنّا على سنن ونهج من حاله ، وليس علينا في مقادير الأمور حيلة ، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

فبلغ قوله عبد الله بن الزبير ، فقال : هذا عذرة بني الفواطم ، فما بال ابن أمة بني حنيفة ؟ وبلغ محمداً قوله ، فقال : يا معاشر قريش وما ميّزني من بني الفواطم[1] ؟ أليست فاطمة ابنة رسول الله حليلة أبي وأم إخوتي ؟ أوَليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جدّتي وأمّ أبي ؟ أليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم جدّة أبي وأمّ جدّتي ؟ أما والله لولا خديجة بنت خويلد لما تركت في أسد عظماً إلاّ هشمته ، فإني بتلك التي فيها المعاب صبير .

ولمّا لم يكن بابن الزبير قوة على بني هاشم ، وعجز عمّا دبّره فيهم ، أخرجهم عن مكة ، وأخرج محمد بن الحنفيّة إلى ناحية رَضْوَى[2] ، وأخرج عبد الله بن عبّاس إلى الطائف إخراجاً قبيحاً ، وكتب محمد بن الحنفية إلى عبد الله بن عباس : أمّا بعد ، فقد بلغني أن عبد الله ابن الزبير سيّرك إلى الطائف ، فرفع الله بك أجراً ، واحتطّ عنك وزراً ، يابن عمّ ، إنّما يُبتلى الصالحون ، وتُعدّ الكرامة للأخيار ، ولو لم تؤجر إلاّ فيما

---

(١) أنظر الباب المتقدم عن «تسمية من ولدنه من الفواطم» .

(٢) رضوى : جبل بالمدينة .

نحبّ وتحبّ قلّ الأجر ، فاصبر فإنّ الله قد وعد الصابرين خيراً ، والسلام .

وروى بعضهم أن محمد بن الحنفية صار أيضاً إلى الطائف ، فلم يزل بها ، وتوفي ابن عباس بها في سنة ٦٨ ، وهو ابن إحدى وسبعين سنة ، وصلّى عليه محمد بن الحنفية ، ودفن عبد الله بن عبّاس بالطائف في مسجد جامعها ، وضُرب عليه فسطاط[1] ، ولمّا دفن أتى طائر أبيض فدخل معه قبره ، فقال بعض الناس : علمه ، وقال آخرون : عمله الصالح .

قال عبد الله بن عبّاس : أردفني رسول الله ، ثمّ قال لي : يا غلام ! ألا أعلّمك كلمات ينفعك الله بهنّ ؟ قلت : بلى ! يا رسول الله . قال : إحفظ الله يحفظك ، إحفظ الله تجده أمامك ، أذكر الله في الرخاء يذكرك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، جفّ القلم بما هو كائن ، ولو جهد الخلق على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لم يقدروا عليه ، ولو جهدوا على أن يضرّوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، فعليك بالصدق في اليقين ، إنّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً .

وكان لعبد الله بن العباس من الولد خمسة ذكور : علي بن عبد الله ، وهو أصغرهم سنّاً ، إلاّ أنّه تقدّم لشرفه ونبله ، والعباس كان أكبر ولده ، وكان يلقب بالأعنق[2] ، ومحمد ، والفضل ، وعبد الرحمٰن .

وفي هذه السنة وقفت أربعة ألوية بعرفات : محمد بن الحنفية في

---

(١) الفسطاط : بيت من شعر .

(٢) لقب بالأعنق لطول عنقه واشرئبابه .

أصحابه ، وابن الزبير في أصحابه ، ونجدة[1] بن عامر الحروري ، ولواء بني أمية ، وقال المساور[2] بن هند بن قيس : وتشعبوا شعباً ، فكلّ قبيلة فيها أمير المؤمنين .

ووجّه عبد الله بن الزبير أخاه مصعب بن الزبير إلى العراق ، فقدمها سنة ٦٨ ، فقاتله المختار ، وكانت بينهم وقعات مذكورة ، وكان المختار شديد العلّة من بَطَن[3] به ، فأقام يحارب مصعباً أربعة أشهر ، ثم جعل أصحابه يتسلّلون منه حتى بقي في نفر يسير ، فصار إلى الكوفة ، فنزل القصر ، وكان يخرج في كل يوم ، فيحاربهم في سوق الكوفة أشدّ محاربة ، ثمّ يرجع إلى القصر . وكان عبيد الله بن عليّ بن أبي طالب مع مصعب بن الزبير ، فجعل مصعب يقول : يا أيّها الناس ، المختار كذّاب ، وإنّما يغرّكم بأنّه يطلب بدم آل محمد ، وهذا وليّ الثأر ، يعني عبيد الله ابن عليّ ، يزعم أنّه مبطل فيما يقول .

ثمّ خرج المختار يوماً ، فلم يزل يقاتلهم أشدّ قتال يكون ، حتى قُتل ، ودخل أصحابه إلى القصر فتحصنوا ، وهم سبعة آلاف رجل ، فأعطاهم مصعب الأمان ، وكتب لهم كتاباً بأغلظ العهود ، وأشدّ المواثيق ، فخرجوا على ذلك ، فقدّمهم رجلاً رجلاً فضرب أعناقهم ، فكانت إحدى

---

(١) نجدة بن عامر الحروري : رأس الفرقة «النجدية» نسبة إليه ، من الحرورية ، ويعرف أصحابها بالنجدات . انفرد عن سائر «الخوارج» بآراء . كان أول أمره مع نافع بن الأزرق ، وفارقه لإحداثه في مذهبه ، ثم «خرج» مستقلاً باليمامة ، فأتى البحرين وتسمّى بأمير المؤمنين . قُتل سنة ٦٩ هـ . والحروري نسبة إلى حروراء .

[الكامل للمبرد ٢ : ١٢٩]

(٢) المساور بن هند : شاعر معمّر ، قيل : وُلد في حرب داحس والغبراء . هو وأبوه وجده أشراف من بني عبس ، شعراء ، فرسان . وقال البغدادي : كان يهاجي المرّار الفقعسي . وأورد له أبياتاً رقيقة في هجاء بني أسد .

[الشعر والشعراء ١٢٥]

(٣) البَطن : داء البطْن .

الغدرات المذكورة المشهورة في الإسلام .

وأخذ أسماء بنت النعمان بن بشير امرأة المختار ، فقال لها : ما تقولين في المختار بن أبي عبيد ؟ قالت : أقول إنه كان تقيّاً ، نقيّاً ، صوّاماً . قال : يا عدوّة الله أنت ممّن يزكّيه ! فأمر بها فضرب عنقها ، وكانت أول امرأة ضرب عنقها صبراً[1] ، فقال عمر[2] بن أبي ربيعة المخزومي :

إنّ مِنْ أعجبِ العجائبِ عندي قتلَ بيضاءَ حرّةٍ عُطْبُولِ[3]
قَتَلوهَا بغيرِ جرْمٍ أتَتْهُ إنّ للّهِ دَرّها من قَتِيلِ
كُتبَ القتْلُ والقِتالُ علينا وعلى الغانياتِ جرّ الذيولِ[4]

فلما قتل مصعب بن الزبير المختار ، واستقامت له أمور العراق ، حسده عبد الله بن الزبير على ذلك ، فوجّه حمزة ابنه إلى البصرة ، وكتب إلى مصعب أن يصرف أمر البصرة إلى حمزة ، ففعل ذلك ، فكان حمزة من أضعف الناس ، وأقلهم علماً بالأمر ، ثمّ اجتبى خراج البصرة ، ونفذ إلى أبيه إلى مكّة .

ووفد مصعب على أخيه عبد الله فجفاه حتى كان ليدخل فيسلّم فلا يرفعه ، فلمّا قدم على عبد الله ابنه حمزة رُدّ مُصعب إلى العراق ، وقتل عبدالله بن الزبير أخاه عمرو بن الزبير لعداوة كانت بينه وبينه ، ولمبايعته

---

(١) يُقال «قُتلَ صبراً» أي حُبس على القتل حتى يُقتل .

(٢) عمر بن أبي ربيعة : هو عمر بن عبد الله ، أبو الخطاب ، أرقّ شعراء عصره . ولم يكن في قريش أشعر منه . وُلد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب ، فسمّي باسمه . ورُفع إلى عمر بن عبد العزيز أنه يتعرّض لنساء الحاج ويشبّب بهن ، فنفاه إلى «دهلك» ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه ، فمات فيها غرقاً سنة ٩٣ هـ .

[وفيات الأعيان ١ :٣٥٣]

(٣) العطبول : المرأة الجميلة الفتية الطويلة العنق .

(٤) جر الذيول : كناية عن حسن الحال وكثرة المال .

لمروان بن الحكم ، وقيل : إنّه كان على شرطة عمرو بن سعيد ، فوجّه به عمرو لمحاربة أخيه فقتله .

وولّى ابن الزبير المهلّب[1] بن أبي صفرة خراسان ، وكان مع مصعب ، فقدم البصرة ، وقد حصرت الخوارج أهلها ، وغلبت على جميع سوادها وكورها ، فلم يبق في أيدي أهلها إلّا المدينة ، فلما قدم عليهم المهلّب فزع إليه أشراف الناس ووجوههم ، وأتاه الأحنف بن قيس ، والمنذر بن الجارود ، ومالك بن مسمع ، فيمن معهم من العشائر ، فقالوا : يا أبا سعيد ! أنت شيخ الناس ، وسيف العراق ، وقد ترى ما فيه أهل مصرك من هذه الخوارج المارقة ، والإقامة على منع بلدك ، والذبّ عن حريمك أولى لك من خراسان ، فقال : نعم ! أقيم على محاربة هؤلاء ، على أن لي جميع ما أغلبهم عليه ، وأنتزعه من أيديهم من خراج أو غيره . فأجابته العشائر إلى ذلك خلا مالك بن مسمع ، فإنّه امتنع عليه ، وكانت في مالك أبهة شديدة وكبر معروف ، فوثب الأحنف بن قيس ، والمنذر بن الجارود على مالك بن مسمع ، فقالا له : رأيت الذي تمنعه أبا سعيد ، أهو شيء في يدك أو في يد عدوك ؟ قال : في يد عدوّي . قالا : فوالله ما أنصفته أن تسأله أن يحمي دمك وحرمتك ، ثمّ تمنعه ما أنت مغلوب عليه ، فهو يجعل لك ما سألت ، وقم بمحاربة القوم ! قال : لا أقوى على ذلك . فقالا : فهذا الظلم والعجز ، ثمّ جعلوا جميعاً للمهلّب ما سأل ، فأقام على محاربة الخوارج ، ورئيسهم يومئذ نافع[2] بن الأزرق ، وبه سمّوا الأزارقة ، حتى أجلاهم عن البصرة .

وسار عبد الملك إلى مصعب بن الزبير في سنة ٧١ ، فلقيه بموضع

---

(١) تقدّمت ترجمته .

(٢) نافع بن الأزرق : رأس الخوارج الأزارقة ، وإليه نسبتهم . كان أمير قومه وفقيههم ، وكان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على «عثمان» . قُتل يوم «دولاب» على مقربة من الأهواز سنة ٦٥ هـ .

[الكامل للمبرد ٢ : ١٧٢]

يقال له دير الجاثليق[1] ، على فرسخين من الأنبار ، فكانت بينهم وقعات وحروب ، وجادّه عبد الملك القتال ، وخذل مُصعباً أكثر أصحابه ، وكان أكثر من خذله منهم ربيعة ، ثمّ حملوا عليه ، وهو جالس على سريره ، فقتلوه ، وحزّ رأسه عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، وأتى به عبد الملك ، فلمّا وضعه بين يديه خرّ ساجداً . قال عبيدالله : فهممت أن أضرب عنقه ، فأكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد .

وقال بعضهم : دخلت على عبد الملك بن مروان ، وبين يديه رأس مصعب بن الزبير ، فقلت : يا أمير المؤمنين ! لقد رأيت في هذا الموضع عجباً ! قال : وما رأيت ؟ قلت : رأيت رأس الحسين بن عليّ بين يدي عبيد الله بن زياد ! ورأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد ، ورأيت رأس المختار بن أبي عبيد بين يدي مصعب بن الزبير ، ورأيت رأس مصعب بن الزبير بين يديك . قال : فخرج من ذلك البيت ، وأمر بهدمه . وكان قتل مصعب بن الزبير في ذي القعدة سنة ٧٢ .

وقال المضاء بن علوان ، كاتب مصعب بن الزبير : دعاني عبد الملك بعدما قتل مصعباً ، فقال لي : علمت أنّه لم يبق من أصحاب مصعب وخاصّته أحد إلّا كتب إليّ يطلب الأمان والجوائز والصلات والإقطاعات ؟ قلت : قد علمت ، يا أمير المؤمنين ، أنّه لم يبق من أصحابك أحد إلا وقد كتب إلى مصعب بمثل ذلك ، وهذه كتبهم عندي قال : فجئني بها ، فجئته بإضبارة عظيمة ، فلمّا رآها قال : ما حاجتي أن أنظر فيها ، فأفسد صنائعي ، وأفسد قلوبهم عليّ . يا غُلام ! أحرقها بالنار ، فأُحرقت .

---

(١) دير الجاثليق : دير قديم البناء رحب الفناء من طسّوج مسكن قرب بغداد في غربي دجلة .

[ياقوت : معجم البلدان]

ولمّا قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير ندب الناس للخروج إلى عبد الله بن الزبير ، فقام إليه الحجّاج بن يوسف فقال : ابعثني إليه ، يا أمير المؤمنين ، فإني رأيت في المنام كأني ذبحته ، وجلست على صدره ، وسلختـه . فقـال : أنت لـه ، فـوجّهـه في عشـرين ألفـاً من أهـل الشـأم وغيـرهم ، وقـدم الحَجّـاج بن يـوسف ، فقـاتلهم قتـالاً شـديـداً ، وتحصّن بالبيت ، فوضع عليه المجانيق[1] ، فجعلت الصواعق تـأخذهم ، ويقـول : يا أهل الشأم ! لا تهولنّكم هذه ، فإنّما هي صواعق تهامة ، فلم يزل يرميـه بالمنجنيق ، حتى هدم البيت ، فكتب إليه عبد الملك بن مـروان ، وهو في محاربته : أوصيك يا حجّاج بما أوصى بـه البكريّ زيـداً ، والسلام . فقـام الحجّاج خطيباً فقال : أيّكم يدري ما أوصى بـه البكريّ زيـداً ، وله عشـرة آلاف درهم ؟ فقام رجل من القوم فقال : أنـا أدري ما أوصى بـه البكري ، فدعا ببدرة[2] ، فدفعت إليه فقال :

أقُـولُ لـزيـدٍ لا تُتـرتـرْ[3] فـإنّهُمْ ... يـروْنَ المَنَـايَـا دونَ قتلِكَ أو قتلي

فـإنْ وَضَعُوا حَـربـاً فضَعْهـا وإن أبَـوْا ... فَشُبّ وقـودَ النـارِ بـالحَطَـبِ الجَـزْلِ

فـإن عَضّتِ الحرْبُ الضّـرُوسُ بنابِهـا ... فعـرضَـةُ حـدّ الحـرْبِ مثلُكَ أو مثلي

ورأى ابن الـزبير من أصحـابه تثـاقُلاً عنـه ، وكان يجـري لهم نصف صـاع من تمـر ، فقـال : أكلتم تمـري ، وعصيتم أمـري ! وكـان شـديـد البخل .

ولمّا علم ابن الزبير أنّه لا طاقة له بالحرب دخل على أمّه أسماء بنت أبـي بكـر، فـقـال: كيـف أصبـحـت يـا أمّـه؟ قـالـت: إن فـي المـوت لـراحـة، ومـا أحبّ أن أمـوت إلاّ بـعـد خلّتـيـن: إمّـا أن قُتلت فـأحتسبـك، أو ظفـرت فـقـرّت عيـنـي. قـال: يـا أمّـه! إن هـؤلاء قـد أعـطوني الأمـان، فـمـاذا تقـولين؟ قـالـت: يـا بـنـيّ

---

(١) المجانيق : مفردها منجنيق وهي آلة حربية قديمة تعتمد على رمي الحجارة .

(٢) البدرة : عشرة آلاف درهم . أو هي كمية عظيمة منه .

(٣) ترتر : أكثر الكلام وأسرع فيه .

أنت أعلم بنفسك ، إن كنت على حقّ وإليه تدعو ، فلا تمكّن عبيد بني أميّة منك يتلاعبون بك ، وإن كنت على غير الحقّ ، فشأنك وما تريد. قال: يا أمّه! إنّ الله ليعلم أنّي ما أردت إلاّ الحقّ، ولا طلبت غيره، ولا سعيت في ريبة قطّ ، اللهمّ إني لا أقول ذلك تزكيةً لنفسي ، ولكن لأطيّب نفس أمي .

ثم قال : يا أُمّه ! إنّي أخاف إن قتلني هؤلاء القوم أن يمثلوا بي . قالت: يا بنيّ، إن الشاة لا تألم للسلخ إذا ذبحت. قال: الحمد لله الذي وفّقك، وربط على قلبك! وخرج، فخطب الناس، فقال: أيّها الناس! إنّ الموت قد أظلكم سحابه وأحدق بكم ربابه[1] ، فغضّوا أبصاركم عن الأبارقة ، وليشغل كلّ امرىء قِرنه ، ولا يلهينّكم التساؤل ، ولا يقولن قائل أين أمير المؤمنين ؟ ألا مَن سأل عنّي فإني في الرّعيل الأول . ثمّ نزل فقاتل حتى قُتل .

وكان قتله في سنة ٧٣، وله إحدى وسبعون سنة،وصُلب بالتنعيم[2] ، فأقام ثلاثة وقيل سبعة أيام، ثمّ جاءت أُمّه أسماء بنت أبي بكر ؛ وهي عجوز عمياء ، حتى وقفت على الحجّاج ، فقالت : أما آن لهذا الراكب أن يُنْزَل بعد ؟ أما إنّي سمعت رسول الله يقول : إن في بني ثقيف مبيراً[3] وكذّاباً ، فأمّا المبير فأنت ، وأما الكذاب فالمختار بن أبي عبيد ، فقال : مَن هذه ؟ فقيل : أم ابن الزبير فأمر به ، فأُنزل .

وروى بعضهم أن الحجاج خطبها ، فقالت : وهو يخطب عمياء بنت

---

(١) الرباب : السحاب الأبيض .

(٢) التنعيم : موضع بمكة في الحل ، وهو بين مكة وسرِف ، وسمّي بذلك لأن جبلاً عن يمينه يُقال له نعيم وآخر عن شماله يقال له ناعم ، والوادي نعمان .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) مبيراً : هالكاً فاسداً .

المائة ؟ فقال : ما أردت إلّا مسالفة رسول الله .

ومرّ عبد الله بن عمر على عبد الله بن الزبير ، وهو مصلوب ، فقال : يرحمك الله ، أبا خُبَيب ، لولا ثلاث كنّ فيك لقلت أنت أنت : إلحادك في الحرَم ، ومسارعتك إلى الفتنة ، وبخل بكفّك ، وما زلت أتخوّف عليك هذا المركب وما صرتَ إليه ، مذ كنتُ أراك ترمق بغلات شهباً[1] كنّ لابن حرب ، فيعجبنك ، إلّا أنّه كان أسْوس[2] لدنْياه منك .

وأقام الحجَّ للناس في هذه السنين في سنة ٦٣ عبد الله بن الزبير ، وفي سنة ٦٤ ابن الزبير ، وقيل يحيىٰ بن صفوان الجمحيّ ، وفي سنة ٦٥ وسنة ٦٦ وسنة ٦٧ ابن الزبير ، وفي سنة ٦٨ وقفت أربعة ألوية بعرفات : لواء مع محمّد بن الحنفيّة وأصحابه ، ولواء مع ابن الزبير ، ولواء مع نجدة بن عامر الحروريّ ، ولواء مع بني أُميّة ، وفي سنة ٦٩ وسنة ٧٠ وسنة ٧١ ابن الزبير .

أيام عبد الملك بن مروان[3]

وملك عبد الملك بن مروان بن الحكم ، وأُمّه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أُميّة ، جدّاه جميعاً طريدا رسول الله ، وكانت البيعة له بالشأم في اليوم الذي توفي فيه مروان ، وذلك في شهر رمضان سنة ٦٥ ، وكانت الشمس يومئذ في الثور سبع عشرة درجة وعشرين دقيقة ، والقمر في الحمل خمساً وعشرين دقيقة ، وزحل في السنبلة ثماني عشرة درجة وخمسين دقيقة راجعاً ، والمشتري في الجوزاء اثنتين وعشرين درجة وعشر دقائق ، والمرّيخ في الحمل تسع عشرة درجة وعشر دقائق ،

(١) شهبا : خالط بياضها سواد .

(٢) أسوس : أفعل التفضيل من ساس يسوس .

(٣) عبد الملك بن مروان : من أعاظم الخلفاء ودهاتهم . نقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية ، وضبطت الحروف بالنقط والحركات . وهو أول من صكّ الدنانير في الإسلام ، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم . توفي في دمشق سنة ٨٦ هـ .

[الطبري ٨ : ٥٦]

والزهرة في السرطان درجتين وعشرين دقيقة ، وعطارد في الجوزاء ثلاث درجات ، والرأس في الحوت عشرين درجة وعشر دقائق .

وقد ذكرنا خبر بيعته في أيام ابن الزبير ، وما كانت عليه البلدان من الاضطراب ، وتغلّب من تغلب على كل بلد ، وخبر سليمان بن صرد الخزاعيّ ، وإبراهيم بن مالك بن الحارث الأشتر ، وقتله عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير ، وغير ذلك ممّا دخل في نسق أيّام ابن الزبير . وكان قوم قد قالوا : إنّما تحقّ الخلافة لمن كان الحَرَمَان في يده ، ولمن أقام الحجّ للناس ، فلذلك أدخلنا خبر مروان وأيّاماً من أيام عبد الملك في خبر ابن الزبير .

واستقامت الشأم لعبد الملك بن مروان خلا فلسطين ، فإن ناتل بن قيس كان بها ، فلمّا أراد عبد الملك النهوض أتاه الخبر بأن طاغية الروم قد أناخ على المصّيصة[1] فكره أن يتشاغل بمحاربته مع اضطراب البلدان ، فوجّه إليه ، فصالحه ، وحمل أموالاً كثيرة إليه ، حتى انصرف .

وكان عبد الملك لمّا أحكم أمر الشأم ، ووجّه روح[2] بن زنباع الجذاميّ إلى فلسطين شخص عن دمشق ، حتى صار إلى بُطنان[3] يريد قرقيسيا لمحاربة زفر بن الحارث ، وأمر ابن الزبير على حاله ، فلمّا صار إلى بُطنان من أرض قنّسرين أتاه الخبر بأنّ عمرو بن سعيد بن العاص قد وثب بدمشق ، ودعا إلى نفسه ، وتسمّى بالخلافة ، وأخرج عبد الرحمٰن بن عثمان الثقفي خليفة عبد الملك ، بدمشق ، وكانت أم عبد الرحمٰن أم

---

(١) المصيصة : مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين إنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) تقدّمت ترجمته .

(٣) بطنان : اسم وادٍ بين منبج وحلب، فيه أنهار جارية وقرى متصلة .

[ياقوت : معجم البلدان]

الحكم بنت أبي سفيان بن حرب ، وحوى الخزائن وبيوت الأموال ، فعلم عبد الملك أنّه قد أخطأ في خروجه عن دمشق ، فانكفأ راجعاً إلى دمشق ، فتحصّن عمرو بن سعيد ، ونصب له الحرب ، وجرت بينهم السّفراء[١] ، حتى اصطلحا وتعاقدا ، وكتبا بينهما كتاباً بالعهود والمواثيق والأيمان على أن لعمرو بن سعيد الخلافة بعد عبد الملك ، ودخل عبد الملك دمشق وانحاز مع عمرو بن سعيد أصحابه ، فكانوا يركبون معه إذا ركب إلى عبد الملك ، ثمّ دبّر عبد الملك على قتل عمرو ، ورأى أن الملك لا يصلح له إلا بذلك ، فدخل إليه عمرو عشيّة ، وقد أعدّ له جماعة من أهله ومواليه ومن كان عنده ممّن سواهم ، فلمّا استوى لعمرو مجلسه قال له : يا أبا أُميّة ! إنّي كنت حلفت في الوقت الذي كان فيه من أمرك ما كان ، أنّي متى ظفرت بك وضعت في عنقك جامعة[٢] ، وجمعت يديك إليها . فقال : يا أمير المؤمنين ! نشدتك بالله أن تذكر شيئاً قد مضى فتكلّم مَن بحضرته ، فقالوا : وما عليك أن تبرّ قسم أمير المؤمنين ؟ فأخرج عبد الملك جامعة من فضّة ، فوضعها في عنقه ، وجعل يقول :

أدْنَيْتُهُ منّي ليسكنَ رَوْعُهُ فأصُولَ صَوْلَةَ حازِمٍ مُستمكِنِ

وجمع يديه إلى عنقه ، فلمّا شدّ المسمار جذبه إليه ، فسقط لوجهه ، فانكسرت ثنيّتاه[٣] ، فقال : نشدتك الله ، يا أمير المؤمنين ، أن يدعوك عظم منّي كسرته إلى أن تركب منّي أكثر من ذلك ، أو تخرجني إلى الناس فيروني على هذه الصورة ! وإنّما أراد أن يستفزّه فيخرجه ، وكان على الباب من شيعة عمرو بن سعيد نيف وثلاثون ألفاً منهم عنبسة بن سعيد ، فقال له : أمَكْراً أبا أُميّة ، وأنت في الأنشوطة[٤] ؟ وليس بأول مكر ، إنّي والله لو

(١) السفراء : الرسل .
(٢) الجامعة : القيد من حديد وشبهه .
(٣) الثنية : أسنان مقدم الفم .
(٤) الأنشوطة : العقدة التي يسهل انحلالها .

علمت أن الأمر يستقيم ، ونحن جميعاً باقيان ، لافتديتك بدم النواظر ، ولكنّي أعلم أنّه ما اجتمع فحلان في إبل إلاّ غلب أحدهما .

وقتله وفرّق جمعه ، وطرح رأسه إلى أصحابه ، ونفى أخاه عنبسة إلى العراق ، وكان ذلك سنة ٧٠ .

وكان عبد الله بن خازم السلميّ متغلّباً على خراسان منذ استخلفه سلم بن زياد في أيّام يزيد بن معاوية ، ثمّ صار في طاعة ابن الزبير على ما بيّنّاه من خبره ، فلمّا استقامت أمور عبد الملك كتب إليه : أمّا بعد فأهد لنا طاعتك نضعك موضعك ، ونقرّك على عملك وعقبك ما أغنوا عنّا وعن المسلمين . وبعث بالكتاب مع عتبة النميريّ[1] ، وبعث معه برأس مصعب ابن الزبير، وأعدّ عبد الله الرأس ، ولفّه في ثوبين ، وطرح عليه مسكاً كثيراً ودفنه ، وقال لعتبة النميريّ : كل الكتاب ، فقال : أكلاً جميلاً ، فأحرقه بالنار ، ثمّ أسقاه إيّاه ، وكتب إلى عبد الملك : أما بعد ، فإنّي لم أكن لألقى الله ببيعتين : بيعة رضوان مع ابن حواريّ رسول الله أنتزعها ، وبيعة نكث مع ابن طريدي رسول الله[2] ألبسها .

وكان أهل خراسان مبغضي عبد الله بن خازم لسوء سيرته فيهم ، فوثب به جماعة ، منهم : بكير بن وسّاج ، ووكيع بن عمير ، فقتلوه ، وبعث برأسه إلى عبد الملك بن مروان ، فلمّا ورد عليه الخبر ، وأتاه الرأس ، بعث أُميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أُميّة على خراسان ، فقدم خراسان ، وقد وثب موسى بن عبد الله بن خازم السلميّ ، وأرسل طرخون ملك السغد ، فأجابه إلى أن يمدّه ، ووثب بكير بن وسّاج الثقفي بمرو في جماعة وغلب على مرو ، فحاربهما أُميّة ، وبدأ بمرو ، فحارب بكير بن وسّاج ، فتحصّن منه ، ثمّ أعطاه الأمان ،

---

(١) عتبة النميري : تقدّمت ترجمته .

(٢) طريدا رسول الله هما الحكم بن أبي العاص الذي طرده الرسول من المدينة إلى الطائف ، وابنه مروان الذي طرده الرسول من المدينة .

فخرج إليه، ثمّ بلغ أُميّة أن بكيراً يدبّر على أن يثب به ، فقدّمه فضرب عنقه ، ووجّه أُميّة بابنه عبد الله على هراة وسجستان ، فلقي رتبيل بن أُميّة فقتله .

وأقرّ عبد الملك المهلّب بن أبي صفرة على قتال الخوارج الذين بكرمان[1] ، فجادّهم المهلّب القتال ، حتى قتل رئيسهم نافع[2] بن الأزرق الذي سُمّوا به الأزارقة ، وأقام بكرمان ، ثمّ ولّاه عبد الملك خراسان مكان أُميّة ، وردّ عبد الملك أخاه عبد العزيز إلى مصر والمغرب ، وولّى أخاه بشراً العراق ، وولّى أخاه محمداً الموصل ، ونقل إليها الأزد وربيعة من البصرة ، وغزا أرمينية ، وقد خالف أهل البلد ، فقتل وسبي ، ثمّ كاتب الأشراف من أهل البلد والذين يقال لهم الأحرار وأعطاهم الأمان ووعدهم أن يفرض لهم في الشرف ، فاجتمعوا لذلك في الكنائس في عمل خِلاط ، وأمر بجمع الحطب حول الكنائس ، وأغلق أبوابها عليهم ، ثمّ ضرب تلك الكنائس بالنار ، فحرّقهم جميعاً . وأقام محمّد بن مروان بأرمينية حتى مات .

وأعاد الحجّاج بنيان الكعبة ، وجعل لها باباً واحداً على ما كانت عليه قبل أن يبنيها ابن الزبير ، ونقص منها ما كان ابن الزبير زاده ممّا يلي الحجر ، وهو ستّة أذرع ، وكبسها بالردم الذي خرج منها ، ورفع بابها على ما كان عليه ، ونقص من طوله حتى صيّره على ما هو عليه اليوم ، وفرغ من بنائها في سنة ٧٤ ، وختم أعناق قوم من أصحاب رسول الله ليذلّهم بذلك ، منهم : جابر بن عبد الله ، وأَنَس بن مالك ، وسهل بن سعد الساعديّ ، وجماعة معهم ، وكانت الخواتيم رصاصاً .

---

(١) كرْمان : ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) تقدّمت ترجمته وخبر أنصاره «الأزارقة» نسبة إليه .

وكان نجدة[1] بن عامر الحنفي الحروريّ قد خرج في أيام ابن الزبير بناحية اليمامة ، ثمّ صار إلى الطائف ، فوجد ابنة لعمرو بن عثمان بن عفّان قد وقعت في السبي ، فاشتراها من ماله بمائة ألف درهم ، وبعث بها إلى عبد الملك ، ثمّ سار إلى البحرين ووجّه مصعب بن الزبير بخيل بعد خيل وجيش بعد جيش ، فهزمهم .

وظهرت من نجدة أمور أنكرتها الخوارج ، وكان قد أقام خمس سنين وعمّاله بالبحرين واليمامة وعمان وهجر وطوائف من أرض العِرض ، فلمّا نقمت الخوارج ما نقمت من دفع عشرة آلاف إلى مالك بن مسمع ، وبعثه بابنة عمرو بن عثمان إلى عبد الملك خلعوه ، وأقاموا أبا فديك ، فوجّه إليه عبد الملك أُميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، فهزمه أبو فديك ، وفضحه وأخذ أثقاله وحرمه ، ثمّ وجّه إليه عمر بن عبيد الله بن معمر ، فلقي أبا فديك بالبحرين ، ومع عمر أهل الكوفة ، فقتل أبا فديك واستنقذ منه حرم أُميّة بن عبد الله .

وولّى عبد الملك الحجّاج في هذه السنة العراق ، وكتب إليه كتاباً بخطّه : أمّا بعد ، يا حجّاج ، فقد ولّيتك العراقين[2] صدقة ، فإذا قدمت الكوفة فطأها وطأة يتضاءل منها أهل البصرة ، وإياك وهوينا الحجاز ، فإن القائل هناك يقول ألفاً ولا يقطع بهنّ حرفاً ، وقد رميت العرض الأقصى ، فارمه بنفسك ، وأردْ ما أردته بك ، والسلام .

فلمّا قدم الكوفة صعد المنبر متلثماً بعمامته متنكّباً قوسه وكنانته ، فجلس على المنبر ملياً لا يتكلّم ، حتى همّوا أن يحصبوه[3] ، ثمّ قال : يا أهل العراق ، ويا أهل الشقاق والنفاق والمراق ، ومساوىء الأخلاق ، إن

---

(١) تقدم خبره وخبر أنصاره «النجدات» وهو الحروري نسبة إلى «حروراء» .

(٢) أي الكوفة والبصرة .

(٣) يحصبوه : يرموه بالحصى .

أمير المؤمنين نثل كنانته ، فعجمها[1] عوداً عوداً ، فوجدني أمرّها عوداً وأصعبها كسراً ، فرماكم بي ، وإنه قلّدني عليكم سوطاً وسيفاً ، فسقط السوط وبقي السيف . وتكلّم بكلام كثير فيه توعّد وتهدّد ، ثمّ نزل وهو يقول :

أَنا ابْنُ جَلا وطَلاَّعُ الثّنايَا   متى أَضَعِ العمامَةَ تَعْرِفوني

ولمّا استقامت الأمور لعبد الملك وصلحت البلدان ، ولم تبق ناحية تحتاج إلى صلاحها والاهتمام بها ، خرج حاجّاً سنة ٧٥ فبدأ بالمدينة وأحرم من ذي الحُليفة[2] ، ودخل وهو يلبّي ، ودخل المسجد وهو يلبّي ، وخطب في أربعة أيّام في كلّ يوم خطبة ، وصلى المغرب عشيّة عرفة قبل أن يصير إلى جمع ، وكان فيما خطب به في بعض أيامه ، أن قال : لقد قمت في هذا الأمر ، وما أدري أحداً أقوى عليه مني ، ولا أولى به ، ولو وجدت ذلك لولّيته . إن ابن الزبير لم يصلح أن يكون سائساً ، وكان يعطي مال الله كأنّه يعطي ميراث أبيه ، وإن عمرو بن سعيد أراد الفتنة ، وأن يستحلّ الحرمة ويذهب الدين ، وما أراد صلاحاً للمسلمين ، فصرعه الله مصرعه ، وإني محتمل لكم كلّ أمر إلاّ نصب راية ، وإن الجامعة التي وضعتها في عنق عمرو عندي ، وإنّي أقسم بالله لا أضعها في عنق أحد فأنزعها منه إلاّ صعداً .

وأتاه عليّ بن عبد الله بن عبّاس ، فذمّ إليه ابن الزبير ، وأعلمه ما كان أبوه وأهل بيته لقوا منه لامتناعهم من بيعته ، وأن أباه أوصاه ليلحق به ، فأحسن عبد الملك إجابته ، وحمله وحمل عياله إلى الشأم ، وأنزله داراً بدمشق ، ولم يزل يجري عليه أيامه كلّها .

ولمّا أراد عبد الملك الانصراف وقف على الكعبة فقال : والله إنّي

---

(١) عجم العود : عضّه ليعلم صلابته من رخاوته .

(٢) ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة ، ومنها ميقات أهل المدينة . [ياقوت : معجم البلدان]

وددت أنّي لم أكن أحدثت فيها شيئاً ، وتركت ابن الزبير وما تقلّد .

وقدم عبد الملك راجعاً إلى المدينة ، فوافاها في أول سنة ٧٦ ، فأغلظ لأهلها في القول ، وقام خطباؤه ونالوا من أهل المدينة ، وقام محمد بن عبد الله القارىء ، فقال لبعض الخطباء ، وهو يتكلّم : كذبت لسنا كذلك ! فأخذه الحرس ، فجرّوه حتى ظنّ الناس أنهم قاتلوه ، فأرسل إليهم أن كفوا عنه وخلّوا سبيله ، فأقام بالمدينة ثلاثاً ثمّ انصرف إلى الشأم .

وفي هذه السنة خرج شبيب[1] بن يزيد الشيباني الحروري بالعراق ، وهي سنة ٧٦ ، فوجّه إليه الحجاج الجيش بعد الجيش ، فهزمهم شبيب ، وكان شبيب ينتقل بين السواد والجبل ، ثمّ دخل الكوفة ليلاً حتى وقف على باب الحجّاج في القصر ، فضرب بابه بالعمود ، وقال : أُخرج إلينا ، يا بن أبي رغال .

وكان شبيب في نفر يسير ، وكانت معه امرأته غزالة ، وأُمّه جَهيزة ، ثمّ صار إلى المسجد الجامع ، فقتل من به من الحرس ، وقتل ميموناً مولى حوشب بن يزيد ، صاحب شرط الحجّاج ، وكان ميمون هذا يسمّى العذّاب ، وصلى بالناس بالمسجد الجامع ، فقرأ بهم البقرة ، وآل عمران .

ثمّ خرج الحجّاج في طلبه ، يقاتله في سوق الكوفة أشدّ قتال ، واتبعه ، وكان لحق شبيباً من أصحابه نحو مائة رجل ، ثمّ حمى الناس ، فجعلوا يتنادون حتى انهزم ، فوجّه الحجّاج في أثره علقمة بن عبد الرحمٰن

---

(١) شبيب بن يزيد: أحد كبار الثائرين على بني أُمية. كان داهية طماحاً إلى السيادة، قال الجاحظ في نعته : كان يصيح في جنبات الجيش ، إذا أتاه ، فلا يلوي أحد على أحد . إليه تنسب الفرقة الشبيبية من فرق النواصب . مات غرقاً حين نفر به فرسه فألقاه في ماء دجيل في نواحي الأهواز نحو سنة ٧٨ هـ .

[وفيات الأعيان ١ : ٢٢٣]

الحكميّ ، فلم يزل ينتقل من موضع إلى موضع حتى صار إلى الأهواز .

ثمّ وجّه الحجاج في طلبه سفيان بن الأبرد الكلبيّ ، فطلبه حتى انتهى إلى دجيل[1] ، فأقبل شبيب نحوه وسار على الجسر ، فلمّا توسّطه قطع سفيان جسر دجيل ، فدارت السفن ، فغرق شبيب ، ثمّ استخرجه بالشباك فاحتزّ رأسه ، ووجّه به إلى الحجّاج ، وقتل امرأته وأمّه ، وكان غرقه سنة ٧٨ .

وخرج بعد قتل شبيب أبو زياد المرادي بجوخى[2] ، فوجّه إليه الحجّاج الجراح بن عبد الله الحكمي ، فلقيه بالفلّوجة[3] ، فقتله .

ثمّ خرج بعد قتل أبي زياد أبو معبد ، رجل من عبد القيس رحل بناحية البحرين ، فبعث إليه الحجاج الحكم بن أيّوب بن الحكم الثقفي ، وكان يومئذٍ عاملاً على البصرة ، فقتله .

وألحّ الحجّاج في قتال الأزارقة ، واشتدّ استبطاؤه ، فجادّهم المهلّب ، فما زال يهزمهم من منزل إلى منزل حتى انتهى بهم إلى سجستان ، فقتل عطيّة بن الأسود الحنفي ، وكان من رؤساء الخوارج ، ثمّ جدّ بهم الأمر حتى صاروا إلى كرمان ، ثمّ وقع بأسهم بينهم بكرمان في كذبة وقعوا عليها من قطريّ[4] ، فقالوا له : تب ! فكره أن يوجب على

---

(١) دجيل : نهر بالأهواز حفره أردشير بن بابك أحد ملوك الفرس .

[ياقوت: معجم البلدان]

(٢) جوخى : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد .

[المصدر السابق]

(٣) الفلوجة : موضع على الفرات .

[المصدر السابق]

(٤) قطري : هو قطري بن الفجاءة ، من رؤساء الأزارقة وأبطالهم . من أهل «قطر» . كان خطيباً فارساً شاعراً . كانت كنيته في الحرب أبا نعامة (ونعامة فرسه) وفي السلم أبا محمّد . وهو صاحب الأبيات المشهورة التي أولها :

أقول لها وقد طارت شعاعاً ... من الأبطال ويحك لا تراعي =

نفسه التوبة ، فخلعوه .

وكـان في عسكره رجـلان : عبد ربّـه الكبير ، وعبـد ربّه الصـغيـر ، فلمّا امتنع أن يجيبهم إلى التـوبة فيـوجدهـم السبيـل إلى خلعه ، انحـاز كل واحد منهما في جيش مخالفاً على قطريّ ، فقصد المهلّب عبد ربّه الصغيـر حتى قتله .

وخـرج قطريّ في اثنين وعشـرين ألفاً من أصحـابـه حتى صـاروا إلى طبرستان ، وقصد المهلّب عبد ربّه الكبير ، وفرّق جمعه ، ولمّا صار قطريّ إلى طبرستان أرسل إلى أصبهبذ يسأله أن يدخله بلاده ، فسمـع له وفعـل ، فلمّـا بزأت(١) جـراحهم وسمنت دوابّهم أرسل إليـه قـطريّ ، فعـرض عليـه الإسلام ، أو يؤدي الجزية صاغراً ، ووجّه إليه أبا نعامة في الأزارقـة ، فقال الأصبهبذ : جئتني طريداً شريداً فآويتـك ، ثمّ ترسـل إليّ بهـذا ؟ أنت ألأم مَن في الأرض ، فقال : إنّه لا يجوز في الدين غير هذا ، فخـرج الأصبهبذ يحاربه ، فقُتل ابنه وأخوه وعمّه ، فـانهزم الأصبهبـذ حتى صار إلى الـريّ ، فـاستولى قـطريّ على طبـرسـتـان ، وصـار الأصبهبـذ إلى سفيـان بن الأبـرد الكلبيّ ، وهو يومئذ عامل الريّ قـد تهيّأ لقتـال الأزارقة ، فـأدخله طبرستـان من طريق مختصرة ، فقتل قطريّاً ، وبعث برأسه إلى الحجّاج سنة ٧٩ .

ووُلّي المهلّب بن أبي صفـرة خراسـان سنـة ٧٨ من قبـل الحجّـاج ، وولّى ابنه المغيرة مرو ، ومات بها ، فرثاه زياد بقصيدة يقول فيها :

إنّ السَمَاحة والشجـاعةَ ضُمّنَـا ‏ ‏ ‏ قبْراً بمروَ على الطّريق الواضح

وسار المهلب حتى صار إلى بلاد الصغد ، ونـزل كِشّ(٢) ، فصالحـه

= قتل بالري أو بطبرستان سنة ٧٨ هـ .

[وفيات الأعيان ١ : ٤٣٠]

(١) بزأت : التأمت .

(٢) كش : قرية على جبل قريبة من جُرجان .

[ياقوت : معجم البلدان]

ملك الصغد ، وأخذ المهلّب منه الرهائن ، ودفعها إلى حريث بن قطبة ، وانصرف إلى بلخ ، فأخذ حريث بلاد . . . . . [1] فحاربه .

واعتلّ المهلّب، فاشتدّت علّته من آكلة[2] كانت في رجله، فلمّا حضرته الوفاة استخلف ابنه يزيد على كره منه له لصلفه وتيهه ، إلّا أن الحجّاج كتب إليه بذلك ، ثمّ أنكر الحجّاج على يزيد أشياء بلغته عنه ، فأراد صرفه فخاف أن يمتنع عليه ، فتزوّج هنداً أخته ، وكتب أن يقدم عليه ، ويستخلف المفضل بن المهلّب ، فقدم وكتب الحجّاج إلى المفضّل بولايته خراسان مكان يزيد أخيه ، ثمّ ولّى قتيبة بن مسلم مكانه ، وقتيبة على الري ، وقد شرحنا ذلك في غير هذا الموضع من الكتاب .

وولّى الحجّاج ثغري السند والهند سعيد بن أسلم بن زُرْعة الكلابيّ ، فأقام بمُكْرَان[3] ، وغزا ناحية الهند ، وكان رجلاً محدوداً ، فقُتل ، فوجّه الحجّاج موضعه محمد بن هارون بن ذراع النّمريّ ، فصار إلى مكران ، وحسن أثره في غزو العدوّ ، وظفر مرة بعد أُخرى ، فخرج يريد الدَّيْبُل[4] في عدّة سفن و . . . . [5] ملك الديبل ، فعارضه في خلق عظيم ، فقُتل محمد بن هارون وخلق عظيم ممن كان معه .

وولّى عبدُ الملك حسانَ بن النعمان الغسانيّ أفريقية والمغرب ، فلم يزل مقيماً بها ، ثمّ توفي ، واستخلف رجلاً على البلد ، فولّى عبد الملك

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) الآكلة : داء في العضو يأتكل منه .

(٣) سميت مكران بمكران بن مارك بن سام بن نوح أخي كرمان لأنه نزلها واستوطنها لما تبلبلت الألسن في بابل ، وهي ولاية واسعة تشتمل على مدن وقرى .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٤) الديبل : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند .

[المصدر السابق]

(٥) بياض في الأصل.

أفريقية موسى[1] بن نصير اللخميّ سنة ٧٧ ، وقيل ولّاه عبد العزيز بن مروان ، وهو يومئذ عامل مصر ، فافتتح موسى بن نصير عامّة المغرب ، ولم يزل مقيماً عليها مدّة أيام ولاية عبد الملك .

وتوفي عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالمدينة سنة ٨٠ ، وكان جواداً سخيّاً ، يقال إنّه أتاه إنسان في أمره يسأله معونته عليه ، فلم يحضره ما يعطيه ، فنزع ثيابه التي كانت عليه ، وقال : اللهمّ إن نزل بي من بعد اليوم حقّ لا أقدر على قضائه فأمتْني قبله ! فمات في ذلك اليوم ، وفي هذه السنة كان السيل الجُحاف الذي ذهب بمتاع الحاج .

وكان عبد الرحمٰن بن محمد بن الأشعث بن قيس عامل الحجّاج على سجستان ، ووجّه مع الحجّاج بعشرة آلاف منتخب ، فلمّا صار إلى سجستان ، أقام ببست[2] ، ثمّ سار يريد رتبيل ملك البلد ، وكان قد ضبط أطرافه ، فلمّا أوغل في بلاد رتبيل ، خاف غرره ، فرجع إلى بست ، وكتب إلى الحجّاج يعلمه برجوعه ، وأنّه أخر غزو رتبيل إلى العام المقبل ، فكتب إليه كتاباً يتوعده فيه ، فجمع أطرافه إليه وحرّض الناس على الحجّاج . ودعاهم إلى خلعه ، فخلعوه ، وبايعوا له . فلمّا اجتمعت الكلمة قال لهم : نسير إلى العراق ، ونكتب بيننا وبين رتبيل كتاب صلح ، فإن تم أمرنا وقفنا عنه ، ورقبنا له ، وإن كانت الأُخرى اتّخذناه ملجأً . فتمّ رأي القوم على ذلك ، وكتب بينه وبين رتبيل كتاباً بهذا الشرط ، وسار إلى العراق واستخلف على سجستان رجلاً من قِبَله ، وأقبل حتى صار إلى قرب الأهواز ، فلمّا بلغ الحجّاج أمره ، وجّه إليه عبد الله بن عامر بن صعصعة .

---

(١) موسى بن نصير : أبو عبد الرحمٰن، فاتح الأندلس. نشأ في دمشق ، وولي غزو البحر لمعاوية ، فغزا قبرس وبنى بها حصوناً . كان شجاعاً عاقلاً كريماً تقياً ، لم يهزم له جيش قط . توفي بالحجاز سنة ٩٧ هـ .

[وفيات الأعيان ٢ : ١٣٤]

(٢) بست : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة .

[ياقوت: معجم البلدان]

ثمّ خرج الحجّاج في جيش حتى صار إلى الأهواز ، ولقيه عبد الرحمٰن ، فقاتله قتالاً شديداً ، فهزمه حتى رجع الحجّاج إلى البصرة ، ولحقه ابن الأشعث ، فقاتله بالبصرة ، فانهزم ابن الأشعث ، فلمّا رأوا انهزامه إلى الكوفة ، أتوا عبد الرحمٰن بن العبّاس بن ربيعة الهاشميّ ، فقالوا : تركنا ولحق بالكوفة ، وهذا الفاسق منيخ علينا . فبايعهم وسار إلى الحجّاج ، فقاتله بالزاوية ، فهزمه الحجّاج ، فلحق بابن الأشعث بالكوفة .

وأقبل الحجّاج من البصرة إلى ابن الأشعث فسلك في البرية حتى نزل قريباً منه ، وخرج ابن الأشعث فنزل دير الجماجم[١] ، وجعلت خيلهما تروح وتغدو للقتال ، وأهل الكوفة يستعلون على خيل الحجّاج ، ويهزمونهم في كلّ يوم ، فاشتدّ على الحجّاج ما رأى من ذلك ، وكتب إلى عبد الملك كتاباً بعث به بأحثّ سير : أمّا بعد فيا غوثاه ، ثمّ يا غوثاه ! فلمّا قرأ عبد الملك الكتاب كتب إليه : أمّا بعد فيا لبّيك ، ثمّ يا لبّيك ، ثمّ يا لبيك ! ثمّ وجّه بجيش بعد جيش ، وكانت وقائعهم كثيرة شديدة ، أخراهنّ وقعة مسكن[٢] هزمه فيها الحجّاج فمضى منهزماً لا يلوي على شيء حتى صار إلى سجستان ، فأتى مدينة زَرَنْج ، فمنعه عبد الله بن عامر عامله من دخولها ، فمضى إلى بست ، وعليها عياض بن عمرو ، فأدخله المدينة ، ودبّر أن يغدر به ، ويتقرّب به إلى الحجّاج .

وكان مع عبد الرحمٰن جماعة من قرّاء العراق منهم الحسن[٣]

---

(١) دير الجماجم : بظاهر الكوفة على طرف البر للسالك إلى البصرة . وقد سمي دير الجماجم لأن ابن محرز الإيادي قتل قوماً من الفرس ونصب رؤوسهم عند الدير فسمي دير الجماجم .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) مسكن : موضع قريب على نهر دجيل عند دير الجاثليق .

[المصدر السابق]

(٣) تقدّمت ترجمته .

البصري ، وعامِر بن شراحيل الشعبيّ ، وسعيد[1] بن جبير ، وإبراهيم النخعيّ ، وجماعة من هذه الطبقة ، فسار إلى رتبيل صاحب سجستان ، فكانت هزيمته في سنة ٨٣ ، وجعل الحجّاج يتلقّط أصحابه ويضرب أعناقهم ، حتى قتل خلقاً كثيراً ، وعفا عن جماعة منهم الشعبي وإبراهيم[2] .

وبنى الحجّاج مدينة واسط[2] في السنة التي هرب فيها ابن الأشعث ، ونزلها ، وقال : انزل بين الكوفة والبصرة .

ولمّا بلغ أصحاب ابن الأشعث أنّه قد صار إلى رتبيل صاحب البلد ، وأنّه قد أقام عنده في أمن وسلامة ، ووفى له رتبيل بما كان بينه وبينه ، اجتمعوا من كلّ أوب بناحية زرنج ، وأمّروا عليهم عبد الرحمٰن بن العبّاس الهاشميّ . . . .[3] فلقيهم بهراة ، فقاتلهم ، فهزمهم .

وبلغ الحجّاج مكان ابن الأشعث في أربعة آلاف من أصحابه عند رتبيل ، فوجّه عمارة بن تميم اللخميّ إلى رتبيل ، وكتب معه إليه يأمره أن يوجّهه إليه ، وإلا وجّه إليه بمائة ألف مقاتل ، فلم يفعل . وكان عبيد بن أبي سبيع غالباً على رتبيل ، فنفسه ذلك ابن الأشعث ، وأراد أن يمكر به ووجّه إليه ليقتله ، فهرب عبيد بن أبي سبيع فصار إلى عمارة بن تميم ، وهو مقيم بمدينة بست ، وقال : تجعلون لي شيئاً ، وتصالحون رتبيل ،

---

(١) سعيد بن جبير : تابعي ، وهو حبشي الأصل . أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر . ثم كان ابن عباس ، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه ، قال : أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء ؟ يعني سعيداً . وفي قتله قال الإمام أحمد بن حنبل : قتل الحجاج سعيداً وما على وجه الأرض أحد إلاّ هو مفتقر إلى علمه .

[وفيات الأعيان ١ : ٢٠٤]

(٢) واسط : وتسمى واسط الحجاج ، وقد سميت واسطاً لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) بياض في الأصل .

ويتكفّـون عنـه ، ويسلّم إليكم ابن الأشعث . وكتب عمـارة إلى الحجّـاج بذلك ، وكتب إليه الحجّاج يقول له : أجبـه إلى كلّ مـا سألـك . وكتب له عهوداً ختمها بخاتمه ، فأخذهـا عمارة ، وقـدم بهـا على رتبيل ، فلم يـزل يرهبه مـرة ويرغبـه أخرى ، حتى أجـابه إلى أخـذ ابن الأشعث ، فأخـذه ، وقيّـده وجماعـة معه وأخـاه ، وحملهم معه إلى الحجّـاج في الحديـد ، فلمّا صـاروا بالرُّخّج[1] رمى ابن الأشعث بنفسه من فوق سطح ، وكان معه في السلسلة رجل يقال له أبو العـر[2]، فماتا جميعاً ، وكان ذلك في سنة ٨٤ ، واحتزّ رأسه ، فحُمل إلى الحجّاج ، وحمله الحجّاج إلى عبد الملك .

وعزم عبد الملك بن مروان على خلع أخيه عبـد العزيـز والبيعة لابنـه الوليد بولاية العهد من بعده ، وكان عبد العـزيز بمصـر ، وكتب إلى الحجّاج بأن يشخص إليه الشعبيّ ، فأشخصه إليه فآنسه وبرّه ، وأقام عنده أيّاماً ، ثم قـال : إنـي آتمنك على شيء لم آتمن عليـه أحداً . إنّـه قـد بـدا لي أن أبايع للوليد بولاية العهد بعدي ، فإذا أتيت عبد العزيز ، فزيّن لـه أن يخلع نفسـه من ولايـة العهـد ، ومصـر لـه طعمـة . قـال الشعبيّ : فـأتيت عبـد العزيـز ، فما رأيت ملكاً كان أسمح أخلاقاً منه ، فإنّي يوماً خـالٍ به أحـدّثه إذ قلت لـه : أصلح الله الأمير ، إن رأيت ملكـاً أكمل ، ولا نعمـة أنضـر ، ولا عـزّاً أتم ممّا أنت فيـه ، ولقد رأيت عبـد الملك طويـل النصب ، كثيـر التعب ، قليـل الـراحـة ، دائم الـروعـة ، إلى مـا يتحمّـل من أمـر الأمّـة ، ولـوددت والله أنّهم أجـابـوك إلى أن يصيّـروا مصـر لـك طعمـة ، ويصيّـروا عهـدهم إلى من أحبّوا ، فقـال : ومَن لي بـذلـك ؟ فلمّـا عـرفت مـا عنـده انصـرفت إلى عبد الملك ، فـأخبرتـه الخبـر ، فخلع عبـد الملك أخـاه من ولاية العهد ، وولّى ابنه الوليد ، ثمّ ابنه سليمان من بعد الوليد .

---

(١) رخج : كورة ومدينة من نواحي كابل .

[المصدر السابق]

(٢) دون نقط في الأصل .

وقيل إن عبد الملك لم يخلعه ، ولكنّه توفي في تلك المدّة التي همّ بخلعه فيها ، وقيل إن عبد العزيز سقي سمّاً ، وكان ذلك في سنة ٨٥ .

وولى هشام[1] بن إسماعيل المخزومي المدينة ، فضرب سعيدَ بن المسيب ستّين سوطاً ظلماً وعدواناً ، وطاف به ، فكتب إليه عبد الملك يلومه ، وساءت سيرة هشام بن إسماعيل ، وأظهر العداوة لآل رسول الله .

وكان الغالب على عبد الملك روح بن زنباع الجذّامي ، وعلى شرطته يزيد بن أبي كبشة السكسكي ، ثمّ عزله واستعمل عبد الله بن يزيد الحكميّ ، وكان على حرسه أبو عيّاش الكهاني ، وبعده أبو الزعيزعة مولاه ، وجمع العراقين للحجّاج ، ومصر والمغرب لعبد العزيز بن مروان ، ثمّ لابنه عبد الله بن عبد الملك .

وكانت لعبد الملك رجلة[2] ، ودهاء ، وعلم ، إلاّ أنّه كان مبخّلاً ، فلمّا حضرته الوفاة جمع ولده ، فأوصاهم بالإجماع والألفة وترك التباغي ، ثمّ قال : يا وليد ، إذا أنا مت فشمّر وأتزر ، والبس جلد النمر ، ثمّ ادع الناس إلى بيعتك ، فمن قال برأسه هكذا ، فقل بالسيف هكذا ، وتوفي للنصف من شوّال سنة ٨٦ ، وكانت ولايته إحدى وعشرين سنة من يومه الذي بويع فيه بالشأم ، وبعد قتل ابن الزبير ثلاث عشرة سنة ، وكانت سنه ستّين سنة أو نيفاً وستّين سنة ، وصلّى عليه ابنه الوليد ، ودفن بدمشق .

وخلّف من الولد الذكور أربعة عشر ذكراً : الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، ومروان ، وهشام ، وبكّار ، وعبد الله ، ومسلمة ، ومعاوية ، ومحمد ، والحجّاج ، وسعيد ، والمنذر ، وعنبسة .

---

(١) هشام بن إسماعيل : والي المدينة ، وكانت بنته زوجة عبد الملك بن مروان . وهو الذي ينسب إليه «مُدّ هشام» عند الفقهاء ، وربما قالوا «المد الشامي» يريدون الهشامي وهو أكبر من المد الذي كانت تُكال به الكفارات وأنواع الزكاة في عصر النبوة .
[الكامل لابن الأثير ٤ : ١٨٣]

(٢) الرجلة : الصلابة والرجولية .

وفي أيام عبد الملك نُقشت الدراهم والدنانير بالعربية ، وكان الذي فعل ذلك الحجّاج بن يوسف .

وروى بعضهم أن رجلاً أتى سعيد بن المسيب فقال : رأيت كأنّ النبيّ موسى واقف على ساحل البحر ، آخذ برِجل رَجل يدوّره كما يدوّر الغسّال الثوب ، فدوّره ثلاثاً ، ثمّ دحا به إلى البحر . فقال سعيد : إن صدقت رؤياك مات عبد الملك إلى ثلاثة أيام ، فلم يمض ثالثه حتى جاء نعيّه ، فقال لسعيد : من أين قلت هذا ؟ قال : لأنّ موسى غرّق فرعون ، ولا أعلَمُ فرعون هذا الوقت إلا عبد الملك .

وأقام الحجَّ للناس في ولايته سنة ٧٢ الحجّاج بن يوسف ؛ سنة ٧٣ ، وسنة ٧٤ الحجاج أيضاً ، سنة ٧٥ عبد الملك بن مروان ؛ سنة ٧٦ أبان بن عثمان بن عفان ؛ سنة ٧٧ أبان أيضاً ؛ سنة ٧٨ ، وسنة ٧٩ ، وسنة ٨٠ أبان أيضاً ؛ سنة ٨١ سليمان بن عبد الملك ؛ سنة ٨٢ أبان بن عثمان ، سنة ٨٣ هشام بن إسماعيل المخزومي ؛ سنة ٨٤ وسنة ٨٥ هشام بن إسماعيل المخزومي أيضاً .

وغزا بالناس في ولايته سنة ٧٥ محمد بن مروان الصائفة ، وخرجت الروم على الأعْماق ، فقتلهم أبان بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، ودينار بن دينار ؛ سنة ٧٦ غزا يحيىٰ بن الحكم الصائفة بمرج الشحم بين ملطية[1] والمصيصة[2] ؛ سنة ٧٧ غزا الوليد بن عبد الملك أطمار ، وكانت غزاته من ناحية ملطية ، وغزا في البحر حسّان بن النعمان . . . . .[3] ؛

(١) ملطية : بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام . ذكرها المتنبي فقال :
ملطيّةٌ أمٌّ للبنين ثكولُ

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) المصيصة : مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين إنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس .

[المصدر السابق]

(٣) بياض في الأصل .

سنة ٨٣ عبد الله أيضاً ، وفتح المصيصة وبنى فيها حصناً صغيراً .

وكان الفقهاء في أيّامه عبد الله بن عبّاس ، عبد الله بن عمر ، المسور بن مخرمة الزهريّ ، السائب بن يزيد ، أبا بكر بن عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام ، خارجة بن زيد بن ثابت ، سعيد بن المسيّب ، عروة بن الزبير ، عطاء بن يسار ، القاسم بن محمد ، أبا سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف ، سالم بن عبد الله ، قبيصة بن جابر ، عبيدة بن قيس السلماني ، شريح بن الحارث الكنديّ ، عبد الرحمٰن بن أبي ليلى ، عبد الله بن يزيد الخطميّ ، زيد بن وهب الهمدانيّ ، الحارث بن سويد التميميّ ، مرّة بن شراحيل الهمدانيّ ، أبا جُحيْفة وهب بن عبد الله العامريّ الأسديّ ، يسير ابن عمرو السلوليّ ، أبا الشعثاء سليمان بن الأسود ، الأسود بن مالك الحارثي ، ابن حراش العبسيّ ، عمرو بن ميمون الأودي ، عامر بن شراحيل الشعبي ، عبد الرحمٰن بن يزيد النخعيّ ، سالم بن أبي الجعد ، عمّار بن عمير الليثيّ ، إبراهيم بن يزيد التيميّ ، أبا ظبيان الحصين بن جندب ، سليمان بن يسار ، أبا المَليح بن أُسامة .

أيام الوليد[1] بن عبد الملك

ثمّ ملك الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وأُمّه ولّادة بنت العبّاس بن جزء العبسيّة ، للنصف من شوال سنة ٨٦ ، في اليوم الذي توفي فيه عبد الملك ، وكانت الشمس يومئذ في الميزان خمس عشرة درجة وخمسين دقيقة ، والقمر في الحمل ثمانياً وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، وزحل في الثور أربعاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمشتري في الدلو ستّاً

(١) الوليد بن عبد الملك : امتدت في زمنه حدود الدولة العربية إلى بلاد الهند حتى أطراف الصين . كان ولوعاً بالبناء والعمران وإصلاح الطرق . منع المجذومين من مخالطة الناس بعد أن أجرى لهم الأرزاق . وهو أول من أحدث المستشفيات في الإسلام ، وجعل لكل أعمى قائداً يتقاضى نفقاته من بيت المال ، وأقام بيوتاً ومنازل يأوي إليها الغرباء ، دفن بدمشق سنة ٩٦ هـ .

[ابن الأثير ٥ : ٣]

وعشرين درجة وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمرّيخ في القوس إحدى وعشرين درجة وثلاثين دقيقة ، والزهرة في العقرب خمس عشرة درجة وثلاثين دقيقة ، وعطارد في الميزان عشر درجات وأربعين دقيقة ، فصعد المنبر فنعى أباه ، وقال : أيّها الناس ! عليكم بالطاعة ، ولزوم الجماعة فإنّه مَن ابْدى ذات نفسه ضربت الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدائه .

ثمّ نزل فعقد لمسلمة أخيه على غزاة الروم ، فنفذ في عدد كثير ، فوجد جَراجمَة إنطاكية قد خالفوا ، فقتل منهم مقتلة عظيمة .

وكتب الوليد إلى الحجّاج فنعى إليه أباه عبد الملك ، فنادى الحجّاج بالصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر ، فذكر عبد الملك ، وقرّظه ، ووصف فعله وقال : كان والله البازل[1] الذكر ، رابعاً من الولاة الراشدين المهديّين ، وقد اختار له الله ما عنده ، وعهد إلى نظيره في الفضل وشبيهه في الحزم والجلد ، والقيام بأمر الله ، فاسمعوا وأطيعوا .

وولّى الوليدُ عمرَ بن[2] عبد العزيز المدينة ، وأمر أن يقف هشام بن إسماعيل للناس ، وكان هشام بن إسماعيل المخزوميّ قد أساء السيرة ، وجار في الأحكام ، وتحامل على آل رسول الله ، فلمّا قدم عمر قال هشام : ما أخاف إلاّ عليّ بن الحسين ! فمرّ به ، وهو موقوف ، فسلّم عليه ، فناداه هشام : الله أعلم حيث يجعل رسالاته ، ولم يعرض له سعيد ابن المسيّب ولا لأحد من أسبابه وحاميته .

وكان قدوم عمر بن عبد العزيز المدينة سنة ٨٧ وثقله على ثلاثين بعيراً . وضرب الوليد البعث على أهل المدينة ، وكتب إلى عمر ، فأخرج منهم ألفي رجل .

وبنى الوليد المسجد بدمشق ، فأنفق عليه أموالاً عظاماً ، وابتدأ بناءه

---

(١) يُقال «بزل البعير» : انشق نابه فهو بازل . والتكنية واضحة هنا .

(٢) أنظر خبره فيما بعد .

في سنة ٨٨ ، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز أن يهدم مسجد رسول الله ، ويدخل فيه المنازل التي حوله ، ويدخل فيه حجرات أزواج النبي ، وهدم الحجرات ، وأدخل ذلك في المسجد . ولمّا بدأ بهدم الحجرات قام خُبَيْب بن عبد الله بن الزبير إلى عمر والحجرات تُهدم ، فقال : نشدتك الله يا عمر أن تذهب بآية من كتاب الله ، يقول : ﴿إنّ الذين ينادونك من وراء **الحجرات**﴾[1] ؛فأمر به ، فضرب مائة سوط ، ونُضح بالماء البارد ، فمات ، وكان يوماً بارداً . فكان عمر لما ولي الخلافة ، وصار إلى ما صار إليه من الزهد ، يقول : مَن لي بخبيب ! .

وروى الواقدي[2] أن الوليد بعث إلى ملك الروم يعلمه أنّه قد هدم مسجد رسول الله ، فليعنه فيه ، فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهباً ، ومائة فاعل ، وأربعين حملاً فسيفساء ، فبعث الوليد بذلك كلّه إلى عمر ، فأصلح به المسجد ، وفرغ من بنائه في سنة ٩٠ .

وبعث الوليد إلى خالد[3] بن عبد الله القسريّ ، وهو على مكّة ، بثلاثين ألف دينار ، فضُربت صفائح ، وجُعلت على باب الكعبة وعلى الأساطين التي داخلها وعلى الأركان والميزاب، فكان أول من ذهّب البيت في الإسلام .

وحجّ الوليد سنة ٩١ لينظر إلى البيت وإلى المسجد وما أُصلح منه ، وإلى البيت وتذهيبه ، فلمّا قرب من المدينة خرج عمر ، فتلقّاه بأشراف المدينة ، فدخل المسجد ، وجعل ينظر إليه ، وأخرج الحرس كلّ من كان

---

(١) الآية الكريمة : **﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون﴾** .
[سورة الحجرات ؛ الآية : ٤]

(٢) تقدّمت ترجمته .

(٣) خالد بن عبد الله القسري : أحد خطباء العرب وأجوادهم . يماني الأصل ، من أهل دمشق . سجنه يوسف بن عمر الثقفي وعذبه بالحيرة ، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ . وكان خالد يرمى بالزندقة ، وللفرزدق هجاء فيه .
[الأغاني ١٩ : ٥٣ - ٦٤]

فيه خلا سعيد بن المسيّب ، فإنّه لم يخرج ، ولم يترجرج ، فدخل الوليد ، فجعل يطوف وسعيد ابن المسيّب جالس ، ثمّ قال الوليد : أحسب هذا سعيد بن المسيّب ؟ فقال له عمر : نعم ! ومن حاله وحاله ، إلا أنه ضعيف البصر . فجاء الوليد حتى وقف عليه ، فقال : كيف أنت أيّها الشيخ ؟ فما تحرّك ، وقال : نحن بخير ، يا أمير المؤمنين ، وكيف أنت ؟ وانصرف الوليد ، وهو يقول لعمر : هذا بقيّة الناس .

وقسم الوليد بين أهل المدينة قسماً كثيرة ، وصلى بها الجمعة ، وصفّ بها الجند صفّين ، وصلى في درّاعة[1] وقلنسوة في غير رداء ، وخطب قاعداً ، وتوعد أهل المدينة فقال : إنّكم أهل الخلاف والمعصية ، فقام إليه قوم فكلّموه ، وكلّمه أبو بكر بن عبد الرحمٰن ، فقال : ما نجهل ما تقولون ، ولكن في النفوس ما فيها .

وصار إلى مكة فخطب بها خطبة بَتْراء[2] ذكر فيها الوعيد والتّهديد ، ولمّا صار بعرفة أطعم الناس ، ونصب الموائد ، ولم يأكل ، وكان خالد الذي يقوم على الموائد ، ثمّ نصب مائدة ، فقيل : هذه لأمير المؤمنين ، فقام ، فأرسل إليه الوليد يأمره بالجلوس فجلس .

وولّى الوليد موسى[3] بن نصير الأندلسي في هذه السنة ، وهي سنة ٩١ ، فوجّه معه بطارق مولاه ، فلقي ملك الأندلس ، وكان يقال له الأدريق ، وكان رجلاً من أهل أصبهان ، وهم القوطيّون ملوك الأندلس ، فزحف طارق إليه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وفتح الأندلس ، ثم خرج موسى ابن نصير إلى البلد ، وكان قد غضب على طارق مولاه في أمور بلغته عنه ، فلقيه طارق ، فترضّاه ، فرضي عنه ، ووجّهه إلى مدينة طُلَيْطُلَة[4] ، وهي

---

(١) الدرّاعة : جبّة مشقوقة المقدّم .

(٢) بتراء : تشبيهاً بخطبة زياد التي لم يبدأها باسم الله وحمده .

(٣) موسى بن نصير : فاتح الأندلس . وقد تقدم خبره .

(٤) طليطلة : مدينة كبيرة بالأندلس . كانت قاعدة ملوك القرطبيين وموضع قرارهم . [ياقوت : معجم البلدان]

من عظام مدائن الأندلس ، على مسيرة عشرين يوماً ، فأصاب فيها مائدة ذهب مفصّصة بالجوهر ، قيل إنّها مائدة سليمان بن داوُد ، فكسر رجلها ، فأخذها ، وبعث بها إلى موسى بن نصير .

وكان الحجّاج قد عزل يزيد بن المهلّب عن خراسان ، وولّى المفضّل ، فأقرّ المفضّل ثمّ عزله ، وولّى قتيبة بن مسلم الباهلي ، وكان قتيبة عامله على الريّ ، وكتب إليه أن يستوثق من المفضّل وبني أبيه ، ويشخصهم إليه ، فسار قتيبة من الريّ حتى قدم مرو ، فأخذ المفضّل ابن المهلب وسائر ولد المهلّب ، فأشخصهم إلى الحجّاج ، فحبسهم وطالبهم بستّة آلاف ألف .

وصار قتيبة إلى بخارى ، فافتتحها ، وافتتح عدّة مدن منها ، ثمّ انصرف وخلّف فيها ورقاء بن نصر الباهليّ ، وأمره بقبض الصلح .

وكان نيزك صاحب الترك قد صار إلى قتيبة ، فلم يزل معه يحضر حروبه ، فلمّا انصرف قتيبة تحرّك طرخون صاحب السغد ، وجيل أبو شوكر بخاراخداه ، وكُر معانون اللوسي[1] في الترك ، فكره قتيبة قتالهم ، فوجّه حيّان النَّبطيّ فصالحهم .

ثمّ صار إلى الطالقان[2] ، وبها باذام قد عصى وتغلّب على البلد ، وكان ابن باذام مع قتيبة ، فلمّا بلغه أن باذام قد تحصّن وعصى وارتدّ أخذ ابنه ، فقتله ، وصلبه وجماعة معه ، ثمّ لقي باذام فقاتله أيّاماً ، ثمّ ظفر به ، فقتله ، وقتل ولده وامرأته ، واستعمل على البلد أخاه عمرو بن مسلم .

ولمّا فتح قتيبة بخارى والطالقان استأذنه نيزك طرخان في الرجوع إلى بلاده ، وكان نيزك قد أسلم وسمّي بعبد الله ، فأذن له ، فرجع إلى

(١) هكذا دون نقط في الأصل .

(٢) الطالقان : بلدتان إحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ . ويقول الاصطخري : أكبر مدينة بطخارستان طالقان .

[ياقوت : معجم البلدان]

طخارستان[1] ، فعصى ، وكاتب الأعاجم ، وجمع الجموع ، فزحف إليه قتيبة ، ووجّه إليه سُليماً الناصح ، وكان صديقاً له ، فلم يزل يختدعه ويعطيه عن قتيبة ما يسأل ، حتى خرج إلى قتيبة على الأمان فأقام عنده أياماً ثمّ ضرب عنقه وعنق ابن أخت له ، وبعث برؤوسهما إلى الحجاج ، وأخذ امرأة نيزك ، فلمّا خلا بها قالت له : ما أجهلك ! أظننت أن نفسي تطيب لك ، وقد قتلت زوجي وسلبتني ملكي ؟ فخلّاها ، وقال : اذهبي حيث شئت .

ثمّ سار قتيبة إلى السغد ، فلقيه صاحب السغد ، فصافّه[2] أيّاماً ، ثمّ هرب منه ، ولحق قتيبة الشتاء ، فانصرف ، وكتب إليه الحجّاج يأمره بالمصير إلى سجستان ومحاربة رتبيل ، فسار سنة ٩٢ ، حتى صار إلى زالق من أرض سجستان ، ثمّ زحف إلى رتبيل ، فوجّه إليه رتبيل : إنّا كنّا قد صالحناكم ، وقبلتم الصلح ، فماذا دعاكم إلى نقضه ؟ فأرسل إليه أن الحجّاج أبى ذلك ، فردّ عليه رتبيل : إن قبلتم الصلح كان أصلح لكم ، وإلّا رجونا النصر عليكم . فقال قتيبة لأصحابه : إنّ هذا وجه مشؤوم ، وقد هلك فيه عبد الله بن أُميّة ، وابن أبي بكرة ، وغير واحد ، ولا نأمن الحيل التي كان رتبيل يحتالها من تحريق الطعام ، والعلوفات ، وأخذ الحصون والسهل وحمل ما . . . . .[3] فولّى قتيبة عبد ربّه بن عبد الله بن عمير الليثيّ ، وسار قتيبة إلى خوارزم ، وبها سعيد بن ونوفار ، وكانوا قتلوا عامل قتيبة ، فقدمها ، فسبى مائة ألف ، وحاصر سعيد بن ونوفار حتى قتله .

فلمّا أصلح البلاد وانصرف بالغنائم التي لم يُسمع بمثلها ، وأراد جنده الرجوع إلى أوطانهم بما في أيديهم ، قام قتيبة خطيباً ، فذكّرهم ما كانوا فيه ، وأعلمهم أنه لا براح لهم ، واستخلف على خوارزم عبد الله بن

---

(١) طخارستان : ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد ، وهي من نواحي خراسان .

(٢) صافّه : وقف مقابلاً له استعداداً للقتال .

(٣) بياض في الأصل .

أبي عبد الله الكرماني ، ثم سار قتيبة إلى سمرقند ، وكان غوزك قد قتل طرخون ملك السغد ، وتملّك على البلد ، فلمّا وافى قتيبة حاربه ، فكانت بينهم حروب شديدة ، وأحبّ قتيبة الصلح فراسل غوزك يدعوه إلى ذلك ، فقال لأهل سمرقند : علام نصالحهم ، وبلدنا لا يدخله إلّا رجلان : أمّا أحدهما فميل[1] وأمّا الآخر فاسمه أكاف ، فكبّر قتيبة ، وكبّر المسلمون ، وقالوا : أميرنا اسمه قِتْب[2] البعير ، فأذعنوا بالصلح على أن يدخل فيصلّي ركعتين ، فدخل من باب كشّ[3] ، وخرج من باب الصين ، واتّخذ لهم غوزك ملك سمرقند الطعام ، فأكل قتيبة وأصحابه ، فكتب له كتاب صلح ؛ هذا ما صالح عليه قتيبة بن مسلم غوزك اخشيد السغد ، أفشين سمرقند ، على السغد ، وسمرقند ، وكشّ ، وكسف ، صالحه على ثلاثة آلاف درهم يؤدّيها غوزك إلى رأس كلّ سنة ، وجعل له عهد الله وذمّته ، وذمّة الأمير الحجّاج بن يوسف ، وأشهد له شهوداً ، وكان ذلك سنة ٩٤ .

وولّى قتيبة سمرقند عبد الرحمٰن بن مسلم أخاه . فغدر به أهل سمرقند ، وأتاه خاقان ملك الترك ، وكتب إلى قتيبة ، فتوقّف قتيبة حتى انحسر الشتاء ، ثمّ سار إليه ، فهزم عسكر الترك ، واستقامت له خراسان .

وكان الحجّاج لمّا أشخص إليه قتيبة ولد المهلّب حبسهم جميعاً ، ومعهم يزيد بن المهلّب ، بستّة آلاف ألف درهم ، وعذبهم في ذلك أشدّ العذاب ، فلمّا رأوا ما هم فيه من العذاب سألوه أن يدخل إليهم التجار حتى يبيعوا أموالهم وضياعهم ، وصنعوا طعاماً كثيراً ، ودخل إليهم الناس ، وخلق من التجار ، فأكلوا عندهم في الحبس ثمّ اختلطوا بغمار الناس ،

---

(١) وردت دون نقط في الأصل .

(٢) قِتب البعير : رحله .

(٣) باب كش ، وتكتب أيضاً بالسين المهملة : محلة كبيرة بسمرقند ، يُقال لها بالفارسية دَرْوَازه كش .

[ياقوت : معجم البلدان]

وخرجوا معهم ، وقد لبس يزيد لحية كبيرة طويلة صفراء ، وكان شابّاً ، ثمّ ركب وإخوته نجائب قد كان تقدّم في إعدادها ، ولحق بالشأم ، فصار إلى سليمان[1] بن عبد الملك ، فكلّموه ، وصار إلى عبد العزيز بن الوليد ، فشفع فيهم عند الوليد ، حتى آمنهم وأحضرهم ، فصالحهم على نصف المال ، وهو ثلاثة آلاف ألف درهم ، فقالوا : على أن نستعين قومنا من أهل الشأم ، فقال : ذلك إليكم ! فتحمّل عنهم اليمانية من أهل دمشق من أعطيتهم نجماً ، وتحمّل عنهم سائر أهل الشأم نجماً ، وأقاموا بباب الوليد ، وكتب الوليد إلى الحجّاج في تخلية من كان في محبسه من أسبابهم ، فخلّاهم جميعاً .

ووجّه الحجّاج محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي إلى السند ، سنة ٩٢ ، وأمره أن يقيم بشيراز من أرض فارس ، حتى يمكن الزمان ، فقدم محمد شيراز ، فأقام بها ستّة أشهر ، ثمّ سار في ستّة آلاف فارس ، حتى أتى مكران ، فأقام بها شهراً ونحوه ، ثمّ زحف إلى فَنَّزْبور[2] ، وقد جمع أهل فنّزبور ، فحاربهم شهوراً . ثمّ فتحها فسبى وغنم ، ثمّ زحف إلى ارمائيل[3] فحاربهم أيّاماً ، ثمّ فتحها ، فأقام بها شهوراً ، ثمّ زحف إلى الدَّيْبُل[4] في خلق عظيم ، حتى أتى المدينة ، وعبّأ الجيوش ، وأخذ بأكظام القوم ، وأقام يحاربهم عدّة شهور ، وكان لهم بُدّ[5] يعبدونه ، طوله في السماء أربعون ذراعاً ، فرماه بالمنجنيق ،

---

(١) أنظر «أيام سليمان بن عبد الملك» بعد قليل الهامش ٣ .

(٢) فنّزبور : كورة واسعة على مسافة من مكران .

[البكري : معجم ما استعجم]

(٣) ارمائيل : مدينة كبيرة بين مكران والديبل من أرض السند .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٤) الديبل : مدينة على مسافة من ارمائيل .

[المصدر السابق] .

(٥) بدّ : نصب .

فكسره ، ثمّ وضع السلاليم على السور ، وأصعد الرجال فافتتحها عنوةً ، فقتل المقاتلة ، ووجد للبُدّ الذي كانوا يعبدونه سبع مائة راتبة ، وأخذ منها أموالاً عظاماً .

ولمّا فتح الدّيبل ، وكانت أعظم مدائنهم ، خضع له أهل البلدان ، فسار من الدّيبل إلى النيرُون ، فصالحهم ، وكتب إلى الحجّاج يستأذنه في التقدّم ، فكتب إليه أن سر ، فأنت أمير على ما فتحته ! وكتب إلى قتيبة ابن مسلم عامل خراسان : أيّكما سبق إلى الصين ، فهو عامل عليها ، وعلى صاحبها ، فمضى محمد بن القاسم ، وجعل لا يمرّ ببلد إلّا غلب عليه ، ولا مدينة إلّا فتحها صلحاً أو عنوةً ، فعبر نهر السند ، وهو دون مهران ، وسار إلى سهبان ففتحها ، ثمّ سار نحو شطّ مهران ، فلمّا بلغ داهر ملك السند مكانه وجّه إليه جيشاً عظيماً ، فلقي محمد بن القاسم ذلك الجيش فهزمهم ، وزحف إليه داهر ، فأقام مواقفاً له عدّة شهور ، وبينا هم في تلك المواقفة زاحفه داهر ، وهو على الفيل ، فاشتدّت بينهما الحرب ، وأخذت من الفريقين ، وعطش الفيل الذي كان داهر عليه ، فغلب فيّاله ، فترجّل ، فنزل داهر فقاتل في الأرض حتى قُتل ، وانهزم جيشه ، وفتح المسلمون ، وكتب محمد إلى الحجّاج بالفتح ، وبعث برأس داهر إليه .

ومضى في بلاد السند ففتح بلداً بلداً ، ومدينة مدينة ، حتى أتى الرور[1] ، وهي من أعظم مدائن السند ، فحاصرهم حصاراً شديداً ، وهم لا يعلمون أنّ داهر قد قُتل ، فلمّا أملّهم بعث إليهم محمد بن القاسم بامرأة داهر ، فقالت لهم : إن الملك قد قُتل ، فاطلبوا الأمان ، فطلبوه ، ونزلوا على حكم محمد ، وفتحوا له باب المدينة ، فدخلها ، ثمّ استخلف فيها ،

---

(١) الرور : ناحية بالسند تقرب من المُلتان في الكبر ، وهي على شاطىء نهر مهران على البحر ، وهي من حدود المنصورة والديبل .

[ياقوت : معجم البلدان]

ومضى يقطع البلاد ، ويفتح مدينة مدينـة ، ثمّ كتب إليه الحجـاج : إنّي قد كتبت إلى أميـر المؤمنين الوليـد أضمن له أن أردّ إلى بيت المـال نظيـر مـا أنفقت ، فأخرجْني من ضمـاني ! فحمل إليه أكثر مما أنفق .

وأقـام محمد بن القـاسم في بلاد السنـد حتى تـوفي الـوليـد ، وولي سليمان بن عبد الملك ، وكـان لمحمـد بن القـاسم ، في الوقت الـذي غزا فيه بلاد السنـد والهند ، وقـاد الجيوش وفتـح الفتوح ، خمس عشـرة سنة ، فقال زياد[1] الأعجم :

إن الشجاعةَ والسماحةَ والنّدى لمحمّـد بن القاسم بن محمّـدِ
قادَ الجيوُش لخمس عشرة حجّة[2] يـا قُرْبَ ذلـك سُؤدَداً من مَوْلِـدِ

وكتب الوليد إلى خـالد بن عبـد الله القسريّ ، عـامله على الحجاز ، يأمره بـإخراج من بالحجاز من أهل العـراقين[3] ، وحملهم إلى الحجّاج بن يوسف ، فبعث خالد إلى المدينة عثمان بن حيّان المرّيّ لإخراج من بها من أهـل العـراقين ، فـأخـرجهم جميعـاً ، وجمـاعــاتهم في الجـوامــع ، إلى الحجّاج ، ولم يترك تـاجراً ولا غيـر تاجـر ، ونادى : ألا بـرئت الذمّـة ممّن آوى عراقيّاً ، وكان لا يبلغه أنّ أحداً من أهل العـراق في دار أحد من أهـل المدينة إلاّ أخرجه .

فخـرج الوليـد إلى الحُمَيْمة[4] من أرض الشّـراة[5] ، من عمـل جنـد

---

(١) زياد الأعجم : هو زياد بن سليمان الأصفهاني مولداً ونشأةً ، الخراساني إقامةً ووفـاةً . وهو من شعراء الدولة الأمـوية ، جـزل الشعر ، فصيـح الألفاظ . لقّب بـالأعجم للكنة سيئة كانت في لسانه .

[معجم الألقاب والأسماء المستعارة]

(٢) حجّة : سنة .

(٣) يريد «الكوفة والبصرة» .

(٤) الحميمة : بلد من أرض الشراة من أعمال عمّان في أطراف الشام .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٥) الشراة : فرقة من الخوارج ، سمّوا بالشراة لأنهم اشتروا الجنة بأرواحهم .

دمشق سنة ٩٥ ، وكان سبب ذلك أنّ أم سليط بن عبد الله بن عبّاس رفعت إلى الوليد أنّ عليّ بن عبد الله قتل ابنها ، ودفنه في البستان الذي ينزله ، وبنى عليه دكّاناً ، فأخذه الوليد بذلك وقال له : أقتلت أخاك ؟ قال : ليس بأخي ، ولكنّه عبدي قتلته ، وكان عبد الله بن عبّاس أوصى إلى ابنه عليّ أن يورث سليطاً ، ولا يزوّجه ، وقال : أنا أعلم أنه ليس منّي ، ولكني لا أدفعه عن الميراث، فنزل عليّ بن عبدالله الحميمة، فلم يزل بها حتى ولد أولاداً ، وصار له الأهل والعيل ، وولد له نيف وعشرون ذكراً ، مات عامّتهم في حياته ، ولم يزل ولده بالحميمة حتى أذهب الله سلطان بني أمية .

وتوفي الحجّاج بن يوسف في هذه السنة، وهي سنة ٩٥ ، وهو يومئذ ابن أربع وخمسين سنة ، وكانت إمرته على العراق عشرين سنة ، فأقرّ الوليد على عمله يزيد بن أبي مسلم خليفته ، ثمّ استعمل مكانه يزيد بن أبي كبشة السكسكي .

وكان الوليد لحّاناً ، فيه هرج وحيرة ، وكان يقول : لا ينبغي لخليفة أن يناشَد ، ولا يُكذَب ، ولا يسمّيه أحد باسمه ، وعاقب على ذلك .

وكان أول من عمل البيمارستان[١] للمرضى ، ودار الضيافة ، وأول من أجرى على العميان ، والمساكين ، والمجذّمين[٢] الأرزاق ، وكان ممّن أحدث قتل العصاة ، وأحصى أهل الديوان ، وألقى منهم بشراً كثيراً بلغت عدّتهم عشرين ألفاً ، وأول مَن أجزى طعام شهر رمضان في المساجد ، وصام الاثنين والخميس فأدمنه ، وأول من أخذ بالقذف والظنّة وقتل بهما الرجال ، وانكسر الخراج في أيّامه ، فلم يحمل كثير شيء ، ولم يحمل الحجّاج من جميع العراق إلاّ خمسة وعشرين ألف ألف درهم .

---

(١) البيمارستان : دار الاستشفاء أو المصح . «فارسية» .

(٢) المجذمون : المصابون بالجذام وهو داء كالبرص يسبّب تساقط اللحم والأعضاء ، وسمّي بذلك لتجذّم الأصابع وتقطعها .

وكانت في ولايته الزلازل التي هدمت كلّ شيء ، وأقامت أربعين صباحاً في سنة ٩٤ .

وكان الغالب عليه الفازي بن ربيعة الحرشيّ ، وكان قاضيه بالكوفة الشعبيّ ، وكان على شرطه أبو ناتل رباح بن عبد الغسّاني ، ثمّ عزله ، واستعمل كعب بن حامد العبسي ، وعلى حرسه خالد بن الديّان ، مولى محارب ، وحاجبه سعيد مولاه ، وتوفي الوليد لأربع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ٩٦ ، وقيل انسلاخ جمادى الآخرة ، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وقيل تسع وأربعين سنة ، وكانت أيّامه تسع سنين وثمانية أشهر ونصفاً ، وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز ، وكانت وفاته بدير مُرّان[1] ، ودفن بدمشق ، وخلّف من الولد تسعة عشر ذكراً : محمد ، والعبّاس ، وعمر ، وبشر ، وروح ، وخالد ، وتمّام ، ومبشّر ، وجرى ، ويزيد ، وعبد الرحمٰن ، وإبراهيم ، ويحيىٰ ، وأبو عبيدة ، ومسرور ، وصدقة .

وأقام الحجّ للناس في أيّامه سنة ٨٦ هشام بن إسماعيل ؛ سنة ٨٧ عمر بن عبد العزيز ؛ سنة ٨٨ حجّ هو ؛ سنة ٨٩ وسنة ٩٠ عمر بن عبد العزيز ؛ سنة ٩١ حجّ هو ؛ سنة ٩٢ وسنة ٩٣ عمر بن عبد العزيز ؛ سنة ٩٤ مسلمة[2] بن عبد الملك ، سنة ٩٥ أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

وغزا الصّوائف في أيّامه سنة ٨٦ مسلمة ، ففتح حصنين ؛ سنة ٨٨ . . . .[3] مسلمة والعباس بن الوليد ، فافتتحا سورية ، وافتتح

---

(١) دير مران : دير كبير بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) مسلمة بن عبد الملك : أمير قائد ، من أبطال عصره . يلقب بالجرادة الصفراء . له فتوحات مشهورة ، وإليه نسبة «بني مسلمة» . مات بالشام سنة ١٢٠ هـ .

[تهذيب التهذيب ١٠ : ١٤٤]

(٣) بياض في الأصل .

العباس أدرولية ؛ سنة ٩٠ عبد العزيز بن الوليد ، فافتتح حصناً ؛ سنة ٩١ عبد العزيز بن الوليد . . . . . (١) محمد بن مروان ، وغزا موسى بن نصير الأندلس ، سنة ٩٣ العباس بن الوليد ومروان بن الوليد ومسلمة ، ففتحوا اماسية وحصن الحديد ؛ سنة ٩٤ العبّاس وعمر ابنا الوليد ؛ سنة ٩٥ العباس ، ففتح قبرس ؛ سنة ٩٦ بشر بن الوليد .

وكان الفقهاء في أيّامه عبد الرحمٰن بن حاطب ، سعيد بن المسيّب ، عروة بن الزبير ، عطاء بن يسار ، أبا سلمة بن عبد الرحمٰن ، القاسم بن محمد ، سعيد بن جبير ، مجاهد بن جبير مولى بني مخزوم ، عكرمة مولى ابن عباس ، حكيم بن أبي حازم شقيق ابن سلمة ، إبراهيم بن يزيد النخعيّ ، عامر الشعبيّ ، سالم بن أبي الجعد ، إسحاق السَّبيعي ، أيّوب الأزديّ ، أبا تميم الحميني ، الحسن بن أبي الحسن ، محمد بن سيرين ، أبا قلابة عبد الله بن زيد ، سليمان بن يسار ، مورّق العجلي ، سنان بن سلمة ، أبا المليح بن أُسامة الهذليّ ، العلاء بن زياد ، أبا إدريس ، رجاء ابن حيوة .

وكان الوليد طوالاً ، أسمر ، به أثر جدريّ خفيّ ، بمقدّم لحيته شمَط(٢) ، ليس في رأسه ولا لحيته غيرة ، أفطس .

أيام سليمان(٣) بن عبد الملك

وملك سليمان بن عبد الملك بن مروان ، وأُمّه ولّادة بنت العباس بن جزء العبسيّة ، للنصف من جمادى الأولى سنة ٩٦ ، وكانت الشمس يومئذ

---

(١) بياض في الأصل .
(٢) شمط اللحية : أن يخالط سواد شعرها بياض .
(٣) سليمان بن عبد الملك : كنيته أبو أيوب ، وُلد في دمشق سنة ٥٤ هـ . أطلق في خلافته الأسرى وأخلى السجون وعفا عن المجرمين وأحسن إلى الناس ، وكان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح . توفي في دابق سنة ٩٩ هـ .

[ابن الأثير ٥ : ١٤]

في الحوت ستّ درجات وأربعين دقيقة ، والقمر في السنبلة ستّ عشرة درجة وعشرين دقيقة راجعاً ، والمشتري في القوس خمساً وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، والمرّيخ في الدلو إحدى عشرة درجة وثلاث دقائق ، والزهرة في الحوت خمس عشرة درجة وتسع عشرة دقيقة ، وعطارد في الحوت خمس درجات وخمسين دقيقة ، والرأس في الأسد ثلاث عشرة درجة وخمس عشرة دقيقة .

وأتته الخلافة بالرملة[1] ، وكان بها منزله ، وهو أنشأ مسجد جامعها ، وقصر إمارتها ، ونقل الناس إليها من لُدّ[2] ، وكانت المدينة التي ينزلها الناس ، فأخذ بهدم منازلهم بلُدّ ، والبنيان بالرّملة ، وعاقب من امتنع من ذلك ، وهدم منازلهم ، وقطع الميرة عنهم ، حتى انتقلوا وخرب لُدّ .

وأخذ له عمر بن عبد العزيز البيعة بدمشق ، يوم مات الوليد ، فصار إلى دمشق ، فأقام بها يسيراً ، وأراد سليمان الحجّ ، فكتب إلى خالد بن عبد الله وهو عامل مكّة ، يأمره أن يجري له عيناً تخرج من الثقبة من الماء العذب ، حتى تظهر بين زمزم والركن الأسود ، يباهي بها زمزم ، فعمل خالد البركة التي بفم الثقبة ، يقال لها : بركة القسريّ ، وهي قائمة إلى اليوم ، في أصل ثبير[3] ، عملها بحجارة منقوشة ، واستنبط ماءها من ذلك الموضع ، ثمّ شقّ من هذه البركة عيناً تجري إلى المسجد الحرام ، في قصب من رصاص ، حتى أظهرها في فوّارة تسكب في فسقيّة رخام ، بين الركن وزمزم ، فلمّا أن جرت وظهر ماؤها أمر خالد بجُزُر[4] ، فنُحرت بمكّة ، وقسمت بين الناس ، وعمل طعاماً ، فدعا إليه الناس ، ثمّ أمر صائحاً ، فصاح : الصلاة جامعة ، ثمّ صعد المنبر فقال : أيّها الناس

---

(١) الرملة : كورة من فلسطين .

(٢) لدّ : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) ثبير : جبل بمكة .

(٤) الجزر : جمع جزور وهي الناقة المسمّنة .

احمدوا الله ، وادعوا لأمير المؤمنين الذي سقاكم الماء العذب ، بعد المالح الأجاج[1] ، الذي لا يُطاق شربه ، يعني زمزم . وكان لا يجتمع على ذلك الماء اثنان ، وكانوا على شرب زمزم أكثر ما كانوا ، فلمّا رأى خالد ذلك قام خطيباً ، فنال من أهل مكّة ، وكلّمهم بكلام قبيح يعنّفهم فيه على تركهم شرب ذلك الماء ، وإقبالهم على زمزم ، ولم تزل تلك الفسقيّة على حالها أيّام بني أُميّة ، فلمّا صار الأمر إلى بني هاشم هدمها داوُد بن عليّ أول ما قدم مكّة .

ولم يقم خالد بمكة إلاّ قليلاً حتى سخط عليه سليمان ، فصرفه ، وولّى طلحة بن داوُد الحضرميّ ، وأمره أن يضرب خالداً بالسياط بسبب امرأة من قريش كان قذفها فأقبح ، وأن يطالبه ، ويحمله في الحديد ، وعزل عثمان بن حيان المرّي عامل المدينة ، وقلّد أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، فضرب عثمان بن حيّان حدّين : أحدهما في شرب الخمر ، والآخر في قرفه[2] على عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان .

وسخط سليمان على موسى بن نصير اللخميّ ، العامل على أفريقية ، والذي افتتح الأندلس وما والاها ، وكان موسى قدم على الوليد ، فوجده شديد العلة ، فلم يقم إلاّ أيّاماً حتى مات ، وسعى طارق مولى موسى بمولاه إلى سليمان ، فاستصفى سليمان ماله ، وأخذه بمائة ألف دينار ، فقال موسى : صحبتكم ولي فرس وفرْو وسيف ، فأعطوني هذا وشأنكم بما بقي .

وولّى سليمان المغرب محمد بن يزيد ، مولى قريش ، وأمره بتتبّع أصحاب موسى وولده وأصحابه ، وكان سليمان قد قدّم يزيد بن المهلّب وخصّه وأبرّه ، ودفع إليه أصحاب الحجّاج بن يوسف ، وموسى بن نصير ،

---

(١) الأجاج : المرّ .

(٢) قرفه : ذكره بالسوء .

وخالد بن عبد الله القسريّ ، ويوسف بن عمر الثقفيّ ، والحكم بن أيّـوب ، وعبـد الـرحمٰن بن حيّـان المـرّي ، وأمـره أن يعـذّبهم حتى يستخـرج منهم الأموال ، وتتبّع سليمان أصحاب الحجّاج يسومهم سوءَ العذاب ، وأشخص إليه يزيـد[1] بن أبي مسلم خليفة الحجّـاج ، وكان قصيـراً ، خفيف البدن ، فلمّا رآه قال له : أنت يزيد ؟ قال : نعم ! قال : صاحب الحجّـاج والأفعال التي بلغتني معمـا أرى من دمامـة خلقتـك؟ قـال: ذاك والله أنّـك رأيتني والـدنيـا عليك مقبلة ، وهي عني مدبرة ، ولو رأيتها وهي إليّ مقبلة ، وعنك مدبرة ، لاستعـظمت ما استصغـرت ، واستجللت مـا استحقـرت . قـال : أين تـرى الحجّاج يهوي في النار ؟ قال : لا تقل هذا يـا أمير المؤمنين لـرجل يُحشـر عن يمين أبيـك وشمال أخيـك ، وأنزلْـه حيث شئت تنـزلْهـمـا معـه . فقـال ليزيد بن المهلّب : خذه إليك ، فعذّبْه بألوان العـذاب ، حتى تستخرج منـه الأموال . فقال : يا أمير المؤمنين أنا أعلم به ، لا والله مـا عنده مـال ، ولا كان ممن يحوي المال . وكان يـزيد بن المهلّب يعـرف له جميـل فعله به ، فولّاه سليمان الصائفة .

وكان قتيبة[2] بن مسلم عامل الحجاج على خراسان ، فلمّا بلغـه فعل سليمان بنظرائه ، وقصده عمّال الوليد ، وعمال الحجّاج ، جمع إليه إخوانـه وأهل بيته ، وأوغـل في أرض العجم ، حتى بلغ بلد فرغـانة[3] القصـوى ، وكـان عبد الله بـن الأهْتَم التميميّ معـه ، فهرب منـه إلى سليمـان ، فـرفـع

---

(١) يزيد بن أبي مسلم : هو يزيد بن دينار الثقفي ، والٍ من الـدهاة . ولي إمـارة أفريقيـة سنـة ١٠١ هـ . فانتقـل إليها ، فـائتمر بـه جماعـة من أهلها ، فقتلوه سنـة ١٠٢ هـ . واتهم بقتله عبـد الله بن مـوسى بن نصيـر ، فقتله بشـر بن صفـوان وبعث بـرأسـه إلى يزيد بن عبد الملك فنصب في الشام . وأبو مسلم كنية أبيه .

[وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٦]

(٢) تقدّمت ترجمته .

(٣) فرغانة : مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان .

[ياقوت : معجم البلدان]

إليه ، فأخذ قتيبة قوماً من أهل بيته ، فقتلهم ، وقطع أيدي آخرين وأرجلهم ، وكان يزيد بن المهلّب عدوّه لما فعل به وبأهل بيته لما ولي عليه ، فعلم أنه لا يصلح له حبّ سليمان ، وكتب إليه كتاباً ، فأجابه سليمان يغلظ له ، فأراد الخلع ، وهو لا يشكّ أنّ موضعه من النزاريّة . . . . .[1] واليمانية لا يخالفونه ، فلمّا علم القوم مذهبه تبعّدوا عنه ، فخطبهم خطبة مشهورة ، نال فيها ، وقال : يا معشر تميم ، ويا أهل الذلّة والقلّة ، ويا معشر الأزد ! أخليتم السفن ، وركبتم الخيل ، وقذفتم المراديّ[2] ، وأخذتم الرماح ، والله لأنا بمن معي من العجم أعزّ منكم ! فصافّ القوم عنه ، وصارت كلمتهم واحدة في الوثوب عليه ، واجتمعوا إلى الحُضَيْن بن المنذر ، فدعوه إلى القيام بجماعتهم ، فقال : عليكم بوكيع بن أبي سُود التميميّ . فأتوا وكيعاً ، فانقضت كلمتهم عليه ، ومع القوم يومئذ حيّان النبطيّ ، فوثبوا فقتلوه ، وقام وكيع بخراسان ، وولّى عمّاله ، وكتب إلى سليمان يعلمه ما كان منه ، وبعث برأس قتيبة ورؤوس أهل بيته إليه ، وذلك في سنة ٩٦ .

فلمّا أتى سليمان كتاب وكيع أراد أن يكتب إليه بالعهد على خراسان ، فقيل له : إنّه رجل ترفعه الفتنة وتضعه السنّة ، وليس لها بموضع ، فولّى سليمان يزيد بن المهلّب العراق وخراسان ، فكان يزيد بن المهلّب في العراق ، فعذّب عمّال الحجّاج ، ثمّ استخلف على العراق ونفذ إلى خراسان ، فتتبّع أصحاب قتيبة وقراباته ، فسامهم سوء العذاب ، وحبس وكيع بن أبي سود ، وقيّده ، وأخذ عمّاله الذين كان ولّاهم البلدان بعد قتل قتيبة ، فطالبهم بالأموال التي صارت إليهم ، وخالف أكثر أهل خراسان ، فقصد جرجان[3] ، فحاصرها حتى نزلوا على حكمه ، فقتل

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) المرادي ، مفردها مردي : خشبة تدفع بها السفينة .

(٣) جرجان : مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان . وأول من أحدث بناءها =

منهم مقتلة عظيمة ، وفتحها وحارب أصبهبذ طبرستان ، وملك الترك . وملك الديلم ، فأقام في محاربة صاحب طبرستان زماناً ، ثمّ عرض وضجر، ثمّ طلب أن يصالحه ، فلم يفعل ، فرجع إلى جرجان فأقام بها ، ثمّ خرج منها إلى نيسابور ، وولّى يزيد إخوته وولده البلدان ، فولّى مخلّداً سمرقند[1] ، ومدرك بن المهلّب بلخ ، ومحمد بن المهلّب مرو ، وعظم أمر يزيد بخراسان .

واضطرب السند ، وأخلّ الجند الذين كانوا مع محمّد بن القاسم الثقفي بمراكزهم ؛ فرجع أهل كلّ بلد إلى بلدهم ، فوجّه سليمان حبيب بن المهلّب إليها ، فدخل البلاد ، وقاتل قوماً كانوا ناحية مهران ، وأخذ محمد ابن القاسم، فألبسه المسوح[2] ، وقيّده وحبسه .

وقدم أبو هاشم عبد الله بن محمد بن عليّ بن أبي طالب على سليمان ، وقال سليمان : ما كلّمت قرشيّاً قطّ يشبه هذا ، وما أظنّه إلّا الذي كنّا نحدّث عنه ، فأجازه ، وقضى حوائجه وحوائج مَن معه .

ثمّ شخص عبد الله بن محمد ، وهو يريد فلسطين ، فبعث سليمان قوماً إلى بلاد لخم وجذام ، ومعهم اللبن المسموم ، فضربوا أخبية نزلوا فيها ، فمرّ بهم فقالوا : يا عبد الله ! هل لك في الشراب ؟ فقال : جُزيتم خيراً . ثمّ مرّ بآخرين ، فقالوا مثل ذلك ، فجزاهم خيراً ، ثمّ بآخرين ، فاستسقى فسقوه ، فلما استقرّ اللبن في جوفه قال لمن معه : أنا والله ميّت ، فانظروا مَن هؤلاء ، فنظروا فإذا القوم قد قوّضوا[3] ، فقال : ميلوا

= يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة .

[ياقوت : معجم البلدان]

(١) سمرقند : يُقال لها بالعربية سمران : بلد مشهور ، قيل : إنه من أبنية ذي القرنين .

[المصدر السابق]

(٢) المسوح : ما يلبس من نسج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للجسد .

(٣) قوضوا : هدموا الأخبية التي نزلوا فيها وغابوا .

بي إلى ابن عمّي محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس ، فإنّه بأرض الشراة[1] ، فأسرعوا السير حتى أتوا محمد بن عليّ بالحميمة[2] من أرض الشراة ، فلمّا قدم عليه قال له : يا بن عمّ أنا ميّت ، وقد صرت إليك ، وهذه وصيّة أبي إليّ ، وفيها أن الأمر صائر إليك ، وإلى ولدك ، والوقت الذي يكون ذلك ، والعلامة وما ينبغي لكم العمل به على ما سمع وروى عن أبيه عليّ بن أبي طالب ، فاقبضْها إليك ، وهؤلاء الشيعة استوص بهم خيراً ، وهؤلاء دعاتك وأنصارك ، فاستبطنْهم[3] ، فإنّي قد بلوتهم بمحبّة ومودّة لأهل بيتك ، ثمّ هذا الرجل ميسرة ، فاجعله صاحبك بالعراق ، فأمّا الشأم ، فليست لكم ببلاد ، وهؤلاء رسله إلى خراسان وإليك ، ولتكن دعوتكم بخراسان ، ولا تَعْدُ هذه الكور : مرو ، ومرو الروذ ، وبيورد ، ونسا ، وإيّاك ونيسابور وكورها ، وابرشهر ، وطوس[4] ، فإنّي أرجو أن تتمّ دعوتكم ، ويظهر الله أموركم ، واعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثيّة ، ثمّ عبد الله أخوه الذي هو أكبر منه ، فإذا مضت سنة الحمار ، فوجّهْ رسلك بكتبك ، ووطّد الأمر قبل ذلك بلا رسول ولا حجّة ، فأمّا أهل العراق ، فهم شيعتك ومحبّوك ، وهم أهل اختلاف ، فلا يكن رسولك إلا منهم ، وانظر أهل الحي من ربيعة فألحقْهم بهم ، فإنّهم معهم في كلّ أمر ، وانظر هذا الحيّ من تميم وقيس ، فأقْصِهم ، ثمّ أبِدْهم إلّا من عصم الله منهم ، وهم أقلّ من القليل ، ثمّ اختر دعاتك ، فليكونوا اثني عشر نقيباً ، فإن الله عزّ وجلّ لم يصلح أمر بني إسرائيل إلّا بهم وسبعين نفساً بعدهم يتلونهم ، فإنّ النبيّ إنّما اتّخذ اثني عشر نقيباً من الأنصار اتّباعاً لذلك .

فقال محمد : يا أبا هاشم ! وما سنة الحمار ؟ قال : لم يمض مائة

(١) الشراة : فرقة من الخوارج .

(٢) الحميمة : بلد من أرض الشراة من أعمال عمّان في أطراف الشام .

(٣) إجعلهم بطانتك : عرف باطنهم .

(٤) طوس : مدينة بخراسان .

من نبوّة قطّ إلّا انقضت أمورها ، لقول الله عزّ وجلّ : ﴿**أو كالذي مرّ على قرية**﴾[1] ؛ الآية ، فإذا خلت مائة سنة ، فابعثْ رسلك ودعاتك ، فإن الله متمم أمرك .

ومات أبو هاشم بعد أن دفع الكتاب إلى محمد بن عليّ ، وذلك سنة ٩٧ ، وفيها وجّه محمّد بن عليّ أبا رباح ميسرة النبّال مولى الأزد إلى الكوفة .

وحجّ سليمان سنة ٩٧ ، وقد عزم على أن يبايع لابنه أيّوب بولاية العهد من بعده ، وكان قد كتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن يبني له قصراً بالجُرْف[2] ينزله ، فلمّا قدم لم يرض بناء القصر ، فنزله ، وقسم بين أهل المدينة قسماً ، وفرض لقريش خاصّة أربعة آلاف فريضة لم يدخل فيها حليفاً ولا مولى ، فأجمع رأي مشيخة قريش أن جعلوها لحلفائهم ومواليهم ، ثمّ دخلوا عليه فقالوا : إنّك قد فرضت لنا أربعة آلاف فريضة لا تدخل علينا فيها حليفاً ولا مولى ، فرأينا أن نكافئك ونجعلها في حلفائنا ومواليناً ، فنحن أخفّ عليك مؤونة منهم . ففرض لهم أربعة آلاف فريضة أُخرى .

وصار إلى مكة ، فلمّا نزل بطن رابغ[3] أخذتهم السماء وجاءت صواعق لم يُرَ مثلها ، ففزع سليمان ، فقال له عمر بن عبد العزيز : هذه الرحمة ، فكيف العذاب ؟ وأحضر جماعة من الفقهاء فيهم القاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر ، وخارجة بن زيد ، وأبو بكر بن حزم ، فسألهم عن أمر الحجّ ، فاختلفوا عليه ، فقال كلّ

---

(١) سورة البقرة؛ الآية : ٢٥٩ .

(٢) الجُرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام ، به كانت أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) بطن رابغ : من نواحي مكة .

واحد منهم قولاً لم يوافق الآخر ، فقال : كيف صنع أمير المؤمنين عبد الملك ؟ فقيل له : كذا ، فقال : إصنع كما صنع ، واترك اختلافكم .

وانصرف من مكة إلى بيت المقدس ، فأطاف المجذّمون بمنزله ، فضربوا بأجراسهم ، حتى منعوه النوم ، فسأل عنهم ، فأُخبر بما يلقاه الناس منهم ، فأمر بإحراقهم ، وقال : لو كان في هؤلاء خير ما ابتلاهم الله بهذا البلاء ! فكلّمه عمر في ذلك ، فأمسك عنهم ، وأمر أن يُنفوا إلى قرية معتزلة لا يخالطوا الناس .

وخرج سليمان إلى ناحية الجزيرة ، فنزل بموضع يقال له دابق ، من جند قنّسرين ، وأغزى مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم ، وأمره أن يقصد القسطنطينيّة ، فيقيم عليها حتى يفتحها ، فسار مسلمة حتى بلغ القسطنطينيّة ، وأقام عليها حتى زرع وأكل ممّا زرع ، ودخل ، وفتح مدينة الصقالبة ، وأصاب المسلمين ضرّ وجوع وبرد . وبلغ سليمان ما فيه ومن معه ، فأمدّهم بعمرو بن قيس في البرّ ، وأغزى عمر بن هبيرة الفزاريّ في البحر ، وذلك أنّ الروم أغاروا على مدينة اللاذقيّة من جند حمص ، فأحرقوها ، وذهبوا بما فيها ، فبلغ عمر بن هبيرة خليج القسطنطينيّة .

وكان الغالب على سليمان النصرا بن سرىم[١] الحميريّ ، ورجاء بن حيوة الكنديّ ، وعلى شرطه كعب بن حامد العبسي ، وعلى حرسه خالد بن الديّان مولى محارب ، وحاجبه مولاه أبو عبيدة ، وكان أكولاً لا يكاد يشبع ، وكان له جمال وفصاحة . . . . .[٢] رجل طويل ، أبيض قضيف[٣] البدن ، لم يشب وهو الذي يقول إذا نظر إلى نفسه في المرآة : أنا الملك الشابّ ، فما دارت عليه الجمعة حتى مات ، وكانت وفاته في صفر سنة ٩٩ ، وعهد إلى عمر بن عبد العزيز ، وكتب كتاباً ، وأحضر أهل بيته ،

(١) هكذا دون نقط في الأصل .
(٢) بياض في الأصل .
(٣) قضيف : دقيق .

فقال : بايعوا لمن في هذا الكتاب ، فبايعوا ، ودفع الكتاب إلى مسجد دابق ، فدعا من بها من أهل بيت سليمان ، فقال : بايعوا ! فقالوا : إنّا بايعنا مرّة ، فقال : بايعوا الذي في هذا الكتاب ، فبايعوا ، فلمّا فرغ قال : قوموا إلى صاحبكم ، فقد مات ، وقرأه ، فلمّا بلغ إلى اسم عمر بن عبد العزيز قال هشام : لا والله لا أبايع ! فقال رجاء بن حيوة : إذاً أضرب عنقك ، وأخذ بضبع[1] عمر ، فأجلسه على المنبر ، فلمّا فرغوا من البيعة دفنوا سليمان ، ونزل عمر بن عبد العزيز قبره ، وثلاثة من ولده ، فلمّا تناولوه تحرّك على أيديهم ، فقال ولد سليمان : عاش أبونا وربِّ الكعبة ! فقال عمر : بل عوجل أبوكم وربِّ الكعبة ! وكان بعض من يطعن على عمر يقول له : دفن سليمان حيّاً .

وكانت ولاية سليمان بن عبد الملك سنتين وثمانية أشهر ، وخلّف من الولد الذكور عشرة : يزيد ، والقاسم ، وسعيد ، وعثمان ، وعبد الله ، وعبد الواحد ، والحارث ، وعمرو ، وعمر ، وعبد الرحمٰن .

وأقام الحجّ للناس في ولايته سنة ٩٦ أبو بكر بن عمرو بن حزم ؛ وفي سنة ٩٧ سليمان ؛ وفي سنة ٩٨ عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

وغزا في أيّامه سنة ٩٦ مسلمة ، ففتح حصن الحديد وشتا بنواحي الروم ؛ وعمر بن هبيرة في البحر ، فمخروا[2] ما بين الخليج والقسطنطينيّة ، وفتحوا مدينة الصقالبة[3] ؛ وأمدّ سليمان بعمرو بن قيس

---

(١) يُقال : «أخذ بضبعه» أي أعانه وقوّاه . والضبع : وسط العضد أو الإبط .

(٢) أمخروا : أبحروا .

(٣) الصقالبة : هم الشعوب القاطنة بين جبال أورال والبحر الأدرياتيكي في أوروبا الشرقية والوسطى . وقد أطلق اسم الصقالبة في الأندلس على حرس الخلفاء الخاص ، كذلك على جماعة من العبيد المجندين في الخدمة العسكرية .

[الموسوعة العربية الميسرة]

الكنديّ ، وعبد الله بن عمر بن الوليد بن عقبة ، وفي سنة ٩٩ وجّه سليمان بن عبد الملك بابنه داوُد إلى أرض الروم ، ومسلمة منيخ على القسطنطينيّة ، ففتح داوُد حصن المرأة من ناحية ملطية ، وكان الفقهاء في أيّامه مثل من كان في أيّام الوليد .

أيام عمر[١] بن عبد العزيز

ثمّ ولي عمر بن عبد العزيز بن مروان ، وأمّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب ، لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ ، وكانت الشمس يومئذ في السنبلة ثمانياً وعشرين درجة ، وزحل في الميزان خمساً وعشرين درجة وأربعين دقيقة ؛ والمشتري في الحوت درجتين راجعاً ؛ والمرّيخ في السرطان ثلاثاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة ؛ وعطارد في الميزان اثنتين وعشرين درجة ؛ والرأس في الجوزاء ثلاثاً وعشرين درجة وستّاً وعشرين دقيقة ؛ وبويع بدابق[٢] ، وكان الكتاب الذي كتبه سليمان : هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز . إني ولّيتك الخلافة بعدي ، فاسمعوا ، وأطيعوا ، واتّقوا الله ، ولا تختلفوا . فلمّا قرىء الكتاب بايع جميع من حضر من بني أمية خلا عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، فإنّه كان غائباً ، فدعا إلى نفسه ،فبايعه قوم ، فلمّا بلغه ولاية عمر قدم ، فقال له عمر : بلغني أنّك كنت دعوت إلى نفسك ، وأردت دخول دمشق ، فقال : قد كان ذلك لأني خفت الفتنة ، وبلغني أن الخليفة لم يعهد إلى أحد . فقال عمر : لو قمت بالأمر ما نازعتك ذلك . فقال عبد

---

(١) عمر بن عبد العزيز : الخليفة الصالح والملك العادل ، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم . ولم تطل مدته ، قيل : دس له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة ، فتوفي به سنة ١٠١ هـ . وكانت مدة خلافته سنتين ونصفاً . ورثاه الشريف الرضيّ بقصيدة مطلعها .

يابن عبد العزيز ، لو بكت العين فتى من أُمية لبكيتك

[فوات الوفيات ٢ : ١٠٥]

(٢) دابق : من أرض قنسرين بين حلب ومعرة النعمان .

العزيز : ما كنت أحبّ أن يكون ولي هذا الأمر غيرك .

ولمّا بلغ يزيد بن المهلّب ولاية عمر وورد عليه كتابه شخص من خراسان واستخلف بها مخلّداً ابنه ، وحمل كلّ ما كان له ، مخافة من أهل خراسان ، معه ، فأشار عليه قوم ألاّ يبرح ، فلم يفعل ، وصار إلى البصرة ، فلقيه بها عديّ بن أرطأة عامل عمر ، فأوصل إليه كتاب عمر ، فقال : سمعاً وطاعة ، ثمّ حمله إليه مستوثقاً منه ، فقال له عمر : إني وجدت لك كتاباً إلى سليمان تذكر فيه أنك اجتمع قِبَلك عشرون ألف ألف ، فأين هي ؟ فأنكرها ، ثمّ قال : دعني أجمعها ! قال : أين ؟ قال : أسعى إلى الناس . قال : تأخذها منهم مرّة أُخرى ؟ لا ولا نُعْمَى عينٍ . ثمّ ولىّ الجرّاح[1] بن عبد الله الحكميّ خراسان ، وأمره أن يأخذ مخلّد بن يزيد ، فيستوثق منه استيثاقاً لا يمنعه من الصلاة ، فحبسه الجرّاح مكرماً ، ثمّ حمله إلى عمر ، فدخل في ثياب مشمرة ، وقلنسوة بيضاء ، فقال له عمر : هذا خلاف ما بلغني عنك . فقال : أنتم الأئمّة إذا أسبلتم أسبلنا ، وإذا شمرتم شمرنا .

وحسنت سيرة الجرّاح وقدمت عليه وفود التّبت[2] يسألونه أن يبعث إليهم من يعرض عليهم الإسلام ، فوجّه إليهم السليط بن عبد الله الحنفيّ ، ووجّه عبد الله بن معمر اليشكري إلى ما وراء النهر ، فلقي جمعاً للترك فهزم . وانصرف ابن معمر .

---

(١) الجرّاح بن عبد الله الحكمي : أمير خراسان ، دمشقي الأصل والمولد . استشهد غازياً بمرج أردبيل ، قتله الخزر سنة ١١٢ هـ . رثاه كثير من الشعراء ، وقال الزرقي : كان الجراح يد الله على خراسان كلها ، حربها وصلاتها ومالها . وقال الواقدي : كان البلاء بمقتل الجراح على المسلمين عظيماً فبكوا عليه في كل جند .

[ابن الأثير ٥ : ٥٨]

(٢) تبت ، بضم أوله وفتح أو كسر ثانيه : بلد بأرض الترك ، قيل : هي في الإقليم الرابع المتاخم لبلاد الهند .

[ياقوت : معجم البلدان]

وبلغ عمر عن الجرّاح أمور يكرهها من أنّه يأخذ الجزية من قوم قد أسلموا ، وأنّه يُغزي موالي بلا عطاء ، وأنّه يظهر العصبيّة ، فكتب إليه أن أقدمْ ، واستخلف عبد الرحمٰن بن نعيم الغامدي ، ففعل ذلك ، ثمّ كتب عمر إلى عبد الرحمن بعهده على خراسان ، ويأمره بإقفال من وراء النهر من المسلمين بذراريّهم إلى مرو، فعرض ذلك عليهم ، فأبوا عليه ، فكتب إلى عمر أنّهم قد رضوا بالمقام ، فحمد عمر ربّه على ذلك .

وبلغ عمر ما فيه من في بلاد الروم مع مسلمة من الضرر والفاقة ، فوجّه عمرو بن قيس على الصائفة ، ووجّه معه الكساء والطعام والأعطية لمن كان مع مسلمة من المسلمين ؛ فوجّه عمر عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهليّ ، فأوقع بالترك ، فلم يفلت منهم إلّا الشريد ، وقدم على عمر منهم بخمسين أسيراً ، فقال رجل من المسلمين لعمر في أسير منهم : لو رأيت هذا ، يا أمير المؤمنين ، يقتل المسلمين ، لرأيت قتالاً ذريعاً . فقال : قم فاضربْ عنقه .

وفاة عليّ بن الحسين

وتوفّي عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب في سنة ٩٩ ، وقال قوم سنة ١٠٠ ، وله ثمان وخمسون سنة ، وكان أفضل الناس ، وأشدهم عبادة ، وكان يسمّى زين العابدين (١) ، وكان يسمّى أيضاً ذا الثفنات ، لما كان في وجهه من أثر السجود ؛ وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ،

---

(١) لقب بـ «زين العابدين» لكثرة عبادته . كذلك لقب «بالأصغر» مضافاً إلى اسمه للتمييز بينه وبين أخيه علي الأكبر الذي استشهد في وقعة الطف بكربلاء مع أبيه الإمام الحسين . كذلك لقب بابن الخِيَرَتين لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لله في عبده خيرتان ، فخيرته من العرب قريش ، ومن العجم فارس» وذلك لأن علياً كان قرشياً من جهة أبيه وفارسياً من جهة أمه .

[معجم الألقاب والأسماء المستعارة]

ولمّا غُسل وُجد على كتفيه جُلَب[1] كجلب البعير ، فقيل لأهله : ما هذه الآثار ؟ قالوا : من حمله للطعام في الليل يدور به على منازل الفقراء .

قال سعيد بن المسيّب : ما رأيت قطّ أفضل من علي بن الحسين . وما رأيته قطّ إلاّ مقتّ نفسي ؛ ما رأيته ضاحكاً يوماً قطّ . وكانت أمّه حرار بنت يزدجرد كسرى ، وذلك أن عمر بن الخطّاب لمّا أتى بابنتي يزدجرد وهب إحداهما للحسين بن عليّ ، فسمّاها غزالة ، وكان يقول بعض الأشراف إذا ذُكر عليّ بن الحسين يودّ الناس كلّهم أنّ أمّهاتهم إماء . وقيل إنّ أمّه كانت من سبي كابل[2] .

قال أبو خالد الكابليّ : سمعت عليّ بن الحسين يقول : من عفّ عن محارم الله كان عابداً ، ومن رضي بقسم الله كان غنيًا ، ومن أحسن مجاورة من جاوره كان مسلماً ، ومن صاحب الناس بما يحبّ أن يصاحبوه به كان عدلاً .

وقال عليّ بن الحسين : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ليقم أهل الفضل ، فيقوم ناس من الناس ، فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنّة بغير حساب ، فتتلقّاهم الملائكة ، فيقولون : ما فضلكم ؟ فيقولون : كنّا إذا جُهل علينا حلمنا ، وإذا ظُلمنا صبرنا ، وإذا أُسيء علينا عفونا . فيقولون : ادخلوا الجنّة ، فنعم أجر العاملين . ثمّ ينادي منادٍ : ليقم أهل الصبر ، فيقوم ناس من الناس ، فيقال لهم : انطلقوا إلى الجنّة بغير حساب ، فتتلقّاهم الملائكة ، فيقولون : ما كان صبركم ؟ فيقولون : صبّرنا أنفسنا على طاعة الله ، وصبرنا عن معاصي الله ، فيقولون لهم : ادخلوا الجنّة ، فنعم أجر العاملين . ثم ينادي فيقول : ليقم جيران الله ! فيقوم ناس من

---

(١) الجُلب ، جمع جلبة : القشرة تعلو الجرح عند البرء . والجلبة أيضاً : جلدة تجعل على القتب .

(٢) كابُل : ولاية ذات مروج كبيرة بين هند وغزنة .

[ياقوت : معجم البلدان]

الناس ، وهم الأقلّ ، فيقال لهم : بِمَ جاورتم الله في داره ؟ فيقولون : كنّا نتجالس في الله ، ونتذاكر في الله ، ونتزاور في الله ، فيقولون : ادخلوا الجنّة ، فنعم أجر العاملين .

وقال : بئس القوم قوم ختلوا الدنْيا بالدين ، وبئس القوم قوم عملوا بأعمال يطلبون بها الدنْيا .

وقال : إن المعرفة بكمال المرء تركه الكلام فيما لا يعنيه ، وقلّة مرائه[1] ، وصبره ، وحسن خلقه .

وكتب ملك الروم إلى عبد الملك يتوعده . فضاق عليه الجواب ، وكتب إلى الحجّاج ، وهو إذ ذاك على الحجاز ، أن ابعث إلى عليّ بن الحسين فتوعده وتهدّده وأغلظ له ، ثمّ انظر ماذا يجيبك ، فاكتب به إليّ ! ففعل الحجّاج ذلك ، فقال له عليّ بن الحسين : إنّ لله في كلّ يوم ثلاثمائة وستّين لحظة ، وأرجو أن يكفينك في أول لحظة من لحظاته . وكتب بذلك إلى عبد الملك ، فكتب به إلى صاحب الروم كتاباً ، فلمّا قرأه قال : ليس هذا من كلامه ، هذا من كلام عترة نبوّته .

ومرض ثلاث مرضات في كلّ ذلك يوصي بوصية ، فإذا برىء وأفاق أنفذها ، وقال : كلّكم سيصير حديثاً ، فمن استطاع أن يكون حديثاً حسناً ، فليفعل .

وكان يقول : ابن آدم لن تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك ، وما كانت المحاسبة من همّتك ، وما كان لك الخوف شعاراً ، والحزن دثاراً[2] .

وكان عبد الملك قد كتب إلى الحجّاج ، وهو على الحجاز : جنّبْني دماء آل بني أبي طالب ، فإنّي رأيت آل حرب لمّا تهجموا بها لم يُنصروا .

(١) المراء : المجاملة والبعد عن الحقيقة .

(٢) دثاراً : غطاء .

فكتب إليه عليّ بن الحسين : إنّي رأيت رسول الله ليلة كذا في شهر كذا يقول لي : إن عبد الملك قد كتب إلى الحجّاج في هذه الليلة بكذا وكذا ، وأعلمه أن الله قد شكر له ذلك ، وزاده برهة في ملكه .

وكان له من الولد : أبو جعفر محمد ، والحسين ، وعبد الله ، وأمّهم أمّ عبد الله بنت الحسن بن عليّ ، وعليّ ، والحسن ، والحسين الأصغر ، وسليمان توفي صغيراً ، وزيد .

وذكره يوماً عمر بن عبد العزيز ، فقال : ذهب سراج الدنْيا ، وجمال الإسلام ، وزين العابدين ، فقيل له : إنّ ابنه أبا جعفر محمد بن عليّ فيه بقيّة ، فكتب عمر يختبره ، فكتب إليه محمد كتاباً يعظه ويخوّفه ، فقال عمر : أخرجوا كتابه إلى سليمان ، فأُخرج كتابه ، فوجده يقرّظه ، ويمدحه ، فأنفذه إلى عامل المدينة ، وقال له : أحْضِرْ محمّداً ، وقل له : هذا كتابك إلى سليمان تقرّظه ، وهذا كتابك إليّ معما أظهرتُ من العدل والإحسان . فأحضره عامل المدينة ، وعرّفه ما كتب به عمر ، فقال : إن سليمان كان جبّاراً كتبت إليه بما يُكتب إلى الجبّارين ، وإن صاحبك أظهر أمراً فكتبت إليه بما شاكله . وكتب عامل عمر إليه بذلك ، فقال عمر : إنّ أهل هذا البيت لا يخليهم الله من فضل .

ونكث عمر أعمال أهل بيته وسمّاها مظالم ، وكتب إلى عمّاله جميعاً : أمّا بعد ، فإن الناس قد أصابهم بلاء وشدّة وجور في أحكام الله ، وسنن سيئة سنّتها عليهم عمّال السوء ، قلما قصدوا قصد الحق والرفق والإحسان ، ومن أراد الحجّ ، فعجّلوا عليه عطاءَه ، حتى يتجهز منه ، ولا تحدثوا حدثاً في قطع وصلب حتى تؤامروني ؛ وترك لعن عليّ بن أبي طالب على المنبر ، وكتب بذلك إلى الآفاق فقال كثيّر[1] :

---

(١) كثيّر : هو كثير بن عبد الرّحمٰن ، ويُعرف بـ «كثير عزة» وعزة صاحبته . شاعر متيّم مشهور . كان مفرط القصر دميماً ، في نفسه شمم وترفع . قال المرزباني : كان كثير =

وَلِيتَ فلمْ تَشْتُمْ عَلِيّاً ولم تُخِفْ بَرِيّاً ولم تَتْبَعْ مقالةَ مُجْرِمِ

وأعطى بني هاشم الخمس ، وردَّ فَدَكاً[1] ، وكان معاوية أقطعها مروان ، فوهبها لابنه عبد العزيز ، فورثها عمر منه ، فردّها على ولد فاطمة ، فلم تزل في أيديهم حتى ولي يزيد بن عبد الملك ، فقبضها . وردّ عمر هدايا النيروز والمهرجان[2] ، وردّ السخر[3] ، وردّ العطاء ، على قدر ما استحقّ الرجل من السنّة ، وورّث العيالات على ما جرت به السنّة ، غير أنّه أقر القطائع التي أقطعها أهل بيته ، والعطاء في الشرف لم ينقصه ، ولم يزد فيه ، وزاد أهل الشأم في عطياتهم عشرة دنانير ، ولم يفعل ذلك في أهل العراق ، وكان يقول : ما بقي المسلم على جفوة السلطان ونزغة الشيطان لم أر شيئاً أعون على دينه من إعطائه حقّه . فكان يجلس للنظر في أمور المسلمين نهاره كلّه ، فقال له رجاء بن حيوة : يا أمير المؤمنين ! نهارك كلّه مشغول ، ذلك جزء من الليل ، وأنت تسمر معنا . فقال: يا رجاء إن ملاقاة الرجال تلقح لأوليائها ، وإن المشورة والمناظرة باب رحمة ومفتاح بركة ، لا يضلّ معهما رأي ولا يقعد معهما حزم .

وكان يقول : لكلّ شيء معدن ، ومعدن التقوى قلوب العاقلين ، لأنّهم عقلوا عن الله ، فاتّقوه في أمره ونهيه .

وكتب إلى عامله باليمن : أما بعد ، فدع ما أنكرت من الباطل ، وخذ ما عرفت من الحقّ بالغاً بك ما بلغ ، فإن بلغ مهج أنفسنا ، فإن الله

شاعر أهل الحجاز في الإسلام ، لا يقدمون عليه أحداً . توفي بالمدينة سنة ١٠٥ هـ .

[الأغاني ٨ : ٢٥]

(١) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) النيروز والمهرجان : من أعياد الفرس ، وقد تقدم الحديث عنهما .

(٣) السخر ، هنا : العبيد والخدم .

يعلم أنك إن لم تحمل إليّ إلاّ حفنة من كتم فإنّي بذلك مسرور ، إذا كان موافقاً .

قال الزهريّ : دخلت إلى عمر يوماً فبينا أنا عنده إذ أتاه كتاب من عامل له يخبره أن مدينتهم قد احتاجت إلى مَرَمّة[1] ، فقلت له : إنّ بعض عمال عليّ بن أبي طالب كتب بمثل هذا ، وكتب إليه : أمّا بعد فحصّنْها بالعدل ، ونقّ طرقها من الجور ، فكتب بذلك عمر إلى عامله .

ووجّه عمر إلى مسجد دمشق من ينزع ما فيه من الرخام والفسيفساء والذهب ، وقال : إن الناس يشتغلون بالنظر إليه عن صلاتهم ، فقيل له : إن فيه مكيدة للعدوّ ، فتركه ، وارتحل إلى خُناصِرَة[2] ، فنزلها ، وهي بريّة من أطراف جند قنّسرين . وكره أن ينزل في منازل أهل بيته التي بنوها بمال الله وفيء المسلمين ، ثمّ كُلّم في ذلك ، وقيل له : إن في نزولك البريّة إضراراً بالمسلمين ، فخرج إلى دمشق ، فنزل دار أبيه التي كانت إلى جانب المسجد ، وأقام عشرين يوماً ، وكثر عليه الناس ، فارتحل حتى صار إلى مدينة حلب ، وكثر عليه الناس ، فارتحل إلى مدينة حمص راجعاً يريد أن ينزلها ، فلمّا صار إلى أوائل حمص اعتلّ ، فمال إلى موضع يُعرف بدير سمعان[3] ، فنزله ، ويقال : بل ارتحل إليه قاصداً يريد نزوله بسبب قطعة أرض كان ورثها عن أُمّه فيه ، فلمّا صار إلى دير سمعان أتاه الخبر بخروج شوذب[4] الحروريّ ، فأمر بتوجيه جيش إليه ، ووجّه إليه شوذب برجلين

---

(١) المرمة : الترميم وإعادة البناء .

(٢) خناصرة : بلدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) دير سمعان : دير بنواحي دمشق .

(٤) شوذب : هو بسطام اليشكري ، ثائر جبار. حين عظم أمر شوذب وخاف الناس شره ، جهز مسلمة بن عبد الملك جيشاً فيه عشرة آلاف مقاتل ، فأحاطوا بشوذب ثم قتلوه سنة ١٠١ هـ .

[ابن الأثير ٥ : ٢٥]

من قبله يناظرانه ، فقالا له : إنّك أظهرت أفعالاً حسنـة ، وأعمالاً جميلة ، وممّا ننكر عليك ترك لعن أهل بيتك ، والبراءة منهم . فقال : وكيف يلزمني لعنهم ؟ قالا : لأنّهم من أهل المعاصي والذنوب ، ولا يسعك غير ذلك : قال : متى عهدكم بلعن فرعون ؟ قالوا : ما نذكر متى لعناه . قال : فكيف يسعكم ترك لعنه ،وهو من أهل الذنوب والمعاصي ؟ أنتم قوم أردتم شيئاً فأخطأتموه ، ولقد أصبحتم بنعمة ، ووعدكم كثير ، وشوكتكم ضعيفة ، فأقام أحدهما عنده ، وانصرف الآخر .

وأتاه أبو الطفيل عامر بن واثلة وكان من أصحاب عليّ ، فقال له : يا أمير المؤمنين! لمَ منعتني عطائي ؟ فقال له : بلغني أنّك صقلت سيفك ، وشحذت سنانك ، ونصّلت سهمك ، وغلّفت قوسك ، تنتظر الإمام القائم حتى يخرج ، فإذا خرج وفّاك عطاءك . فقال : إن الله سائلك عن هذا ، فاستحيا عمر من هذا ، وأعطاه .

وكانت ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثيّ عند عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، فهلك عنها ، فخلف عليها الحجّاج بن عبد الملك ، فطلقها قبل أن يدخل عليها ، فقدم محمد بن عليّ ، وهو يريد الصائفة ، فكلّم عمر فيها ، وقال : ابنة خالي كانت متزوّجة فيكم ، فإن تأذن أتزوّجها . قال عمر : ومَن يحول بينك وبينها ، وهي أملك بنفسها ؟ فتزوّجها وبنى بها بحاضر قنّسرين في دار طلحة بن مالك الطائيّ ، واشتملت هناك على أبي العبّاس .

ولمّا دخلت سنة ١٠٠ بعث محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس ميسرة أبا رباح إلى العراق ، ومحمد بن خنيس ، وأبا عكرمة السرّاج ، وحيّان العطّار ، إلى خراسان ، وعليها يومئذ الجراح بن عبد الله الحكميّ ، عامل عمر بن عبد العزيز ، فلقوا من لقوا بها وانصرفوا وقد غرسوا غرساً .

وكانت ولاية عمر ثلاثين شهراً ، وكان الغالب عليه رجاء[1] بن حيوة

(١) رجاء بن حيوة : أبو المقدام ، شيخ أهل الشام في عصره . من الوعاظ الفصحاء =

الكنديّ ، وصاحب شرطته روح بن يزيد السكسكيّ ، مولاه ، وتوفي لستّ بقين من رجب سنة ١٠١ ، وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، وكان أسمر ، رقيق الوجه ، حسن اللحية، غائر العينين ، بجبهته أثر ، وعهد إلى يزيد بن عبد الملك ، وقيل إن سليمان كان جعل له العهد من بعده ، وإن عمر قال عند وفاته : لو كان الأمر إليّ لولّيتُ ميمون بن مهران ، والقاسم بن محمد ، وصلّى عليه مسلمة بن عبد الملك ، ودفن بدير سمعان ، وقيل : إن أهل بيته سمُّوه خوفاً من أن يخرج الأمر منهم .

وهرب يزيد بن المهلّب ، قبل وفاة عمر بليلتين ، ولحق بالبصرة ، وعليها عديّ[1] بن أرطأة الفزاريّ ، وقد قبض على أهل بيته فحبسهم ، فوجّه عمر في إثر يزيد رسلاً ففاتهم .

وخلّف عمر من الولد تسعة ذكور : عبد العزيز ، وعبد الله ، وعبيد الله ، وزيداً ، ومسلمة ، وعثمان ، وسليمان ، وعاصماً ، وعبد الرحمٰن .

وأقام الحجّ للناس في ولايته سنة ٩٩ أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ؛ سنة ١٠٠ أبو بكر أيضاً ؛ وغزا الصوائف في ولايته سنة ٩٩ عمرو بن قيس الكنديّ .

وكان الفقهاء في أيّامه : خارجة بن زيد بن ثابت ، يحيىٰ بن عبد الرحمٰن بن حاطب ، أبا سلمة بن عبد الرحمٰن ، سالم بن عبد الله بن

= العلماء . كان ملازماً لعمر بن عبد العزيز في عهدي الإمارة والخلافة ، واستكتبه سليمان بن عبد الملك . وهو الذي أشار على سليمان باستخلاف عمر . توفي سنة ١٦٢ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٣ : ١٧]

(١) عديّ بن أرطأة : أمير ، من أهل دمشق . كان من العقلاء الشجعان . استمر على البصرة إلى أن قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط ، في فتنة أبيه «يزيد» بالعراق سنة ١٠٢ هـ .

[الكامل للمبرد ٢ : ١٤٩]

عمر ، القاسم بن محمد بن أبي بكر ، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، محمّد بن كعب القرظيّ ، عاصم بن عمر بن قتادة ، نافعاً مولى عبد الله بن عمر ، سعيد بن يسار ، محمد بن إبراهيم بن الحارث التيميّ ، عبد الله بن دينار، محمّد بن مسلم بن شهاب الزهريّ ، عبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو ، عطاء بن أبي رباح ، مجاهد بن جبير ، عكرمة مولى عبد الله بن عبّاس ، عامر بن شراحيل الشعبيّ ، سالم بن أبي الجعد ، حبيب بن أبي ثابت ، عبد الملك بن ميسرة الهلاليّ ، أبا إسحاق السَّبيعيّ ، الحسن بن أبي الحسن البصريّ ، محمّد بن سيرين ، أبا قلابة عبد الله بن زيد ، مورّق العجليّ ، عبد الملك بن يعلى الليثيّ ، زيد بن نوفل ، علقمة بن عبد الله المزنيّ ، أبا حازم رجاء بن حيوة ، مكحول الدمشقي ، راشد بن سعد ، المقرىء سليمان بن حبيب المحاربيّ ، ميمون بن مهران ، يزيد بن الأصمّ ، أبا قَبِيل المَعافريّ ، طاووس اليمانيّ .

أيام يزيد(١) بن عبد الملك

وملك يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وأمّه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وهي التي حرمت على عشرة من خلفاء بني أُميّة ، معاوية جدّها ، ويزيد أبوها ، ومروان بن الحكم زوجها ، والوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام بنو عبد الملك أولاد زوجها ، ويزيد ابنها ،والوليد بن يزيد ابن ابنها ، ويزيد بن الوليد ابن ابن زوجها .

---

(١) يزيد بن عبد الملك : كنيته أبو خالد ، فيه مروءة كاملة ، مع إفراط في الانصراف إلى اللذات . مات بعد موت جارية له اسمها «حبابة» . وكان لحبابة هذه أثر في أحكام التولية والعزل على عهده . ونقل الدياربكري في «تاريخ الخميس» أنه : «مات عشقاً» قال: «ولا يعلم خليفة مات عشقاً غيره» .

[ابن الأثير ٥ : ٤٥]

وكانت ولايته في رجب سنة ١٠١ ، والشمس يومئـذ في الدلـو إحدى وعشرين درجة وعشـرين دقيقة ، والقمـر في الجدي أربـع درجات وثـلاثين دقيقة ، وزحل في العقرب تسعاً وعشرين درجة وثـلاثين دقيقة ، والمشتـري في الثـور أربع عشـرة درجة وعشـرين دقيقة ، والمـرّيخ في الميـزان ثـلاث درجـات وأربعين دقيقة ، والـزهـرة في الحـوت خمس عشـرة درجـة وعشـر دقائق ، وعطارد في الجدي خمس عشرة درجة وأربعين دقيقة ، والرأس في الثور سبع درجات وعشرين دقيقة .

وعزل يزيد عمّال عمر بن عبد العزيز جميعاً ، وكتب إلى عديّ[1] بن أرطأة يأمره بأخـذ يزيـد بن المهلّب ، فحاربـه في داخل البصـرة ، في شهر رمضـان ، فظفـر به يـزيد ، فـأخـذه أسيـراً ، وحمله معـه في الحـديـد إلى واسط ، فحبسه بها وجماعة معه .

وغلب يـزيد بن المهلّب على البصـرة ومـا والاهـا ، ثمّ خـرج يـريـد الكـوفة ، واستخلف على البصـرة مـروان بن المهلّب ، فـوجّـه إليـه يـزيـد مسلمة بن عبد الملك ، والعبـاس بن الوليـد ، فسار مسلمـة بن عبد الملك حتى أتى العراق ، وجعل يقول : إنـي أخشى أن يتعيّا ابن المهلّب ويهرب فنطلبه ، فقال له حسّان النبطيّ ، وكان معه : لا يحسن ذلك ، أيّها الأمير ! قـال : ولِمَ ؟ قـال : سمعتـه يقـول : ويـح عبـد الـرحمٰن بن محمّـد بن الأشعث ! هبـه غلب على البصرة ، أغلب على الصبـر ؟ ما ضـرّه لو ألقى طرف ثوبـه على وجهه ، ثمّ تقـدّم حتى قُتل ؟ وقـال مسلمة : ما أجـراه إلا يبرح ! فالتقيا بمسكن[2] ، فحاربه محاربة شديدة ، ويزيـد مبطون[3] شـديد العلّة ، وكان مسلمة يسميه الجرادة الصفـراء ، فلم يبرح حتى قُتـل ، وكان ذلك في سنة ١٠٢ .

---

(١) تقدّمت ترجمته وخبره مع معاوية بن يزيد .

(٢) مسكن : موضع قريب من أوانا على نهر دُجيل عند دير الجاثليق .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) مبطون : يشكو من علة في بطنه .

وكان معاوية بن يزيد بن المهلّب بواسط[1] ، فلمّا انتهى إليه خبر أبيه أخرج عديّ بن أرطأة ومَن كان معه ، فضرب أعناقهم ، وركب البحر حتى صار بمن كان من أهل بيته وأنصاره إلى قندابيل من أرض السند ، إلى أن وافاهم هلال بن أحْوَز المازنيّ بعث به مسلمة بن عبد الملك ، فقتل معاوية وجميع من كان معه سوى نفر يسير أخذهم أسرى ، فحملهم إلى يزيد بن عبد الملك ، فقتلهم بدمشق ، منهم عثمان بن المفضّل بن المهلّب ، وحمل إليه من نساء المهلّب خمسين امرأة ، فحبسهنّ بدمشق .

وبعث مسلمة على خراسان سعيد بن عبد العزيز ، فقصد السغد ، فحاربهم محاربة شديدة ، وأقام بسمرقند ، فجاءته ملكة فرغانة ، فقالت : إنّي أدلّك على شيء فيه الظفر على أن تجعل لي ألاّ تُغزي إليّ جيشاً ، فأعطاها ما سألت ، فقالت : إن السغد قد خلوا عن أرضهم ، ونزلوا خُجَنْدَة[2] ، وطلبوا إلينا أن ندخلهم بلادنا حتى يصالحوا العرب ، أو يكون غير ذلك ، وليس لهم في خجندة طعام ولا شراب ولا عدّة لحصار ، فإن أردتهم فالساعة ، فبعث سعيد بن عبد العزيز سورة[3] بن الحُرّ الدارميّ في الخيل ولحقهم بنفسه ، فحصرهم في المدينة ، فلمّا تخوّفوا الهلاك دعوا إلى الصلح على أن يرجعوا إلى بلادهم ، فقال : على أن تخرجوا عن آخركم ، فحفر لهم خندقاً ، فقال : اخرجوا ! فخرجوا جميعاً إلاّ رجلاً

---

(١) واسط : سميت واسط لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة .

[المصدر السابق]

(٢) خُجندة : بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطىء سيحون .

[المصدر السابق]

(٣) سورة بن الحر : أمير سمرقند وأحد رؤساء تميم ، انتدبه الجنيد لنجدته وهو يقاتل الترك ، فجاءه من سمرقند باثني عشر ألفاً ، فاعترضه الترك ، فقاتلهم حتى كشفهم ، وكانوا قد أوقدوا ناراً خلفهم ، فلما أغار سورة وأصحابه سقطوا في اللهب ، فقتل مع أكثرهم سنة ١١٢ هـ .

[الطبري ٨ : ٢٠٦]

منهم يقال له جليح ، ثمّ خرج بالسلاح ، وحارب المسلمين ، وحارب معه قوم ، فوثب عليهم سعيد والمسلمون ، فقتلوهم قتلاً ذريعاً ، وكبس بهم الخندق ،وسبى الذريّة ، وغنم ما لم يغنم مثله .

وولى يزيد بن عبد الملك عمر بن هبيرة العراق مكان مسلمة ، في هذه السنة ، بعد انقضاء حرب ابن المهلّب ، وقَتْلهم ، فلقي جماعة من آل المهلّب في الحديد قد وجّه بهم مسلمة ، فقال للرسل : ردّوهم ! فقالوا : لا نفعل . قال : إنّ مسلمة يوم وجّه بكم أميركم . . . . .[1] فردّوهم معه ، وكتب إلى يزيد كتاباً حسناً في أمرهم ، وأن الصنيعة فيهم عامّة لقومهم . فكتب إليه يزيد : وما أنت وذاك ؟ لا أمّ لك ! فعاوده ، وكتب إليه : ما هم لي بعشيرة ، وما أردتُ إلّا النظر لأمير المؤمنين في تألّف عشائرهم لئلّا تفسد قلوبهم وطاعتهم . فكتب إليه : بارك الله لك في ودّهم إن كنت أردت ذاك .

وأقرّ عمر بن هبيرة سعيد بن عبد العزيز على خراسان ، فوجد رسلاً لأبي رباح ميسرة داعية بني هاشم في زيّ التجار ، فقيل إنّه دعاهم ، فسألهم عن حالهم ، فقالوا : نحن تجّار ، فخلّى سبيلهم ، فخرجوا من خراسان .

وظهر برند برحرهم[2] الداعية ، وبلغ عمر بن هبيرة الخبر ، فعزله وولّى خراسان مسلم بن سعيد الكلابيّ ، فقدم خراسان ، فغزا بالناس ، فلم يصنع شيئاً ، فلمّا انصرف راجعاً من فرغانة[3] تبعته الترك وأهل فرغانة ، فقاتلوه قتالاً شديداً . وكان قد استعمل نصر بن سيّار[4] على

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) هكذا بدون نقط في الأصل .

(٣) فرغانة : مدينة واسعة متاخمة لبلاد تركستان .

[ياقوت]

(٤) نصر بن سيّار : أمير ، من الدهاة الشجعان . حذر عبد الملك من الخطر العباسي =

بلخ ، فكتب إليه أن يمدّه بالرجال ، وأن يحشر الناس إليه ، فدعاهم نصر بن سيّار إلى ذلك ، فأبوا عليه وقاتلوه ، وكانت بينهم وبين نصر وقعة تسمّى وقعة البَروقان .

واستعمل يزيد على المدينة عبد الرحمٰن بن الضحّاك بن قيس الفهريّ ، وكتب إليه يأمره أن يجمع بين عثمان بن حيّان المرّيّ وبين أبي بكر بن عمرو بن حزم في الحدّين اللذين جلدهما أبو عثمان بن حيّان ، فإن وجد أن أبا بكر ظلمه أقاده منه . ففعل ، وتحامل على أبي بكر ، فجلده حدّين قَوَداً بعثمان بن حيان .

وخطب عبد الرحمٰن فاطمة بنت الحسين بن عليّ ، فأرسل إليها رجالاً يحلف بالله لئن لم تفعلي ليضربنّ أكبر ولدها بالسياط . فكتبت إلى يزيد كتاباً ، فلمّا قرأ كتابها سقط عن فراشه ، وقال : لقد ارتقى ابن الحجّام[1] مرتقى صعباً من رجل يُسْمِعُني ضربه وأنا على فراشي هذا ؟ فكتب إلى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضريّ ، وكان بالطائف ، أن يتولّى المدينة ، ويأخذ عبد الرحمٰن بن الضحّاك بأربعين ألف دينار ، ويعذّبه حتى يسمعه ضربه ، ففعل ذلك ، فرُئيَ عبد الرحمٰن وفي عنقه خرقة صوف يسأل الناس .

ووجّه يزيد الجرّاح بن عبدالله الحكميّ ، فغزا الترك ، وفتح بَلَنْجَر[2] ، وسبى خلقاً عظيماً في سنة ١٠٤ ، وانتهى إلى نهر الرّوباس ،

= فأرسل له أبياتاً أولها :

أرى خللَ الرمادِ وميضَ جمر ... ويوشك أن يكون له ضرام

قال عنه الجاحظ : «كان نصر من الخطباء الشعراء ، يُعد في أصحاب الولايات والحروب والتدبير والعقل وسدد الرأي .

[ابن الأثير ٥ : ١٤٨]

(١) يريد «عبد الرّحمٰن بن الضحاك» .

(٢) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب .

[ياقوت]

ثمّ سار حتى انتهى إلى نهر الران ، ولقي ابن خاقان صاحب الخزر فقاتله فهزمه ، وقتل مقاتلته ، وسبى سبياً كثيراً ، ولمّا فتح بَلَنْجَر سار ، فجعل ينزل بلداً بلداً يتبع خاقان ملك الخزر ، حتى صار إلى نهر دبيل من عمل آذربيجان ، فاقتتلوا هناك ، وقُتل الجرّاح وجميع أصحابه .

وولي يزيد[1] بن أبي مسلم أفريقية ، فقدمها وعبد الله بن موسى اللخميّ محبّس بها ، فقال له : أعط الجند من مالك أرزاقهم لخمس سنين ، فقال : لا أقدر على ذلك ، فحبسه ، وأخذ موالي موسى بن نصير فوسم[2] أيديهم ، وردّهم إلى الرّقّ ، واستخدم عامّتهم في حرسه ، فوثب عليه غلام منهم يقال له جرير دخل عليه ، وهو يأكل عنباً ، فقتله ، فلمّا بلغ يزيد بن عبد الملك الخبر ولّى بشر بن صفوان الكلبيّ ، فلم يزل مقيماً بها ولاية يزيد .

وكتب يزيد إلى عمر بن هبيرة ، وهو عامل على العراق ، يأمره أن يمسح السواد ، فمسحه سنة ١٠٥ ، ولم يمسح السواد منذ مسحه عثمان بن حنيف في زمن عمر بن الخطاب ، حتى مسحه عمر بن هبيرة ، فوضع على النخل والشجر ، وأضرّ بأهل الخراج ، ووضع على التانئة ، وأعاد السخر والهدايا وما كان يؤخذ في النيروز والمهرجان ، والمساحة التي يؤخذ بها مساحة ابن هبيرة .

وكان يزيد قد جعل ولاية العهد من بعده لهشام ، ثمّ بدا له أن يبايع بولاية العهد لابنه الوليد ، وكان هشام بالجزيرة ، فوجّه إليه خالد[3] بن

---

(١) هو يزيد بن دينار ، وقد تقدّمت ترجمته .

(٢) وسم : كوى ، أي جعل لأيديهم علامات يعرفون بها .

(٣) خالد القسري : أمير العراقين ، وأحد خطباء العرب وأجوادهم ، سجنه يوسف بن عمر الثقفي وعذبه بالحيرة ثم قَتله في أيام الوليد بن يزيد سنة ١٢٦ هـ . وكان خالد يُرمى بالزندقة .

[الأغاني ١٩ : ٥٣ ـ ٦٤]

عبد الله القسريّ يحسّن له خلع نفسه من ولايـة العهد على أن الجـزيرة لـه طعمة .

قال خالد بن عبد الله : فأتيته ، فذكرت له ذلك ، فـأسرع الإجـابة ، فقلت له : أيّها الإنسان إن استشرتني وعاهدتني على أن تكتم عليّ أشـرت عليك . فقال : قد استشرتك ولك عهد الله أن أكتم عليك . فقلت : إنّمـا هي أيام قلائل حتى تصير الجزيرة أحد أعمالك . قال : فكيف بالسلامة من يـزيد؟ قلت : علـيّ! قـال إفعـل مـا بـدا لـك ، فـإنّها يـد مشكـورة لـك . فـانصرفت إلى يزيد فقلت : يا أمير المؤمنين ! إنّي أتيت رجلاً صعباً ، فأنشدك الله أن تـوقع العـداوة ، والشرّ بينكم ، وتـوجـدوا النـاس السبيـل إلى الـطعن فيكم والاختلاف عليكم ، ولكن تصيّر الوليد وليّ العهـد بعد أخيـك . فركن إلى ذلـك وفعله ، فما زال هشـام يشكر ذلـك لخالـد حتى ولي الخـلافـة فـولّاه العراق .

وكان الغالب على يزيد سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وصاحب شرطه كعب بن حامـد العبسيّ ، وعلى حرسـه يزيـد بن أبي كبشة السكسكيّ ، وحاجبه خالد مولاه .

وكانت ولايته أربع سنين ، وتوفي لأربع بقين من شعبان سنـة ١٠٥ ، وهو ابن سبع وثلاثين سنة ، وصلّى عليه الوليد بن يزيـد ، ودفن بالبلقـاء [١] من أرض دمشق ، وخلّف من الولد عشـرةً ذكوراً وهم : الـوليد ، ويحيىٰ ، ومحمـد ، والغمـر ، وسليمـان ، وعبـد الجبّـار ، وداوُد ، وأبـو سليمـان ، والعوّام ، وهاشم .

وأقام الحجّ للناس في ولايته سنـة ١٠١ عبد الـرحمٰن بن الضحّاك بن قيس ، سنـة ١٠٢ عبـد الـرحمٰن أيضـاً ؛ سنـة ١٠٣ عبـد الـرحمٰن أيضـاً ؛

---

(١) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى .

[ياقوت]

سنة ١٠٤ عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضريّ .

وغزا بالناس في ولايته سنة ١٠٢ الوليد بن هشام أرض الروم ، فنزل على المخاضة عند إنطاكية ، ولقي عمر بن هبيرة الروم بأرمينية الرابعة ، فهزمهم ، وأسر منهم سبعمائة ؛ سنة ١٠٣ غزا العباس بن الوليد ، فأصيب الناس في السرايا ، وأغارت الترك على أرض اللان ، وغزا عبد الرحمٰن بن سليمان الكلبيّ ، وعثمان بن حيّان المرّي ، فنزلا على حصن ففتحاه ؛ سنة ١٠٤ عبد الرحمٰن بن سليمان الكلبيّ على الصائفة اليمنى ، وعثمان بن حيّان المرّي على الصائفة اليسرى ؛ سنة ١٠٥ سعيد بن عبد الملك بن مروان ، ثم رجع فغزا ناحية الترك ، فبلغ قصر قطن ، وغزا الجرّاح بن عبد الله الحكميّ باب اللان ، حتى خرج من الباب .

وكان الفقهاء في ولايته يحيىٰ بن عبد الرحمٰن بن حاطب ، سالم بن عبد الله بن عمر ، القاسم بن محمد بن أبي بكر ، محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ ، محمد بن كعب القرظيّ ، عاصم بن عمر بن قتادة ، نافعاً مولى عبد الله بن عمر ، سعيد بن يسار ، محمد بن إبراهيم بن الحارث التيميّ ، عبد الله بن دينار ، عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، طاووس اليماني ، عطاء بن أبي رباح ، حبيب بن أبي رباح ، حبيب بن أبي ثابت ، عبدالله بن ميسرة ، أبا إسحاق السَّبيعي .

أيام هشام[1] بن عبد الملك بن مروان

ثمّ ملك هشام بن عبد الملك بن مروان ، وأمّه أمّ هشام بنت هشام ابن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ ، وأتته الخلافة ،

---

(١) هشام بن عبد الملك : بويع بالخلافة سنة ١٠٥ هـ . كان حسن السياسة ، يقظاً في أمره ، يباشر الأعمال بنفسه . من كلامه : «ما بقي عليَّ من لذات الدنيا إلّا أخ أرفع مؤنة التحفيظ بيني وبينه» . توفي في الرصافة سنة ١٢٥ هـ .

[ابن الأثير ٥ : ٩٦]

وهو بقرية يقال لها الزيتونة من الجزيرة ، فجاء البريد ، فسلّم عليه بالخلافة ، فركب من الرّصافة [1] حتى أتى دمشق ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ١٠٥ ، ومن شهور العجم في كانون، وكانت الشمس يومئذ في الدلو ستّ درجات وثمانياً وخمسين دقيقة ، والقمر في القوس سبع درجات وتسع دقائق ، والمشتري في الميزان ستّ درجات وخمسين دقيقة راجعاً ، والمرّيخ في العقرب إحدى وعشرين درجة ، وتسعاً وثلاثين دقيقة ، والزهرة في القوس عشرين درجة وثلاث دقائق ، وعطارد في الدلو إحدى وعشرين درجة وعشرين دقيقة ، والرأس في الدلو عشرين درجة وعشرين دقيقة .

وولّى خالد بن عبد الله القسريّ العراق باليد [2] التي كانت له عنده ، وكان قد كتب إلى الجُنَيْد بن عبد الرحمٰن يأمره أن يكاتب خالداً ، ففعل ، وعظم أمر الجنيد ببلاد السند ، ودوّخها حتى صار إلى أرض الجُرْز ، ثمّ إلى أرض الصين ، ودعا ملكها إلى الإسلام ، فقاتله ، فثبت له الجنيد ، فأقام يقاتله ورمى حصنه بالنفط والنار ، فطفأها ، فقال الجنيد : في الحصن قوم من العرب هم أطفأوا النار ، ولم يزل يقاتله ، حتى طلب الصلح وصالحه ، وفتح المدينة ، فوجد فيها رجلين من العرب ، فقتلهما .

وأقام الجنيد أيّاماً ثمّ غزا الكيرج ومعه اشندرابيد الملك في مقاتلته ، فهرب الراه ملك الكيرج ، فافتتحها الجنيد ، فسبى ، وغنم ، واستقامت أموره ، فوجّه بعمّاله إلى المرمذ والمَنْدل ودهنج والبروص وسُرَسْت والبيلمان والمالبة وغيرها من البلاد ، وكتب إليه هشام بفتح أتاه من الروم يخبره أن المسلمين أسروا عدّة ، وغنموا حمراً وبقراً ، فكتب إليه الجنيد : إنّي نظرت في ديواني ، فوجدت ما أفاء الله عليّ ، مذ فارقت بلاد السند ، ستّمائة ألف وخمسين ألف رأس من السبي ، وحملت ثمانين ألف

---

(١) الرصافة : على أربعة فراسخ من الرقة غرباً .

(٢) كان أشار على يزيد أن يصيّر الوليد ولي العهد بعد أخيه هشام .

ألف درهم ، وفرقت في الجند أمثالها مراراً .

وأقام الجنيد عدّة سنين ، ثمّ استعمل خالد مكانه تميم بن زيد العتبيّ ، فوجّه ثمانية عشر ألف ألف طاطري خلّفها الجنيد في بيت المال ، ولم يستقم لتميم أمر ، وكثر خلاف أهل البلاد عليه ، وكثرت حروبه ، وفشا القتل في أصحابه ، وخرج من البلد يريد العراق ، فكتب خالد إلى هشام أن يولّي الحكم بن عوانة الكلبيّ ، فقدم الحكم وبلاد الهند كلّها قد غُلب عليها ، إلاّ أهل قَصّة[1] ، فقالوا : ابْنِ لنا حصناً يكون للمسلمين يلجأون إليه ! فبنى مدينة سمّاها المحفوظة ، وأجلى القوم المتغلّبين بعد حرب شديدة ، وهدأت البلاد وسكنت ، وكان مع الحكم عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي ، وجماعة من وجوه الناس ، فلم يزل مقيماً في البلد ، حتى عُزل خالد ، وولي يوسف بن عمر الثقفي .

وولّى هشام مسلمة[2] بن عبد الملك أرمينية وآذربيجان سنة ١٠٧ ، فوجّه سعيد بن عمرو الحَرَشي على مقدّمته ، فلقي عسكراً للخزر ، ومعهم عشرة آلاف من أسارى المسلمين ، فحاربهم ، فهزمهم ، وقتل عامّتهم ، واستنقذ الأسارى منهم ، وفعل ذلك مرّة بعد أُخرى ، وقتل ابن خاقان ، وفتح عدّة مدائن ، ووجّه برأس ابن خاقان إلى هشام من غير أن يوافق مسلمة ، فأغضبه ذلك ، وكتب إليه يلومه وعزله ، وصيّر مكانه عبد الملك بن مسلم العقيليّ ، وأمره أن يقيّد سعيد بن عمرو الحَرَشي ويحبسه بمدينة يقال لها قَبَلَة[3] .

---

(١) القصة ، ذو القصة : موضع بين زبالة والشقوق . وذو القصة أيضاً : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) تقدّمت ترجمته .

(٣) قبلة : مدينة قديمة قرب الدربند وهو باب الأبواب من أعمال أرمينية أحدثها قباذ الملك أبو أنوشروان .

[المصدر السابق]

وقدم مسلمة البلد وأحضر الحرشيّ ، فأغلظ له ، ودقّ لـواءه ، وبعث به إلى سجن بَرْذعة ، فكتب إليه هشام يلومه على ذلـك ، ووجّه بـرسل من قبله حتى أخرجوا سعيد بن عمرو الحرشيّ من السجن ، وحملوه إليه .

وســار مسلمـة في البــلاد التي للخـزر حتى صــار إلى جُـرْزان[1] ، فافتتحها ، وقتل أهلها ، ثمّ صـار إلى شَرْوان[2] ، فسـالمه أهلهـا ، ثمّ أتى مَسْقَط ، فصالحه أهلهـا ، ووجّه خيله إلى أرض اللَّكْـز ، فصالحـه أهلها ، وبعث إلى طبرسران ، فصالحه أهلهـا ، فسار في البـلاد لا يلقاه أحـد حتى بلغ أرض وَرْثان[3] ، فلقيه خاقان ملك الخزر ، وكان مع مسلمة جماعة من ملوك البُلدان التي فتحهـا ، فجعل مـروان بـن محمـد على مقـدّمتـه ،فلقي القـوم ، فأقـام يقاتلهم أيّـاماً ، وربّمـا فُقد ، فيقـال لمسلمة : قُتـل مروان ! فيقول : أما والله دون أن يسلّم عليه بالخلافة فلا ! ففتح عامّة البلدان .

وعزل هشام مسلمة وولّى مروان بن محمد ، فصار إلى الحصن الذي فيه ملك السرير ، وهو سـرير من ذهب كـان بعث به بعض ملوك الفـرس ، ويقال إنّ أنوشروان بعث به إليه فسمّي بذلك السريـر ، فصالحـه على ألف وخمسمائة غلام سود الشعور ، ثمّ صار إلى تُومان شـاه ، فصالحـه ملكها ، ثمّ دخـل إلى أرض زِريكـران ، فصـالحـه ملكهـا ، ثمّ صـار إلى حمــزين فحاربهم ، فقتل منهم خلقاً عظيماً ، وفتح أكثـر البلد ، وجمع الـطعام إلى مدينة الباب ، ولم يزل هناك .

---

(١) جُرزان : اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس .

[ياقوت]

(٢) شروان : مدينة من نواحي باب الأبواب الذي تسميه الفرس الدربند ، بناها أنو شروان فسميت باسمه .

[المصدر السابق]

(٣) ورثان : بلد هو آخر حدود آذربيجان .

[المصدر السابق]

وكان بشر[١] بن صفوان الكلبيّ عامل المغرب ، فلمّا ولي هشام بعث إليه بأموال عظام وهدايا ، فأقرّه هشام على أفريقية ، فلم يزل بها حتى مات ، فلمّا مات بشر بن صفوان ولّى هشام أفريقية عبيدة بن عبد الرحمٰن القيسيّ ، ولم يزل بها ، فأغزى الناس في البحر ، فغنم غنائم كثيرة ، فخرج إلى هشام بأموال جليلة وعشرين ألف عبد ، فاستعفاه فأعفاه ، وولّى مكانه عقبة بن قدامة التجيبي ، فلم يقم إلا يسيراً حتى عزل ، وولى عبيد الله بن الحبحاب ، فغزا غزوات كثيرة . . . . [٢] ، وقُتل كلثوم بن عياض ، ثمّ ولى حنظلة بن صفوان الكلبيّ ، فقدم أفريقية ، وقد تغلّب على بعض النواحي عُكاشة بن أيّوب الفزاريّ ، فظفر به حنظلة ، ولم يزل مقيماً إلى أيّام مروان بن محمد[٣] .

وظهر سليمان بن كثير الخزاعيّ وأصحابه بخراسان يدعون إلى بني هاشم سنة ١١١ ، وظهرت دعوتهم ، وكثر من يجيبهم ، وقدم بكير بن ماهان ، فأجابه خلق كثير إلى خلع بني أميّة وبيعة بني هاشم ، وكثر أشياعه وأصحابه ، ثمّ حضرت بكير بن ماهان الوفاة ، فاستخلف أبا سلمة حفص ابن سليمان الخلّال وكتب بذلك إلى محمد بن عليّ بن عبد الله ، وأعلمه أنّه يرضاه ، فأقرّه، وكتب إلى أصحابه يأمرهم بالسمع والطاعة ، فاستقاموا جميعاً عليه ، وولّى خالد بن عبد الله أخاه أسد بن عبد الله خراسان ، فبلغه خبرهم ، فأخذ جماعة منهم ، فقطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم ، فما زالوا في خوف ، حتى مات أسد ، وولى خراسان جعفر بن حنظلة البهرانيّ .

وولى سجستان[٤] يزيد بن الغَريف الهمدانيّ ، فلمّا قدم سجستان

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) هو آخر خلفاء بني أميّة . وكان يلقب «بالحمار» .

(٤) سجستان : ناحية كبيرة وولاية واسعة ، وقد ذهب بعضهم إلى أن سجستان اسم للناحية وان اسم مدينتها زرنج ، وهي جنوبي هراة .

[ياقوت]

ساءت سيرته ، وأظهر الفسق ، فقتله قوم من الخوارج وثبوا عليه وهو جالس في مجلسه ، وعلى رأسه ألف وخمسمائة مدجّج ، وكان الخوارج خمسة نفر ، فقدم إليه بعضهم ، فضربه بالسيف ، فقتله ، ووثب الجند عليهم ، فقتلوهم بعد أن قتلوا جماعة منهم . فلمّا بلغ خالد بن عبد الله الخبر ولّى الأصفح بن عبد الله الكلبيّ ، فصار إلى النيه في الشتاء ، فندب الناس إلى الغزو ، فأتاه شيخ من أهل البلد يقال له عبدالله[1] بن عامر ، فقال : أيها الأمير ! ليس هذا وقت غزو ، فقال : أنا أعلم بوقت الغزو منك ، ونفذ ، فلمّا صار على رأس شعب من الشعاب أتاه عمرو بن بجير فقال : أصلح الله الأمير ، ليس هذا وقت دخول هذا الشعب . فقال : لو كنت عاقبت المتكلّم بالأمس لما سمعت هذا اليوم ، واقتحم الشعب . حتى إذا أمعن فيه أخذ العدوّ عليه مضايقه ، واجتمع فقُتل الجيش بأسره ، فلم ينج منه أحد ، فلمّا أتى خالداً الخبر بقتل الأصفح ومَن معه من المسلمين ، ولّى عبد الله بن أبي بُرْدة بن أبي موسى ، فلم يزل مقيماً بها ولاية خالد .

وفاة أبي جعفر محمد[2] بن عليّ

وتوفي أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وأمّه أمّ عبد الله بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، سنة ١١٧ ، وسنّه ثمان وخمسون سنة .

قال أبو جعفر : قُتل جدّي الحسين ولي أربع سنين ، وإنّي لأذكر

---

(١) عبد الله بن عامر : وُلد بمكة سنة ٤ هـ . وولي البصرة في أيام عثمان ، فوجه جيشاً إلى سجستان فافتتحها صلحاً ، وفتح أبرشهر عنوة ، وطوس وطخارستان ونيسابور وبلخ والطالقان . أقام بالمدينة ومات بمكة سنة ٥٩ هـ .

[طبقات ابن سعد ٥ : ٣٠ ـ ٣٥]

(٢) هو غير «أبو جعفر محمد علي بن موسى الملقب بالجواد ، وتاسع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية» .

مقتله ، وما نالنا في ذلك الوقت . وكان يسمّى أبا جعفر الباقر لأنّه بقر العلم .

قال جابر[1] بن عبد الله الأنصاري : قال لي رسول الله : إنّك تستبقى حتى ترى رجلاً من ولدي أشبه الناس بي اسمه على اسمي ، إذا رأيته لم يُخِلْ عليك ، فأقرئه منّي السلام ! فلمّا كبرت سنّ جابر ، وخاف الموت ، جعل يقول : يا باقر ! يا باقر ! أين أنت ؟ حتى رآه فوقع عليه يقبّل يديه ورجليه ، ويقول : بأبي وأمّي شبيه أبيه رسول الله ! إن أباك يقرئك السلام .

قال أبو حمزة الثمالي : سمعت محمد بن عليّ يقول : يقول الله عزّ وجلّ : إذا جعل عبدي همّه فيّ همّاً واحداً جعلت غناه في نفسه ، ونزعت الفقر من بين عينيه ، وجمعت له شمله ، وكتبت له من وراء تجارة كلّ تاجر ، وإذا جعل همّه فيّ مفترقاً جعلت شغله في قلبه ، وفقره بين عينيه ، وشتّت عليه أمره ورميت بحبله على غاربه ، ولم أبال في أيّ واد من أودية الدنيا هلك .

وقيل لمحمد : أتعرف شيئاً خيراً من الذهب ؟ قال : نعم ! معطيه .

وقال : إصبر للنوائب ، ولا تتعرّض للحقوق ، ولا تعط أحداً من نفسك ما ضرُّه عليك أكثر من نفعه له .

وقال : كفى العبد من الله ناصراً أن يرى عدوّه يعصي الله .

وقال : شرّ الآباء من دعاه البرّ إلى الإفراط ، وشرّ الأبناء من دعاه

---

(١) جابر بن عبد الله : صحابي ، من المكثرين في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة . كانت له في أواخر أيامه حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم. توفي سنة ٧٨ هـ .

[تهذيب الأسماء ١ : ١٤٢]

التقصير إلى العقوق(١) .

وسئل أبو جعفر عن قول الله عزّ وجلّ : وقولوا للناس حُسناً(٢) . قال : قولوا لهم أحسن ما تحبون أن يقال لكم ، ثمّ قال : إن الله عزّ وجلّ يبغض اللعّان السبّاب ، الطعّان الفحّاش المتفحّش ، السائل الملحف ، ويحبّ الحييّ الحليم ، العفيف المتعفّف .

وقال : لو صمتُ النهار لا أفطر ، وصلّيت الليل لا أفتر ، وأنفقت مالي في سبيل الله عِلقاً علقاً ، ثمّ لم تكن في قلبي محبّة لأوليائه ، ولا بغضة لأعدائه ، ما نفعني ذلك شيئاً .

وكان له من الولد خمسة ذكور : أو عبد الله جعفر ، وعبد الله ، وإبراهيم ، وعبيد الله درج صغيراً ، وعليّ درج صغيراً .

وتوفي علي بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب سنة ١١٨ ، وكان مولده في الليلة التي قُتل في صبيحتها عليّ بن أبي طالب ، وتوفي بالاحهر(٣) بين الحميمة وأذْرُح من عمل دمشق ، وسنّه ثمان وسبعون سنة ، وأمّه زُرْعة بنت مشرح بن معدي كرب ، أحد ملوك كندة الأربعة . وكان ذا غناء وفضل وشرف ورواية عن أبيه .

قال : سمعت أبي يقول : إن من غصبته نفسه فيما تحبّ لم يطمعها فيما يحبّ .

وقال : سمعت أبي يقول : تعاشر الناس حيناً بالتقوى ، ثمّ رفع ذلك ، فتعاشروا بالمروّة ، ثمّ رفع ذلك ، فتعاشروا بالحياء ، ثمّ رفع ذلك ، فانهتك الغطاء .

---

(١) العقوق : العصيان وشقّ عصا الطاعة وترك الشفقة والإحسان إلى الوالدين والاستخفاف بهما .

(٢) تمام الآية : ﴿وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ .

[سورة البقرة؛ الآية: ٨٣]

(٣) الاحهر: هكذا في الأصل .

وكان يقول : الكريم يلين إذا استُعطف ، واللئيم يقسو إذا لوطف .

وقال : سخاء الناس عمّا في أيدي الناس أفضل من سخائها بالبذل ، والقناعة لـذّة العيش ، والرضى بـالقسم أكثر من مـروّة الإعطاء ، ومن حفظ من نفسـه أربعاً فهـو خليق ألّا ينزل به ما نزل بغيـره : العجلة ، واللجاج ، والعجب ، والتواني .

وكـان لعليّ بن عبد الله بن عبّـاس من الولـد اثنـان وعشـرون ولـداً : محمد بن عليّ ، وأمّه العـالية بنت عبيدالله بن عبّاس ، وداوُد ، وعيسى لأمّ ولـد[1] ، وسليمـان ، وصـالـح لأمّ ولـد ، وأحمـد ، وبشـر ، ومبشّـر ، وإسماعيل ، وعبد الصمد ، لأمّهات أولاد ، وعبد الله الأكبـر ، أمّه أم أبيهـا بنت عبـد الله بن جعفـر بـن أبي طـالب ، لا عقب لـه ، وعبيـد الله ، وأمّـه فـلانة بنت الحـريش ، وعبد الملك ، وعثمـان ، وعبد الـرحمٰن ، وعبد الله الأصغـر ، وهو السفّـاح ، ويحيىٰ ، وإسحاق ، ويعقـوب ، وعبد العـزيـز ، وإسمـاعيـل الأصغــر ، وعبـد الله الأوسط ، وهــو الأحنف ، لأمّهـات أولاد شتّى .

وقدم محمد بن عليّ بن عبـد الله على هشام ، ومعـه ابنه أبـو العباس غلام ، فلمّا خرج من عنده قال لبعض أصحابه : شكوت إلى أمير المؤمنين ثقل الدّين وكثـرة العيال ، فاستهزأ بي ، وقـال : انتظر ابن الحـارثيّة ، يعني هذا الغلام .

وألـحّ هشام في طلب الخـوارج . . . .[2] فجلس يومـاً ، وجمع إليـه الخوارج ، فقال : يا قوم ! خـافوا الله ولا تـدعوا الجهـاد ! فبايعـوه ، وأقام

---

(١) أُم ولد : أمة يتسرّاها سيدها وتلد منه . وكانت منزلتها فوق منزلـة الجاريـة التي لا تلد من سيدها ، ومُنحت حقوقاً أهمها أنه لا يصح لمالكها ـ وهو مستـولدهـا ـ أن يبيعها ، ولكنها تبقى حلاًّ لمالكها حتى يموت ، فإذا مات صارت حرّة .

[راجع أخبار النساء في كتاب الأغاني لعبد الأمير مهنا صفحة ٥]

(٢) بياض في الأصل .

أيّاماً وحضرته الوفاة ، فقال لهم : إنّي لست بأحد أوثق منّي بالبهلول بن عمير الشيبانيّ ، فلمّا مات خرج البهلول ، فصار إلى قرب الكوفة ، فبلغ ذلك خالد بن عبد الله ، فوجّه إليه بخيل ، فاتبعته من عين التمر إلى الموصل ، فقُتل بالموصل .

وأنكر هشام على خالد بن عبد الله أموراً بلغته ، منها أنّه فرّق أموالاً عظاماً ، مبلغها ستّة وثلاثون ألف ألف درهم ، فاستعظمها ، وأنّه قال : ما زادت أميّة في شرف قسر[1] هكذا ، وجمع بين إصبعيه ، فكتب إليه : أمّا بعد فقد بلغني مقالتك ، وإنّما أنت من بجيلة الذليلة الحقيرة ، وستعلم يا ابن النصرانيّة أن الذي رفعك سيضعك .

وأقام خالد على العراق أربع عشرة سنة ، أو خمس عشرة ، فلمّا عزم هشام على صرفه أحضر حسّان النبطيّ ، وكان ينظر في أمر خالد بن عبد الله كلّه ، فأشرف عليه بالقتل[2] ، وحلف له بالله الذي لا إله إلاّ هو ليصدقنّه ، أو ليقتلنّه ، فأتاه حسّان بصناديق وقائع على خالد ، وكان أول كاتب رفع على عامل بلده ، ولمّا وقف هشام من أمر خالد على ما أراد كتب إلى يوسف[3] بن عمر الثقفي ، وكان عامله باليمن ، كتاباً بخطّه لم يُطلعْ عليه أحداً ، يأمره بالنفوذ إلى العراق ، وأن يستر خبره حتى يقدمها ، فيقبض على خالد وأصحابه ، فيأخذه بستّة وثلاثين ألف ألف درهم .

فخرج يوسف من اليمن ، وقد أسرّ أمره ، وكان في سبعة نفر ، حتى

---

(١) قوله : قسر ، هكذا في الأصل .

(٢) «أشرف عليه بالقتل» : معنى مرتبك ورد هكذا في الأصل .

(٣) يوسف بن عمر الثقفي : من جبابرة الولاة في العهد الأموي . كان صغير الحجم ، قصير القامة ، عظيم اللحية ، فصيحاً ، جواداً ، يسلك سبيل الحجّاج في الأخذ بالشدّة والعنف ، وكان يضرب به المثل في التيه والحمق ، يُقال : أتيه من أحمق ثقيف .

[وفيات الأعيان ٢ : ٣٦٠]

قدم العراق ، وكان مقدمه العراق سنة ١٢٠ ، ووافى يوسف بن عمر في الليل في خمسة نفر حتى صار إلى المسجد الجامع ، فلمّا أقيمت الصلاة تقدّم خالد ليصلّي ، فجذبه يوسف فأخرجه ، ثمّ تقدم وقرأ : إذا وقعت الواقعة ، في أول ركعة ، ثمّ قرأ في الثانية : سأل سائل بعذاب واقع ، ثمّ أقبل على الناس بوجهه ، فعرّفهم نفسه ، وأخذ خالداً وأصحابه ، فعذّبهم أنواع العذاب ، وطالبهم بالمال ، فاجتمع جماعة دهاقين[1] العراق ومياسير الناس ، فقالوا : نحن نتحمّل هذا المال عنه ونؤدّيه ، فيقال إن يوسف قبل ذلك منهم ، فلمّا حملوا إليه المال طالب خالداً ، وأخذ خالداً ، فألبسه جبّة صوف ، وجمع يده إلى عنقه ، ثم أُتي به إليه ، وهو جالس على دكّان ، فجذبه حتى سقط لوجهه ، فقال بعض مَن حضر : رأيت خالداً وقد فعل مثل هذا بعمر بن هبيرة الفزاريّ لمّا عزله عن العراق ، فمن ولي شيئاً فليحسن .

وخوّف يوسف خالداً وعمّاله ، ووظّف عليهم الأموال ، وعذّبهم حتى مات أكثرهم في يده : فوظّف على أبان بن الوليد البجليّ عشرة آلاف ألف ، ووظّف على طارق بن أبي زياد عامل فارس عشرين ألف ألف ، ووظّف على الزبير عامل أصبهان والريّ وقومس عشرين ألف ألف درهم ، وعلى غيرهم ما دون ذلك ، فاستخرج أكثر المال .

وكان بلال[2] بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعريّ عامل خالد على البصرة ، فهرب من سجن يوسف ، فلحق بهشام ، فكتب فيه يوسف إلى

---

(١) الدهقان : التاجر .

(٢) بلال بن أبي بردة : كان راوية فصيحاً أديباً . كان ثقة في الحديث ، ولم تحمد سيرته في القضاء . وكان يقول : إن الرجلين ليختصمان إليّ فأجد أحدهما أخفّ على قلبي فأقضي له : مات سجيناً سنة ١٢٦ هـ .

[وفيات الأعيان]

هشام ، فأشخصه إليه ، فعذّبه حتى قتله ، وجعل داره بالكوفة سجناً ، واستصفى داره بالبصرة .

ولّما بلغ الحكم بن عوانة عامل السند ما فعل يوسف بعمّال خالد أوغل في بلاد العدوّ ، وقال : إمّا فتح يرْضى به يوسف ، وإمّا شهادة أستريح بها منه ، فلقي العدوّ ، فلم يزل يقاتل حتى قُتل ، وقد كان استخلف على الخيل عمرو بن محمد بن القاسم الثقفي .

ولمّا قُتل الحكم بن عوانة بأرض السند تنازع خلافته عمرو بن محمّد الثقفيّ وابن عرار ، فكتب إلى يوسف بن عمر ، وكتب بذلك إلى هشام ، فكتب إليه هشام : إن كان عمرو بن محمد قد اكتهل فولّه ! فمال يوسف بالثقفيّة إلى عمرو ، فولّاه ، وأرسل بعهده إليه ، فأخذ ابن عرار ، فحبسه وقيّده .

وبنى عمرو بن محمد بن القاسم مدينة دون البحيرة سمّاها المنصورة ، ونزلها في منزل الولاة . وكلب العدوّ ، وملّكوا ملكاً ، ثمّ زحفوا إلى المنصورة ، فحصروها ، فكتب عمرو إلى يوسف ، فوجّه إليه بأربعة آلاف ، فانصرف عنه الملك ، وقوّض أمره ، فتجهز للعدوّ وجعل على مقدّمته معن[1] بن زائدة الشيبانيّ ، وكبس عسكر ذلك الملك ليلاً ، وصبر أصحابه ، فقتل من العدوّ خلقاً عظيماً .

وأشرف ذلك الملك ، فمر به قوم من أصحابه ولم يعرفه المسلمون ، فلمّا رأوه قالوا : الراه الراه ، أي الملك ، فاستنقذوه ، ومرّ هارباً هو وأصحابه لا يلوي على شيء ، واستقامت البلاد لعمرو ، وكان معه في

---

(١) معن بن زائدة : من أشهر أجواد العرب ، وأحد الشجعان الفصحاء ولي سجستان ، فأقام فيها مدة ، وابتنى داراً ، فدخل عليه أُناس في زي الفعلة فقتلوه غيلة سنة ١٥١ هـ .

[وفيات الأعيان ٢ : ١٠٨]

عسكره مروان بن يزيد بن المهلّب ، فوثب في جماعة من القوّاد مايلوه على ذلك ، حتى انتهب متاعه وأخذ دوابّه ،فخرج إليه عمرو ومعه معن بن زائدة وعطيّة بن عبد الرحمٰن ، فهزمه ، وفرّق أصحابه ، وهرب مروان ، فنادى عمرو : الناس كلهم آمنون إلاّ ابن المهلّب ، فدلّ عليه فقتله .

وأقدم هشام زيد بن عليّ بن الحسين ، فقال له : إن يوسف بن عمر الثقفيّ كتب يذكر أنّ خالد بن عبدالله القسريّ ذكر له أن عندك ستمائة ألف درهم وديعة ، فقال : ما لخالد عندي شيء ! قال : فلا بدّ من أن تشخص إلى يوسف بن عمر حتى يجمع بينك وبين خالد . قال : لا توجّه بي إلى عبد ثقيف يتلاعب بي ، فقال : فلا بدّ من إشخاصك إليه ؛ فكلّمه زيد بكلام كثير ، فقال له هشام : لقد بلغني أنّك تؤهل نفسك للخلافة ، وأنت ابن أمَة[1] . قال : ويلك ! مكان أمّي يضعني ؟ والله لقد كان إسحاق ابن حرة وإسماعيل ابن أمَة ، فاختصّ الله عزّ وجلّ ولد إسماعيل ، فجعل منهم العرب ، فما زال ذلك ينمي حتى كان منهم رسول الله ، ثمّ قال : اتّق الله ، يا هشام ! فقال : أو مثلك يأمرني بتقوى الله ؟ فقال : نعم ! إنّه ليس أحد دون أن يأمر بها ، ولا أحد فوق أن يسمعها .

فأخرجه مع رسل من قبله ، فلمّا خرج قال : والله إنّي لأعلم أنه ما أحبّ الحياة قطّ أحد إلاّ ذلّ . وكتب هشام إلى يوسف بن عمر : إذا قدم عليك زيد بن عليّ فاجمع بينه وبين خالد ، ولا يقيمنّ قبلك[2] ساعة واحدة ، فإنّي رأيته رجلاً حلو اللّسان شديد البيان خليقاً بتمويه الكلام ، وأهل العراق أسرع شيء إلى مثله .

فلمّا قدم زيد الكوفة دخل إلى يوسف فقال : لِمَ أشْخصْتَني من عند أمير المؤمنين ؟ قال : ذكر خالد بن عبد الله أن له عندك ستمائة ألف درهم . قال : فأحْضرْ خالداً ! فأحضره وعليه حديد ثقيل ، فقال له

---

(١) أمة : جارية .

(٢) قبلك : عندك .

يوسف : هذا زيد بن عليّ ، فاذكر ما لك عنده ! فقال : والله الذي لا إله إلا هو ما لي عنده قليل ولا كثير ، ولا أردتم بإحضاره إلاّ ظلمه . فأقبل يوسف على زيد ، وقال له : إن أمير المؤمنين أمرني أن أخرجك من الكوفة ساعة قدومك . قال : فأستريح ثلاثاً ، ثمّ أخرج . قال : ما إلى ذلك سبيل . قال : فيومي هذا . قال : ولا ساعة واحدة ، فأخرجه مع رسل من قبله ، فتمثّل عند خروجه بهذه الأبيات :

مُنْخَرِقُ الخفّين يشكو الوَجَى[1] تنْكُبُهُ أطرافُ مرْوٍ حِدادْ
شَرّدَهُ الخوفُ وأزْرَى بِهِ كذلك من يكرَه حرّ الجِلادْ
قد كان في المَوْتِ لَهُ راحَةٌ والموْتُ حتمٌ في رقابِ العبادْ

فلمّا صار رسل يوسف بالعذيب[2] انصرفوا ، وانكفأ زيد راجعاً إلى الكوفة ، فاجتمع إليه مَن بها من الشيعة ، وبلغ يوسف بن عمر ، فوثب بينهم ، وكانت بينهم ملحمة ، ثمّ قتل زيد بن عليّ ، وحُمل على حمار ، فأُدخل الكوفة ، ونُصب رأسه على قصبة ، ثمّ جُمع فأُحرق وذري نصفه في الفرات ونصفه في الزرع ، وقال : والله ، يا أهل الكوفة ، لأدعنّكم تأكلونه في طعامكم وتشربونه في مائكم . وكان مقتل زيد سنة ١٢١ .

ولمّا قُتل زيد ، وكان من أمره ما كان ، تحرّكت الشيعة بخراسان ، وظهر أمرهم ، وكثر من يأتيهم ويميل معهم ، وجعلوا يذكرون للناس أفعال بني أميّة ، وما نالوا من آل رسول الله ، حتى لم يبق بلد إلاّ فشا فيه هذا الخبر ، وظهرت الدعاة ورُئيت المنامات وتُدورست كتب الملاحم ، وهرب يحيىٰ بن زيد إلى خراسان ، فصار إلى بلخ[3] ، فأقام بها متوارياً ، وكتب

---

(١) الوجى : الحاجة .

(٢) العُذيب : وادٍ لبني تميم ، وهو من منازل حاج الكوفة .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) بلخ : مدينة مشهورة بخراسان .

[المصدر السابق]

يوسف إلى هشام بحاله ، فكتب إلى نصر بن سيّار بسببه . فوجّه نصر جيشاً إلى بلخ ، عليهم هدبة بن عامر السعديّ ، فطلبوا يحيىٰ حتى ظفروا به ، فأتوا به نصراً ، فحبسه في قهندز مرو[1] .

وبلغ هشاماً اضطراب خراسان ، وكثرة من بها ، فكتب إلى يوسف بن عمر : إبعث إليّ برجل له علم بخراسان ! فبعث إليه بعبد الكريم بن سليط بن عطيّة الحنفيّ ، فسأله عن أمر خراسان وأهلها ومَن بها ممن يصلح أن يولّاها ، فسمّى له جماعة من قيس وربيعة ، فكان إذا سمّى رجلاً من ربيعة قال : إنّ ربيعة لا يُسدّ بها الثغور ! فسمّى نصر[2] بن سيّار الليثي ، فقال : كأنّه نصر وسيّار ، فقال : يا غلام اكتب عهده ، فكتب العهد ، وأمره أن يعاجل يوسف بن عمر ، وكان نصر بن سيّار قبل ذلك تولّى كورة من كور خراسان ، فعزل جعفر بن حنظلة وولي البلد .

وكان يوسف أخذ عمّال خالد فحبسهم ، وكان ممّن أخذ : عيسى بن معقل العجلي ، وعاصم بن يونس العجلي ، وكان أبو مسلم ، واسمه إبراهيم بن عثمان ، قبل أن يسميه محمد بن عليّ عبد الرحمٰن ، يخدم عيسى بن معقل ، وقد سمعهم يتكلّمون في دعوة بني هاشم حتى فهم الأمر ، وقد ارتحل سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، وقحطبة بن شبيب يريدون مكّة ، فدخلوا السجن إلى عيسى بن معقل ، وعاصم بن يونس ، فرأوا أبا مسلم يختلف إليهم ، ويذاكرهم هذا الأمر ، فأخرجوه معهم ، وأدخلوه إلى محمد بن عليّ فكلّمه ، وقال : إنّي لأحسب هذا الغلام صاحبنا بل هو هو ، فاقبلوا قوله ، وانتهوا إلى أمره ، واستوصوا به ، فإنّه صاحب الأمر لا شكّ فيه .

---

(١) قهندز : هو في الأصل اسم الحصن أو القلعة في وسط المدينة ، وهو تعريب كهندز ومعناه القلعة العتيقة .

[المصدر السابق]

(٢) تقدّمت ترجمته .

وبعض أهل العلم بالدولة يقول : إنّ أبا مسلم لم يلحق محمد بن عليّ ، إنّما لقي ابنه إبراهيم بن محمد بن عليّ .

وكان يزيد بن عبد الملك جعل ولاية العهد لابنه الوليد بن يزيد ، فكانت الملاحاة لا تزال تجري بينه وبين هشام ، فدخل الوليد يوماً إلى هشام ، فلم يجده في مجلسه ، ووجد فيه خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، فقال له الوليد : مَن الرجل ؟ متجاهلاً به ، فغضب ابن هشام ، وقال : مَن لم يتمّ لجدّك شرف إلا بمصاهرته . قال : وإنّك لتقول هذا ، يا بن اللخناء[1] ! وتنازعا كلاماً قبيحاً ، وخرج هشام ، وقد سمع الكلام ، فأمسكا ، ولم يقم إليه الوليد ، فقال له هشام : كيف أنت يا وليد ؟ قال: صالح . قال : ما فعلت طنابيرك[2] قال: مُغْلِمة[3] . قال : ما فعل جلساؤك جلساء السوء ؟ قال: عليهم لعنة الله إن كانوا شرّاً من جلسائك . قال: أقيموه ، فأُخذ بيده ، وأقيم من مجلسه .

وكان هشام من أحزم بني أميّة وأرجلهم ، وكان بخيلاً ، حسوداً ، فظّاً ، غليظاً ، ظلوماً ، شديد القسوة ، بعيد الرحمة ، طويل اللسان ، وفشا الطاعون في أيّامه حتى هلك عامة الناس وذهبت الدوابّ والبقر ، وكان الغالب عليه الأبرش بن الوليد الكلبيّ ، وصاحب شرطه كعب بن حامد العبسيّ ، وعلى حرسه الربيع بن زياد بن سابور ، وحاجبه الحريش مولاه ، وعمل الخزّ الرقم وغيره ، والوشي والأرمنيّ وأصناف الثياب ، وكانت ولايته عشرين سنة إلا خمسة أشهر ، وتوفي يوم الأربعاء لتسع خلون من شهر ربيع الأول سنة ١٢٥ ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، ومنع وكلاء الوليد بن يزيد من الخزائن ، فلم يوجد له كفن حتى كفنه خادم له ، وقيل : بل كفنه الأبرش الكلبيّ ، فصلّى عليه العباس بن الوليد ، وقيل :

---

(١) اللخناء : القبيحة العاهرة .

(٢) الطنابير ، جمع طنبور : آلة طرب ذات عنق طويل لها أوتار من نحاس .

(٣) مغلمة : منقادة للشهوة . والتكنية واضحة في الكلام .

بل الأبرش الكلبيّ ، ودفن بالرصافة .

وخلّف من الولد عشرة : مسلمة ، ويزيد ، ومحمداً ، وعبد الله ، وسليمان ، ومروان ، ومعاوية ، وسعيداً ، وعبد الرحمٰن ، وقريشاً .

وأقام الحجّ للناس في ولايته سنة ١٠٥ إبراهيم بن هشام ، سنة ١٠٦ هشام بن عبد الملك ؛ سنة ١٠٧ إبراهيم بن هشام ، وفي سني ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، و١١٢ إبراهيم أيضاً ؛ سنة ١١٣ سليمان ابنه ؛ سنة ١١٤ خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ؛ سنة ١١٥ محمد ابن هشام بن إسماعيل ؛ سنة ١١٦ الوليد بن يزيد بن عبد الملك ؛ سنة ١١٧ خالد بن عبد الملك بن الحارث . . . . .[١] ؛ سنة ١١٩ أبو شاكر مسلمة بن هشام ؛ سنة ١٢٠ وسنة ١٢١ وسنة ١٢٢ محمّد بن هشام بن إسماعيل ؛ سنة ١٢٣ يزيد بن هشام ؛ سنة ١٢٤ محمّد بن هشام بن إسماعيل .

وغزا بالناس في ولايته سنة ١٠٦ ، غزا معاوية بن هشام ، وبعث بالوضاح صاحب الوضّاحية فأحرق الزرع والقرى لأن الروم حرقوا المرعى ، وغزا الصائفة اليسرى سعيد بن عبد الملك ، وغزا الجراح بن عبد الله الحكميّ اللان ؛ سنة ١٠٧ معاوية أيضاً ؛ سنة ١٠٨ مسلمة بن عبد الملك على الصائفة اليمنى ، وعاصم بن يزيد الهلالي على الصائفة اليسرى ؛ سنة ١٠٩ معاوية بن هاشم ، ومعه البطّال[٢] على مقدّمته ، فافتتح خنجرة[٣] ، وغزا مسلمة الترك ، فأخذ عليهم باب اللان ، ولقي خاقان ؛ سنة ١١١

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) البطّال : هو عبد الله البطال ، أبو محمد ، قائد شجاع من أمراء الحرب الشاميين في زمن بني أمية . وللعامة حكايات ترويها عنه ، من مخترعات القصاصين . قال الذهبي : كذب عليه جهلة القصّاص وحكوا عنه من الخرافات ما لا يليق . استشهد في معركة مع الروم سنة ١٢٢ هـ .

[النجوم الزاهرة ١ : ٢٧٢]

(٣) خنجرة : ناحية من بلاد الروم .

معاوية بن هشام على الصائفة اليسرى ، وسعيد بن هشام على الصائفة اليمنى ؛ وسارت الترك إلى آذربيجان ، فلقيهم الحارث بن عمرو الطائيّ ، فهزمهم ؛ سنة ١١٢ صار الترك إلى أرض أردبيل ، فغزاهم الجرّاح بن عبد الله الحكميّ ، فلقي ملك الترك ، فقتله ، وغزا معاوية بن هشام الروم فلم يمكنه دخول بلادهم ، فرابط بالعَمْق من ناحية مَرْعَش ؛ سنة ١١٤ معاوية بن هشام ومسلمة بن عبد الملك؛ سنة ١١٥ معاوية وسليمان ابنا هشام، وعلى المقدمة عبدالله البطّال، فلقي قسطنطين فأسره، وهزم الروم؛ سنة ١١٦ معاوية بن هشام ؛ سنة ١١٧ معاوية وسليمان ابنا هشام ، وغزا مروان بن محمّد بلاد الترك . . . . .[١] مروان بن محمد ؛ سنة ١٢١ مسلمة بن هشام بلغ ملطية ؛ سنة ١٢٢ مروان بن محمد ناحية أرمينية ، وسليمان بن هشام ناحية ملطية ، سنة ١٢٣ سليمان بن هشام الصائفة ، ومروان بن محمد جيلان وموقان من أرض أرمينية ؛ سنة ١٢٤ سليمان بن هشام ، فلقي أليون طاغية الروم وارطباس ، فانصرف ، ولم يكن بينهم حرب ؛ سنة ١٢٥ الغمر بن يزيد بن عبد الملك .

وكان الفقهاء في أيامه سالم بن عبد الله بن عمر الهيثم بن محمد بن أبي بكر ، محمّد بن مسلم بن شهاب الزهريّ ، محمد بن كعب القرظيّ ، نافعاً مولى عبد الله بن عمر ، عاصم بن عمر بن قتادة ، محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، طاووساً اليماني ، ربيعة بن أبي عبد الرحمٰن ، عطاء بن أبي رباح ، عمرو بن دينار ، عبد الله بن أبي نَجيح ، حبيب بن أبي ثابت ، عبد الملك بن ميسرة ، أبا إسحاق السَّبِيعيّ ، القاسم بن عبد الرحمٰن ، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، سماك بن حرب الذهليّ، الحكم بن عيينة الكنديّ ، حمّاد بن أبي

---

(١) بياض في الأصل .

سليمان ، أبا معشر زياد بن كليب ، طلحة بن مصرف الهمداني ، نعيم بن أبي هند الأشجعيّ ، أشعث بن أبي الشعثاء ، سعيد بن أسبوع ، أبا حازم الأعرج . قتادة بن دعامة السدوسيّ ، بكر بن عبد الله المُزَنيّ ، أيّوب السّخْتيانيّ ، يزيد بن عبد الله بن الشّخّير ، عبد الرحمٰن بن جبير ، مكحولاً الدمشقيّ ، راشد بن سعد المقرىء ، ميمون بن مهران ، أبا قبيل المعافريّ ، يزيد بن الأصمّ .

أيام الوليد[1] بن يزيد

وملك الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وأمّه أمّ الحجّاج بنت محمد بن يوسف الثقفيّ ، وأتته الخلافة وهو بدمشق بعد وفاة هشام بعشرة أيّام ، وكان ذلك يوم الجمعة لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ١٢٥ ، وكانت الشمس يومئذ في الدلو ستّاً وعشرين درجة وعشرين دقيقة ، والقمر في السنبلة خمس درجات وعشرين دقيقة ، والمرّيخ في الجدي أربع درجات ، والزهرة في الجدي ستّ عشرة درجة وخمساً وأربعين دقيقة ، وعطارد في الحوت اثنتي عشرة درجة وعشر دقائق ، والرأس في الدلو إحدى عشرة درجة وخمساً وأربعين دقيقة .

وعزل الوليد عمّال هشام وعذّبهم أنواع العذاب ، خلا يوسف بن عمر الثقفيّ عامل العراق ، وذلك أنّه وجد في ديوان هشام كتباً من العمّال يقوّمون عزمه في خلع الوليد ، إلاّ يوسف ، فإنه أشار عليه ألاّ يفعل ،

---

(١) الوليد بن يزيد : كان من فتيان بني أُميّة وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم ، يُعاب بالانهماك في اللهو وسماع الغناء . له شعر رقيق وعلم بالموسيقى . قال أبو الفرج : «له أصوات صنعها مشهورة ، وكان يضرب بالعود ويوقع بالطبل ويمشي بالدف على مذهب أهل الحجاز» . وقال السيّد المرتضى : «كان مشهوراً بالإلحاد ، متظاهراً بالعناد» .

[ابن الأثير ٥ : ١٠٣]

فأقرّه على عمله ، وكتب إليه في خالد بن عبد الله القسريّ ، فلم يزل يوسف يعذّبه . . . . . [1] .

وعقد لابنه الحكم بولاية العهد بعده ، وولّاه دمشق ، وعقد من بعده لعثمان ابنه ، وولّاه حمص ، وضمّ إليه ربيعة بن عبد الرحمٰن الفقيه ، وجعله قائماً بأمره .

وعزل إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، خال هشام ، عن المدينة ومكّة والطائف ، وولّى خاله يوسف بن محمد الثقفي المدينة ومكّة .

وكان نصر بن سيّار لمّا أخذ يحيىٰ بن زيد بن عليّ بن الحسين في أيّام هشام صار به إلى مرو ، فحبسه في قهندز مرو ، وكتب إلى هشام بخبره ،فوافق ورود كتابه موت هشام ، فكتب إليه الوليد أن خلّ سبيله ، وقيل : بل احتال يحيىٰ بن زيد حتى هرب من الحبس ، وصار إلى بيهق[2] من أرض أبرشهر فاجتمع إليه قوم من الشيعة ، فقالوا : حتى متى ترضون بالذلّة ؟ واجتمع معه نحو مائة وعشرين رجلاً ، فرجع حتى صار إلى نيسابور ، فخرج إليه عمرو بن زرارة القسري ، وهو عامل نيسابور ، فقاتل يحيىٰ ، فظهر يحيىٰ عليه ، فهزمه وأصحابه ، وأخذوا أسلحتهم ، ثم اتّبعوهم حتى لحقوا عمرو بن زرارة فقتلوه .

وسار يحيىٰ يريد بلخ ، فوجّه إليه نصر بن سيّار سلم بن أحوز الهلاليّ ، فسار سلم حتى صار إلى سَرَخْس[3] وسار يحيىٰ حتى صار إلى

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) بيهق : ناحية كبيرة وكورة واسعة كثيرة البلدان والعمارة من نواحي نيسابور .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) سرخس : مدينة قديمة من نواحي خراسان كبيرة واسعة وهي بين نيسابور ومَرْو في وسط الطريق .

[المصدر السابق]

بـاذغيس[1] ، وسبق إلى مرو الـروذ ، فلمّا بلغ نصـراً ذلـك سـار إليـه في جموعه ، فلقيه بالجوزجان فحاربه محاربة شديدة ، فأتت نُشّابـة فوقعت في يحيىٰ ، وبادر القوم فاحتزّوا رأسـه ، وقاتـل أصحابـه بعده ، حتى قُتلوا عن آخرهم .

وقدم في هذه السنة سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، وقحطبة بن شبيب ، وهم رؤساء دعاة بني هاشم ، على محمّد بن عليّ بن عبـد الله بن عبّاس بأمـوال وهدايـا ، ومعهم أبو مسلم ، فقـال لهم محمد : لن تلقـوني بعد وقتي هذا ، وأنا ميّت في سنتي هذه ، وكان ذلك في أول سنـة ١٢٥ ، وصـاحبكم ابني إبـراهيم مقتـول ، فـإذا قضى الله فيه قضـاءه ، فصـاحبكم عبد الله بن الحارثية ، فإنّه القائم بهذا الأمر ، وصـاحـب هذه الـدعوة الـذي يؤتيـه الله الملك ، ويكون على يـده هلاك بني أميـة ، وأخرجـه إليهم حتى رأوه ، وقبّلوا يديه ورجليه ، وقال لهم : إنّ عبـد الرحمٰن صـاحبكم ، يعني أبا مسلم ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فإنّه القائم بهذه الدولة .

وتـوفي محمـد بن عليّ في آخـر سنـة ١٢٥ ، وهـو ابن سبـع وستّين سنة ، فلمّا بلغ القوم وفاة محمّد بن عليّ ، قدموا على إبراهيم بـأبي مسلم وأعلموه أنّه صاحب أمرهم أمّره عليهم ، ثمّ قال لقحـطبة بن شبيب : وأنت والله الذي تلقى نباتـة بن حنظلة ، وعـامر بن ضبـارة ، فتهزمهمـا ، وتقـاتـل عساكرهما ، ويفتح الله لك حتى تصير إلى الفرات لا تُردّ لك راية .

فخرجوا إلى خراسان ، وقد وقعت العصبية بين مضـر واليمن ، وذلك أن نصر بن سيّار تحامل على اليمن وربيعة ، وقدم المضريّة ، فوثب به جُـدَيْع ابن عليّ الكرمانيّ الأزديّ ، وكـان رئيس الأزد يومئـذ ورجلهم ، وقال لـه : لا ندعك وفعلك ، ومالت معه اليمانية وربيعة ، فأخذه نصر فحبسـه ، فأتت

---

(١) باذغيس : ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ .

[المصدر السابق]

اليمن وربيعة حتى أخرجوه من مجرى كنيف[١] ، ثمّ اجتمعوا عليه ، ورام نصر أن يخدعه فيصير إليه ، فلم يفعل ، وكان في نصر بعض الخرَق[٢] ، فلمّا علم جديع أن اليمن وربيعة قد اجتمع رأيهما معه على نصر بن سيّار ، وثب به فحاربه ، وكان له العلوّ على نصر ، فمال أبو مسلم إلى الكرمانيّ ، فقال له : ادع إلى آل محمد ! وجعل يمايل أصحابه ، ويدعوهم إلى ذلك ، حتى أظهروا دعوة بني هاشم بخراسان .

وكان عمرو بن محمّد بن القاسم الثقفي ، ويزيد بن عرار ، لمّا قتل الحكم بن عوانة عامل السند ، تنازعا خلافته ، فكتب هشام إلى يوسف بن عمر في ذلك ، فمال يوسف بالثقفية إلى عمرو بن محمد بن القاسم ، فولاّه ، فلمّا ولي الوليد عزل عمرو بن محمد بن القاسم عن السند ، وولّى يزيد بن عرار ، فغزا ثماني عشرة غزاة ، وكان ميمون النقيبة[٣] .

واضطربت البلدان كلها ، وكان الوليد مهملاً لأمره ، قليل العناية بأطرافه ، وكان صاحب ملاه وقيان وإظهار للقتل والجور[٤] ،وتشاغلٍ عن أمور الناس، وشربٍ ومجونٍ، فبلغ من مجونه أنه أراد أن يبني على الكعبة بيتاً يجلس فيه للّهو ، ووجّه مهندساً لذلك ، فلمّا ظهر هذا منه مع قتله خالد بن عبد الله القسريّ وتعذيبه إبراهيم ومحمّد ابني هشام حتى ماتا ، واستذمامه إلى الناس وإلى أهل بيته ، ومَن كان في ناحيتهم من العرب ، استمال يزيد بن الوليد بن عبد الملك جماعة من أهل بيته ، فمايلوه على خلع الوليد ، وشايعه على ذلك بنو خالد بن عبد الله القسري وجماعة من اليمانية إلى البيعة ليزيد بن الوليد بن عبد الملك ، واجتمع إليه جماعة ،

---

(١) الكنيف : بيت الخلاء .

(٢) الخرق : الغباء .

(٣) النقيبة : النفس والعقل والطبيعة ونفاذ الرأي . يُقال «فلان ميمون النقيبة» أي محمود المختبر .

(٤) أنظر أخباره في كتاب الأغاني .

وخرج مولى للوليد ، فعرّفه الخبر ، فضربه مائة سوط ، وزحف إليه يزيد بن الوليد رويداً رويداً إلى قرية تُعرف بالبَخْـراء[1] ، فنزل قصراً بها بعساكره يتلو بعضها بعضاً ، فقاتلوه ، فقاتلهم حتى قُتل ، فابتدره الناس بأسيافهم ، فاحتزّوا رأسه ، وقطعوا يده ، فنُصب رأسه بدمشق .

وكان قتله لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة ١٢٦ ، وكانت ولايته سنة وخمسة أشهر ، وكان على شرطه عبد الرحمٰن بن حميد الكلبيّ ، وعلى حرسه قطريّ مولاه ، وحاجبه قطن مولاه ، وخلّف من الولد الذكور أربعة عشر ذكراً : عثمان ، ويزيد ، والحكم ، والعباس ، وفهراً ، ولؤيّاً ، والعاص ، وموسى ، وقصيّاً ، وواصلاً ، وذؤابة ، وفتحاً ، والوليد ، وسعيداً .

وأقام الحجَّ للناس في ولايته سنة ١٢٥ محمد بن موسى الثقفي .

أيام يزيد[2] بن الوليد بن عبد الملك

وملك يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وأمّه شاهفريد بنت فيروز بن كسرى ، مستهلّ رجب سنة ١٢٦ ، بعد قتل الوليد بخمس ، وكانت الشمس يومئذ في الحمل إحدى عشرة درجة وأربعين دقيقة ، والقمر في الحوت درجة ، وزحل في السنبلة عشرين درجة ، والمشتري في الجوزاء ثلاث درجات وخمسين دقيقة ، والمرّيخ في الجوزاء خمساً وعشرين درجة

---

(١) البخراء : ماء منتنة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) يزيد بن الوليد : كان من أهل الورع والصلاح . قال نشوان الحميري : «لم يكن في بني أُميّة مثله ومثل عمر بن عبد العزيز» وقال الديار بكري : «كان لقبه الشاكر لأنعُم الله» . مات بالطاعون ، وقيل : مسموماً سنة ١٢٦ هـ . ويُقال : إن مروان الجعدي ، لما ولي ، نبش قبره ، وصلبه .

[ابن خلدون ٣ : ١٠٦]

وأربعين دقيقة ، والزهرة في الجدي عشر درجات ، وعطارد في الحمل إحدى وعشرين درجة وثلاثين دقيقة .

ونقص الناس من أعطائهم ، فسمّي يزيد الناقص ، واضطربت عليه البلدان ، فكان ممن خرج عليه العباس بن الوليد بحمص ، وشايعه أهل حمص ، وبشر بن الوليد بقنّسرين ، وعمر بن الوليد بالأردن ، ويزيد بن سليمان بفلسطين . وساعد العبّاس أبو محمّد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وسليمان بن هشام .

وبايع لأخيه إبراهيم[1] بن الوليد بولاية العهد من بعد ثلاثة أيّام من ولايته ، ووجّهه إلى الأردنّ ، وقد أمّر عليهم محمد بن عبد الملك ، فوافقوه ، فأرسل إليهم عبد الرحمٰن بن مصاد يقول لهم : علام تقتلون أنفسكم ؟ أقبلوا إلينا نجمع لكم الدنيا والآخرة ، وأنا أضمن لكلّ رجل منكم ألف دينار ، فافترقوا .

وكانت ولايته خمسة أشهر ، والفتنة في جميع الدنيا عامّة ، حتى قتل أهل مصر أميرهم حفص بن الوليد الحضرميّ ، وقتل أهل حمص عاملهم عبد الله بن شجرة الكنديّ ، وأخرج أهل المدينة عاملهم عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز .

وغلب على أمره يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ ، وكان على شرطه يزيد بن الشمّاخ اللخميّ ، وعلى حرسه سلّام مولاه ، وحاجبه جبير مولاه ، وكان في بيت مال الوليد يوم قُتل سبعة وأربعون ألف ألف دينار ، ففرّقها يزيد عن آخرها ، وكان قدريّاً[2] ، وتوفي لانسلاخ ذي القعدة ، وصلى عليه إبراهيم بن الوليد ، ودفن بدمشق ، وقيل إن أخاه إبراهيم سقاه السمّ .

---

(١) أنظر «أيامه» بعد قليل .

(٢) قدرياً : نسبة إلى القدرية وهي مذهب الفلاسفة المعتزلة القائلين إن الإنسان رب أعماله خلافاً للجبرية القائلين إن الإنسان مسيّر لا مخيّر .

وأقام الحجّ في تلك السنة ، وهي سنة ١٢٦ ، عمر بن عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وقيل . . . .[١] إن الحجّاج بن عبد الملك . . . . .[٢] ووثب ثابت بن نُعيْم الجذاميّ على مروان ، وهو بأرمينية ، فظفر به مروان ، فمنّ عليه ، وانصرف مروان من أرمينية ، واستخلف عليها عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلاليّ ، واستخلف على الباب والأبواب إسحاق بن مسلم العقيليّ ، ثم جمع أرمينية لإسحاق بن مسلم العقيليّ .

أيام إبراهيم بن الوليد[٣]

ثم ملك إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وأمّه أم ولد[٤]، يقال لها سعار ، في اليوم الذي توفي فيه يزيد بن الوليد ، فأقام أربعة أشهر ، وقدم مروان[٥] بن محمد بن مروان من أرمينية خالعاً له ، فلمّا صار بحرّان دعا إلى نفسه ، فبايع له أهل الجزيرة سرّاً ، وأقبل في جموع من أهل الجزيرة ، فلقي بشراً ومسروراً ابني الوليد بن عبد الملك معسكرين بحلب ، فهزم عسكريهما ، وأسرهما ثمّ مضى حتى أتى حمص وعليها عبد العزيز .

وبلغ إبراهيم الخبر ، فوجّه إليه سليمان بن هشام بن عبد الملك ،

(١ ، ٢) بياض في الأصل .

(٣) إبراهيم بن الوليد : كنيته أبو إسحاق ، كان ضعيفاً مغلوباً على أمره تارة يسلم عليه بالإمارة وتارة بالخلافة . قيل بأنه غرق بالزاب سنة ١٣٢ هـ بعد سبعين يوماً من الخلافة .

[ابن الأثير ٥ : ١١٤ - ١١٩]

(٤) أم ولد : تقدّم شرحها .

(٥) أنظر خبره فيما بعد .

فلقي مروان ومن معه من أهل الجزيرة وقنّسرين وحمص ، فالتقوا بعين[1] الجَرّ من عمل دمشق ، فتناوشوا القتال يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة ١٢٧ ، وانصرف بعضهم عن بعض ، فلمّا كان من الغد انهزم سليمان بن هشام وأصحابه ، فلحقوا بإبراهيم ، وأقبل مروان حتى نزل دير العالية ، فبايع له أهل دمشق ، ودخلها ، فخلع إبراهيم نفسه ، وبايع لمروان يوم الاثنين للنصف من صفر سنة ١٢٧ ، ولم يزل مع مروان حتى غرق بالزاب ، في وقعة عبد الله بن عليّ .

أيام مروان[2] بن محمد بن مروان ودعوة بني العباس

وملك مروان بن محمد بن مروان، وأُمّه أم ولد يُقال لها ريّا ، في صفر سنة ١٢٧ ، وبايع له مَن بدمشق من بني أُميّة وغيرهم ، وكتب إلى عمّال البلدان فأتته كتبهم بالسمع والطاعة والانقياد ، وأتاه الخبر أن أهل حمص مقيمون على المعصية ، فسار إليهم ، واستخلف بدمشق عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك ، فحاصرهم حتى فتح المدينة ، وهرب منه السمط بن ثابت بن الأصبغ بن ذوالة ، وأسر معاوية بن عبدالله السكسكيّ .

وأتاه الخبر أن يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ قتل يوسف بن عمر الثقفيّ ، وكان يوسف محبوساً ، فلمّا رأى عبد العزيز بن الحجّاج بن عبد الملك اضطراب أمر مروان بن محمد أمر يزيد بن خالد بن عبد الله القسريّ بالمضيّ إلى السجن ، وأمره أن يقتل يوسف بن عمر ، ويقتل عثمان

(١) عين الجر : موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق ، يقولون إن نوحا ركب منه في السفينة .

[ياقوت]

(٢) مروان بن محمد : ويُعرف بالجعدي وبالحمار أو حمار الجزيرة لجرأته في الحروب ، واشتهر بمروان الجعدي ، نسبة إلى مؤدبه «الجعد بن درهم» . له رسائل تجمع ويُقتدى بها . قُتل سنة ١٣٢ هـ .

[الكامل لابن الأثير ٥ : ١١٩]

والحكم ابني الوليد بن يزيد ، ففعل ذلك .

وأراد مروان أن يرجع ، فأتاه الخبر أن الضحّاك بن قيس الحروريّ[1] قد غلب على ناحية العراق ، وحارب عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط ، وأنّه قد صار إلى الجزيرة ، وجاز الموصل ، فصار إلى نصيبين[2] ، وبها عبد الله بن مروان ، فحاصره ، وكان عامل إسحاق بن مسلم بالباب والأبواب رجلاً يقال له مسافر ، وكان يرى رأي الخوارج ، فكتب إليه الضحّاك بعهده على أرمينية ، وكان أهلها قتلوا عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلاليّ عامل أرمينية ، فتوجّه إليها ، وصار مروان إلى حرّان[3] ، فابتنى بها منزله في موضع يقال له : دباب البين ، وبلغ الضحّاك خبره ، فأقبل نحوه ، فمرّ بالموصل ، فحصرها ، ثمّ كره أن يطول الأمر به ، فنفذ إلى نصيبين، فحصرها. ثم نفذ إلى حرّان حتى واقف مروان ، فحاربه محاربة شديدة ، وظفر الضحّاك عليه مراراً حتى عزّله سريره ، وجلس عليه ، ثمّ قتل الضحّاك سنة ١٢٧ ، وافترق الخوارج فرَقاً .

وصار سليمان بن هشام بن عبد الملك ومن هرب من اليمانية من أصحاب يزيد بن خالد بن عبد الله معهم ، وسار سليمان بن هشام بن عبد الملك يريد الشأم ، فلقيه مروان بخُساف[4] ، فهزمه ، ومضى سليمان ، وأصحاب الضحّاك عليهم الخيبريّ ، فسار في عسكر عظيم ، فلقي مروان فقتله مروان ، فولّت الخوارج أمرها أبا الذلْفاء الشيبانيّ ، فرجع بأصحابه

---

(١) الحروري : نسبة إلى حروراء . وقد تقدّمت ترجمته .

(٢) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل إلى الشام .

[ياقوت]

(٣) حران : مدينة مشهورة من جزيرة أقور . سميت بهاران أخي إبراهيم (ع) ، لأنه أول من بناها فعرّبت إلى حران .

[المصدر السابق]

(٤) خُساف : مفازة بين الحجاز والشام .

[ياقوت]

إلى الموصل ، واتّبعه مروان ، فقاتله شهراً ، ثمّ انهزم أبو الذلفاء ، فوجّه مروان خلفه عامر بن ضبارة المريّ ، فصار أبو الذلفاء إلى عمان ، فقُتل ، قتله الجلندي بن مسعود الأزديّ ، فخرج أبو عبيدة خليفة الضحّاك إلى الكوفة ، فولّى مروان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاريّ العراق ، فقدمها سنة ١٢٨ ، فقتل خليفة الضحّاك ، وخرج ثابت بن نعيم الجذاميّ بناحية الأردنّ ، فوجّه إليه مروان بالرماحس بن عبد العزيز ، وولّى عبد الواحد بن سليمان بن عبدالملك المدينة ومكّة .

وقدم مكة ليقيم الحجّ ، ووافت الحروريّة[1] ، ومعهم أبو حمزة المختار[2] بن عوف الحروريّ الأزديّ ، حتى وقفوا على جبل عرفات ، وكان أبو حمزة من قبل عبد الله بن يحيىٰ الكنديّ الذي يسمّى طالب الحقّ ، فلمّا وقفوا بعرفات أرعبوا الناس وأخافوهم ، فأرسل إليهم عبد الواحد يعظّم عليهم البلد الحرام والأيّام العظام ويوم الحجّ الأكبر ، فوادعوهم يوم عرفة وأربعة أيام، وصاروا إلى منىً فعسكروا ناحية منها ، فلمّا انصرفوا لحق عبد الواحد المدينة ، فدعا الناس إلى الديوان ، ووجّه بالجيش وعليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان بقُدَيْد[3] في صفر سنة ١٣٠ ، فقُتل عبد العزيز ومن معه من أهل المدينة ، واتّهمت قريش خزاعة أن يكونوا داهنوا عليهم الحروريّة .

وقدمت الحروريّة المدينة لعشر بقين من صفر ، وهرب عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، وغلب أبو حمزة على المدينة ، وخطبهم خطبة مشهورة ، وكان أهل المدينة يصلّون خلفه ، ويعيدون الصلاة ، ثم ساروا يريدون الشأم ، ولقيهم خيل لمروان عليهم عبد

---

(١) الحرورية : فرقة من الخوارج .

(٢) تقدّمت ترجمته .

(٣) قُديد : اسم موضع قرب مكة .

[المرجع السابق]

الملك بن محمّد بن عطيّة السعدي ، فأوقعوا بهم بوادي القرى ، فزحف الحروريّة منهزمين إلى المدينة ، فخرج إليهم أهل المدينة ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ووافاهم ابن عطية ، فانهزموا ، فاتّبعهم إلى مكّة ، ثمّ اتّبعهم إلى اليمن حتى قُتل عبد الله بن يحيىٰ ، ودنوا من صَعْدة[1] فقتل فيهم حتى وطىء الناس عليهم ، ثمّ دخلوا صنعاء ، فأتاه كتاب مروان بتولية الموسم ، فخرج ، فلمّا صار في بعض الطريق توفي في عسكره .

وأراد مروان أن ينفذ إلى العراق ، فأتاه خبر أهل حمص أنّهم عصوا ، فصار إليهم ، فوضع عليها المنجنيق حتى هدم سورها ، فطلبوا الأمان ، فآمنهم إلاّ ثلاثة نفر لم يؤمنهم وقتلهم .

وكان منصور بن جمهور لمّا قدم يزيد بن عمر بن هبيرة العراق هرب حتى أتى السند ، وكان ابن عرار عامل السند قرابة له ، فصار خلف النهر ، وأرسل إليه ابن عرار ألا تبرح مكانك ! فردّ عليه : إنّما أردت المقام قبلك ، فلا وصل الله رحمك ، ولا قرّب قرباك ، وستعلم بعد ؛ ثم عمل المراكب بسَدوسان وحملها على الإبل حتى ألقاها في مهران ، ثم لقي ابن عرار ، فحاربه حتى هزمه إلى المنصورة ، وحصره منصور بن جمهور ، فطلب ابن عرار الأمان ، فقال : لا أعطيك الأمان إلاّ حكمي ، فنزل على حكمه ، فأمر فبنيت عليه أسطوانة ، وهو حيّ ،وأقام منصور بالمنصورة ، وبعث أخاه منظوراً إلى قندابيل والديبل .

ولم يزل منصور مقيماً بالسند حتى ظهر أبو مسلم[2] بخراسان ،

---

(١) صنعدة : مخلاف باليمن ، وهي مدينة عامرة يقصدها التجار من كل بلد .

[ياقوت]

(٢) أبو مسلم الخراساني : هو عبد الرّحمٰن بن مسلم ، مؤسس الدولة العباسية وأحد كبار القادة . هزم مروان بن محمد ، وكان زوال الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ . كان فصيحاً بالعربية والفارسية ، داهية ، راوية للشعر . كان أقل الناس طمعاً ، مات سنة =

ووجّه أبو مسلم برجل يقال له مُغَلِّس من أهل سجستان إلى السند ، فلمّا أظلّهم وثب أصحاب منظور أخي منصور بن جمهور ، فقتلوه ، وكتبوا إلى مغلّس فأتاهم ، فلقيه منصور بن جمهور ، فقاتله ، فهزمه ، وأُسر مغلّس ، فأتى به منصور ، فقتله وقتل أكثر قتلة أخيه .

واشتدّت شوكة الكرمانيّ بخراسان ، ودامت الحرب بينه وبين نصر بن سيّار ، وظهر الكرمانيّ على نصر بن سيّار ، وكان أبو مسلم الغالب على أمر الكرمانيّ ، فحدّثني جماعة من أشياخنا أن أبا مسلم كان يقول : إذا التقى الكرمانيّ ونصر بن سيّار للقتال اللهمّ أفرغ عليهما الصبر ، وانزع عنهما النصر . وطعن الكرماني فقتل ، وصلبه نصر ، وغلب أبو مسلم على عسكره ، وظهر أمره ، واستكثف جمعه ، وجادّ نصر بن سيّار القتال حتى فلّه مراراً ، وأظهر دعوة بني هاشم ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ١٢٩ .

ووثب سليمان بن حبيب بن المهلّب بالأهواز ، فوجّه إليه يزيد بن عمر ابن هبيرة نباتة بن حنظلة الكلابيّ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزم سليمان ، فلحق بفارس ، فوجّه يزيد بن عمر عامر بن ضبارة المرّيّ إلى فارس .

وضعف أمر نصر بن سيّار بخراسان ، وقوي أمر أبي مسلم ، فكتب نصر إلى مروان يصف له حاله ، وضعف من معه ، وقوّة أبي مسلم ، وظهوره ، وكتب في آخر كتابه :

أرى بين الرّمادِ وميضَ جَمْرٍ ... ويُوشِكُ أن يكونَ له ضِرَامُ
فإنّ النارَ بالعُودَيْنِ تُورَى ... وإنّ الفِعْلَ يقدمُهُ الكلامُ
أقولُ من التعجّبِ ليتَ شعري ... أأيْقاظٌ أُمَيّةُ أم نيَامُ ؟

= ١٣٧ هـ . وليس له دار ولا عقار ولا عبد ولا أمة ولا دينار .

[ابن الأثير ٥ : ١٧٥]

فكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة عامله على العراق أن يمدّ نصر بن سيّار بالرجال ، فقعد يزيد ، ثم تابع مروان الكتب إليه بالوعيد ، فوجّه بابنه داوُد بن يزيد في جيش عظيم ، فيه عامر[1] بن ضبارة المرّيّ ، والجويرية بن إسماعيل ، ونباتة[2] بن حنظلة الكلابيّ ، وكان داوُد بن يزيد بن عمر حدث السنّ ، فكتب مروان إلى ابن هبيرة ينكر عقده لابنه داوُد لحداثة سنّه ، ويأمره أن ينفذ إليه من يحلّ لواءَه ، ويعقد لعامر بن ضبارة المرّيّ على الجيش ، ففعل ابن هبيرة ذلك ، ونفذ الجيش ، وعلى المقدّمة نباتة بن حنظلة الكلابيّ .

وطلب مروان إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس لمّا بلغه أن دعوة أبي مسلم له ، وأنّه الذي يؤهّل لهذا الأمر . فحدث عثمان بن عروة بن محمّد بن عمار بن ياسر قال : كنت مع أبي جعفر عبد الله بن محمّد بالحميمة ، ومعه ابناه جعفر ، ومحمد ، وهما صبيّان ، فأنا أداعبهما وألاعبهما فقال لي : أيّ شيء تصنع بهذين الصبيّين ، أما ترى ما نحن فيه ؟ فنظرت ، فإذا رسل مروان تطلب إبراهيم[3] بن محمد ، فقلت :

---

(١) عامر بن ضبارة : قائد ، من الفرسان الشجعان . من أهل حوران بالشام . كان مع ابن هبيرة في العراق ، فانتدبه مروان بن محمد لقتال شيبان الخارجي وجهّزه بسبعة آلاف زحف بهم ، فانهزم منه شيبان ، بعد وقائع ، كذلك وجهه ابن هبيرة بخمسين ألفاً لقتال قحطبة بن شبيب ، فقاتله قحطبة بعشرين ألفاً وتغلب عليه حتى قتل عامر سنة ١٣١ هـ .

[الطبري ٩: ١١٣]

(٢) نباتة بن حنظلة : كان فارس أهل الشام . استعمله ابن هبيرة أميراً على الأهواز ، وانتدبه لقتال عبد الله بن معاوية ، ثم وجهه إلى فارس وأصبهان لنجدة نصر بن سيّار . قتله قحطبة وبعث برأسه إلى أبي مسلم .

[الكامل لابن الأثير ٥: ١٤٤]

(٣) إبراهيم بن محمد : هو زعيم الدعوة العباسية قبل ظهورها . أوصى له أبوه بالإمامة ، فكان شيعتهم يختلفون إليه ويكاتبونه من خراسان وغيرها ، وقد حارب أبو مسلم عمال بني أمية باسم الإمام ، وقد كتم اسمه «الإمام» إلاّ عن الدعاة والثقات من الشيعة . =

دعني أخرج ! فقال : تخرج من بيتي ، وأنت ابن عمّار بن ياسر ؟ قال : فأخذوا بأبواب المسجد ، وأشير لهم إلى إبراهيم ليأخذوه ، وقد كان وُصف لهم بصفة أبي العبّاس ، وأبو العباس الموصوف بقتلهم ، فلمّا أُتي به إلى مروان قال : ليس هذه الصفة ! فقال الرسول : قد والله رأيت الصفة ، ولكن قلت : إبراهيم بن محمد ، وهذا إبراهيم بن محمد ؛ فردّهم في طلب أبي العبّاس ، فوجدوه قد تغيّب ، فأمر مروان بإبراهيم فغُطي وجهه بقطيفة[1] ، حتى مات ، وقيل : بل أُدخل رأسه في جراب نورة حتى مات ، وفيه يقول ابن هرمة :

وكنْتُ أحْسَبُني جَلْداً فَضَعْضَعَني ... قبْرٌ بحَرّانَ فيهِ عِصْمَةُ الدّينِ
فيه الإمامُ الذي عَمّتْ مُصيبَتُهُ ... وعيّلَتْ كلَّ ذي مالٍ ومِسكينِ

وأظهر أبو مسلم الدعوة لبني هاشم ، وطلب نصر بن سيّار منه المتاركة ، وسأله الموادعة ، فوجّه إليه لاهز بن قريظ في جماعة من أصحابه ، وكان لاهز ابن قريظ أحد النقباء ، فأمره أن يحضر ليبايع ، فدخل لاهز عليه فقال : أجب الأمير ! ثمّ تلا : إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك ، فاخرج إنّي لك من الناصحين ، فقال نصر : أُدخل إلى بستاني واخرج إليهم ، فدخل إلى بستان له ، فركب دوابّه ، ومضى هارباً ، فمات بقرية يقال لها ساوة ، وأخذ أبو مسلم لاهز بن قريظ ، فضرب عنقه .

وقدم إلى نيسابور في شهر رمضان ، أو شوّال ، ووجّه عمّاله ، فاستعمل سباع بن معمر الأزديّ على سمرقند ، واستعمل أبا داوُد خالد بن إبراهيم على طخارستان ، وجعل أبا نصر مالك بن الهيثم الخزاعيّ على شرطه ، ووجّه محمد بن الأشعث الخزاعيّ إلى الطَّبَسَين[2] وفارس ، ووجه

= قتله مروان بن محمد بحران في حبسه سنة ١٣١ هـ .

[ابن الأثير ٥ : ١٥٨]

(١) القطيفة : دثار مخمل يلقيه الرجل على نفسه .

(٢) الطبسان : قصبة ناحية بين نيسابور وأصبهان .

[ياقوت]

الحسن بن قحطبة على مقدّمته ، ثم قدم قحطبة بن شبيب ، ومعه عهد إبراهيم بن محمد بن عليّ ، وسيرة يعمل عليها ، فأمضى أبو مسلم له ذلك ووجهه لقتال جند بني أُميّة ، فسار قحطبة حتى أتى جرجان ، فلقي نباتة بن حنظلة ، فنشبت الحرب ، فقتل نباتة ، وهزم جنده ، واحتوى على ما في عسكره ، وصيّر الغنائم إلى خالد[1] بن برمك ، فقسمها بين أصحابه .

وأقام قحطبة إلى غرّة المحرّم سنة ١٣١ ، ثم وجّه بابنه الحسن بن قحطبة إلى قومس على مقدّمته ، ولحقه فوجهه من الريّ إلى همذان ، ووجّه العكّيّ إلى قُمّ وأصبهان ، وسار قحطبة حتى صار إليها وفيها عامر بن ضبارة المرّيّ ، فأرسل إليه يدعوه إلى بيعة آل محمد ، فأرسل إليه ابن ضبارة : يا عُلوج[2] ! أما والله إنّي لأرجو أن أقرّنكم في الحبال ! وكان في أربعين ألفاً من أهالي الشأم ، فواقعه قحطبة ، فقتله ، وقتل من كان معه من أصحابه ، فلم ينج منهم إلاّ القليل ، فهربوا إلى ابن هبيرة ، وهو إذ ذاك بجَلولاء[3] .

وصار قحطبة إلى نهاوند وبها أدهم بن محرز الباهليّ في جماعة ممّن ضوى إليه ، فحصرها قحطبة ثلاثة أشهر حتى أفنى أكثرهم ، ثمّ فتحها ، وسار إلى حلوان ، وكان قحطبة يقول : ما من شيء فعلته إلاّ وقد خبرني به الإمام إلاّ أنّه أعلمني ألاّ أعبر الفرات .

---

(١) خالد بن برمك : أبو البرامكة ، وأول من تمكن منهم في دولة بني العباس . كان أبوه «برمك» من مجوس بلخ . جعل إليه أبو العباس ديوان الخراج وديوان الجند ، وحلّ منه محل «الوزير» . مات سنة ١٦٣ هـ .

[خزانة البغدادي ١ : ٥٤٢]

(٢) العلوج : الفتى من غير العرب .

(٣) جلولاء : بلدة بين خراسان وخانقين . وسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون . قال سيف : قتل الله ، عزّ وجلّ ، من الفرس يوم جلولاء مائة ألف فجلّلت القتلى المجال ما بين يديه وما خلفه ، فسميت جلولاء لما جلّلها من قتلاهم .
[ياقوت: معجم البلدان]

ووجّه قحطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد إلى شهرزور ، فلقي عثمان بن زياد فهزمه واستباح عسكره .

قال حُميْد بن قحطبة : حدّثني أبي قال : دخلت مسجد الكوفة أيّام بني أميّة ، وعليّ فرو غليظ ، فجلست إلى حلقة ، وشيخ في صدر القوم يحدّثهم ، فذكر أيّام بني أميّة ، وذكر السواد ومن يلبسه فقال . يكون ويكون ، ويخرج رجل يقال له قحطبة ، كأنّه هذا الأعرابيّ ، وأشار إليّ ، ولو أشاء أن أقول هو هو لقلت . قال قحطبة[1] : فخفت على نفسي ، فتنحيت ناحية ، فلمّا انصرف كلّمته ، فقال : لو شئت أن أقول إنّك أنت هو لقلت . فسألت عنه فقيل لي : هو جابر[2] بن يزيد الجعفيّ .

وكان ابن هبيرة بواسط العراق ، فتحصّن بها ، وأدخل الطعام والأنزال ، وانصرف إليها فُلّال العساكر . وقدم قحطبة العراق فوافى به عسكراً ليزيد بن هبيرة ، واستباحه ، وصار إلى الزاب ، وهو من الفلّوجة العليا ، على رأس أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة ، فلقي يزيد بن عمر بن هبيرة ليلة الخميس لسبع خلون من المحرّم سنة ١٣٢ ، فاقتتلوا ساعة من الليل ، ثم انهزم ابن هبيرة ، حتى رجع إلى واسط ، فتحصّن بها ، فلمّا فرغ قحطبة من قتاله قام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على النبيّ ، ثم قال : أيّها الناس ، إنّا والله ما خرجنا إلاّ لإقامة الحقّ وإزالة دولة الباطل ، وقد أعلمتكم أن الإمام محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس أعلمني أن ألقى نباتة بن حنظلة الكلابيّ ، وعامر بن ضبارة المرّيّ ، فأهزمهما وأستبيح عسكرهما ، وأقتل مقاتلتهما، وأنبأتكم بذلك قبل كونه ،

---

(١) قحطبة : هو قحطبة بن شبيب الطائي ، قائد شجاع ، من ذوي الرأي والشأن . كان أحد النقباء الاثني عشر الذين اختارهم محمد بن علي . كان مظفراً في جميع وقائعه . غرق في الفرات على أثر وقعة له مع ابن هبيرة سنة ١٣٢ هـ .
[الطبري ٩:١١٧]

(٢) تقدّمت ترجمته .

وقد رأيتم صدق ما خبرتكم ، وإنّ الإمام أعلمني أن لا أعبر الفرات ، وإنّكم تعبرونه ، فلا يفقد من الجيش أحد غيري ، وإنّه والله لا كذب فيما قال : فإذا فقدتموني فأمير الناس حميد بن قحطبة ، فإن غاب فالحسن بن قحطبة ، والسلام على من اتّبع الهدى ، ورحمة الله وبركاته .

فلمّا كان السَّحَر عبروا الفرات ، وكان في أيّام المدّ وكثرة الماء ، فلمّا أصبحوا فقدوا قحطبة ، فلم يعرفوا له خبراً ، وقالوا : غرق ، وقالوا : سقط عليه جُرْف ، وقالوا : غار به فرسه ، وكان أبو مسلم قد كتب إليه . . . .[1] من الكوفة : إنّي قد أعددت لك من المنازل ، فكتب إليه قحطبة : أيّها الوزير لئن لقيتك إذاً إنّ لبني أميّة بعدُ لَبَقاء .

وانهزم ابن هبيرة بعد أن غرق قحطبة ، فلمّا بلغ مروان الخبر قال : هذا والله الإدبار ، وإلّا فمن سمع بميّت يهزم حيّاً ؟ .

وسار حميد بن قحطبة حتى دخل الكوفة بعدما فقد قحطبة بأربع ليال ، وقد أخذ محمد بن عبد الله القسريّ الكوفة لبني هاشم ، وأظهر دعوتهم، وشرّد من كان بها من بني أميّة وأصحابهم، وأظهر السواد. وغلب سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب على البصرة وسوّد[2] ، ودعا إلى بني هاشم أبو سلمة حفص بن سليمان الخلّال ، واستعمل العمّال ، ووجّه الحسن بن قحطبة إلى ابن هبيرة وأتبعه بمالك بن الهيثم ، وأمرهما أن يحاصراه ، فأناخ الحسن على المدينة الغربيّة ، ومالك على الشرقيّة ، ووجّه هشام بن إبراهيم مولى بني ليث إلى عبد الواحد بن عمر بن هبيرة ، وكان عامل أخيه على الأهواز ، فقاتله حتى فضّ جمعه ، ثم انهزم عبد

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) سوّد : أظهر السواد . وسواد البلدة : ما حولها من الريف والقرى ، ومنه سواد العراق لما بين البصرة والكوفة ولما حولها من القرى .

[لسان العرب مادة سود]

الواحد بن عمر بن هبيرة ، فلحق بسلم بن قتيبة الباهليّ ، وهو عامل يزيد بن عمر على البصرة .

وقدم أبو العبّاس[1] وإخوته وأهل بيته الكوفة في المحرّم سنة ١٣٢ ، فصيّرهم أبو سلمة في دار الوليد بن سعد في بني أوْد ، وكتم أمرهم ، فلم يطّلع على خبرهم أحد ، فأقاموا في تلك الدار شهرين ، حتى لقي أبو حميد غلاماً لهم ، فسأله عنهم ، فأخبره بسوء ضعفهم ، فصار إليهم وهو في سرداب ، فقال : أيّكم عبد الله بن محمد بن الحارثيّة ؟ فأشير له إلى أبي العبّاس ، فسلّم عليه بالخلافة ، فمضى ، فأحضر أصحابه ، وأخرج أبا العبّاس ، وبايع الناس له ، فلمّا بلغ أبا سلمة الخبر جاءهم ركضاً حتى لحقهم ، فقال له : عجّلتم ، وأرجو أن يكون خيراً . وصار أبو العباس إلى المسجد ، فخطب وصلّى .

ووجّه أبو العباس عمّه عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس لقتال مروان ، فلقيه بالزاب بالقرب من الموصل ، وإنّما كان قصد مروان إلى الزاب لأنّ بني أمية كانت تروي في ملاحمها أن المسوّدة لا يجوز سلطانهم الزاب ، فكانوا يتوهّمون أنّه زاب الموصل ، فقصده مروان ، وهو يرى أنّه لا يجوزه ، وإنّما ذلك زاب بأقاصي الغرب ، فحاربه عبد الله بن عليّ ، فهزمه ، ثم لم يزل في أثره ، وهو منهزم لا يلوي على شيء ، حتى أخرجه إلى الجزيرة ، ثم أخرجه من الجزيرة إلى الشأم ، فجعل لا يمرّ بجند من أجناد الشأم إلّا انتهبوه ، حتى صار إلى دمشق ، وهو مضمر أن يتحصّن بها ، فانتهبه أهل دمشق ، ووثب عليه من بها من قيس ، فدخلها عبد الله بن عليّ عنوة ، وقتل الوليد بن معاوية بن مروان بن عبد الملك ، خليفة مروان بها ، ومضى مروان إلى فلسطين هارباً ، فلحقه عبد الله بن عبد الملك ، فأسره عبد الله بن عليّ ، وأسر معه عبد الله بن يزيد بن عبد الملك ، فوجّه بهما إلى أبي العباس ، فصلبهما بالحيرة .

---

(١) أنظر «أيامه» بعد قليل .

وقدم صالح[1] بن عليّ عاملاً على مصر ، وقد هرب مروان إليها ، فاتبعه ، فألجأه إلى قرية بوصير من كورة أشمون من الصعيد ، فلم يزل مواقفاً له ، والحرب بينهما ، ثم أرسل إليه مروان : متى ظفرتَ بهذا الأمر فأوصيك بالحرم خيراً ! فأرسل إليه صالح : يا جاهل ! إنّ الحقّ لنا عليك في نفسك ،ولك علينا في حرمك .

وانصرف عبد الله بن عليّ راجعاً إلى دمشق وصالح في قتال مروان ، ثمّ قُتل مروان في المعركة ، وصاحب الجيش عمر بن إسماعيل الحارثيّ ، وكانت مدة مروان في ولايته إلى أن قُتل خمس سنين ، وقُتل في ذي الحجة سنة ١٣٢ ، وهو ابن أربع وستّين سنة ، وقيل : ثمان وستّين سنة ، وحزّ رأسه ، فلمّا قوّر جاءه هرّ فأخذ لسانه ، وحُمل الرأس إلى أبي العباس ، فلمّا وضع بين يديه قال : أيّكم يعرف هذا ؟ فقال سعيد بن عمرو بن جعدة : هذا رأس مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، خليفتنا بالأمس . فأنكر الناس ذلك عليه ، فقال أبو العباس : ما أراد الشيخ بهذا القول إلا الوفاء .

وكان الغالب على مروان أبو حديدة السلميّ ، وإسماعيل بن عبدالله القسريّ ، وإسحاق بن مسلم العقيلي ، وعلى شرطه الكوثر بن الأسود الغنويّ ، وهو الذي قال له يوماً في قتاله : إنزلْ ، ويلك ! فقاتلْ ، فأبى أن يفعل ، فقال مروان : والله لأسوءَنّك ! فقال : وددت والله أنّك تقدر على ذلك ، وكان على حرسه سقلاب مولاه ، وحاجبه سليم مولاه .

وكان له من الولد الذكور أربعة : عبد الملك ، وعبد الله ، وعبيد الله ، ومحمد ، وكان عبد الله وعبيد الله ابنا مروان ليلة قتل مروان توجّها

---

(١) صالح بن علي : هو عمّ السفاح والمنصور ، وأول من ولي مصر من قبل الخلفاء العباسيين . قتل مروان بن محمد ببوصير سنة ١٣٢ هـ . ضمت إليه ولاية فلسطين ، فانتقل إليها . استقر في الجزيرة وكانت له الديار الشامية كلها . أنشأ مدينة أذنة في الأناضول ، وهزم الروم في مرج دابق . توفي بقنسرين سنة ١٥١ هـ .

[النجوم الزاهرة ١ :٣٢٣]

نحو الصعيد ، ثم صارا إلى بلاد النوبة ، وتلاحق بهما جماعة من أصحاب مروان ، فصاروا زهاء أربعة آلاف ، وتخلّف عبد الحميد بن يحيىٰ كاتب مروان بمصر ، واستتر حتى دلّ عليه صالح بن عليّ .

وخرج مع عبد الله وعبيد الله جماعة من نسائهم من البنات والأخوات وبنات العمّ ماشيات ، هائمات على وجوههنّ ، حتى مرّ رجل من أهل الشأم بصبيّة ملقاة تنكر ، وإذا هي بنت لمروان بنت ستّ سنين ، فحملها معه حتى دفعها إلى عبد الله بن مروان .

ووافى القوم بلاد النوبة فأكرمهم عظيم النوبة ثم قالوا : نقرّ في بعض هذه الحصون التي في بلاد النوبة ، فلعلّنا نتّخذ منها معقلاً ، ونقاتل من يلينا من العدوّ ، وندعو إلى طاعتنا لعلّ الله أن يردّ علينا بعض ما أخذ منّا . فقال لهم عظيم النوبة : إن هذه الأغربة ، يريد السودان ، كثير عددها ، قليل سلبها ، وإنّي لا آمن عليكم أن تصابوا فيقال : أنت قتلتهم . فقالوا : نحن نكتب لك كتاباً أنّا وردنا بلادك ، فأكرمت مثوانا ، وأحسنت جوارنا ، وجهدت ألاّ نبرح من عندك ، فأبينا حتى خرجنا ، ونحن لك شاكرون . ثم خرجوا ، فأخذوا في بلاد العدو فكانوا ربّما لقوا الجيش من الحبشة ، فقاتلوهم حتى صاروا إلى بجاوة[1] ، فلقيهم عظيم البجة[2] ، فقاتلهم ، وانصرفوا يريدون اليمن ، فمرّوا في البلاد ، وعرض لعبد الله وعبيد الله طريقان بينهما جبل ، فأخذ كلّ واحد منهما في طريق ، وهما يريان أنّهما يلتقيان بعد ساعة ، فسارا يومهما ذلك ، ثم راما الرجوع فلم يقدرا عليه ، وسارا أيّاماً ، ثم لقي عبيد الله مَنْسراً[3] من مناسر الحبشة ، فقاتلهم ،

---

(١) بجاوة : أرضٌ بالنوبة ، بها إبل فُرْهة وإليها تنسب الإبل البجاوية منسوبة إلى البجاء .
[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) البجة : مدينة بين فارس وأصبهان .

[المصدر السابق]

(٣) المنسر : فرقة من الجيش .

وزرقه[1] رجل منهم بمزراق ، فقتل عبيدالله ، واستأسر أصحابه، فأخذت الحبشة كلّ ما معهم ، وتركوهم ، فمرّوا في البراري على وجوههم عُراة حُفاة ، حتى أهلكهم العطش ، فكان الرجل يبول في يده ويشربه ، ويبول ويعجن به الرمل ويأكله ، حتى لحقوا عبد الله بن مروان وقد ناله من العري والشدّة أكثر مما نالهم ، ومعه عدّة من حرمه عراة حفاة ما يواريهنّ شيء ، قد تقطعت أقدامهنّ من المشي وشربن البول حتى تقطعت شفاههنّ ، حتى وافوا المندب[2] ، فأقاموا بها شهراً ، وجمع الناس لهم شيئاً ، ثم خرجوا يريدون مكّة في زيّ الحمّالين .

وأقام الحجَّ في أيام مروان في سنتي ١٢٧ و١٢٨ عبد العزيز بن عمر ابن عبد العزيز؛ سنة ١٢٩ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، ووافى معه الحجّ أبو حمزة المختار بن عوف الإباضيّ ، صاحب الأعور عبد الله بن يحيىٰ الكنديّ ، والذي يسمّي نفسه طالب الحقّ[3] ؛ سنة ١٣٠ عبد الملك بن محمد بن مروان ؛ سنة ١٣١ محمد بن عبد الملك بن عطيّة السعديّ ، وقيل هي آخر حجّة لبني أميّة ، ولم يغز في أيام مروان .

وكان الفقهاء في أيامه : محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أبا الحويرث المراديّ ، عمرو بن دينار ، صالح بن كيسان ، أبا الزناد عبد الرحمٰن بن ذكوان ، عبد الله بن أبي

---

(١) زرقه : رمحه . والمزراق : الرمح .

(٢) المندب : اسم ساحل مقابل لزبيد باليمن .

[ياقوت]

(٣) طالب الحق : إمام اباضي ، من أهل اليمن . كان قاضياً بحضرموت ، وخلع طاعة مروان بن محمد، وبويع له بالخلافة، واستولى على صنعاء ومكة بعد حروب، وعظم أمره ، وتبعه أبو حمزة «المختار بن عوف» فوجّه إليهما مروان جيشاً بقيادة عبد الملك بن محمد ، فالتقى عبد الملك بأبي حمزة في وادي القرى فقتله ، واستمر زاحفاً نحو اليمن ، فأقبل إليه طالب الحق ، فالتقيا على مقربة من صنعاء ، فاقتتلا ، فقتل طالب الحق وأرسل رأسه إلى مروان بالشام سنة ١٣٠هـ .

[الزركلي : الأعلام ٤ : ١٤٤]

نجيح ، قيس بن سعد ، أبا الزبير محمد بن مسلم ، إبراهيم بن مَيْسَرَة ، عبد الملك بن عُمير الليثيّ ، سلمة بن كميل ، جابر بن يزيد الجُعْفيّ ، غيلان بن جامع المحاربيّ ، أبا بكر بن نسر بن حرب ، يزيد بن عبد الله بن الشخّير ، سالم الأفطس ، عبد الكريم الحنفيّ .

أيام أبي العباس السفاح[1]

بويع عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس ، وكنيته أبو العبّاس ، وأمّه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديّان الحارثيّ ، يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، وقيل : يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجّة سنة ١٣٢ ، ومن شهور العجم في تشرين الآخر .

وكانت الشمس يومئذ في القوس عشر دقائق ، والقمر في الدلو إحدى وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، والمشتري في العقرب اثنتين وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، والمرّيخ في الأسد سبعاً وعشرين درجة ، والزهرة في الميزان ثلاثين درجة ، وعطارد في العقرب إحدى عشرة درجة وعشرين دقيقة ، والرأس في الميزان خمساً وأربعين دقيقة ، وكانت بيعته في الكوفة في دار الوليد بن سعد الأزديّ .

وقيل : إن أبا سلمة[2] إنّما أخفى أبا العباس وأهل بيته بها ، ودبّر أن يصيّر الأمر إلى بني عليّ بن أبي طالب ، وكتب إلى جعفر بن محمد كتاباً

---

(١) أبو العباس السفاح : ويُقال له أيضاً «المرتضى» و«القائم» وُلد ونشأ بالشراه . لقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء الأمويين . كانت إقامته بالأنبار ، حيث بنى مدينة سمّاها «الهاشمية» وجعلها مقر خلافته . توفي شاباً عن اثنين وثلاثين عاماً بالأنبار سنة ١٣٦ هـ .

[ابن الأثير ٥ :١٥٢]

(٢) هو حفص بن سليمان .

مع رسول له ، فأرسل إليه : لستُ بصاحبكم ، فإنّ صاحبكم بأرض الشراة[1] ، فأرسل إلى عبد الله بن الحسن يدعوه إلى ذلك ، فقال : أنا شيخ كبير وابني محمد أولى بهذا الأمر ، وأرسل إلى جماعة بني أبيه ، وقال : بايعوا لابني محمد ،فإن هذا كتاب أبي سلمة حفص بن سليمان إليّ ، فقال جعفر بن محمد : أيّها الشيخ ! لا تسفك دم ابنك ، فإنّي أخاف أن يكون المقتول بأحجار الزيت .

وأقام أبو سلمة ينتظر انصراف رسله إليه، ومرّ أبو حميد، فلقي غلام أبي العبّاس، فدلّه على موضعه، فأتاه فسلّم عليه بالخلافة، ثم خرج فأخبر أصحابه بموضعه ، فمضى معه ستّة ، وهم : أبو الجهم بن عطيّة ، وموسى بن كعب، وأبو غانم عبد الحميد بن ربعيّ ، وسلمة بن محمد، وأبو شراحيل ، وعبد الله بن بسّام ، وأبو حميد سابعهم سرّاً من أبي سلمة ، فسلّموا على أبي العبّاس بالخلافة ، وألبسه أبو حميد السواد ، وأخرجه ، فمضى به إلى المسجد الجامع ، وبلغ الخبر أبا سلمة ، فأتى ركضاً حتى لحقهم ، فقال : إني إنّما كنت أدبّر استقامة الأمر وإلاّ فلا أعمل شيئاً فيه .

وقد قدّمنا ذكر بيعة أبي العبّاس في أيّام مروان ، ووصفنا ما عملَ مَن وجّه لمحاربة مروان ، ووصلنا من الخبر بذلك إلى قتل مروان ما يغني عن إعادته .

وكان من قدم إلى الكوفة من بني هاشم اثنين وعشرين رجلاً ، منهم : داوُد ، وسليمان ، وعيسى ، وصالح ، وإسماعيل ، وعبد الله ، وعبد الصمد بنو عليّ بن عبد الله بن عباس ، وموسى بن داوُد ، وجعفر ، ومحمد ابنا سليمان ، والفضل ، وعبد الله ابنا صالح ، وأبو العباس ، ومحمد ابنه ، وجعفر ، ومحمد ابنا المنصور ، وعيسى بن موسى بن

(١) الشراة : بين الشام والمدينة .

محمد ، وعبد الوهاب ، ومحمد ابنا إبراهيم ، ويحيى بن محمد ، والعباس بن محمد .

ولما بويع أبو العباس صعد المنبر في اليوم الذي بويع فيه ، وكان حييّاً ، فأرتج عليه[1] ، فأقام مليّاً لا يتكلّم ، فصعد داوُد بن عليّ ، فقام دونه بمرقاة[2] ، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على محمد ، وقال : أيّها الناس ! الآن تقشّعت حنادس الفتنة[3] ، وانكشف غطاء الدنيا ، وأشرقت أرضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مطلعها ، وعاد السهم إلى النزعة[4] ، وأخذ القوس باريها ، ورجع الحقّ إلى نصابه في أهل بيت نبيّكم ، أهل الرأفة بكم ، والرحمة لكم ، والتعطّف عليكم ، ألا وإن ذمّة الله وذمّة رسوله وذمّة العباس لكم أن نسير، فنحكم في الخاصّة والعامّة منكم بكتاب الله وسنّة رسوله ، وإنّه والله أيّها الناس ! ما وقف هذا الموقف بعد رسول الله أحدٌ أولى به من عليّ بن أبي طالب ، وهذا القائم خلفي ، فاقبلوا ، عباد الله ، ما آتاكم بشكر ، واحمدوه على ما فتح لكم ، أبدلكم بمروان عدوّ الرحمن ، حليف الشيطان ، بالفتى المتمهّل الشاب المتكهّل ، المتبع لسلفه والخلف من أئمته وآبائه ، الذين هدى الله ، فبهداهم اقتدى مصابيح الدجى ، وأعلام الهدى ، وأبواب الرحمة ، ومفاتيح الخير ، ومعادن البركة ، وساسة الحقّ ، وقادة العدل . ثم نزل فتكلّم أبو العباس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على محمد ، ووعد من نفسه خيراً ثم نزل .

وولّى أبو العبّاس الكوفة داوُد[5] بن عليّ ، فكان أول من ولّاه أبو العباس ، ووجّه بأخيه أبي جعفر[1]

---

(١) أرتج عليه : التبس الكلام عليه .

(٢) المرقاة : الدرجة .

(٣) الحنادس ، جمع حندس : الظلمة .

(٤) «عاد السهم إلى النزعة» : أي رجع الحق أو الأمر إلى أهله . وهو من أمثال العرب . والنزعة : الرماة .

(٥) داود بن علي : أبو سليمان ، عم السفاح ، وهو من كبار القائمين بالثورة على بني =

إلى خراسان لأخذ البيعة على أبي مسلم ، فصار إلى مرو في ثلاثين فارساً ، فلم يحتفل به أبو مسلم ، ولم يلتقه ، واستخفّ به ، فانصرف واجداً عليه ، وشكاه إلى أبي العباس ، وأعلمه ما نال منه ، وكثّر عليه في بابه ، فقال أبو العبّاس : فما الحيلة فيه ، وقد عرفت موضعه من الإمام ومن إبراهيم وهو صاحب الدولة والقائم بأمرها ؟ .

وقدم أبو مسلم على أبي العباس ، فأكرمه وأعظمه ، ولم يذكر له من أمر أبي جعفر شيئاً . ودخل إليه يوماً من الأيام ، وأبو جعفر جالس معه ، فسلّم عليه وهو قائم ، ثم خرج ولم يسلم على أبي جعفر ، فقال له أبو العباس : مولاك مولاكَ لِمَ لا تسلّم عليه ؟ يعني أبا جعفر . فقال : قد رأيته ، ولكنه لا يُقْضَى في مجلس الخليفة حقّ أحد غيره .

ولمّا قتل صالح [٢] مروان بن محمد وجّه برأسه إلى أبي العباس ، وحوى خزائنه ، وأمواله ، وحمل أبا عثمان ، ويزيد بن مروان ، ونسوة من آل مروان وبناته ، فلمّا صرن إلى الكوفة أطلق النساء ، وحبس الرجال ، وأخذ عبد الله بن مروان بمكّة ، فحُمل أيضاً ، وحبس مع سائر أهله .

وولّى أبو العبّاس داوُد بن عليّ الحجاز ، فقدم ، وعامل مروان الوليد ابن عروة بن عطية السعديّ مقيم بمكّة لم يعلم بأن الناس بايعوا أبا العبّاس ، فلمّا علم هرب ، وقدم داوُد فخطب خطبة له مشهورة ذكّرهم فيها ما فضلهم الله به ، فظلم من ظلمهم ، ثم قال : إنّما كانت لنا فيكم تبعات وطلبات ، وقد تركنا ذلك كلّه ، وأنتم آمنون بأمان الله أحمركم وأسودكم ، وصغيركم وكبيركم ، وقد غفرنا التبعات ، ووهبنا الظلامات ، فلا وربّ هذه البنية لا نهيج أحداً ! وضرب بيده إلى الكعبة ، فبينا هو يخطب إذ قام

= أميّة . أقام في المدينة حتى وافته منيته سنة ١٣٣ هـ .

[الطبري ٩ : ١٤٧]

(١) أنظر «أيامه» بعد أيام أبي العباس .

(٢) هو صالح بن علي عامل مصر . وقد تقدّمت ترجمته .

سديف بن ميمون ، فقال : أصلح الله الأمير ! أدنني منك ، وأْذنْ لي في الكلام ! فقال : هلمّ ! فصعد المنبر حتى كان دون داوُد بمرقاة ، ثم أقبل على الناس بوجهه ، فحمد الله ، وصلّى على محمد ثم قال : أيزعمُ الضُّلّال ، خُطّئت أعمالهم ، أن غير آل رسول الله أولى بتراثه ، ولِمَ ، وبِمَ معاشر الناس ، ألكم الفضل بالصحابة دون ذوي القرابة ، الشركاء في النسب ، والورثة للسلب ، مع ضربهم في الفيء لجاهلكم . وإطعامهم في اللأواء[1] جائعكم ، وإيمانهم بعد الخوف سائلكم ؟ لم ير مثل العبّاس بن عبد المطلب ، اجتمعت له الأمّة بواجب حقّ الحرمة ، أبو رسول الله بعد أبيه ، وجلدة ما بين عينيه يوم خيبر ، لا يردّ له أمراً ، ولا يعصي له قسماً . إنّكم والله ، معشر قريش ، ما اخترتم لأنفسكم من حيث اختار الله لكم طرفة عين قطّ ، ثم نزل ، فاستتمّ داوُد خطبته ثم نزل .

فلمّا انقضى الموسم وجّه داوُد إلى قوم كانوا بمكّة من بني أميّة ، فقتل جماعة منهم ، وأوثق جماعة منهم في الحديد ، ووجّههم إلى الطائف ، فقُتلوا هنالك ، وحبس خلقاً من الخلق ، فماتوا في حبسه ، وصار إلى المدينة ففعل مثل ذلك ، ولم يقم بالمدينة إلّا شهرين حتى توفي .

وبلغ أبا العباس عن أبي سلمة الخلّال أمور أنكرها ، وذكر له تدبيره وما كان عليه ، وتأخيره له ، والتماسه صرف الدولة إلى بعض الطالبيّين ، وكتب إليه أبو مسلم من خراسان أن اقتل أبا سلمة ، فإنّه العدوّ الغاشّ ، الخبيث السريرة ، فكتب إليه أبو العباس أن وجّه أنت من يقتله ، وكره أبو العباس أن يوحش أبا مسلم بقتله ، أو يوجد سبيلاً إلى الاحتجاج به عليه ، فوجّه أبو مسلم مراد بن أنس الضّبّي ، فجلس على باب أبي العباس ، وكان يسمر[2] عنده ، فلمّا خرج ثار إليه فضرب عنقه .

---

(١) اللأواء : الشدة والمحنة .

(٢) يسمر : يسهر .

وكان أبو سلمة يسمّى وزير آل محمد ، وكان أبـو مسلم يكتب إليه : لـلأمير حفص بن سليمـان ، وزيـر آل محمـد ، من أبي مسلم أمين آل محمد . فقال سليمان بـن مهاجر لمّا قتل أبو سلمة :

إنّ الوزير ، وزيـر آل محمّد ، أوْدى ، فمن يشناك كان وزيـرا

ووجّه أبو العبـاس أخاه أبـا جعفر إلى واسط[1] ، وكـان الحسن[2] بن قحطبة محاصراً ليزيد[3] بن عمر بن هبيرة ، وأمره بمجادّتـه ، فحوصـر أحد عشر شهراً ، وكان معه جمـاعة من قـوّاد مروان وأصحـابه ، وممّن كـان مع عامر بن ضبارة ، ونباتـة بن حنظلة ، الـذين قتلهم قحطبـة ، وكان يـزيد قـد استعـدّ لحصار سنتين ، وأدخـل الأقـوات والعلوفـة لعشـرين ألف مقـاتـل ، فصدقوه المحاربة ، وطلب الأمان ووجّه السّفراء ، فأُجيب إلى ذلك ، وكُتب له كتاب أمان ، وشُرط له فيه ما سأل . وختمه أبو العبّاس .

وخـرج ابن هبيـرة حتى صـار إلى أبي جعفـر ، فبـايـع ثم رجـع إلى مـوضعه ، وكـان يركب كـلّ يوم في ألف فـارس وألف راجل ، فقـال بعض أصحاب أبي جعفر له : أصلح الله الأمير ! إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكـر . فقال لأبي غسّـان حاجبـه : قـل لابن هبيـرة فليقلّل من جمعـه ! فركب إليه في خمسمائة راجل ، فقال له الحاجب : كـأنّك تـأتينا مبـاهياً ، فركب إليهم في ثلاثين فارساً ، وثلاثين راجلاً ، فكان أبو جعفر يقول : مـا

---

(١) واسط : سميت كذلك لتوسطها بين البصرة والكوفة .

(٢) الحسن بن قحـطبـة : أحـد القـادة الشجعـان المقـدمين في بـدء العصـر العبـاسي . استخلفه المنصور على أرمينية ، ثم استقدمه لمساعـدة أبي مسلم الخراسـاني . أوغل في بلاد الروم ، وسمته الروم «التنين». توفي في بغداد سنة ١٨١ هـ .

[الكامل لابن الأثير ٦ : ٥٣ وما قبلها]

(٣) يزيد بن عمر : من ولاة الدولة الأمويـة . جمعت له ولايـة العراقين في أيـام مروان بن محمد . كتب المنصـور إليه بالأمان والصلح ، لكن السفاح نقض عهـده ، وبعث إليه من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ هـ .

[وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٨]

رأيت أنبل من ابن هبيرة ، ولا أتيه ، إن كان ليدخل إليّ ، فيقول : كيف أنت يا هذا ، أو حالك ، وكيف ما يأتيك عن صاحبك ؟ فإن كنت لأحدّثه فيقول : إيهاً لله أبوك ! ثم يتداركها فيقول : أصلح الله الأمير ! إنّي قريب عهد بإمارة ، وكان الرجل يحدّثني ، فأقول بهذا ونحوه . وقال له يوماً : حدّثني ! فقال : لأمحضنّك النصيحة محضاً ، إنّ عهد الله لا ينكث وعقدته لا تحلّ ، وإن إمارتكم هذه جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوتها ، وجنّبوهم مرارتها .

ووجدتْ كتب لابن هبيرة إلى محمّد بن عبد الله بن حسن يعلمه أن يبايع له وأن قِبَله أموالاً وعدّة وسلاحاً ، وأن معه عشرين ألف مقاتل ، فأنفذت الكتب إلى أبي العباس ، فقال أبو العباس : نقض عهده ، وأحدث ما أحلّ به دمه ،فكتب إلى أبي جعفر أن اضرب عنقه ، فإنّه غدر ، ونكث، ونقض العهود، وكثرت كتبه بذلك، وكتب أبو مسلم من خراسان يحرّض على قتله ، ويخبر أن الأمر لا يستقيم ما كان حيّاً ، وأنّه ممّن لا يصلح للاستبقاء . وقال أبو جعفر للحسن بن قحطبة الطائيّ : إن أمير المؤمنين قد أمر بقتل هذا الرجل ، فتولّ ذلك ! فقال له الحسن : إن قتلته كانت العصبية بين قومي وقومه ، والعداوة ، واضطرب عليك من بعسكرك من هؤلاء وهؤلاء ، ولكن أنفذ إليه برجل من مضر يقتله . فوجّه إليه بخازم بن خزيمة التميميّ ، فأتاه في جماعة ، فوافاه وهو جالس في رحبة القصر بواسط ، فلما رآهم قال : أقسمت بالله إن في وجوه القوم لغدرة ! فلمّا دنوا منه قام ابنه داود في وجوههم ، فضربه بعضهم بالسيف فجدله[1] ، وصاروا إلى يزيد فضربوه بأسيافهم حتى قتلوه ، ثمّ تتبّعوا قوّاده وأصحابه ، فقتلوهم عن آخرهم .

وخرج شريك بن شيخ المهريّ ببخارى فقال : ما على هذا بايعنا آل محمد ، أن نسفك الدماء ، ونعمل غير الحقّ . فوجّه إليه أبو مسلم زياد بن

(١) جدله : رماه في الجدالة أي الأرض .

صالح الخزاعيّ ، فقاتله ، فقتله .

وخرج أبو محمد السّفياني ، وهو يزيد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، بما لديه ، وخرج محمد بن مسلمة بن عبد الملك بحرّان ، وحاصر موسى بن كعب ، وكان عامل أبي جعفر ، وأبو جعفر يومئذ عامل الجزيرة ، ورماها بالمنجنيق ، وحرّق أبوابها ، وكان ذلك في سنة ١٣٣ .

ثم بلغ محمد بن مسلمة قتل أبي محمد السفيانيّ وقتل أبي الورد بن كوثر بن زفر ، فانصرف عنها ، وتفرّق جمعه ، واتبعه موسى بن كعب ، فقتل خلقاً من أصحابه ، وتعمّد عدّة مدائن من الجزيرة .

وأقام إسحاق بن مسلم العقيليّ بسُمَيْساط[1] سبعة أشهر ، وأبو جعفر محاصر له ، وقيل : لم يحاصره أبو جعفر ، ولكن عبد الله بن عليّ حاصره ، وكان إسحاق يقول : في عنقي بيعة ، فلا أدعها أبداً حتى أعلم أن صاحبها قد مات ، أو قُتل .

وأرسل إليه أبو جعفر يقول : إن مروان قد قُتل ، فقال : حتى أتبيّن ذلك ، فلمّا صحّ عنده أنّه قُتل طلب الأمان وأُعطيه ، وصار مع أبي جعفر ، وكان عظيم المنزلة عنده .

وانصرف عبد الله بن عليّ إلى فلسطين بالسبب الذي شرحناه من خبره فيما شرحنا من خبر مروان ، فلمّا صار بنهر أبي فطرس ، بين فلسطين والأردن ، جمع إليه بني أميّة ، ثمّ أمرهم أن يغدوا عليه لأخذ الجوائز العطايا ، ثم جلس من غد ، وأذن لهم ، فدخل عليه ثمانون رجلاً من بني أميّة ، وقد أقام على رأس كلّ رجل منهم رجلين بالعمد[2] ، وأطرق مليّاً ،

---

(١) سميساط : مدينة على شاطىء الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات .
[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) العمد : العصي الغليظة .

ثم قام العبديّ فأنشد قصيدته التي يقول فيها :

أمّا الدّعاة إلى الجِنان فهاشم ... وبنو أُميّة من كلابِ النّارِ

وكان النعمان بن يزيد بن عبد الملك جالساً إلى جنب عبد الله بن عليّ ، فقال له : كذبت يابن اللخناء[1] ! فقال له عبد الله بن عليّ : بل صدقت يا أبا محمد ، فامضِ لقولك ! ثم أقبل عليهم عبد الله بن عليّ ، فذكر لهم قتل الحسين وأهل بيته ، ثم صفق بيده فضرب القوم رؤوسهم بالعمد حتى أتوا عليهم ، فناداه رجل من أقصى القوم :

عَبْدُ شمْسٍ أبوكَ وَهْوَ أبونا ... لا نُناديك من مكانٍ بَعِيدِ

فالقَرَاباتُ بَيْنَنا وَاشِجاتٌ ... مُحكَماتُ القُوَى بعقدٍ شديدِ

فقال : هيهات ! قطع ذلك قتل الحسين ! ثم أمر بهم ، فسحبوا ، فطرحت عليهم البسط وجلس عليها ، ودعا بالطعام ، فأكل ، فقال : يوم كيوم الحسين بن عليّ ولا سواء . وكان قد دخل معهم . . . .[2] قال : رجوت أن ينالوا خيراً ، فنال معهم ، فقال عبد الله بن عليّ :

ومُدْخِلٍ رَأسَهُ لم يُدْنِهِ أحَدٌ ... بين الفريقينِ حتى لزّه القَرَنُ[3]

اضربا عنقه . وقدم عبد الله بن عليّ دمشق في شهر رمضان سنة ١٣٢ ، فحاصرها، واستغاث الناس، ووجّهوا إليه بيحيىٰ بن بحر يطلب لهم الأمان، فخرج إليه فسأله الأمان، فأجابه إلى ذلك، فدخل فنادى في الناس الأمان، فخرج خلق من الخلق، ثم قال له يحيىٰ بن بحر: أُكتب لنا ، أيّها الأمير ، كتاب الأمان ، فدعا بدواة وقرطاس ، ثم ضرب ببصره

(١) اللخناء : الفاحشة .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) لزّه القرن : شدّه الحبل .

نحو المدينة ، فإذا بالسور قد غشيه المسوّدة ، فقال له : قد دخلتها قسراً . فقال يحيىٰ : لا والله ، ولكن غدراً . فقال عبد الله : لولا ما أعرف من مودتك لنا ، أهل البيت ، لضربت عنقك ، إذا استقبلتني بهذا ، ثم ندِم ، فقال : يا غلام خذ هذا العَلَم فأركزه في داره ، ونادِ مَن دخل دار يحيىٰ بن بحر فهو آمن ، فانحشر الناس إليها ، فما قُتل فيها ، ولا في الدور التي تليها أحد .

ونادى المنادي بعد أن قتل خلق كثير من الخلق : الناسُ آمنون ، إلاّ خمسة : الوليد بن معاوية ، ويزيد بن معاوية ، وأبان بن عبد العزيز ، وصالح بن محمد ، ومحمّد بن زكريّا .

وصار عبد الله بن عليّ إلى المسجد الجامع ، فخطبهم خطبة مشهورة يذكر فيها بني أميّة وجورهم وعداوتهم ، وأنّهم اتّخذوا دين الله هزؤاً ولعباً ، ويصف ما استحلّوا من المحارم والمظالم والمآثم ، وما ساروا به في أمّة محمّد من تعطيل الأحكام وازدراء الحدود[1] والاستئثار بالفيء ، وارتكاب القبيح ، وانتقام الله منهم ، وتسليط سيف الحقّ عليهم ، ثم نزل .

ويقال إنّ أبا العباس كتب إليه : خذ بثأرك من بني أميّة ، ففعل بهم ما فعل ، ووجّه فنبش قبور بني أميّة ، فأخرجهم وأحرقهم بالنّار ، فما ترك منهم أحداً ، ولمّا صار إلى رصافة أخرج هشام بن عبد الملك ، ووجده في مغارة على سريره ، قد طلي بماء يبقيه ، فأخرجه ، فضرب وجهه بالعمود ، وأقامه بين العقابين فضربه مائة وعشرين سوطاً ، وهو يتناثر ، ثم جمعه فحرّقه بالنار . وقال عبد الله عند ذلك : إن أبي ، يعني عليّ بن عبد الله ، كان يصلّي يوماً ، وعليه إزار ورداء ، فسقط الرداء عنه ، فرأيت في ظهره آثار السياط ، فلمّا فرغ من صلاته قلتُ : يا أبه ! جعلني الله فداءك ، ما

---

(١) أي إهمالها وعدم ممارستها كما جاء في القرآن الكريم وسنة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

هـذا ؟ فقال : إن الأحـول ، يعني هشامـاً ، أخذني ظلمـاً ، فضربني ستّين سوطاً ، فعاهدتُ الله إن ظفرتُ به أن أضربه بكلّ سوط سوطين .

وخـرج حبيب بن مرّة المـرّيّ بالحـوران ، فبيّض ، ونصب رجـلاً من بني أميّة ، فزحف إليه عبد الله بن عليّ ، فقتله وفرّق جمعه .

وكـان عامـل مـروان على أفـريقيـة عبـد الـرحمٰن بن حبيب العقبي ، فقـدمها سنـة١٢٧ ، ولم يزل مقيمـاً بها حتى قُتـل مروان ، فلمّـا علم أهل أفريقية بقتل مروان ، وثبت عليه جماعة من أهل البلد منهم عقبة بن الوليـد الصدفيّ ، من ناحيـة . . . .[1] وتفرّقت بنـو أمية بعـد قتل مـروان ، فخلف منهم بـأفريقيـة جماعـة ، فصاروا إلى عبـد الرحمٰن بن حبيب ، فـأقام عبـد الـرحمٰن على محاربـة أصحـاب أبي العبّـاس ، فـوثب بـه أخـوه اليـاس بن حبيب ، فدعا إلى بني العباس ، فبايعه الناس ، وأخذ من صار إلى أفـريقية من بني أميّة ، فحبسهم ، وكتب بخبرهم إلى أبي العبّاس .

ووثب أهل الموصـل على عاملهم ، فانتهبوه ، وأخـرجوه ، فـولّى أبو العبّاس أخاه يحيى بن محمـد بن عـليّ المـوصـل ، وضمّ إليـه أربعـة آلاف رجـل من أهـل خراسـان ، فقدمهـا في سنة ١٣٣ ، فقتـل من أهلها خلقـاً عظيمـاً ، وقيل إنّـه اعتـرض الناس في يـوم جمعة ، فقتـل ثمانيـة عشر ألف إنسـان من صليب العـرب ، ثم قتـل عبيـدهم ومـواليهم ، حتى أفنـاهم ، فجـرت دمـاؤهم ، فغيّرت ماء دجلة ، فلم يُعرف لأهل الموصل وثوب[2] إلى هذه الغاية .

وولّى أبـو العبـاس محمـد بن صـول أرمينيـة ، فسـار إليهـا في خلق عظيم ، ومسافر بن كثير متغلّب على البلد ، وكـان خليفة إسحـاق بن مسلم العقيليّ عامل مـروان ، فحاربـه محمد بن صـول حتى قتله ، واستولى على

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) وثوب : قيامة .

أرمينيـة ، وصدّ أهـل البَيْلَقَان[1] إلى قلعـة الكـلاب ، وأسلمـوا المـدينـة ، ورئيسها يومئذ ورد بن صفوان الساميّ من ولد سامة بن لؤي ، وجمعوا إليهم لفيفاً من الصعاليك[2] وغيرهم بقلعة الكلاب ، فـوجّه إليهم محمـد بن صول صالح بن صبيح الكنديّ ، فحاصرهم وقتل منهم خلقاً عظيماً .

ووجّـه أبو العبـاس إلى السند مـوسى بن كعب التميميّ ، ومنصور بن جمهـور متغلّب عليها ، فنفـذ موسى في عشـرين ألف مقـاتـل ، فصـار إلى قنـدابيل[3] ، فـأقـام بهـا حينـاً ثم كـاتب مـوسى من كـان مـع منصـور من أصحـاب . . .[4] وكـاتبهم قبـائلهم ، وزحف مـوسى حتى أتى منصــوراً ، فانهزم منه ، ومرّ في مفازة ، وأدركه فقتله .

وانتقل أبو العباس من الحيرة ، فنزل الأنبار ، واتّخذ بها مدينة سماها الهاشميّة سنة ١٣٤ ، واشترى من النـاس أشريـة كثيرة بنى فيهـا ، وأقطعهـا أهل بيته وقوّاده ، ثم رفع إليه أهل تلك الأرضين والمنـازل أنهم لم يقبضوا أثمـانها ، فقـال : هذا بنـاء أُسّس على غير تقـوى ! وأمر فضـربت مضاربـه بظاهرها وبريّها ، حتى استوفى القوم أثمان أرضهم ، ثم عاد إلى قصره .

وولّى أبـو العباس أبـا جعفر أخـاه الجزيـرة ، والموصـل ، والثغـور ، وأرمينية ، وآذربيجان، فخرج حتى صار إلى الرّقّة ، واختطّ الرافقة على شطّ الفـرات ، وهندسهـا له أدهم بن محـرز ، فولّى الحسن بن قحـطبة الـطائي الجزيرة ، وولّى يزيد بن أسيـد السلمي أرمينية ، ثم عـزله وولّى الحسن بن قحطبة أرمينية ، فلم يزل عليها أيام أبي العبّاس .

---

(١) البيلقان : مدينة قرب الدربند الذي يُقال له باب الأبواب .

[ياقوت]

(٢) الصعاليك : جماعة من اللصوص والفقراء .

(٣) قندابيل : مدينة بالسند .

[ياقوت]

(٤) بياض في الأصل .

وكان سليمان بن هشام بن عبد الملك قد استأمن إلى أبي العبّاس، فقدم معه بابنين له، فأكرمه أبو العبّاس وبرّه، وأجلسه وابنيه على النمارق[1] والكراسي، فكان أبو العباس يجلس بالعشيّات، ويأذن لخواصّه وأهل بيته، فدخل عليه أبو الجهم ليلة، وقد أذن لأهله وخواصّه، فقال له: إن أعرابيّاً أقبل يوضع على ناقته، حتى أناخها بالباب، وعقلها، ثم جاءني وقال: استأذن لي على أمير المؤمنين، فقلت: إذهب وضع عنك ثياب سفرك، وعُدْ عليّ، سأستأذن عليه. فقال: إنّي آليت ألّا أضع عنّي ثوباً، ولا أحلّ لثاماً، حتى أنظر إلى وجهه. قال: فهل أنبأك مَن هو؟ قال: نعم! زعم أنه سُدَيْف مولاك، فقال: سديف؟ إيذن له، فدخل أعرابي كأنّه مِحْجن[2]، فوقف، فسلم عليه بإمرة المؤمنين، ثمّ تقدّم فقبّل بين يديه ورجليه، ثمّ تأخر فوقف مثله ثم اندفع فقال:

أَصْبَحَ المُلْكُ ثابتَ الآساسِ ... بالبَهاليلِ[3] من بني العَبّاسِ
يا أميرَ المُطَهَّرينَ منَ الرّجْـ ... ـس ويا رَأسَ مُنْتهى كلّ رَأسِ
أنْتَ مَهْدِيّ هَاشِمٍ وهُداها ... كم أُناسٍ رَجَوْكَ بَعدَ إياسِ
لا تُقِيلَنّ عَبْدَ شمسٍ عِثاراً[4] ... واقْطعنْ كل رِقْلةٍ وغِراسِ
أفْنِها أيّها الخليفَةُ واحْسِمْ ... عنك بالسَّيْفِ شَأفةَ[5] الأرْجاسِ
أنْزِلوهَا بحَيْثُ أنْزَلها اللّـ ... ـه بدار الهَوَانِ والإتْعاسِ
ولقدْ ساءَني وساءَ قبيلي ... قُرْبُهُمْ من نَمارِقٍ وكراسي
خَوْفُهُمْ أظْهرَ التودّد منهم ... وبهم منكُمُ كحَزّ المَواسي
واذكُروا مصرَع الحسينِ وزَيدٍ ... وقَتِيلاً بجانبِ المِهْرَاسِ

---

(١) النمارق: جمع نمرق: الوسادة الصغيرة يتكأ عليها.
(٢) المحجن: العصا المنعطفة الرأس.
(٣) البهاليل، جمع بهلول: السيد الجامع لكل خير.
(٤) يُقال «أقال عثرته»: أنهضه من سقوطه.
(٥) الشأفة: العداوة.

والقَتيـلَ الـذي بحَــرّانَ أمْسى رَهن رَمْسٍ[1] في غُرْبة وتناسي
نِعْمَ كَلْبُ الهِرَاشِ مولاك لـولا حَلّهُ من حبَـائِلِ الإفْـلاسِ

فقـام سليمـان بن هشـام فقـال : يـا أميـر المؤمنين ! إن مـولاك هـذا يحرّضك منـذ مثل بين يـديك على قتلي وقتـل ابنيّ ، وقد تبيّنت والله أنّـك تـريد أن تغتـالنا . فقـال : لو أردت ذلـك مـا كـان يمنعني منكم على غيـر غيلة ، فأمّا إذ سبق ذلك إلى قلبك فلا خير فيك . يا أبا الجهم . أخرجه . وأخرج ابنيه ، فـاضربْ أعنـاقهم وأتني برؤوسهم ! فخـرج فضرب أعنـاقهم وأتاه برؤوسهم .

وقــدم عبـدالله بن الحسن بن الحسن على أبي العبّــاس ، ومعــه أخــوه الحسن بن الحسن بن الحسن ، فأكرمه أبو العباس ، وبرّه ، وآثره ووصله الصلات الكثيرة ، ثم بلغه عن محمد بن عبد الله أمـر كرهـه فذكـر ذلك لعبـد الله بن الحسن ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ما عليك من محمد شيء تكرهه ، وقال لـه الحسن بن الحسن أخو عبـد الله بن الحسن : يا أميـر المؤمنين ! أتتكلّم بلسان الثقة والقرابة أم على جهة الرهبة للملك ،والهيبة للخـلافة ؟ فقـال : بـل بلسان القـرابة . فقـال : أرأيت ، يا أميـر المؤمنين ، إن كان الله قضى لمحمد أن يلي هذا الأمـر ، ثم أجلبت ، وأهلُ السمٰـوات والأرض معك ، أكنت دافعاً عنه ؟ قـال : لا ! قال : فـإن كان لم يقض ذلـك لمحمد ، ثم أجلبَ محمد ، وأهل السمٰـوات والأرض معه ، أيضـرك محمد ؟ قـال : لا والله ! ولا القول إلاّ ما قلت . قال : فلمَ تنغص هذا الشيخ نعمتك عليـه ، ومعروفك عنده ؟ قال : لا تسمعني ذاكراً له بعد اليوم .

وبلغ أبا العباس أن محمد بن عبد الله قد تحرّك بالمدينة ، فكتب إلى عبد الله بـن الحسن في ذلك وكتب في الكتاب :

أُريـد حباءَهُ[2] ، ويـريـد قتلي عَـذيـرَك من خليلك من مُــرادِ

---

(١) الرمس : اللحد .

(٢) حباءه : عطاءه .

فكتب إليه عبد الله بن الحسن :

وكيف يريد ذاك ، وأنتَ منه بِمنزِلَةِ النّياطِ[1] من الفؤادِ
وكيف يريد ذاك ، وأنت منه وَزَنْدُكَ حين يُقْدَح من زِنادِ
وكيف يريد ذاك ، وأنت منه وأنت لهاشم رأسٌ وَهادِ

وطُفىء أمر محمّد في خلافة أبي العباس ، فلم يظهر منه شيء ، وكان متى بلغ أبا العباس عنه شيء ذكر ذلك لعبد الله ، فيقول : يا أمير المؤمنين ! إنّا نحميها بكلّ قذاة[2] يخلّ ناظرك منها ، فيقول : بك أثق ، وعلى الله أتوكّل .

وكان أبو العباس كريماً ، حليماً ، جواداً ، وصولاً لذوي أرحامه . حدّثني محمّد بن عليّ بن سليمان النوفليّ عن جدّه سليمان قال : دخلنا على أبي العبّاس جماعة من بني هاشم ، فأدنانا حتى أجلسنا معه ، ثم قال : يا بني هاشم ! احمدوا الله إذ جعلني فيكم ، ولم يجعلني بخيلاً ، ولا حسوداً .

واستأذن أبو مسلم في القدوم ، فأذن له ، فقدم من خراسان في سنة ١٣٦ ، فلمّا حضر وقت الحجّ استأذنه ، فأذن له ، وحجّ معه أبو جعفر المنصور ، فلمّا خرجا اشتدّت بأبي العبّاس العلّة ، فقيل له : صيّر ولاية عهدك إلى أبي جعفر ، فمات في علّته بعد نفوذه إلى الحجّ .

وكان الغالب عليه أبو الجهم بن عطيّة الباهليّ ، وكان له سمّار وجلساء منهم : أبو بكر الهذلي ، وخالد بن صفوان ، وعبد الله بن شبرمة ، وجبلة بن عبد الرحمٰن الكنديّ ، وكان على شرطته عبد الجبّار بن عبد الرحمٰن الأزديّ ، وعلى حرسه أبو بكر بن أسد بن عبدالله الخزاعي ،

---

(١) النياط : عروق غليظة متصلة بالقلب فإذا قطعت مات صاحبه .
(٢) القذاة : كل ما يدمع العين من قش وشبهه .

وحاجبه أبو غسّان مولاه ، وكان قاضيه عبد الرحمٰن بن أبي ليلى ، وابن شبرمة .

ولمّا اشتدّت علّته قدم عليه وفدان أحدهما من السند والآخر من أفريقية ، فلمّا بلغه قدومهما قال : أنا ميّت بعد ثلاث . قال عيسى[1] بن عليّ فقلت : بل يطيل الله بقاءَك ! فقال : حدّثني أخي إبراهيم عن أبي وأبيه عن أبي هاشم عبد الله بن محمّد بن عليّ بن أبي طالب عن أبيه عن جدّه أنّه يقدم عليّ في مدينتي هذه في يوم واحد وافدان : أحدهما وافد السند ، والآخر وافد أهل أفريقية ، فلا يمضي بعد ذلك ثلاثة أيام حتى أُغيّب في لحدي ، ويورث الأمر بعدي . ثم نهض وقال : لا ترِم[2] مكانك حتى أخرج إليك .

قال : فلم أزل بمكاني حتى سلّم المؤذنون في وقت صلاة العصر بالخلافة ، فخرج إليّ رسوله يأمرني بالصلاة بالناس ، فدخلت ، فلم يخرج إلى أن سلّم المؤذّنون لوقت صلاة العشاء ، فخرج إليّ رسوله يأمرني بالصلاة بالناس ، ففعلت ذلك ، ثم أتيت مكاني إلى إدراك الليل ، فلما فرغت من قُنُوتي[3] خرج إليّ ، ومعه كتاب معنون : من عبد الله ووليّه إلى آل رسول الله والأولياء وجميع المسلمين ، ثم قال : يا عمّ ! إذا خرجت نفسي فَسَجّني ، بثوبي ، واكتمْ موتي حتى يقرأ هذا الكتاب على الناس ، فإذا قرىء فخذ بيعة المسمّى فيه ، فإذا بايع الناس فخذ في أمري وجهّزني ، وصلّ عليّ ، وادفنّي . فقلت : يا أمير المؤمنين ! فهل وجدت

---

(١) عيسى بن علي : من علماء العباسيين ، ينسب إليه «نهر عيسى» و «قصر عيسى» و «قطيعة عيسى» ببغداد . وُلد في المدينة وسكن بغداد حتى توفي سنة ١٦٤ هـ . قال الرشيد : كان عيسى بن علي راهبنا وعالمنا .

[الزركلي : الأعلام ٥ : ١٠٥]

(٢) لا ترِم : لا تغادر .

(٣) القنوت : العبادة . يُقال «قنت الله وقنت لله وله : ذلّ » .

علّة ؟ فقال : وأيّة علّة أقوى من الخبر الصحيح عن رسول الله ؟ والله ما كُذبتُ ، ولا كَذبتُ ، ولا كُذبتَ ، خذ هذا الكتاب ، وامض راشداً .

واعتلّ من ليلته ، وتوفي يوم الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة سنة ١٣٦ ، وهو ابن ستّ وثلاثين سنة ، وقيل : لم يبلغ تلك السنّ ، وذلك أنّه ولد في سنة ١٠٥ في أيام يزيد بن عبد الملك بن مروان ، وصلّى عليه إسماعيل بن عليّ ، وقيل عيسى بن عليّ ، ودفن في الأنبار في قصره ، وكانت ولايته أربع سنين وتسعة أشهر ، وخلف ابناً لم يكن بلغ ، وابنته ريطة امرأة المهديّ التي حرمت على جميع خلفاء بني هاشم ، إلّا زوجها .

وأقام الحجّ للناس في أيّامه سنة ١٣٢ داوُد بن عليّ ؛ سنة ١٣٣ زياد بن عبيد الله الحارثي ، سنة ١٣٤ عيسى بن موسى ؛ سنة ١٣٥ سليمان بن عليّ .

وغزا بالناس في أيامه ؛ سنة ١٣٣ أقبل طاغية الروم ، وهو قسطنطين ، حتى أناخ على ملطية[1] ، فحصرها ، فصولح عنها ، وزحف إليه موسى[2] بن كعب التميميّ ، فلم يكن بينهما لقاء . وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن عليّ يعلمه أن العدوّ قد كلب بالغفلة عنه ، وأمره أن ينفذ بالجيوش التي معه ، فيبثّ جيوشه في نواحي الثغور ، وزحف حتى قطع

---

(١) ملطية : بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام .

[ياقوت]

(٢) موسى بن كعب : كنيته أبو عيينة ، والٍ ، وأحد الرجال الذين رفعوا عماد الدولة العباسية وهدموا أركان الأموية . جعله محمد بن علي في جملة النقباء الاثني عشر في عهد بني أمية ، فأقام يبث الدعوة لبني العباس . قبض عليه أسد بن عبد الله وألجمه بلجام فتكسرت أسنانه . فكان يقول : كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز ، ولما جاء الخبز ذهبت الأسنان . توفي في بغداد سنة ١٤١ هـ .

[الكامل لابن الأثير]

الدرب ، ولم يـزل يعبّي حتى أتاه خبر وفاة أبي العبّاس ، فانصرف .

وكـان الفقهاء في أيـامه يحيىٰ بن سعيـد الأنصاريّ ، ابن أبي طـوالة الأنصاري ، موسى بن عقبة ، عبد الرحمٰن بن حرملة الأسلميّ ، أبـا حمزة الثماليّ ، زيد بن أسلم ، أبـا خازم القـاضي ، هشام بن عـروة بن الزبيـر ، محمـد بن . . .[1] بن علقمـة ، مـوسى بن عبيـدة الـرّبـذيّ ، ابن أبي صعصعة ، ربيعة الرأي ، عبد الله بن عمـر بن حفص بن عاصم بن عمـر بن الخـطّاب ، محمـد بن إسحـاق بن يـسـار ، عبـد الله بـن طـاووس ، صـدقـة . . .[2] يسـار ، حميـد بن قيس الأعـرج ، عبـد الله بن عثمـان بن خثيم ، عثمـان بن الأسود ، عبـد الملك بن جريـج ، عبد الملك بن عميـر الليثيّ ، أبا سار النسـائي ، مجالـد بن سعيد الأجلح بن عبـد الله الكندي ، منصور بن المعتمر السلميّ ، مطرّف بن طريف الحارثيّ ، جابـر[3] بن يزيـد الجعفي ، الحسن بن عمر الفقيميّ ، محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى ، الحسن بن عمـارة ، مِسْعَر بن كِـدام ، عبـد الجبّـار بن عبّـاس الهمـدانيّ ، زفر بن الهذيل ، إسحاق بن سُويد العـذريّ ، أبا بكـر بن نسر بن حـرب ، يـونس بن عبيـد ، أبـا المعتمـر سليمـان التيميّ ، عمـرو بن عبيـد ، حميـد الطويل مولى خزاعة ، عبد الـرحمٰن بن عمرو الأوزاعي ، سـالم الأفطس ، عبد الكريم الحنفيّ .

أيام أبي جعفر المنصور[4]

هو عبد الله بن محمد بن عليّ ، وأمّه سـلامة البـربريّـة ، وبويـع في اليوم الذي توفي فيه أبـو العباس ، وهـو يوم الأحـد لاثنتي عشرة ليلة خلت

(١ ، ٢) بياض في الأصل .

(٣) تقدّمت ترجمته .

(٤) أبـو جعفر المنصـور : هو أول من عني بـالعلوم من ملوك العرب ، كـان عارفـاً بالفقـه والأدب ، مقـدماً في الفلسفـة والفلك ، محباً للعلمـاء . وهو بـاني مدينـة بغـداد التي جعلها دار ملكه . وفي أيامه شرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس ، وعمل أول =

من ذي الحجّة ، ومن شهور العجم في حزيران ، سنة ١٣٦ .

وكانت الشمس يومئذ في السرطان درجة وعشر دقائق ، والقمر في الجوزاء سبع درجات وخمساً وأربعين دقيقة ، وزحل في الجدي ستّ عشرة درجة وخمسين دقيقة راجعاً ، والمشتري في الحمل سبعاً وعشرين درجة ، والمرّيخ في العقرب تسع عشرة درجة وأربعين دقيقة ، والزهرة في الثور خمس عشرة درجة وخمسين دقيقة ، وعطارد في السرطان إحدى عشرة درجة ، والرأس في السرطان درجة وخمسين دقيقة .

وكان أبو جعفر حاجّاً فأخذ له عيسى[١] بن عليّ البيعة على من حضر من الهاشميّين والقوّاد بالأنبار، ووافاه الخبر بذلك في طريق مكّة، بعد وفاة أبي العبّاس بخمسة عشر يوماً ، فبايع أبو مسلم ومن حضر من الهاشميّين والقوّاد ، وكان الذي وافاه الخبر محمد بن الحصين العبديّ ، فقال : أيّ موضع هذا ؟ قالوا : موضع يقال له زكيّة . قال : أمر يزكى إن شاء الله ! وبويع بالصّفيّة[٢] ، فقال : أمر يصفو لنا أعداد السنين ، وحُثّوا النّجاء[٣] .

وكان أبو العبّاس قبل وفاته قد كتب إلى عبد الله بن عليّ في غزو الصائفة ، وأمره بقطع الدرب ، فلمّا توفي أبو العباس كره عيسى بن عليّ ومن حضر من الأبناء أن يكتبوا إلى عبد الله بن عليّ ، فكتبوا إلى صالح بن عليّ وهو بمصر يعرفونه الحادثة في أبي العباس ، وما كان عهد به أبو العباس لأبي جعفر ، ومبايعتهم له ، واجتماعهم عليه ، وأمره أن يبايع ،

= اسطرلاب في الإسلام ، وكان بعيداً عن اللهو والعبث ، كثير الجد والتفكير ، وله تواقيع غاية في البلاغة . توفي ببئر ميمون (من أرض مكة) محرماً بالحج سنة ١٥٨ هـ . ودفن في الحجون بمكة .

[الطبري ٩ : ٢٩٢ وما بعدها]

(١) تقدّمت ترجمته .

(٢) الصفية : موضع فيه ماء لبني أسد عند هضبة يُقال لها هضبة صفية .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) النجاء : الخلاص .

ويصير إلى الشأم ، فيأخذ البيعة على عبد الله .

وبلغ عبد الله الخبر ، وقيل : بعث عيسى بن عليّ ببيعة المنصور مع أبي غسّان يزيد بن زياد ، حاجب أبي العباس ، فلحقه وقد كان قطع الدرب إلى بلاد الروم ، فرجع حتى صار إلى دُلوك[1] من أرض جند قنّسرين ، فأحضر حميد بن قحطبة الطائي وجماعة من القوّاد الذين كانوا معه ، فقال : ما تشهدون أن أمير المؤمنين أبا العباس قال : من خرج إلى مروان فهو ولي عهدي ، فشهدوا له بذلك ، وبايعوا ، وبايع أكثر أهل الشأم له ، وكتب إلى عيسى بن عليّ وغيره يعلمهم مبايعة من قِبله من القوّاد وأهل الشأم له بصحّة عهد أبي العباس إليه ، وتوجّه يريد العراق ، فلمّا صار إلى حرّان[2] وافى موسى بن كعب عاملاً بها ، فعرّفه شهادة من أشهد الله أن أبا العباس جعله وليّ عهده ، فلمّا تحصّن بها حاصره أربعين يوماً ، ثم أعطاه الأمان على أن يخرج عنها ويخلّي بينه وبينها ، وتوجّه يريد العراق .

فقدم أبو جعفر غرّ المحرّم ، فنزل الحيرة ، وصلّى بالنّاس الجمعة ، ثم شخص إلى الأنبار ، إلى مدينة أبي العبّاس ، فضمّ إليه أطرافه وخزائن أبي العباس ، وبلغه أمر عبد الله بن عليّ وتوجّهه إلى العراق ، فقال لأبي مسلم : ليس لعبد الله بن عليّ غيري ، أو غيرك . فكره أبو مسلم ذلك . وقال : يا أمير المؤمنين ! إن أمر عبد الله بالشأم أقلّ وأذلّ ، وأمر خراسان أمر يجلّ خطبه . ثم انصرف أبو مسلم إلى منزله . وقال لكاتبه : ما أنا وهذان الرجلان . ثم قال : ما الرأي إلاّ أن أمضي إلى خراسان ، وأخلي

---

(١) دلوك : بلدة من نواحي حلب بالعواصم .

[ياقوت]

(٢) حران : بلدة على طريق الموصل والشام ، وقيل سميت بِهاران أخي إبراهيم لأنه أول من بناها فعرّبت إلى حران ، وذكر أنها أول مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان .

[المصدر السابق]

بين هذين الكبشين ، فأيّهما غلب وكتب إلينا كتبنا إليه : سمعنا وأطعنا . فرأى أنّا قد أنعمنا وعملنا له عملاً . فقال له كاتبه : أعيذك بالله من أن تمكّن أهل خراسان من الطعن عليك ، وأن يروا أنّك نقضت أمراً بعد تأكيده . فقال : ويحك ! إنّي نظرت فيمن قتلتُ بالسيف صبراً سوى من قُتل في المعارك ، فوجدتهم مائة ألف من الناس ، فلا قليل من الله .

فلم يزل به كاتبه حتى أجاب أبا جعفر إلى الخروج ، وعسكر في خلق عظيم ، ثم سار حتى صار إلى الجزيرة ، فواقع عبدالله بن عليّ عدّة وقائع ، وكان حميد بن قحطبة الغالب على أمر عبد الله بن عليّ ، ثم بلغه أن عبد الله يريد قتله ، فاحتال حتى صار إلى أبي مسلم ، فعظم ذلك على عبد الله بن عليّ ، وخاف أن يفعل بنظرائه من قوّاد خراسان الذين معه مثل ذلك .

قال السنديّ بن شاهك : سمعت عبد الصمد بن عليّ يقول : إنّي عند عبد الله بن عليّ إذ دخل حاجبه ، وكان عبد الصمد مع عبد الله بن عليّ ، فقال : رسول أبي مجرم[1] بالباب . فقال : إيذن له ! فدخل رجل كريه الوجه ، قبيح المنظر ، كثير الشعر ، طويل اللسان ، عظيم الحُقّ[2] ، كثير حشو الخفتان[3] ، فسلّم سلاماً عامّاً ، ثم قال : إن الأمير أبا مسلم يقول : علام تقاتلني ، وأنت تعلم أنّه لا يقاتلك .

وواقع أبو مسلم عبد الله بن عليّ بنصيبين ، وفرّق جمعه ، فهرب عبدالله ، وأمر أبو مسلم ألّا يعترضه أحد ، فصار إلى البصرة إلى أخيه سليمان[4] بن عليّ ، وكان عامل البصرة ، فلم يزل مختفياً عنده .

---

(١) أبو مجرم : كنية أبي مسلم الخراساني .
(٢) الحُقّ : رأس العضد .
(٣) الخفتان : ضرب من الثياب .
(٤) سليمان بن علي : من الأجواد الممدوحين . توفي في البصرة سنة ١٤٢ هـ .

وبعث أبو جعفر برسل يحصون ما حصل في يد أبي مسلم من الخزائن والأموال ، منهم : إسحاق بن مسلم العقيليّ ، ويقطين بن موسى ، ومحمّد بن عمرو النصيبي التغلبيّ ، فغضب أبو مسلم ، وقال : أؤتمن على الدماء ، ولا أؤتمن على الأموال ؟ وشتم يقطين بن موسى ، فقال يقطين لمّا رأى ما داخَلَه عليه : امرأتي طالق ثلاثاً إن كان أمير المؤمنين وجّهني إليك إلّا مهنّئاً بالفتح ، فاستخفّ بإسحاق بن مسلم ، ومحمد بن عمرو ، وشتمهما ، وتناول أبا جعفر بلسانه ، حتى ذكر أمّه ، وقال : ويلي على ابن سلامة ! فانصرف القوم إلى أبي جعفر ، فأخبروه الخبر ، فزاد ذلك فيما في قلبه عليه ، وولّى هشام[1] بن عمرو العقيليّ مكان أبي مسلم ، فانصرف أبو مسلم ، وأقبل يريد خراسان مغاضباً لأبي جعفر ، فمرّ بالمدائن ، وأبو جعفر نازل برومية ، وبينه وبينه فرسخان ، فلم يلقه ، ونفذ لوجهه حتى جاز حلوان ، فأتبعه أبو جعفر بعيسى بن موسى ، وجرير بن عبد الله البجليّ ، ونفر معهما من الشيعة ، فلحقوه ، فعظموا عليه الخطب ، وقالوا له : إن الأمر لم يبلغ حيث تظنّ ، فشاور مالك[2] بن الهيثم ، وكان خليفته ، وقال : ما ترى ؟ قال : أرى أن تصير إلى خراسان ، فتستعتب الرجل منها ، وتكتب إليه منها سمعك وطاعتك ، فإذا فعلت ذلك لم يلحقك لوم ، وإلا فهو آخر عهدك بالدنْيا إن وقعت عينه عليك . فما زال رسل أبي جعفر حتى فتلوه عن رأيه ، وأقبل نحو العراق ، فلمّا جاز عقبة حلوان قال لمالك بن الهيثم : ما الرأي ؟ قال : الرأي تركته وراء العقبة ، فقال : إنّي والله لا أُقتل إلّا بأرض الروم .

---

(١) هشام بن عمرو : عرفه ابن حزم بصاحب «السند» توفي في بغداد بعد سنة ١٥٧ هـ .
[الزركلي : الأعلام ٨ : ٨٧]

(٢) مالك بن الهيثم : من نقباء بني العباس ، خرج على بني أمية مع جماعة من أصحابه ودعوا لبيعة بني العباس ، وظهر أمرهم ، فقبض عليهم أمير خراسان . توفي بعد مقتل أبي مسلم بعد سنة ١٣٧ هـ .

[النجوم الزاهرة ١ : ٣٤٤]

وقدم على أبي جعفر وهو نازل برومية في المضارب ، فقال له : كدت أن تنفذ قبل أن أفضي إليك بما أحتاج إليه . فمكث يختلف إليه أيّاماً ، ثم أتاه يوماً ، وقد هيّأ له أبو جعفر عثمان بن نهيك ، وكان على حرسه ، في عدّة ، وهم : شبيب بن واج ، وأبو حنيفة ، وتقدّم إلى عثمان ، فقال : إذا علا صوتي وصفّقت بيديّ فاقتلوا العبد .

ودخل أبو مسلم ، فأُجلِس في الحجرة ، وقيل له : أمير المؤمنين على شغل . فجلس مليّاً ، ثم أُذن له ، وقيل له : إنزع سيفك ! فقال : ولِمَ ؟ قيل : وما عليك ؟ فلم يزالوا به حتى نزع سيفه، ثم دخل وليس في البيت إلاّ وسادة ، فجلس عليها ، ثم قال : يا أمير المؤمنين فُعل بي ما لم يُفعل بأحد ، أُخذ سيفي عن عاتقي . قال : ومَن فعل بك هذا ، قبحه الله ؟ فأقبل أبو مسلم يتكلّم، فقال له : يابن اللخناء ! إنّك لمستعظم غير العظيم ، ألست الكاتب إليّ تبدأ باسمك على اسمي ؟ ألست الذي كتبت إليّ تخطب عمّتي آمنة بنت عليّ ، وتزعم أنّك من ولد سليط بن عبدالله ؟! ألست الفاعل كذا والفاعل كذا ؟ وجعل يعدّ عليه أموراً ، فلما رأى أبو مسلم ما قد دخله قال : يا أمير المؤمنين إن قدري أصغر من أن يدخلك كلّ ما أرى . فعلا صوت أبي جعفر ، وصفق بيديه ، فخرج القوم فضربوه بأسيافهم ، فصاح : أوْه ، ألا مغيث ، ألا ناصر ! وهم يضربونه حتى قتلوه ، فلمّا قُتل قال أبو جعفر :

اشرَبْ بكأسٍ كنتَ تسقي بها | أمَرّ في فيكَ من العَلْقَمِ
كُنتَ حبستَ الدَّين لا يُقْتَضَى | كَذَبتَ واللّهِ أبا مُجْرِمِ

وكفن في مسح[1] ، وصُيّر في جانب المضرب ، وقيل لأصحابه : اجتمعوا ، فإن أمير المؤمنين قد أمر أن ينثر عليكم الدراهم ، ونُثرت عليهم

---

(١) المسح : الثوب الخلق .

بدرة[1] دراهم ، فلمّا أكبّوا يلتقطونها طرح عليهم رأس أبي مسلم ، فلمّا نظروا إليه أسقط ما في أيديهم ، وعرتهم ضعضعة ، وكان ذلك في شعبان سنة ١٣٧ .

وخرج قوم من أصحاب أبي مسلم إلى خراسان فصاروا إلى سُنْباذ ، وسُنباذ بنيسابور ، فلمّا بلغه قتل أبي مسلم أظهر المعصية ، وخرج يطلب بدمه حتى اضطرب خراسان ، فوجّه أبو جعفر جهور بن مرّار ، فلقي سنباذ ، فواقعه ، فقتله ، وفرّق جمعه .

وبلغ أبا جعفر مكان عبد الله بن عليّ عند سليمان بن عليّ ، وهو إذ ذاك عامل البصرة ، فوجّه إلى سليمان ، فأنكر أن يكون عنده ، ثم طلب الأمان ، فكتبه له أبو جعفر على نسخة وضعها ابن المقفّع[2] بأغلظ العهود والمواثيق ألّا يناله بمكروه ، وألّا يحتال عليه في ذلك بحيلة ، وكان في الأمان : فإن أنا فعلت ، أو دسست ، فالمسلمون براء من بيعتي ، وفي حلّ من الأيمان والعهود التي أخذتها عليهم . فلمّا وقف أبو جعفر على هذا قال : مَن كتبه ؟ قيل : ابن المقفّع ، فكان ذلك سبباً لميتة ابن المقفّع .

وقدم سليمان بن عليّ من البصرة حتى أخذ الأمان ، وشخص من البصرة ، ومعه عيسى بن عليّ ، فظهر بهما عبد الله بن عليّ ، فقدما به على أبي جعفر يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجّة سنة ١٣٧ ، وهو بالحيرة ، فأقام في منزل عيسى بن عليّ ، وحبسه عند عيسى بن موسى ، وهو وليّ عهد ، ثم سأله عنه ، فأخبره أنّه قد توفي ،

---

(١) البدرة : كيس فيه دراهم .

(٢) ابن المقفّع : هو عبد الله بن المقفّع ، من أئمة الكتّاب ، وأول من عني في الإسلام بترجمة كتب المنطق . أصله فارسي ، وقد وُلد في العراق مجوسياً مزدكياً وأسلم على يد عيسى بن علي وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي . اتهم بالزندقة ، فقتله في البصرة أميرها سفيان بن معاوية المهلبي سنة ١٤٢ هـ .

[أمالي المرتضى ١ : ٩٤]

فوجّه إلى عيسى بن عليّ وإسماعيل وعبد الصمد ابني عليّ فأحضرهم وجماعة من بني هاشم، وقال لهم: إنّي كنت دفعت عبد الله بن علي إلى عيسى بن موسى، وأمرته أن يحتفظ به، وأن يكرمه ويبرّه، وقد سألته عنه، فذكر أنّه قد مات، فأنكرت تستير خبر موته عنّي وعنكم. فقال القوم: يا أمير المؤمنين! إن عيسى قتله، ولو كان عبد الله مات حتف أنفه[1] ما ترك أن يعلمك ويعلمنا موته. فجمع بينه وبينهم، فطالبوه بدمه، وقال له: إيت على ما ذكرت من عبد الله ببيّنة عادلة، وإلاّ أقدتك[2] منه. وأحضر الناس لذلك، فلمّا رأى عيسى تحقيق الأمر عليه قال: أُؤخّر إلى العشيّ، فأُخّر، فحضر بالعشيّ، وحضر عبد الله بن عليّ معه، وقال: إنّما أردت بما قلت الراحة من حراسته مخافة أن يناله شيء فيقال لي مثل هذا، وقد سلمته صحيحاً سويّاً. فقال أبو جعفر: بل أردت أن تعرف ما عندنا، فإذا احتملناك فعلت ذلك، فأمر أبو جعفر، فبني له بيت في الدار، وقال: يكون نَصْبَ عيني، ثم أجرى في أساس ذلك البيت الماء، فسقط عليه، فمات.

وأراد أبو جعفر أن يزيد في المسجد الحرام، وشكا الناس ضيقه، وكتب إلى زياد بن عبيد الله الحارثيّ أن يشتري المنازل التي تلي المسجد حتى يزيد فيه ضعفه، فامتنع الناس من البيع، فذكر ذلك لجعفر بن محمد، فقال: سلهم! أهم نزلوا على البيت أم البيت نزل عليهم؟ فكتب بذلك إلى زياد فقال لهم زياد بن عبيد الله ذلك، فقالوا: نزلنا عليه! فقال جعفر بن محمد: فإن للبيت فناءه. فكتب أبو جعفر إلى زياد بهدم المنازل التي تليه، فهدمت المنازل وأُدخلت عامّة دار الندوة فيه، حتى زاد فيه ضعفه، وكانت الزيادة مما يلي دار الندوة وناحية باب بني جُمَح، ولم

---

(١) مات حتف أنفه: مات من غير قتل ولا ضرب بل على فراشه.

(٢) أي جعلته يقتصّ منك.

يكن مما يلي الصفا[1] والوادي ، فكان البيت في جانبه ، وكان ابتداء الأمر به في سنة ١٣٨ ، وفرغ سنة ١٤٠ .

وبنى مسجد الخيف بمنى وصيّره على ما هو عليه من السعة ، ولم يكن بها قبل ذلك . وحجّ أبو جعفر سنة ١٤٠ لينظر ما زيد في المسجد الحرام ، وقد كان بلغه أن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن تحرّك ، فلمّا قدم المدينة طلبه ، فلم يظفر به ، فأخذ عبد الله بن حسن بن حسن وجماعة من أهل بيته ، فأوثقهم في الحديد ، وحملهم على الإبل بغير وطاء[2]، وقال لعبدالله : دلّني على ابنك، وإلاّ والله قتلتك. فقال عبدالله : والله لامتحنت بأشدّ مما امتحن الله به خليله إبراهيم ، وإنّ بليّتي لأعظم من بليّته لأن الله عزّ وجلّ أمره أن يذبح ابنه ، وكان ذلك لله عزّ وجلّ طاعة . فقال : إن هذا لهو البلاء العظيم ، وأنت تريد منّي أن أدلّك على ابني لتقتله ، وقتله لله سخط .

وقال أبو جعفر : يا بن اللخناء ! فقال : وإنّك لتقول هذا ؟ ليت شعري أيّ الفواطم لخّنت[3] يابن سلامة ؟ أفاطمة بنت الحسين أم فاطمة بنت رسول الله أم جدّتي فاطمة بنت أسد بن هاشم جدّة أبي أم فاطمة ابنة عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم جدّة جدّتي ؟ قال : ولا واحدة من هؤلاء ، وحمله .

وانصرف أبو جعفر على طريق الشأم فأتى بيت المقدس ثم صار إلى الجزيرة ، فنزل خارج الرقّة ، وقد كان منصور بن جعونة الكلابيّ وثب بها ، فأُسر ، فأحضره فضرب عنقه ، ثم صار إلى الحيرة ، فحبس عبد الله بن حسن بن حسن وأهل بيته ، فلم يزالوا في الحبس حتى ماتوا ، وقد قيل : إنّهم وجدوا مسمّرين في الحيطان .

---

(١) الصفا : جبل بمكة .

(٢) الوطاء : ما يجعل على ظهر البعير حين ركوبه .

(٣) لخنت : أفحشت وزنت .

وحـدّثني أبـو عمـرو عبـد الـرحمٰن بن السكن عن رجـل مـن آل عبـدالله أن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن كتب إلى أبيه ، لمّا بلغه شدّة ما يلقى من الحبس ، يستأذنه أن يـظهر حتى يضـع يده في أيـديهم ، فـأرسـل إليـه عبـد الله : إن ظهـورك يـا بنيّ يقتلك ، ولا يحييني ، فـأقم بمكانك حتى يرتاح الله بفرج .

وأخـذ أبو جعفـر في بنـاء الـرافقـة[1] ، وكـان ابتداؤهـا فـي أيـام أبي العباس ، وقال : أمّـا أنا فلست أنـزلها ! فقيـل له : وكيف ذلـك ، يا أميـر المؤمنين ؟ فقال : كان أبي صار إلى هشام ، وهو بالرصافة ، فجفاه ، وناله منه ما يكره ، ثم انصرف ، وأنا وأخي معه ، فلمّـا صار إلى هـذا الموضـع قـال لي ولأخي : أما أنّـه سيبني أحدكمـا في هذا المـوضع مـدينة . فقلت لـه : ثم ماذا ؟ فقـال : لا ينزلهـا ، لكـن ينـزلهـا ابنـه ، وأنـا أعلم أنّي لا أنزلها ، ولكن ينزلها ابني محمد ، يعني المهديّ[2] .

وولّى أبو جعفر عبـد الجبّـار[3] بن عبـد الـرحمٰن الأزدي خـراسـان ، فـاستخلف على الشرطـة أخـاه عمـر بن عبـد الـرحمٰن ، وقتـل المغيـرة بن سليمان ، ومجاشع بن حريث ، وقصد لشيعة بني هـاشم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة، وجعل يتبعهم ويمثّل بهم، فكتب إليه أبو جعفر يحلف له ليقتلنّـه، فخُلع سنة ١٤١ ، فوجّه إليه أبو جعفر بـالمهديّ فصـار المهديّ إلى الـريّ، واستعمل على خراسان أسيد بن عبد الله الخزاعيّ ، ووجّـه معه بـالجيوش ،

---

(١) الرافقة : بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفاف الفرات .

[ياقوت: معجم البلدان]

(٢) أنظر «أيامه» بعد قليل .

(٣) عبد الجبار بن عبد الرّحمٰن : أمير ، من الشجعان الأشداء الجبّارين ، في صدر العهد العباسي . ولاه المنصور خراسان فقتل كثيراً من أهلها بتهمة الدعاء لـولد علي بن أبي طالب ، ثم خلع طاعة المنصور ، فوجّه جنده لقتاله ، فأسـروه وحملوه إليه ، فقـطعت يداه ورجلاه وضرب عنقه بالكوفة سنة ١٤٢ هـ .

[ابن الأثير ٥ : ١٨٦ ـ ١٨٨]

فلقي عبد الجبّار بمرو ، فهزم عسكره ، وهرب عبد الجبّار ، فاتبعه فأسره ، وبعث به إلى أبي جعفر فوافاه وهو بقصر ابن هبيرة من بغداد على مرحلة ، فقال له عبد الجبّار لمّا وافاه : يا أمير المؤمنين ، قتلة كريمة ! فقال : تركتها وراءك ، يا بن اللخناء ، وقدّمه فضرب عنقه ، وصلبه ، فأقام على الخشبة أياماً ، ثم جاء أخوه عبيد الله بن عبد الرحمٰن ليلاً ، فأنزله ودفنه ، فبلغ أبا جعفر ذلك ، فقال : دعوه إلى النار .

وولّى أبو جعفر أرمينية يزيد بن أسيد السلميّ ، وولّى آذربيجان يزيد ابن حاتم المهلّبي ، فنقل اليمانية من البصرة إليها ، وكان أول من نقلهم ، وأنزل الرّواد بن المثنّى الأزديّ تِبْريز إلى البَذّ وأنزل مرّ بن عليّ الطائيّ نَريز . . .[1] الهمدانيّ الميانِج ، وفرّق قبائل اليمن ، فلم يكن بآذربيجان من نزار أحد إلاّ الصّفر بن اللّيث العتبيّ وابن عمّه البَعِيث بن حَلْبَس .

وتحرّكت الخزر بناحية أرمينية ووثبوا بيزيد بن أسيد السلميّ ، فكتب إلى أبي جعفر يعلمه أن رأس طرخان ملك الخزر قد أقبل إليه في خلق عظيم ، وأن خليفته قد انهزم . فوجّه إليه أبو جعفر جبريل بن يحيىٰ البجليّ في عشرين ألفاً من أهل الشأم وأهل الجزيرة وأهل الموصل ، فواقع الخزر ، فقُتل خلق من المسلمين ، وانهزم جبريل ويزيد بن أسيد حتى أتيا خِرس[2] ، فلمّا انتهى الخبر إلى أبي جعفر بما نال ، وظهور الخزر ودخولهم بلاد الإسلام ، أخرج سبعة آلاف من أهل السجون ، وبعث فجمع من كلّ بلد خلقاً عظيماً ، ووجّه بهم وبفعلة وبنّائين ، فبنى مدينة كَمْخ[3] ومدينة المحمّديّة ومدينة باب واق وعدّة مدن جعلها ردأً

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) خِرس : حصن بأرمينية على البحر . [ياقوت]

(٣) كمخ : مدينة بالروم . ويُقال لها «كماخ» . [ياقوت]

للمسلمين ، وأنزلها المقاتلة ، فردّوا الحرب ، فحاربهم قومهم ، وقوي المسلمون بتلك المدن ، وأقام بالبلد ساكناً .

ثم تحرّكت الصّناريّة بأرمينية ، فوجّه أبو جعفر الحسن بن قحطبة عاملاً على أرمينية ، فحاربهم ، فلم يكن له بهم قوّة ، فكتب إلى أبي جعفر بخبرهم وكثرتهم ، فوجّه إليه عامر بن إسماعيل الحارثيّ في عشرين ألفاً ، فلقي الصّناريّة ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، وأقام أياماً يحاربهم ، ثم رزقهم الله الظفر عليهم ، فقتل منهم في يوم واحد ستّة عشر ألف إنسان ، ثم انصرف إلى تفليس ، فقتل من كان معه من الأسرى ، ووجّه في طلب الصناريّة حيث كانوا ، ثم ولّى أبو جعفر أرمينية واضحاً مولاه ، فلم يزل عليها وعلى آذربيجان خلافة أبي جعفر كلها .

ووثب أهل طبرستان وأظهروا الخلع والمعصية ، وزحفوا في جيوش عظيمة ، فوجّه إليهم المهديّ خازم بن خزيمة التميميّ وروح بن حاتم المهلّبيّ ، فهزموا جيوشهم ، وفتحت طبرستان سنة ١٤٢ .

وخرج أبو جعفر في هذه السنة إلى البصرة يريد الحجّ ، فلمّا صار بالجسر الكبير أتاه الخبر بأن أهل اليمن قد أظهروا المعصية ، وأن عبد الله بن الربيع عامل اليمن قد هرب ممن وثب عليه وضعف عنهم ، وأن عيينة بن موسى بن كعب التميميّ عامل السند قد عصى وأظهر الخلع ، فوجّه بمعن[1] بن زائدة الشيبانيّ إلى اليمن ، وعمر بن حفص بن عثمان بن أبي صفرة إلى السند ، وانصرف أبو جعفر من البصرة ولم يحجّ .

وقدم معن بن زائدة اليمن فقتل من بها قتلاً فاحشاً ، وأقام بها تسع

---

(١) معن بن زائدة : من أشهر أجواد العرب . أدرك العصرين الأموي والعباسي . أكرمه المنصور وجعله في خواصه وولاه اليمن . ابتنى داراً في سجستان فدخل عليه ناس في زي الفعلة وقتلوه سنة ١٥١ هـ .

[وفيات الأعيان ٢ : ١٠٨]

سنين ، وكان موسى بن كعب التميميّ لمّا انصرف عن بلاد السند خلّف ابنه عيينة بن موسى ، فخالف عليه قوم ممن كان معه من ربيعة واليمن ، فقتل عامّتهم ، وأظهروا المعصية ، فوجّه أبو جعفر عمر بن حفص هزارمرد إلى السند ، فلم يُسْلِمْ عُيينة ،ومنعه من الدخول ، فأقام بالديبل[1] ، وكان معه عقبة بن مسلم ، وحاربه عمر بن حفص ، وكان أصحاب عيينة يستأمنون إلى عمر ، فطلب عيينة الصلح ، فصالحه ، وأخرجه مع رسله ، وبعث به إلى المنصور .

وأقام عمر بن حفص بالمنصورة ، ومضى عيينة مع رسله حتى إذا كان في بعض الطريق هرب من الرسل ، ومضى يريد سجستان حتى دنا من الرُّخَّج[2] ، فضربه قوم من اليمانية فقتلوه ، وذهبوا برأسه إلى المنصور .

وأقام عمر بن حفص بالسند سنتين ، ثم عزله أبو جعفر وولّى هشام بن عمرو التغلبيّ ، فصار إلى المنصورة ، فأقام بها ، ووجّه إلى ناحية الهند بجيش ، فغنموا وأصابوا رقيقاً . وقيل لهشام : إن المنصورة لا تحملك ، والملتان بلاد واسعة ، ومنها مُعرىً ، فسار إليها فاستخلف على المنصورة أخاه بسطام بن عمرو ، فلمّا قرب من الملتان خرج صاحبها إليه في خلق ليردّه ، والتقيا ، فكانت بينهما وقعة عظيمة ، ثم انهزم صاحب الملتان ، وظفر هشام ونزل المدينة ، وسبى سبياً كثيراً ، ثم عمل السفن وحملها على نهر السند حتى القندهار[3] ففتحها ، وسبى ، وهدم البدّ وبنى موضعه مسجداً ، ثم قدم إلى المنصور بما لم يقدم به أحد من السند ،

---

(١) الديبل : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند .
[ياقوت]

(٢) الرخج : كورة ومدينة من نواحي كابل .
[المصدر السابق]

(٣) قندهار : من بلاد السند أو الهند مشهورة في الفتح .
[المصدر السابق]

فلم يقم بالعراق إلاّ قليلاً حتى مات ، فولّى المنصور معبد بن الخليل التميميّ ، فكان محموداً في البلد .

وصار أبو جعفر إلى بغداد سنة ١٤٤ ، فقال : ما رأيت موضعاً أصلح لبناء مدينة من هذا الموضع بين دجلة والفرات وشريعة البصرة والأُبلّة[١] وفارس وما والاها والموصل والجزيرة والشأم ومصر والمغرب ومدرجة الجبل وخراسان ، فاختطّ مدينته المعروفة بمدينة أبي جعفر[٢] في الجانب الغربي من دجلة ، وجعل لها أربعة أبواب ، باباً سمّاه باب خراسان شرع على دجلة ، وباباً سمّاه باب البصرة شرع على الصّراة التي تأخذ من الفرات وتصل إلى دجلة ، وباباً سمّاه باب الكوفة ، وباباً سمّاه باب الشأم ، وعلى كلّ باب من هذه الأبواب مجالس وقباب مذهبة يُصعد إليها على الخيل ، وجعل عرض السور من سفل سبعين ذراعاً ، وضرب على سائر بغداد سوراً ، وجدّ في البناء ، وأحضر المهندسين والبنّائين والفعلة من كلّ بلد ، وأقطع مواليه وقوّاده القطائع داخل المدينة ، فدروب المدينة تنسب إليهم ، وأخذهم بالبناء ، وأقطع آخرين على أبواب المدينة ، وأقطع الجند أرباض[٣] المدينة ، وأقطع أهل بيته الأطراف ، وأقطع ابنه المهديّ[٤] وجماعة من أهل بيته ومواليه وقوّاده .

وشخص المهديّ من خراسان منصرفاً إلى العراق في هذه السنة ، وهي سنة ١٤٤ ، فخرج أبو جعفر لاستقباله بنهاوند ، وقدم فصار إلى الكوفة ، فنزل الحيرة والمدينة التي بناها المنصور ، وسمّاها الهاشميّة ، فأقام المهديّ أياماً ، ثم ابتنى بريطة[٥] بنت أبي العبّاس بالحيرة .

---

(١) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة .

[ياقوت]

(٢) وقد عرفت بالمدينة الهاشمية .

(٣) الأرباض : ما حول المدينة من بيوت ومساكن .

(٤) أنظره فيما بعد .

(٥) هي التي حرمت على جميع خلفاء بني هاشم ، إلاّ زوجها .

وبلغ المنصور أن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن قد تحرّك بالمدينة ، فكاتبه أهل البلدان ، فخرج حاجّاً ، ولم يدخل المدينة في منصرفه ، وصار إلى الرّبذة[1] ، فأتى بجماعة من العلويّين ، ومعهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو أخو عبد الله بن حسن لأمّه ، فسألهم عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ، فقالوا : ما نعلم له موضعاً ، ولا نعرف له خبراً . فقال لمحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، أقطعتك ووصلتك وفعلت وفعلت ، ولم أواخذك بذنوب أهل بيتك ، ثم تستميل عليّ عدوّي ، وتطوي أمره عنّي ؟ ثم أمر به ، فضُرب ضرباً شديداً ، وطيف به بالربذة على حمار ، وأشخص القوم جميعاً على أقتاب بغير وطاء .

وانصرف أبو جعفر من حجّه، فصار إلى بغداد، ونزل مدينته المعروفة بباب الذهب سنة ١٤٥ ، وكانت الأسواق داخل المدينة ، فأخرجها إلى الكرخ[2] ، ولم يقرّ أبو جعفر إلاّ أيّاماً حتى أتاه الخبر بخروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن وظهور أمره ، فرجع إلى الكوفة ، فأقام بقصر ابن هبيرة بين الكوفة وبغداد أياماً ، وولّى رياح بن عثمان بن حيّان المرّيّ المدينة ، وقال : ما وجدت لهم غيرك ، ولا أعلم لهم سواك ، فلمّا قدم رياح المدينة قام على المنبر ، فخطب خطبة له مشهورة يقول فيها : يا أهل المدينة ! أنا الأفعى ابن الأفعى ابن عثمان بن حيّان وابن عمّ مسلم بن عقبة المبيد خضراكم ، المفني رجالكم ، والله لأدعها بلقعاً[3] لا ينبح فيها كلب .

---

(١) الربذة : من قرى المدينة على طريق الحجاز .

[ياقوت]

(٢) الكرخ : والمعني هنا كرخ بغداد ، والكرخ هو موضع البقر والغنم على ماء .

[المصدر السابق]

(٣) بلقع : جرداء .

فوثب عليه قوم منهم ، وكلّموه وقالوا : والله يابن المجلود حدّين لتكفّنّ أو لنكفّنّك عن أنفسنا ! فكتب إلى أبي جعفر يخبره بسوء طاعة أهل المدينة ، فأرسل أبو جعفر إلى رياح رسولاً ، وكتب معه كتاباً إلى أهل المدينة يأمره أن يقرأه عليهم ، وكان في الكتاب : أمّا بعد يا أهل المدينة ، فإنّ واليكم كتب إليّ يذكر غشّكم وخلافكم وسوء رأيكم واستمالتكم على بيعة أمير المؤمنين ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن لم تنزعوا ليبدلنّكم بعد أمنكم خوفاً ، وليقطعنّ البرّ والبحر عنكم ، وليبعثنّ عليكم رجالاً غلاظ الأكباد ، بعاد الأرحام ، سو[1] قعر بيوتكم يفعلون ما يؤمرون ، والسلام .

فصعد رياح المنبر ، وقرأ الكتاب ، فلمّا بلغ : يذكر غشّكم ، صاحوا من كلّ جانب: كذبت يابن المجلود حدّين ، ورموه بالحصى ، وبادر المقصورة ، فأغلقها ، فدخل دار مروان ، ودخل عليه أيّوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد المخزوميّ فقال : أصلح الله الأمير ! إنّما يصنع هذا رعاع الناس[2] ، فاقْطع أيديهم ، واجلد ظهورهم . فقال له بعض من حضر من بني هاشم : لا نرى هذا ، ولكن أرسلْ إلى وجوه الناس وغيرهم من أهل المدينة ، فاقرأ عليهم كتاب المنصور . فجمعهم وقرأ عليهم كتاب المنصور ، فوثب حفص بن عمر بن عبدالله بن عوف الزهريّ وأبو عبيدة بن عبد الرحمٰن بن الأزهر هذا من ناحية وهذا من ناحية، فقالا لرياح : كذبت والله ! ما أمرتنا فعصيناك ، ولا دعوتنا فخالفناك ! ثم قالا للرسول : أتبلغ أمير المؤمنين عنّا؟ قال: ما جئت إلاّ لذلك . قالا : فقل له : أمّا قولك إنّك تبدّل المدينة وأهلها بالأمن خوفاً ، فإن الله عزّ وجلّ وعدنا غير هذا . قال الله عزّ وجلّ[3] : **﴿وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمناً يعبُدونني لا يُشركون بي شيئاً﴾** ؛ فنحن نعبدُه لا نشرك به شيئاً .

---

(١) هكذا في الأصل دون نقط .

(٢) الرعاع : السوقة من الناس .

(٣) سورة النور؛ الآية : ٥٥ .

وظهر محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بالمدينة . مستهلّ رجب سنة ١٤٥ ، فاجتمع معه خلق عظيم ، وأتته كتب أهل البلدان ووفودهم ، فأخذ رياح بن عثمان المرّيّ عامل أبي جعفر ، فأوثقه بالحديد ، وحبسه ، وتوجّه إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن إلى البصرة ، وقد اجتمع جماعة ، فأقام مستتراً ، وهو يكاتب الناس ويدعوهم إلى طاعته ؛ فلمّا بلغ أبا جعفر أراد الخروج إلى المدينة ، ثم خاف أن يدع العراق مع ما بلغه من أمر إبراهيم ، فوجّه عيسى[1] بن موسى الهاشمي ومعه حميد بن قحطبة الطائي في جيش عظيم ، فصار إلى المدينة ، وخرج محمد إليه في أصحابه ، فقاتلهم في شهر رمضان ، ومضى أصحابه إلى الحبس فقتل رياح بن عثمان .

وكانت أسماء ابنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بالمدينة ، وكانت معادية لمحمد بن عبد الله ، فوجهت بخمار[2] أسود قد جعلته على قصبة مع مولى لها حتى نصبه على مئذنة المسجد ، ووجّهت بمولى لها يقال له مجيب العامريّ إلى عسكر محمد ، فصاح : الهزيمة الهزيمة ! قد دخل المسوّدة المدينة ، فلمّا رأى الناس العلم الأسود ، وانهزموا ، وأقام محمد يقاتل حتى قُتل .

فلما قُتل محمد بن عبد الله بن حسن وجّه عيسى بن موسى كثير ابن الحصين العبديّ إلى المدينة ، فدخلها ، فتتبّع أصحاب محمد ، فقتلهم وانصرف إلى العراق .

وكان إبراهيم بن عبد الله قصد إلى الكوفة ، وهو لا يشكّ أن أهل

---

(١) عيسى بن موسىٰ : من الولاة القادة ، وهو ابن أخي السفاح . كان يُقال له «شيخ الدولة» . وكان من فحول أهله وذوي النجدة والرأي منهم . له شعر جيد . أقام بالكوفة إلى أن توفي سنة ١٦٧ هـ .

[الكامل لابن الأثير ٦ : ٢٥]

(٢) الخمار : ما تغطي به المرأة رأسها . أو هو الستر عموماً .

الكوفة يثبون معه بأبي جعفر ، فلمّا صار بالكوفة لم يجد ناصراً ، وبلغ أبا جعفر خبره ، فوضع الأرصاد والحرس بكلّ موضع ، فرام الخروج فلم يقدر ، فعلم أنّه قد أخطأ ، فأعمل الحيلة . وكان مع إبراهيم رجل يقال له سفيان بن يزيد العمّيّ ، فصار إلى أبي جعفر فقال له : يا أمير المؤمنين ! تؤمنني وأدلّك على إبراهيم بعد أن أدفعه إليك ؟ فقال : أنت آمن ، وأين هو ؟ قال : بالبصرة ، فوجّهْ معي برجل تثق به ، واحملني على دوابّ البريد ، واكتبْ إلى عامل البصرة حتى أدلّه عليه فيقبض عليه . فوجّه معه بأبي سويد صاحب طاقات أبي سويد ببغداد ، في باب الشأم ، فخرج ومعه غلام عليه جبّة صوف ، وعلى عنقه سفرة فيها طعام ، حتى ركب البريد معه أبو سويد وذلك الغلام، فلمّا صار إلى البصرة قال سفيان لأبي سويد انتظرني حتى أعرف خبر الرجل ! ومضى فلم يعد ، وكان الغلام الذي عليه الجبّة الصوف إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن ، فلمّا أبطأ صار أبو سويد إلى سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلّب ، وكان عامل الناحية ، فقال له : أين الرجل ؟ قال : لا أدري ، فكتب إلى أبي جعفر ، فعلم أنّه إبراهيم ، وأنها حيلة .

وخرج إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب بالبصرة ، وقد بايع أهلها ، وكان خروجه في أول شهر رمضان ، فقصد دار الإمارة ، والأمير سفيان بن معاوية المهلّبيّ ، فتحصّن منه في القصر ، ثم طلب الأمان ، فآمنه إبراهيم ، فخرج سفيان بن معاوية وأسلم البلد ، فقبض إبراهيم على بيت المال وغيره .

وكان في البلد جعفر ومحمد ابنا سليمان بن عليّ فخرجا إلى ميسان[1] ، فأقاما هناك متحصّنين في خندق ، ووجّه إبراهيم بن عبد الله

---

(١) ميسان : اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط ، وفيها قبر «عزيز» النبي عليه السلام يقوم بخدمته اليهود وتأتيه النذور .

[ياقوت : معجم البلدان]

إلى الأهواز المغيرة بن الفزع السعدي ، فأخرج محمد بن الحصين عاملها ، وغلب على البلد ، ووجّه يعقوب[1] بن الفضل بن عبد الرحمٰن بن عباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب إلى فارس ، فدخلها ، وأخرج عنها إسماعيل بن عليّ ، ووجّه هارون بن سعد العجليّ إلى واسط واستولى على ما حولها ، ووجه برد بن لبيد اليشكريّ إلى كسكر[2] ، فغلب عليها .

وخرج إبراهيم من البصرة واستخلف نميلة بن مرة الأسعدي ، وكان قد أحصى ديوانه ، فكانوا ستّين ألفاً ، فخرج من البصرة في أول ذي القعدة ، فأخذ على كسكر يقصد المنصور ، وكان أبو جعفر قد كتب إلى عيسى بن موسى يأمره بسرعة القدوم ، فلمّا وصله قال له : يا أبا موسى : أنت أولى بالفتح من جعفر بن محمد ابني سليمان ، فانفذ ليكمل الله الظفر على يديك . فخرج في ثمانية عشر ألفاً من الجند وشيعة أبي جعفر ، وكتب إلى جعفر ومحمد ابني سليمان بن عليّ أن يصيرا معه .

وزحف إبراهيم حتى صار إلى قرية يقال لها باخمرا[3]، وصار عيسى بن موسى إلى قرية يقال لها سحا[4]، وقدم حميد بن قحطبة الطائيّ للقتال ، والتحمت الحرب ، وكانت أشد حرب ، والدائرة على عيسى بن موسى حتى شكّ الناس في علوّ إبراهيم وظفره ، ثم إن سلم بن قتيبة الباهليّ خرج على أصحاب إبراهيم من ناحية بخيل ، فتوهّموا كميناً ،

---

(١) يعقوب بن الفضل : شريف هاشمي ، اتهمه المهدي العباسي بالزندقة وحبسه ببغداد ، فلما مات المهدي قتله الهادي سنة ١٦٩ هـ .

[الكامل لابن الأثير ٦ : ٢٩ ـ ٣٠]

(٢) كسكر : كورة واسعة يُنسب إليها الفراريج الكسكرية .

(٣) باخمرا : موضع بين الكوفة وواسط وهو إلى الكوفة أقرب .

[ياقوت]

(٤) هكذا بدون نقط في الأصل .

فانهزموا ، وبقي إبراهيم في أربعمائة من الزيديّة[1] يحارب أشدّ محاربة ،وكان إبراهيم يدعو إلى أخيه محمد ، فلمّا قُتل محمد دعا إلى نفسه .

وحدّثني رجل من القحطانيّة قال : أخبرني . . . . .[2] قال : رأيت إبراهيم في اليوم الذي واقعه عيسى على بغلة دهماء ، وسديف بن ميمون آخذ بَثَفر[3] بغلته ، وهو يقول :

خُذْهَا أبا إسْحاقَ مُلّيتَها   في سيرَةٍ تُرْضى وعُمرٍ طويلِ

وظهر إبراهيم ظهوراً شديداً حتى هزم العسكر مرّة بعد أُخرى ، وزحف حتى قرب من الكوفة ، وحتى دعا أبو جعفر بنجائبه ليصير إلى بغداد ، وكان العلوّ في إبراهيم حتى إنّه لم يشكّ أنّه يدخل الكوفة .

وكان أبو جعفر لا ينام في تلك الليالي ، وحُمل إليه امرأتان ، فاطمة بنت محمد الطلحيّة ، وأمّ الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أسيد ، فوجّه بهما إلى بغداد ، ولم يكشف لهما كشفاً .

ولمّا أن هُزم أصحاب إبراهيم قام يحارب أشد حرب في أربعمائة من أصحابه إلى أن قُتل وأُخذ رأسه ، فوُجّه به إلى أبي جعفر وهو بالكوفة ، فوضع بين يديه ، وأذن للناس فجعلوا يدخلون ، فينالون من إبراهيم وأخيه وأهله ، حتى دخل جعفر بن حنظلة البهرانيّ ، فقال : أعظم الله أجرك ، يا أمير المؤمنين ، في ابن عمّك ، وغفر له ما فرّط فيه من حقك ! فسرّ بذلك أبو جعفر، وقال: أبا خالد، مرحباً وأهلاً، ها هنا، فعلم الناس أنّه قد سرّته مقالته، فقالوا مثل قوله .

---

(١) الزيدية : طائفة من أهل الشيعة اتخذت زيداً بن علي إماماً لها ، وأكثرهم يقيمون في اليمن .

[الموسوعة العربية]

(٢) بياض في الأصل .

(٣) الثغر : سير من الجلد في مؤخر السرج .

وأتاه الحسن[1] بن زيد ، فعرض عليه الرأس ، فلمّا رآه استنقع لونه وتغيّر وجهه ، فقال : والله ، يا أمير المؤمنين ، لقد قتلته صوّاماً قوّاماً ، وما كنت أحبّ أن تبوء بإثمه . فقال له رجل من أهله : كأنّك تزري على أمير المؤمنين في قتله ؟ فقال : كأنّك أردت منّي أن أكذب عليه وقد صار إلى الله ؟ فقال أبو جعفر : والله ما كنت أنتظر إلا أن يدخل صاحبك من ذلك الباب ، فأدعو بك ، فأضرب عنقك وأخرج من الباب الآخر . فقال له : أو كنت أسبقك إلى ذلك .

وانصرف أبو جعفر بعد قتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بثلاثة أشهر ، فنزل مدينة بغداد نزول مستوطن في شهر ربيع الأول سنة ١٤٦ ، وكان ذلك من شهور العجم في تموز ، وأشخص المهديّ إلى خراسن عاملاً عليها ، ومعه وجوه الجند والصحابة ، فاحتمع قوّاد خراسان إلى أبي جعفر ، وذكروا له فعال المهديّ في نبل أخلاقه ، ومدحوه ، وسألوه أن يصيّر إليه تولية العهد من بعده ، فكتب إلى عيسى بن موسى ، وهو بالكوفة ، يعلمه ما قد وقع بقلوب أهل خراسان وغيرهم من هذا الأمر ، وكان عيسى بن موسى يقول : إن له ولاية العهد بعد أبي جعفر ، فلمّا ورد عليه كتاب أبي جعفر بما اجتمع عليه القواد وأهل خراسان من تصيير ولاية العهد من بعده للمهديّ ، وأشار عليه بأن يسبق إلى ذلك ، كتب إليه عيسى يعظّم عليه هذا الأمر ، ويذكر له ما في نكث العهود ونقض الأيْمان ، وأنّه لا يأمن أن يفعل الناس هذا في بيعته وبيعة ابنه ، وجرت بينهما مراسلات .

وقدم عيسى بغداد ، فوثب به الجند يوماً بعد يوم ، وصاروا إلى بابه

---

(١) الحسن بن زيد : والد السيّدة نفيسة ، كان من الأشراف النابهين ، وهو شيخ بني هاشم في زمانه . حبسه المنصور ببغداد خوفاً منه ، وأخرجه المهدي واستبقاه معه . توفي في الحاجر في طريقه إلى الحج مع المهدي سنة ١٦٨ هـ .
[الزركلي : الأعلام ٢ : ١٩١]

حتى خاف على نفسه ، فلمّا رأى ذلك رضي وسلم ، فبايع المنصور بولاية العهد لابنه المهديّ سنة ١٤٧ ، ولم يبق أحد إلّا دخل في البيعة ، وجعل لعيسى ولاية العهد بعد المهديّ ، والمهديّ يومئذ بخراسان ، وأتته كتب أبيه بالبيعة له ، فبايع من معه من القوّاد وأهل خراسان جميعاً خلا باذَغيس[1] ، فإنّه خالف بها استاذسيس ، فادّعى النبوّة ، وصحبه على ذلك خلق كثير ، فوجّه إليه المهديّ خازم بن خُزيمة التميميّ ، فحاربه ، ففضّ جموعه ، فأسره وحمله إلى أبي جعفر إلى بغداد ، فقتله . وفي هذه السنة كان انقضاض الكواكب .

وفاة أبي عبد الله جعفر[2] بن محمد وآدابه

وتوفي أبو عبد الله جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أُمّه أُم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر ، بالمدينة سنة ١٤٨ ، وله ستّ وستّون سنة ، وكان أفضل الناس وأعلمهم بدين الله ، وكان من أهل العلم الذين سمعوا منه ، إذا رووا عنه قالوا : أخبرنا العالم .

قال سفيان : سمعت جعفراً يقول : الوقوف عند كلّ شبهة خير من الاقتحام في الهلكة ، وترك حديث لم نَرْوِهِ أفضل من روايتك حديثاً لم تُحْصِه . إن على كلّ حقّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً ، فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالفه فدعوه .

وقال جعفر : ثلاثة يجب لهم الرحمة : غنيّ افتقر ، وعزيزُ قوم ذَلّ

---

(١) باذغيس : ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) جعفر بن محمد : هو جعفر الصادق ، أبو عبد الله الهاشمي القرشي ، سادس الأئمّة الاثني عشر عند الإمامية . أخذ عنه الإمامة أبو حنيفة ومالك ، ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط . توفي بالمدينة .

[وفيات الأعيان ١ : ١٠٥]

وعالم تلاعب به الجهّال .

وقال : من أخرجه الله من ذلّ المعاصي إلى عزّ التقوى أغناه الله بغير مال ، وأعزّه الله بغير عشيرة ، ومن خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كلّ شيء ، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي منه باليسير من العمل ، ومن لم يستح من طلب الحلال خفّت مؤونته ونعم أهله ، ومن زهد في الدنْيا أثبت الله الحكمة في قلبه ، فأطلق لسانه من أمور الدنيا دائها ودوائها ، وأخرجه منها سالماً .

وروي أنّه قال ، لمّا نزلت على رسول الله : **﴿لا تمُدّنّ عينيك إلى ما متّعنا به أزواجاً منهم﴾** ، الآية[1] ، قال : ومن لم يتعزّ بعزاء رسول الله تقطّعت نفسه على الدنيا حسرات ، ومن اتبع طرفه ما في أيدي الناس طال همّه ولم يشف غيظه ، ومن لم يرَ لله نعمةً إلاّ في كلّ مأكل ومشرب ، فقد قصر عمره ، ودنا عذابه .

وقال : ما أنعم الله على عبد نعمةً فعرفها بقلبه ، وشكرها بلسانه ، إلاّ ما أعطى خير مما أخذ .

وقال : إنّ مما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى : يا موسى ! لا تنسني على حال ، ولا تفرح بكثرة المال ، فإن نسياني يميت القلب ، وعند كثرة المال تكثر الذنوب . يا موسى ! كلّ زمان يأتي بالشدّة بعد الشدّة ، وبالرخاء بعد الرخاء ، والملك بعد الملك ، وملكي قائم لا يزول ، ولا يخفى عليّ شيء في الأرض ولا في السماء ، وكيف يخفى عليّ ما كان ابتداؤه منّي ، وكيف لا تكون همّتك فيما عندي ، وأنت ترجع لا محالة إليّ ؟ .

وقال : خلّتان مَنْ لزمهما دخل الجنّة ، فقيل : وما هما ؟ قال : احتمال ما تكره ، إذا أحبّه الله ، وترك ما تحبّ ، إذا كرهه الله . فقيل له :

---

(١) تمام الآية : **﴿. . . .منهم زهرة الحياة الدنيا﴾** .

[سورة طه؛ الآية: ١٣١]

من يطيق ذلك ؟ فقال : من هرب من النار إلى الجنّة .

وقال: فعل المعروف يمنع ميتة السوء، والصدقة تطفىء غضبَ الربّ، وصلة الرحم تزيد في العمر وتنفي الفقر ، وقول لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنّة .

وقال: ما توسّل إليّ أحد بوسيلة ولا تذرّع بذريعة هي أحبّ إليّ ولا أقرب منّي من يد أسلفته إيّاها أتبع بها أختها لأحسن ربّها وحفظها ، إذا كان منع الأواخر يقطع لسان شكر الأوائل ، وما سمحت نفسي بردّ بكر من الحوائج .

وقال : أوحى الله إلى موسى بن عمران : أدخل يدك في فم التنّين إلى المرفق ، فهو خير لك من مسألة[1] من لم يكن للمسألة بمكان .

وقال : لا تخالطنّ من الناس خمسة : الأحمق ، فإنّه يريد أن ينفعك فيضرّك ؛ والكذّاب ، فإن كلامه كالسراب يقرب منك البعيد ويباعد منك القريب ؛ والفاسق ، فإنّه يبيعك بأكله أو شربه ؛ والبخيل ، فإنّه يخذلك أحوج ما تكون إليه ؛ والجبان ، فإنّه يسلّمك ويتسلّم الدية[2] .

وقال : المؤمنون يألفون ويؤلفون ويُغشى[3] رحلهم .

وقال : من غضب عليك ثلاث مرات ، فلم يقل فيك سوءاً ، فاتخذه لك خلاً ، ومن أراد أن تصفو له مودّة أخيه ، فلا يمارينّه[4] ولا يمازجنّه ولا يعده ميعاداً فيخلفه .

وكان لجعفر بن محمد من الولد إسماعيل ، وعبد الله ، ومحمد ،

---

(١) المسألة : السؤال والطلب .

(٢) الدية : ما يعطى من المال بدل نفس القتيل .

(٣) يُغشى : يؤتى .

(٤) أي لا يجامله ولا يوافق مزاجه .

وموسى ، وعليّ ، والعباس .

قال إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عباس : دخلت على أبي جعفر المنصور يوماً ، وقد اخضلّت[1] لحيته بالدموع ، فقال لي : ما علمت ما نزل بأهلك ؟ فقلت : وما ذلك ، يا أمير المؤمنين ؟ قال : فإن سيّدهم وعالمهم وبقيّة الأخيار منهم توفي . فقلت : ومن هو ، يا أمير المؤمنين ؟ قال : جعفر بن محمد . فقلت : أعظم الله أجر أمير المؤمنين ، وأطال لنا بقاءَه ! فقال لي : ان جعفراً كان ممّن قال الله فيه : ﴿**ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا**﴾ ، وكان ممن اصطفى الله ، وكان من السابقين بالخيرات .

وكان إسماعيل بن عليّ من خيار بني هاشم وأفاضلهم ، ولّاه أبو جعفر المنصور فارس ، وقد خرج مهلهل[2] الحروريّ بها ، فلقيه في جمع ، فقتله ، وهزم عسكره ، وأسر من أصحابه أربعمائة ، وكان عبد الصمد أخوه معه ، فقال : أصلح الله الأمير ، إضربْ أعناقهم ! فقال له إسماعيل بن عليّ : إنّ أوّل من علّم قتال أهل القبلة عليّ بن أبي طالب ، ولم يكن يقتل أسيراً ، ولا يتبع منهزماً ، ولا يجهز على جريح .

وكان صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس يتولى لأبي جعفر قنّسرين والعواصم ، فبلغه كثرة عدده ومواليه ، فخافه ، فكتب إليه في القدوم عليه ؛ فكتب : إنّه شديد العلّة ، فلم يقبل ذلك ، وكان قد سُلَّ فصار إلى بغداد ، فلمّا رآه أبو جعفر صرفه ، ولم يأمر له بصلة ولا برّ ، فقال : إن أمير المؤمنين يئس منّي ، ففعل هذا بي ، والله يحيي العظام وهي رميم . فلمّا صار إلى عانات من كور الفرات مات ، وكان نظير أبي جعفر في السنّ .

وولّى أبو جعفر أهل بيته البلدان ، فولّى إسماعيل بن عليّ فارس ،

---

(١) اخضلّت : ابتلّت .

(٢) الحروري : نسبة إلى حروراء وهي قرية بظاهر الكوفة نزل بها الخوارج فنسبوا إليها .

وسليمان بن عليّ البصرة ، وعيسى بن موسى الكوفة ، وصالح بن عليّ قنّسرين والعواصم ، والعبّاس بن محمد الجزيرة ، وعبد الله بن صالح حمص ، والفضل بن صالح دمشق ، ومحمّد بن إبراهيم الأردنّ ، وعبد الوهاب بن إبراهيم فلسطين ، والسريّ بن عبد الله بن تمّام بن العباس بن عبد المطلب مكّة ، وجعفر بن سليمان المدينة ، ويحيىٰ بن محمد الموصل ، ثم صرفه وولّى ابنه جعفراً ، وصيّر معه هشام بن عمرو .

وكان عمّاله من العرب يزيد[1] بن حاتم المهلّبيّ ، ومحمد بن الأشعث الخزاعيّ ، وزياد بن عبيد الله الحارثي ، ومعن بن زائدة الشيبانيّ ، وخازم بن خزيمة التميميّ ، وعقبة بن سلم الهُنائيّ ، ويزيد بن أسيد السلميّ ، وروح بن حاتم المهلّبيّ ، والمسيّب بن زهير الضبيّ ، وعمر بن حفص المهلّبيّ ، والحسن بن قحطبة الطائي ، وسلم بن قتيبة الباهليّ ، وجعفر بن حنظلة البهرانيّ ، والربيع بن زياد الحارثيّ ، وهشام بن عمرو التغلبيّ ، فكان ينقّل هؤلاء في أعماله لثقته بهم واعتماده عليهم ، وكان عمّاله من مواليه : عمارة بن حمزة ، ومرزوقاً أبا الخصيب ، وواضحاً ، ومنارة ، والعلاء، ورزيناً ، وغزوان ، وعطيّة ، وصاعداً ، ومريداً ، وأسداً ، والربيع .

وكتب المنصور إلى معن بن زائدة الشيبانيّ ، وهو على اليمن ، سنة ١٥١ أن يقدم ، فاستخلف ابنه زائدة على اليمن ، وقدم على أبي جعفر ، وكان معن قد أسنّ ، فقال له أبو جعفر : كبرت سنك يا مَعن !

---

(١) يزيد بن حاتم : كنيته أبو خالد ، وهو أمير من القادة الشجعان . ولي الديار المصرية للمنصور ، فمكث سبع سنين وصرفه المنصور ثم ولّاه أفريقية ، فتوجّه إليها وقاتل الخوارج والبربر . كان شديد الشبه بجده «المهلّب» في الدهاء والشجاعة . وهو الذي يقول فيه ربيعة الرقي :

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ... يزيد سليم ، والأغر ابن حاتم .

توفي بالقيروان سنة ١٧٠ هـ .

قال : في طاعتك ، يا أمير المؤمنين ! قال : وإنّك لتتجلّد . قال : على أعدائك . قال : وإنّ فيك لبقيّة . قال : هي لك ! فأنفذه إلى خراسان والمهديّ بها ، فانصرف المهديّ ، وأقام معن لقتال من هناك من الخوارج ، حتى قتل منهم خلقاً عظيماً وأفناهم . فلمّا رأوا أنّهم لا قوّة لهم بمحاربته استعملوا الحيلة ، وكان يبني داراً له بِبُسْت[1] ، فدخل بعضهم في هيئة البنّائين ، ثمّ صيّروا السيوف في طِنان القصب . فأقاموا أيّاماً ، فلمّا توسّطوا الدار أخرجوا السيوف ثم حملوا عليه ، وهو في رداء ، فقتلوه ، فتجرّد يزيد[2] بن مزيد ابن أخيه ، فقتل من الخوارج خلقاً عظيماً ، حتى جرت دماؤهم كالنهر ، ثم شخص إلى بغداد واتبعه الشراة[3] ، وكان يركب في موكب ضخم من موالي عمّه وعشيرته ، فلم يظفروا له بغرّة ، حتى صار على الجسر ببغداد ، فشدّوا عليه ، فترجّل ، فقتل منهم خلقاً عظيماً ، وضربوه ضربات بالسيوف ، وكانت وقعة جليلة ، وقتل من الخوارج قتالاً عظيماً ، وأمن الناس ، فلا يعلم أن الخوارج دخلت قطّ بغداد ظاهراً ، فقتلت أحداً ، إلاّ ذلك اليوم .

وأقام زائدة بن معن بن زائدة خليفة أبيه باليمن حتى قُتل أبوه ، واستعمل المنصور مكانه الحجّاج بن منصور ، ثم صرفه ، فاستعمل مكانه يزيد بن منصور .

وخالف أهل اليمامة والبحرين سنة ١٥٢ ، وقتلوا أبا الساج، عامل أبي جعفر عليهم، فوجّه عليهم عقبة بن سلم الهُنائيّ، فقتل من بها من ربيعة

---

(١) بُست : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة .

[ياقوت].

(٢) يزيد بن مزيد : كان والياً بأرمينية وآذربيجان ، انتدبه هارون الرشيد لقتال الوليد بن طريف الشيباني عظيم الخوارج في عهده. أخبار شجاعته وكرمه كثيرة . توفي ببردعة سنة ١٨٥ هـ .

[وفيات الأعيان ٢ :٢٨٣]

(٣) الشراة : فرقة من الخوارج .

مجازاة لما فعل معن باليمن ، وقال : لو كـان معن على فرس جـواد ، وأنا على حمار أعرج ، لسبقته إلى النار ، وسبى العرب والموالي .

وقدم على عقبة رسول ببشارة من عند المنصور ، فقـال له عقبـة : ما عندي مال فأعطيك إلاّ أنّني أعطيك ما قيمته خمسمائـة ألف درهم . قال : وما ذاك ؟ قال : أدفـع إليك خمسين رجـلاً من ربيعة ، فتنـطلق بهم ، فإذا صرفت إلى البصرة أظهرت أنّك تـريد ضـرب أعناقهم وصلبهم على أبـواب أعداء أمير المؤمنين ، فإنّك لا تشيـر إلى أحد إلا افتـدى منك بعشـرة آلاف درهم . قال : قد رضيت ، فـدفعهم إليه ، فقـدم بهم البصرة ، ووقف بهم في المَرْبَد[1] ، وأظهر أنـه يريـد ضرب أعناقهم وصلبهم ، فـاجتمع النـاس حتى كادت تكون فتنة ، وسوّار[2] بـن عبد الله قاضي البصرة يومئذ ، فأرسل إلى الرسول ،فأحضره ، ثمّ وجّـه فحبس القوم ، وقـال : تمسّكْ عنهم حتى آمرك ، وكتب إلى المنصور بخبرهم وعظم عليه الخطب منهم ، وكتب إليـه أنّه قد عفا عنهم وجزاه الخير .

وقُتـل الياس بن حبيب الفهـريّ عامـل أفريقيـة، فولى أبـو جعفر حبيب بن عبد الرحمٰن بن حبيب ابن أخي الياس، فأقام بها مدّة، وتوثب رجل يقال له عـاصم بن جميل الإبـاضيّ ، فقتله ، وكثرت الإبـاضيّة[3] بأفريقيـة ، وولّت عليهم أبـا الخـطّاب عبـد الأعـلى بن السمـح المعـافـريّ ، فـاستفحـل أمـره، وغلب على البلد، فولى أبو جعفر محمّد بن الأشعث الخـزاعيّ، فقدم طـرابلس،

---

(١) المربد : سوق في البصرة .

(٢) سـوار بن عبـد الله : أبـو عبـد الله العنبـري ، قـاضٍ ولـه شعـر رقيق ، وعلم بـالفقـه والحديث . سكن بغداد ، وولي بها قضاء الـرصافـة ، وكف بصره في أواخـر أيامـه . توفي ببغداد سنة ٢٤٥ هـ .

[تاريخ بغداد ٩: ٢١٠]

(٣) الإباضية : فـرقة من الخـوارج في أفريقيـا الشماليـة ، هـم أصحاب عبـد الله بن إباض المري .

وزحف إليه أبو الخطّاب من القيروان[1] ، فحاربه ، فقتله محمّد بن الأشعث ، ووجّه برأسه إلى أبي جعفر .

وصار محمد بن الأشعث إلى القيروان ، فلم يقم إلّا يسيراً حتى خرج عليه هاشم بن اشتاخنج الخراسانيّ ، وضافره من بالبلد من الجند وأهل خراسان ، فأخرجوه عن البلد ، وولّوا عليهم رجلاً ، يقال له عيسى بن موسى الخراسانيّ ، وانصرف ابن الأشعث إلى العراق .

وكتب أبو جعفر إلى الأغلب بن سالم التميميّ بولاية البلد ، فوثب أهل أفريقية ، فنحّوا الأغلب بن سالم ، وولّوا الحسن بن حرب ، فلمّا بلغ أبا جعفر الخبر كره اضطراب البلد . وكتب إلى الحسن بن حرب بولاية البلد. فلمّا سكن البلد ولّى عمر بن حفص المهلّبيّ هزارمرد، فقدم البلد، فلم يقم إلّا يسيراً حتى وثب به يعقوب بن تميم الكنديّ ، المعروف بأبي حاتم ، ومعه أهل البلد ، فحاصره بالقيروان ، فلم يزل محاصراً حتى قُتل سنة ١٥٣ ، وغلب على البلد أبو حاتم يعقوب بن تميم الإباضيّ .

وولّى أبو جعفر يزيد[2] بن حاتم المهلّبيّ المغرب سنة ١٥٤ ، وخرج يشيّعه ، حتى أتى بيت المقدس ، فأمره بالنفوذ ، وانصرف أبو جعفر ، فاستنفر الشأمات والجزيرة ، وقدم يزيد بن حاتم مصر ، فأقام بها يسيراً ، ثم شخص إلى أفريقية ، فصار إلى طرابلس في خلق عظيم ، وزحف إليه أبو حاتم الإباضي ، فالتقيا بطرابلس ، فقاتله ، وقامت الحرب بينهما أيّاماً ، فقتل أبو حاتم وخلق عظيم من أصحابه .

وقدم يزيد بن حاتم القيروان سنة ١٥٥ ، ونادى في الناس جميعاً بالأمان ، ولم يزل مقيماً على البلد خلافة أبي جعفر وخلافة المهديّ

---

(١) القيروان : مدينة عظيمة بإفريقيا وقد مصّرت في الإسلام في أيام معاوية .
[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) تقدمت ترجمته .

وخلافة موسى وبعض خلافة الرشيد .

وتحرّك أهل الطالقان ، فوجّه إليهم عمر بن العلاء ، ففتح الطالقان ودنباوند وديلمان ، وسبى من الديلم سبايا كثيرة ، ثم صار طبرستان ، فلم يزل مقيماً بها خلافة المنصور .

ووجّه المنصور الليث ، مولى أمير المؤمنين ، إلى فرغانة[1] ، وملكها يومئذ فران بن افراكمون[2] ، ومنزله مدينة يقال لها كاشغر ، فحاربهم محاربة شديدة ، حتى طلب ملك فرغانة الصلح ، فصالحهم على مال كثير ، وأوفد ملك فرغانة رجلاً من أصحابه يقال له باتيجور ، فعرض عليه الإسلام ، فأبى ، فلم يزل محبوساً إلى أيام المهديّ ، وقال : لا أخون الملك الذي وجّهني .

وبنى أبو جعفر مدينة المَصّيصة[3] ، وكانت حصناً صغيراً ، قيل إن عبد الله بن عبد الملك بن مروان كان بناه ، وكانت الروم تطرقهم في كلّ وقت فتستبيح ذلك الموضع ، فبنى عليها السور ، وجعل عليها الخندق ، وأسكنها المقاتلة ، وحمل إليها أهل المحابس ، وكان الذي تولّى بناءها العباس بن محمد وصالح بن عليّ[4] .

وأخذ أبو جعفر أموال الناس ، حتى ما ترك عند أحد فضلاً ، وكان مبلغ ما أخذ لهم ثمانمائة ألف ألف درهم ، وكان يقول لأهل بيته : إنّي لأجهل موضعي ، حتى أحذر منكم ، لأنّه ما فيكم إلاّ عمّ وأخ وابن عمّ

---

(١) فرغانة : مدينة متاخمة لبلاد تركستان .

[ياقوت]

(٢) هكذا بدون نقط في الأصل .

(٣) المصيصة : مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشام بين إنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس .

[ياقوت]

(٤) تقدّمت ترجمته .

وابن أخ ، فأنا أراعيكم ببصري ، وأهتمّ بكم بنفسي ، فالله الله في أنفسكم فصونوا ، وفي أموالكم فاحتفظوا بها ، وإيّاكم والإسراف ، فيوشك أن تصيروا من ولد ولدي إلى من لا يعرف الرجل حتى يقول له : من أنْت ؟ .

وكان يقول : الملوك ثلاثة : فمعاوية وكفاه زياده ، وعبد الملك وكفاه حجّاجه ، وأنا ولا كافي لي .

وكان يقول : مَن قلّ ماله قلّ رجاله ، ومَن قلّ رجاله قوي عليه عدوه ، ومن قوي عليه عدوّه اتّضع ملكه ، ومن اتّضع ملكه استبيح حماه .

وقال يوماً لأصحابه : إن هذا الملك أفضى إليّ وأنا حنيك السنّ[1] قد حلبتُ هذا الدهر أشْطُرَه ، وزاحمت المشاة في الأسواق ، وشاهدتهم في المواسم ، وغازيتهم في المغازي ، فوالله ما أحب أن أزداد بهم خُبراً ، على أنّي أحبّ أن أعلم ما أحدثوا بعدي منذ تواريت عنهم بهذه الجدارات ، وتشاغلت عنهم بأمورهم ، مع أني والله ما لمت نفسي أن أكون قد أذكيت العيون عليهم ، حتى أتتني أخبارهم ، وهم في منازلهم .

وحدّثني بعض أشياخنا قال : إن أبا جعفر يوماً ليخطب ويذكر الله إذ قام إليه رجل فقال : أذكّرك من تذكّر ، يا أمير المؤمنين ، به . فقال : سمعاً ! سمعاً لمن قبل عن الله ، وذكّر به ، وأعوذ بالله أن تأخذني العزّة بالإثم لقد ضللت إذاً ، وما أنا من المهتدين ، وأنت أيّها القائل ما الله أردت بها ، وإنّما أردت أن يقال : قام وقال ، وعوقب فصبر ، وأهْوِنْ بقائلها لو هممت فاهتبلها[2] ، ويلك ، إذ غفرت ، وإيّاكم أيّها الناس وأختها ، فإن الحكمة علينا نزلت ، ومن عندنا فصلت ، ورُدّوا الأمر إلى أهله تصدروه كما أوردوه . ثم عاد إلى الموضع من الخطبة .

وحجّ أبو جعفر في خلافته خمس حجج سنة ١٤٠ و١٤٤ و١٤٧ و١٥٢ و١٥٨ ، فلم يتمّ الحجّ ، وهلك في أول العشر ، فأقام الحجّ

---

(١) يُقال «حنك الدهر الرجل» . أي جعلته التجارب والأمور وتقلبات الدهر حكيماً .

(٢) اهتبلها : كذّبها .

إبراهيم بن يحيىٰ بن محمد بن عليّ .

وقال أبو جعفر لمّا حضرته الوفاة لمواليه : إنّي كنت رأيت في المنام ، قبل أن يفضي هذا الأمر إلينا ، كأنّا في المسجد الحرام ، إذ خرج النبيّ من البيت ، ومعه لواء ، فقال : أين عبد الله ؟ فقمت أنا وأخي وعمّي ، فسبقنا أخي ، يعني أبا العباس ، فأخذ اللواء ، فخطا به خطوات أحصيها وأعدّها ، ثم سقط وسقط اللواء من يده ، فأخذه رسول الله ، ثم رجع إلى موضعه ، فقال : أين عبدالله ؟ فقمت أنا وعمّي ، فزحمت عمّي ، فألقيته ، وتقدّمت ، فأخذت اللواء ، فخطوت به خطوات أحصيها وأعدّها ، ثم سقطت وسقط اللواء من يدي ، وقد انقضت تلك الخطا وأنا ميّت في يومي .

ومات لثلاث خلون من ذي الحجة سنة ١٥٨ ، وهو ابن ٦٨ سنة ، ودفن ببئر ميمون ، وصلّى عليه ابنه صالح ، فكانت ولايته ٢٢ سنة ، وخلّف من الولد الذكور ستّة : محمّداً المهديّ ، وأمّه أم موسى بنت منصور الحميريّة ، وصالحاً ، ويعقوب ، وأمّهما الطلحيّة . . . .[1] وكان ابنه جعفر الأكبر قد توفي في حياته ، وأمّه أمّ موسى بنت منصور الحميريّة .

وكان الغالب عليه أبو أيّوب الخوزي ، وكان أبو أيوب كاتباً لسليمان ابن حبيب المهلّبي الذي كان أبو جعفر عامله في أيّام بني أميّة ، فعتب على أبي جعفر ، فأمر بضربه وحبسه ، فتخلّصه أبو أيوب ، فحفظ ذلك له ، فاستوزره ، ثم سخط عليه وقتله ، واستصفى ماله ، وقتله سنة ١٥٤ ، ولم يعرف أن أحداً غلب عليه بعد .

وكان له سمّار منهم : هشام بن عمرو التغلبيّ ، وعبد الله بن الربيع الحارثيّ ، وإسحاق بن مسلم العقيليّ ، والحارث بن عبد الرحمٰن الحرشيّ .

وكان أول من ولّى القضاة الأمصار من قبله ، وكان يولّيهم أصحاب المعاون ، وكان قضاته : عثمان بن عمر التميميّ ، ويحيىٰ بن سعيد

(١) بياض في الأصل .

الأنصاري ، ثم عبد الله بن صفوان الجمحي ، وعلى الكوفة شريك بن عبد الله النخعيّ ، وعلى البصرة عمر بن عامر السلميّ ، ثم سوّار بن عبد الله العنبريّ ، وعلى مصر عبد الله بن لهيعة الحضرميّ ، وعلى شرطه عبد الجبّار بن عبد الرحمٰن الأزديّ ، إلى أن عزله وولّاه خراسان ، واستعمل أخاه عمر بن عبد الرحمٰن ، ثم عزله لمّا عصى أخوه ، وفتك به ، واستعمل موسى[1] بن كعب التميميّ ، ثم المسيّب بن زهير الضبيّ ، وكان في أول مرّة خليفة موسى بن كعب ، ثم مات موسى ، وكان كعب بن مالك على حرسه ، ثم عثمان بن نهيك ، ثم استعمل مكانه أبا العبّاس الطوسيّ ، وكان حاجبه عيسى بن روضة مولاه ، ثم حجبه الرّبيع مولاه ، وغلب على أكثر أموره .

وأقام الحجّ للناس في أيّامه في سنة ١٣٦ إسماعيل[2] بن علي ، وقيل أبو جعفر ، وكان معه أبو مسلم ، سنة ١٣٧ إسماعيل بن عليّ ؛ سنة ١٣٨ ، فضل بن صالح بن عليّ ؛ سنة ١٣٩ ، وهو عام الخصب ، العبّاس بن محمّد بن عليّ ؛ سنة ١٤٠ أبو جعفر المنصور ؛ سنة ١٤١ ، صالح[3] بن عليّ ، وهو على دمشق وحمص وقنّسرين ، سنة ١٤٢ إسماعيل بن عليّ ؛ سنة ١٤٣ عيسى[4] بن موسى بن محمد بن عليّ ؛ سنة ١٤٤ أبو جعفر المنصور ؛ سنة ١٤٥ السريّ بن عبد الله بن الحارث بن العبّاس بن عبد المطلب ؛ سنة ١٤٦ عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمّد بن عليّ ؛ سنة ١٤٧ أبو جعفر المنصور ؛ سنة ١٤٨ جعفر ابنه ، سنة ١٤٩ محمد بن إبراهيم بن عليّ ، سنة ١٥٠ عبد الصمد بن عليّ ؛ سنة ١٥١

---

(١) موسى بن كعب : كنيته أبو عيينة ، وهو من كبار القواد الذين رفعوا عماد الدولة العباسية ، وقد جعله محمد بن علي في جملة النقباء الإثني عشر في عهد بني أُمية . وقد مرت أخباره في هوامشنا التي سبقت .

(٢) إسماعيل بن علي : تقدّم .

(٣) تقدّمت ترجمته .

(٤) عيسىٰ بن موسىٰ : تقدّم .

محمّد بن إبراهيم؛ سنة ١٥٢ أبو جعفر المنصور؛ سنة ١٥٣ المهديّ ، وهو وليّ عهد أبيه ، سنة ١٥٤ محمد بن إبراهيم ؛ سنة ١٥٥ عبد الصمد بن عليّ ؛ سنة ١٥٦ العبّاس بن محمّد ؛ سنة ١٥٧ إبراهيم بن يحيىٰ بن محمّد بن عليّ ؛ سنة ١٥٨ خرج أبو جعفر يريد الحجّ ، فمات ، وأقام الحجّ إبراهيم .

وغزا بالنّاس في أيّامه سنة ١٣٨ صالح بن عليّ على جند الشأم ، والعباس بن محمد بن عليّ على خراسان ، ولم يغز بلاد الروم منذ غزا الغمر[1] بن يزيد في سنة ١٢٥ إلى هذه الغاية ، وأقام صالح بن عليّ والياً على الشأم والثغور ، وهو يُغزي بلاد الروم أمراء من قبله ، عليهم ابنه الفضل بن صالح وغيره ، سنة ١٤٢ العبّاس بن محمد ؛ سنة ١٤٣ العباس أيضاً ، سنة ١٤٥ حميد بن قحطبة ؛ سنة١٤٦ محمد بن إبراهيم ؛ سنة ١٤٧ السريّ بن عبد الله بن الحارث ؛ سنة ١٤٨ الفضل بن صالح ؛ سنة ١٤٩ يزيد بن أسيد ، سنة ١٥٥ يزيد بن أسيد ، سنة ١٥٧ زفر بن عاصم ابن عبيدة بن أبي صعصعة ، ربيعة الرأي ، وهو ابن أبي عبد الرحمٰن ، محمّد بن عبد الرحمٰن بن أبي ذئب ، عثمان بن الأسود ، حنظلة بن أبي سفيان ، عبد الملك بن جريج ، عبد العزيز بن أبي الروّاد ، إبراهيم بن يزيد، محمد بريد[2] الأنديّ، أبا سار الساريّ[3]، واسمه هرار بن مرّة، سليمان بن مهران الكاهليّ ، الحسن بن عبد الله النخعيّ ، أبا حيّان

---

(١) الغمر بن يزيد : من رجالات بني أُمية أيام انحلال دولتهم ومطاردة العباسيين لآخر خلفائهم في المشرق . وكان الغمر في فلسطين ، وأسره عبد الله بن عبد الله بن العباس بعد معركة بينهما في مكان يُعرف بنهر أبي فطرس (قرب الرملة) ثم قتله وقتل معه ثمانين رجلاً من الأمويين وصلبهم سنة ١٣٢ هـ . فقال حفص الأموي :

قل لمن يسأل عنهم : إنهم ... جثث تلمع من فوق الخشب

وقال إبراهيم مولى العبلي :

فما أنسَ لا أنس قتلاهم ... ولا عاش بعدهم من نسي .

[الزركلي : الأعلام ٥ : ١٢١]

(٢ ، ٣) هكذا دون نقط في الأصل .

يحيىٰ[1] بن سعيد التيميّ ، مجالد بن سعيد ، محمد بن السائب الكلبيّ ، الأجلح بن عبد الله الكنديّ ، السرا[2] بن أبي زائدة الهمداني ، يونس بن أبي إسحاق السبيعيّ ، الحسن بن عمر الفقيميّ ، محمّد بن عبد الرحمٰن ابن أبي ليلى ، الحجّاج[3] بن أرطأة ، أبا حنيفة النعمان بن ثابت ، محمّد ابن عبد الله العرزميّ ، الحسن بن عمارة ، مِسْعَر بن كِدام ، أبا حمزة الثماليّ ، سفيان بن سعيد الثوريّ ، عبد الجبّار بن عبّاس الهمدانيّ ، يحيىٰ بن سلمة بن كهيل ، عبد الله بن عون المزنيّ ، خالد بن مهران ، أبا المعتمر ، سليمان التيميّ ، عمرو بن عبيد ، سوّار بن عبد الله ، أبا الأشهب العطارديّ ، حميد الطويل ، شعبة بن الحجّاج العبديّ ، حمّاد بن سلمة ، حمّاد بن زيد ، عبد الله بن محرّر ، عمرو بن قيس الكنديّ ، الأوزاعيّ عبد الرحمٰن بن عمرو ، غالب بن عبد الله العقيليّ .

أيام المهديّ[4]

وهو محمد بن عبد الله المنصور ، وأمّه أمّ موسى بنت منصور بن عبد الله بن ذي سهم بن يزيد الحميريّ ، وبويع في اليوم الذي توفي فيه المنصور ، وأخذ الربيع له البيعة بمكّة على من حضر من الهاشميّين

---

(١) يحيى بن سعيد : قاضٍ ، من أكابر أهل الحديث ، من أهل المدينة . قال الجمحي : ما رأيت أقربَ شبهاً بالزهري من يحيى بن سعيد ، ولولاهما لذهب كثير من السنن . رحل إلى العراق فولي قضاء الحيرة وتوفي بالهاشمية سنة ١٤٣ هـ .

[تاريخ بغداد ١٤ : ١٠١]

(٢) بدون نقط في الأصل .

(٣) الحجاج بن أرطأة : قاضٍ ، من أهل الكوفة . كان من رواة الحديث وحفاظه ، استفتي وهو ابن ستَ عشرةَ سنة ، وولي قضاء البصرة . توفي بخراسان أو بالري سنة ١٤٥ هـ .

[تاريخ بغداد ٨ : ٢٣٠]

(٤) لقّب بالمهدي رجاء أن يكون الموعود به في الأحاديث فلم يكن به ، وإن اشتركا في الاسم فقد افترقا في الفعل .

والقوّاد ، وكان صالح بن المنصور حاضراً وموسى بن المهديّ ، فأنفذ إليه الخبر مع منارة مولى أبي جعفر ووصيّته ، فسار منارة اثني عشر يوماً إلى بغداد ، والمهديّ بها ، فأحضر القوّاد والهاشميّين والصحابة ، فبايعوا .

وكانت الشمس يومئذ في الميزان أربعاً وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والقمر في الجوزاء عشرين درجة وخمسين دقيقة ، وزحل في الميزان ثماني عشرة درجة وخمسين دقيقة ، والمشتري في الجدي سبع عشرة درجة وأربعين دقيقة ، والمرّيخ في الجوزاء خمس درجات وأربعين دقيقة راجعاً ، والزهرة في الميزان خمساً وعشرين درجة وأربعين دقيقة ، وعطارد في العقرب ثماني عشرة درجة وعشر دقائق ، والرأس في الثور تسع درجات وعشر دقائق .

وقرأ المهديّ وصيّة أبي جعفر وكانت نسختها : بسم الله الرحمٰن الرحيم ! هذا ما عهد عبد الله أمير المؤمنين إلى المهديّ محمّد ابن أمير المؤمنين ، وليّ عهد المسلمين ، حين أسند وصيّته إليه بعده ، واستخلفه على الرعيّة من المسلمين ، وأهل الذمّة [1] ، وحرم الله وخزائنه ، وأرضه التي يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتّقين . إنّ أمير المؤمنين يوصيك بتقوى الله في البلاد ، والعمل بطاعته في العباد ، ويحذرك الحسرة والندامة والفضيحة في القيامة ، قبل حلول الموت ، وعاقبة الفوت حين تقول : ربّ لولا أخّرْتَني إلى أجلٍ قَريب . هيهات أين منك المهل ، وقد انقضى عنك الأجل . وتقول : رَبّ أرْجِعْني لَعَلّي أعْمَلُ صالحاً ، فحينئذٍ ينقطع عنك أهلك ، ويحلّ بك عملك ، فترى ما قدّمته يداك ، وسعت فيه قدماك ، ونطق به لسانك ، واستركبت عليه جوارحك ، ولحظت له عينك ، وانطوى عليه غيبك ، فتُجزَى عليه الجزاءَ الأوْفى إنْ شرّاً فشرّاً وإن خيراً فخيراً ، فلتكن تقوى الله من شأنك وطاعته من بالك ، استعن بالله على دينك ، وتقرّب به إلى ربّك ونفسك ، فخُذْ منها ولا تجعلها للهوى ، ولن تعمل

---

(١) أهل الذمة : المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممّن يقيم في ديار الإسلام .

الشرّ قامعاً ، فليس أحد أكثر وزراً ، ولا أعزّ إثماً ، ولا أعظم مصيبة ، ولا أجلّ رزيئة[1] منك لتكاثف ذنوبك ، وتضاعف أعمالك ، إذ قلّدك الله الرعيّة تحكم فيهم بمثل الذرَّة ، فيقتضون منك أجمعون ، وتكافى على أفعال ولاتك الظالمين ، فإن الله يقول[2] : إنّك ميّتٌ ، وإنّهم ميتون ، ثم إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تَخْتَصِمون ، فكأني بك وقد أوقفت بين يدي الجبّار ، وخذلك الأنصار ، وأسلمك الأعوان ، وطوّقت الخطايا ، وقرنت بك الذنوب ، وحلّ بك الوجل ، وقعد بك الفشل ، وكلّت حجّتك ، وقلّت حيلتك ، وأخذت منك الحقوق ، واقتاد منك المخلوق في يوم شديد هوله ، عظيم كربه ، تَشْخَص فيه الأبْصارُ لَدَى الحَنَاجِرِ كاظمين ما للظّالمين من حميم ، ولا شفيعٍ يُطاع ، فما عسيت أن يكون حالك يومئذ ، إذا خاصمك الخلق ، واستقضى عليك الحقّ ، إذ لا خاصّة تنجيك ، ولا قرابة تحميك ، تطلب فيه التباعة ، ولا تقبل فيه الشفاعة ، ويُعمل فيه بالعدل ، ويقضى فيه بالفضل . قال الله[3] : **﴿لا ظُلْم اليوْمَ ، إنّ الله سريع الحساب﴾** . فعليك بالتشمير لدينك والاجتهاد لنفسك ، فافكك عنقك ، وبادر يومك ، واحذر غدك ، واتّقِ دنياك ، فإنها دنيا غادرة موبقة[4] ، ولتصدق لله نيّتك ، وتعظم إليه فاقتك ، وليتّسع إنصافك ، وينبسط عدلك ، ويؤمن ظلمك ، وواسِ بين الرعيّة في الاحتكام ، واطلب بجهدك رضى الرحمٰن وأهل الدين ، فليكونوا أعضادك ، وأعْطِ حظّ المسلمين من أموالهم ، ووفّرْ لهم فيأهم ، وتابع أعطياتهم عليهم ، وعجّل بنفقاتهم إليهم سنةً سنةً ، وشهراً شهراً ، وعليك بعمارة البلاد بتخفيف الخراج ، واستصلح الناس بالسيرة الحسنة والسياسة الجميلة ، وليكن أهمّ

---

(١) الرزيئة : المصيبة العظيمة .

(٢) سورة الزمر؛ الآية: ٣٠ .

(٣) الآية الكريمة : **﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾** .

[سورة غافر ؛ الآية: ١٧]

(٤) موبقة : مهلكة .

أمورك إليك تحفّظ أطرافك ، وسدّ ثغورك ، وإكماش بعوثك ، وارغب إلى الله عزّ وجلّ في الجهاد ، والمحاماة عن دينه ، وإهلاك عدوّه بما يفتح الله على المسلمين ويمكّن لهم في الدين ، وابْذُلْ في ذلك مهجتك ونجدتك ومالك ، وتفقّد جيوشك ليلك ونهارك ، واعْرفْ مراكز خيلك ومواطن رحلك ، وبالله فليكن عصمتك وحولك وقوّتك ، وعليه فليكن ثقتك واقتدارك وتوكّلك ، فإنّه يكفيك ويغنيك وينصرك ، وكفى به مؤيّداً ونصيراً . وأمره بعد ذلك بأمور يطول الكتاب بها فاقتصرنا على صدر الوصيّة .

وأظهر جزعاً شديداً على المنصور ، ووردت الوفود عليه يعزّونه ، فجعل كلّ قوم يقولون بما أمكنهم حتى دخل شبيب[1] بن شيبة فعزّاه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ! إنّ الله لم يرض لك إذ قسم لك الدنْيا إلّا بأسناها وأرفعها ، فلا ترض لنفسك من الآخرة إلّا بمثل ما رضي الله لك من الدنْيا ، وعليك بتقوى الله ، فإنّها عليكم نزلت ، ومنكم أُخذت ، وإليكم رُدّت .

وقدم الرّبيع مستهلّ المحرّم ، ومعه مفاتيح الخزائن ، فجلس المهديّ للناس في النصف من المحرّم ، وأمرالربيع ، فأحضر دفتر القبوض ، ووجّه إلى كلّ من كان أبو جعفر قبض شيئاً من ماله ، فأحضره ، وأقبل عليهم فقال : إنّ أمير المؤمنين المنصور كان بما حمّله الله من أموركم ، وقلّده من رعايتكم ، يدبّر عليكم كما يدبّر الوالد البرّ على ولده ، وكان أنظر لكم منكم لأنفسكم ، وكان يحفظ عليكم ما لا تحفظون على أنفسكم ، فحرس لكم من أموالكم ما لم يأمن ذهابه ، وهذه أموالكم مبارك لكم فيها ، فحلّلوا أمير المؤمنين من إبطائها عنكم .

---

(١) شبيب بن شيبة : كنيته أبو معمر ، هو أديب الملوك وجليس الفقراء ،وأخو المساكين . من أهل البصرة . كان يُقال له «الخطيب» لفصاحته . وكان شريفاً ، من الدهاة ، ينادم خلفاء بني أُمية ويفزع إليه أهل بلده في حوائجهم . توفي نحو سنة ١٧٠ هـ .
[الجاحظ : البيان والتبيين ١]

ثم أمر بإخراج من في المحابس من الطالبيّين وغيرهم من سائر الناس ، فأطلقهم ، وأمر لهم بجوائز وصلات وأرزاق دارّة ، ثم أطلق سائر الناس ، ولم يطلق أحداً إلاّ وكساه ووصله على قدره ، حتى بلغ إلى عبد الله[1] بن مروان ، وكان في الحبس من أيّام أبي العباس ، فأمر بتخلية سبيله ، وأعطاه عشرة آلاف درهم ، فقال له عيسى بن عليّ : إنّ في أعناقنا بيعة له ، وقد كان هذا الرجل وليّ عهد أبيه ، وأنت أعلم ، وقد كان وهب لكاتبي جوهراً قيمته ثلاثون ألفاً .

وكان سبب الجوهر الذي ذكره عيسى أن امرأة عبد الله بن مروان ، وهي أمّ يزيد ، قدمت الكوفة رجاء أن تجد من تكلّمه في زوجها ، وقيل لها : لو كلّمت عيسى[2] بن عليّ ، فجاءت إلى كاتبه عبّاس بن يعقوب ، فكلّمته ووهبت له جوهراً كان بقي عندها ، وسألته أن يكلّم عيسى ، فيتكلّم فيه ، فأخذ الجوهر ولم يكلّمه ، فقال عبد الله بن الربيع الحارثيّ ، لمّا فعل المهديّ ما فعل من ردّ الأموال ، وإطلاق المحبّسين ، وأمن الخائفين ، وصلات المعدمين : سمعتُ المنصور يقول للمهديّ ، لمّا ودّعه عند خروجه إلى مكّة : إني تركت الناس ثلاثة أصناف : فقيراً لا يرجو إلاّ غناك ، وخائفاً لا يرجو إلاّ أمنك ، ومسجوناً لا يرجو الفرج إلاّ منك ، فإذا ولّيت فأذقْهم طعم الرفاهية ، لا تمددْ لهم كلّ المدّ .

ودخل الحارث بن عبد الرحمٰن إلى المهدي ، فذكر ما حضر من أمر المنصور ومكر الربيع وقال : لقد رأيت من تدبيره ما لا يهتدي إليه أحد . قال : وما ذاك ؟ قال : لمّا توفي المنصور صيّر الربيع صالحاً أخاك في

---

(١) عبد الله بن مروان : شهد وقائع كارثة بني أمية وزوال دولتهم في أيام أبيه مروان بن محمد . فرّ إلى بلاد النوبة ثم أسر وقدّم إلى المهدي فحبسه في المطبق سنة ١٦١ هـ . مات في أيام الرشيد سنة ١٧٠ هـ .

[الكامل لابن الأثير]

(٢) تقدّم .

صدر المجلس ،وقدّمه على جميع من حضر ، فلمّا دفن قدّم ابنك موسى ، وقال لأخيك : كنت أولى بالتقدّم لغيبة أخيك المهديّ ، فلمّا صار أبوك تحت الأرض ، وولي الأمر أبو هذا كان أولى بالتقدم منك . فقال المهديّ : إن ساس الملك أحد فليسسه مثل الربيع .

وخلع المهديّ عيسى بن موسى من ولاية العهد ، واشترى ذلك بعشرة آلاف ألف درهم ، وبايع لابنه موسى[1] بولاية العهد من بعده ، سنة ١٥٩ ، ثم بايع لابنه هارون[2] بولاية العهد بعد موسى .

وحجّ المهديّ سنة ١٦٠ ، فجرّد الكعبة وكساها القباطيّ[3] والخزّ والديباج ، وطلى جدرانها بالمسك والعنبر من أعلاها إلى أسفلها ، وكانت الكعبة في جانب المسجد لم تكن متوسّطة ، فهدم حيطان المسجد الحرام ، وزاد فيه زيادات ، واشترى من الناس دورهم ومنازلهم ، وأحضر الصنّاع والمهندسين ، من كلّ بلد ، وكتب إلى واضح مولاه وعامله على مصر في حمل الأموال إلى مكّة ، واتّخاذ الآلات ، وما يحتاج إليه من الذهب والفسيفساء وسلاسل القناديل ، والخروج بها حتى يسلّمها إلى يقطين بن موسى ومحمّد بن عبد الرحمٰن ، وصيّر الكعبة في الموسط ، وزاد مما يلي الكعبة إلى باب الصفا تسعين ذراعاً ، ومن الكعبة إلى باب بني شيبة ستّين ذراعاً ، وصيّر ذرعه مكسّراً مائة ألف ذراع وعشرين ألف ذراع ، وطول المسجد من باب بني جُمَح إلى باب بني هاشم إلى العلم الأخضر أربعمائة ذراع وأربع أذرع ، وفيه من الأساطين[4]، مما حمل في البحر من مصر ، أربعمائة وأربع وثمانون أسطوانة ، طول كلّ أسطوانة عشر أذرع ، وصيّر فيه أربع مائة طاق ، وثمانية وتسعين طاقاً ، وجعل في

---

(١) أنظر «أيامه» فيما بعد .

(٢) أنظر «أيامه» فيما بعد .

(٣) القباطي : ثياب من كتان منسوبة إلى القبط .

(٤) الأساطين ، جمع أسطوانة : العمود .

المسجد الأبواب ثلاثة وعشرين باباً، فكان المهدي آخر من زاد في المسجد الحرام وبنى العلمين اللذين يسعى بينهما وبين الصفا والمروة[1] ، وبينهما من الذرع مائة واثنتا عشرة ذراعاً ، فصار بين الصفا والمروة ، لمّا أُخرج المسجد إلى الموضع الذي هو فيه الساعة ، سبعمائة وأربع وخمسون ذراعاً ، ووسّع المسجد الذي لرسول الله ، وزاد فيه مثل ما كان عليه ، وحمل إليه عمد الرخام والفسيفساء والذهب ، ورفع سقفه وألبس خارج القبر الرخام .

وبنى الثغر المعروف بالحَدَث[2] سنة ١٦٣ ، وكان فيه دفع للعدوّ وتسديد ، وذلك أن الروم أغاروا على مرعش[3] ، فسبوا وقتلوا خلقاً ، فلمّا بنى المهديّ الحدث عظم ارتفاق أهل الثغور به ، وأغزى هارون ابنه في هذه السنة ، ومعه جماعة من القوّاد والجند ، وخرج يشيّعه إلى جَيْحان[4] ، ففتح هارون في تلك الغزاة سمالو وعدّة حصون ؛ ثم أغزاه سنة ١٦٤ فبلغ إلى القسطنطينية ، فطلب منه الروم الصلح ، فصالحهم وانصرف .

وعزل عقبة بن سلم الهُنائيّ عن اليمامة والبحرين لما بلغه من قتله ما قتل من ربيعة ، وقال : لا يراني الله أبوء بإثمه ، ولا أرضى فعله . فلمّا قدم عقبة بن سلم لقيه الحسن بن قحطبة ، وقال له : يا عقبة ! أدخلت نفسك النار . فقال : ما أنْصَفتني ، يا أبا الحسن ، أدخلتُ نفسي النار لأنفي عنك العار .

وقدم غلام من أهل اليمامة من ربيعة كان عقبة ابن سلم قتل أباه وعمّه وخالين له وخمسة إخوة ، فوقف

---

(١) جبلان بمكة .

(٢) الحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسميساط .

[ياقوت]

(٣) مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم .

[المصدر السابق]

(٤) جيحان : نهر بالمصيصة بالثغر الشامي .

لـه عـلى بـاب المهـديّ ، فلمّـا جـاز عـقبـة في مـوكبـه ضـربـه بسكين مسمومة فقتله ، وأخـذ الغـلام إلى المهـديّ ، فسـألـه عن قصتـه فقصّها عليه ، فأراد تخليته ، فتكلّم القـوّاد ، وقالـوا : والله ما فيـه درك من عقبة ، ولكنّه إن تُرك وثب كلّ يوم كلب من الكلاب على قـائد فقتله . فـأمر المهديّ بضرب عنقه .

واضـطربت خراسـان ، وتحرّكت السغـد وفـرغـانـة ، وخـرج يـوسف البَـرْم ، وهو رجـل من موالي ثقيف ببخـارى ، يدعـو إلى الأمر بـالمعـروف والنهي عن المنكر ، فاتّبعه على ذلك خلق من النـاس ، فحارب السلطان ، وخرج أحمد بن أسد إلى فرغانة ، ففتـح حتى وصل إلى كـاسان[1] ، وهي المدينة الـتي ينـزلها الملك ، وكـان يزيـد بن مزيـد الشيبانيّ يحـارب يحيى الشاري ، فكتب إليه المهديّ أن ينكفىء فيمن معه إلـى يـوسـف البـرم ، فلقيه ، فكانت بينهما وقعات عدّة، ثم هزمه يزيد ، فرفع علماً أحمر ، وأمّن مَن يصير تحته ، فصار أصحاب يوسف كلّهم تحته ، وأسر يوسف ، فحمله إلى المهديّ ، فلمّا دخل إليه كلّمه بكلام غليظ ، فشتمه المهديّ ، فقال : لبئس ما أدّبك أهلُك ! فضرب عنقه وصلبه .

وكتب إلى عمر[2] بن العلاء ، وكان بطبرستان ، أن يصير إلى جرجان فيخـرج من بها من المحمّـرة ، بعد أن يـدعوهم إلى الـطّاعـة ، فصـار إلى جرجان ، ففرّق جمع المحمّرة ، وقتل عبد القاهر ، وفضّ الجمع .

---

(١) كاسان : مدينة كبيرة في أول بلاد تركستان ،

[ياقوت]

(٢) عمـر بن العلاء : من المـوالي ، وهو عـامـل المهـدي على طبـرستـان . كـان جـواداً حازماً ، وفيه يقول بشار بن برد :

إذا أَرَّقَـتْـكَ جـسـامُ الأُمـورِ ... فـنـبّـه لـهـا عـمـراً ثـم نـمِ

استشهد في طبرستان نحو سنة ١٦٥ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٥ : ٥٤ ـ ٥٥]

ووجّه المهديّ رسلاً إلى الملوك يدعوهم إلى الطاعة ، فدخل أكثرهم في طاعته ، فكان منهم : ملك كابل شاه ، يقال له حنحل[1] ، وملك طبرستان الأصبهبذ ، وملك السغد الإخشيد ، وملك طخارستان شروين ، وملك باميان الشير ، وملك فرغانة فرنران[2] ، وملك أسْروشَنَة[3] أفْشِين ، وملك الخَرْلُخيّة جيغويه ، وملك سجستان رتبيل ، وملك الترك طرخان ، وملك التبت حهورن[4] ، وملك السند الرأي ، وملك الصين بغبور ، وملك الهند وابراح[5] ، وهو فور ، وملك التغزغز خاقان .

واستعمل المهديّ روح[6] بن حاتم المهلّبيّ على السند ، فقدمها ، والزطّ قد تحرّكوا بها ، فلم يقم إلاّ يسيراً حتى عُزل ، وولي نصر بن محمّد بن الأشعث الخزاعيّ ، ثم ضُمّت السند إلى محمد بن سليمان بن عليّ الهاشميّ ، واستعمل عليها عبد الملك بن شهاب المسمعيّ ، فولي أقلّ من عشرين يوماً ، وردّت السند إلى نصر بن محمّد بن الأشعث الخزاعيّ ، ثم استعمل المهديّ الزبير بن العبّاس من ولد قثم بن العباس بن عبد المطلب ، ولم يبلغ البلد ، فاستعمل المهديّ ىمصىح[7] بن عمرو التغلبيّ ، وكانت العصبيّة بالسند أول ما وقعت ، فاستعمل ليث بن طريف مولاه ، فقدم المنصورة ، فأقام بها شهراً ، والزطّ قد كثروا ، فجرّد عليهم السيف ، فأفناهم .

وشخص المهديّ إلى البصرة سنة ١٦٥ يريد الحجّ ، فخُبّر بقلّة الماء في

(١، ٢) أسماء بدون نقط في الأصل .

(٣) أسروشنة : مدينة بما وراء النهر .

[ياقوت]

(٤ ، ٥) إسمان بدون نقط في الأصل .

(٦) روح بن حاتم : كان حاجباً للمنصور العباسي . كان موصوفاً بالعلم والشجاعة والحزم . مات في القيروان ودفن إلى جانب أخيه يزيد سنة ١٧٤ هـ.

[وفيات الأعيان ١ : ١٨٨]

(٧) هكذا بدون نقط في الأصل .

الطريق، فأقام ، وبلغه أن أمر السند قد اضطرب ، فوجّه إلى اللّيث بجيش من البصرة، وسار راجعاً إلى بغداد .

وخرج يريد الشأم ، وعسكر بالبَرَدان [1] ، فأتاه الخبر بوفاة عيسى بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، فانصرف إلى بغداد ، حتى حضر جنازته ، ومشى فيها ، ثم رجع إلى معسكره .

وخرج حتى صار إلى الثغر ، ثم صار إلى بيت المقدس ، فأقام أيّاماً وانصرف ، فلمّا صار بجند قنّسرين لقيته تنوخ بالهدايا ، وقالوا : نحن أخوالك يا أمير المؤمنين ، فقال : من هؤلاء ؟ قيل : تنوخ ، حي ينتمي إلى قضاعة ، ووُصف له حالهم وكثرة عددهم ، وقيل له : إنّهم كلّهم نصارى . فقال : لا أرضاكم أنتم إلى خؤولتي ، وارتدّ منهم رجل ، فضرب عنقه ، فخافوا فثبتوا على الإسلام .

وتوفي عيسى بن موسى سنة ١٦٧ ، فولّى المهديّ ابنه موسى بن عيسى الكوفة وما كان إلى أبيه من الأعمال .

وتوفي يزيد بن منصور الحميريّ خال المهديّ ، وكان عامل أبي جعفر على اليمن، فاستعمل المهديّ مكانه رجاء بن سلام بن روح بن زنباع الجذاميّ ، ثم ولّى عليّ بن سليمان بن عليّ ، وهو الذي كتب إليه في إشخاص الغطريف بن عطاء أخي الخيزران [2] أمّ موسى وهارون ابنيه ، وكان الغطريف غلاماً لرجل من أهل جُرَش، فأعتقه، وكان يؤاجر نفسه بنَطرِ كرومٍ ، فبعث إلى عامله على جُرش في حمله ، فوجده في كرم عليه جبّة

---

(١) البردان : عين بأعلى نخلة الشامية من أرض تهامة .

[ياقوت]

(٢) الخيزران : زوجة الخليفة المهدي . كانت صاحبة جود وخيرات . وقد تصدّقت بالحرمين ، واشترت دوراً بالصفا وألحقته بالحرم الشريف ، ويعرف الآن بدار الخيزرانة . توفيت سنة ١٧٢ هـ . ودفنت في بغداد .

[أنظر أخباراً عنها في تاريخ بغداد ١٤]

صوف ، فكساه وحباه ، وحمله إلى المهديّ ، فرفع منزله ، ثم صرف عليّاً ، وولّى عبد الله بن سليمان ، ثمّ صرفه ، وولّى منصور بن يزيد بن منصور الحميريّ ، ثم صرفه ، وولّى عبد الله بن سليمان بن عليّ ، وصرفه ، وولّى سليمان بن يزيد الحارثيّ ، ثم عبد الله بن محمّد بن إبراهيم الزينبيّ ، وهو ابن بنت سليمان ، ثم إبراهيم بن سليمان العبديّ ، ثم الغطريف بن عطاء خال موسى وهارون ، ثم الرّبيع بن عبد الله الحارثيّ .

وأمر المهديّ بجباية أسواق بغداد ، وجعل عليها الأجرة ، وجُعل سعيد الحرشيّ بذلك ، فكان أول ما جبيت أسواق بغداد للمهديّ ، فيقال إنّه قام إليه رجل فقال : عندي نصيحة ، يا أمير المؤمنين ! فقال : لمن نصيحتك هذه ، لنا أم للعامّة أم لنفسك ؟ قال : لك يا أمير المؤمنين ! قال : ليس الساعي أعظم عورة ولا أفحش لؤماً من قابل سعايته ، ولن تخلو من أن تكون حاسد نعمة فلا نشفي غيظك ، أو عدوّاً فلا نعاقب لك عدوّك ، ثم أقبل على الناس ، فقال : لأعلمنّ ما تنصّح لنا متنصّح إلاّ بما لله فيه رضى وللمسلمين صلاح ، فإنّما لنا الأبدان وليس لنا القلوب ، من استتر عنّا لم نكشفه ، ومن أبدانا طلبنا توبته ، ومن أخطأ علينا أقلناه عثرته[1] . إنّي أرى التأديب بالصّفْح أبلغ منه بالعقوبة ، والسلامة مع العفو أكثر منها مع العاجلة ، والقلوب لا تبقى لوالٍ لا يعطف إذا استعطف ، ولا يعفو إذا قدر ، ولا يغفر إذا ظفر ، ولا يرحم إذا استرحم ، من قلّت رحمته واشتدّت سطوته وجب مقته وكثر مبغضوه .

وكان المهديّ قد ألحّ في طلب الزنادقة وقتلهم ، حتى قتل خلقاً كثيراً ، فبلغه أن صالح بن أبي عبيد الله كاتبه زنديق[2] ، فأحضره ، فلمّا صح عنده أمره استتابه[3] ، فقال : لا رغبة عما أنا عليه ، ولا حاجة في

---

(١) أقلنا عثرته : أغثناه .

(٢) الزنديق : الذي اتصف بالزندقة وهي الكفر باطناً مع التظاهر بالإيمان .

(٣) أي طلب إليه أن يعود عن زندقته .

غيره ، فأمر المهديّ أبا عبيد الله أباه أن يقوم فيضرب عنقه ، فقام فأخذ السيف ، ثم دنا من ابنه ، فلمّا رفعه رجع ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّي قمت سامعاً مطيعاً ، وإنّه أدركني ما يدرك الرجل في ولده ، فأمره ، فجلس ، ثم أمر بضرب عنقه بين يديه ، ثم أملى عليه كتاباً ، وهو ينظر إلى ابنه مقتولاً ، ثم قال : إن كنت كرهت قتل عدوّ لله كافر به ، فأبعدك الله . فلمّا قام أبو عبيد الله قال بعض الجلساء : ما أحسب هذا يطيب قلبه أبداً ! فقال : كذلك والله أظنّه ، وإنّه لقريب من ابنه . ثم كانت السخطة عليه ، وصيّر مكانه يعقوب بن داوُد ، وأتى بصالح بن عبد القدوس ، فاستتابه فتاب ، فلمّا خرج من عنده ذكر له قوله :

والشيخُ لا يتركُ أخلاقَهُ حتى يُوارَى في ثرى رَمْسه

قال : وإنّك لتقول هذا ، فردّه فضرب عنقه ، ولم يستتبه .

ووثب أهل الحوف بمصر سنة ١٦٨ ، فخرج إليهم موسى[1] بن مصعب ، وكان العامل بها ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، وكان صاحب علمه هاشم بن عبد الرحمٰن بن معاوية بن حُديْج السكونيّ ، فنكس العلم وانهزم ، ومال أهل الخوف على موسى بن مصعب ، فقتلوه ، فولّى المهديّ الفضل بن صالح الهاشميّ ، فلم يرد البلد إلاّ بعد وفاة المهديّ .

وكان الغالب على المهديّ ، صدر خلافته ، معاوية بن عبد الله المعروف بأبي عبيد الله الأشعريّين ، ثم وقف منه على خيانة وصيّر مكانه يعقوب بن داوُد ، وكان يعقوب جميل المذهب ، ميمون النقيبة ، محبّاً للخير ، كثير الفضل ، حسن الهدي ، ثم عزله وسخط عليه ، فحبسه فلم

---

(١) موسى بن مصعب الخثعمي : أمير ، من القواد في العصر العباسي . ولي مصر للمهدي وتشدد في طلب الخراج ، فنقم عليه الجند والناس وثاروا ضده فقاتلهم ولكنه انهزم وقتل في مكان يسمى «العريرا» سنة ١٦٨ هـ .

[النجوم الزاهرة ٢ : ٥٤]

يـزل محبوسـاً حتى مات المهـديّ ، وصيّر مكـانه محمـد بن الليث صاحب البلاغة[1] .

وكـان عليّ بن يقطين والحسن بن راشـد يغلبـان على أمـوره ، وكـان على شرطته نصر بن مالك ، ثم مات نصـر ، فولّى أخـاه حمزة بن مـالك ، ثم عزله ، وولّى عبد الله بن مالك ، وكان على حـرسه محمـد بن إبراهيم ، ثم عزله ، واستعمل مكانه أبا العباس الطوسيّ ، وكان حاجبه الربيع مولاه ، وكان قضاتـه ابن علاثـة العقيليّ ، وعافيـة بن يزيـد الأزديّ ، وعلى الكوفـة شريـك بن عبـدالله ، وعـلى البصرة عبيـدالله بن الحسن العنبـريّ ، وعـلى المـدينـة عبـدالله بن محمّـد بن عمـران التيمـيّ ، وكـان أوّل قـاضٍ قضى بهـا من قبـل خليفة ، وعلى مصر عبـد الله بن لهيعة الحضـرميّ ، ثم استعمل ابن اليسـع الكنديّ من أهل الكوفة ، ثم غوث بن سليمان الحضـرميّ من أهل مصـر ، ثم المفضّل بن فضالة القِتْبانيّ .

وأصاب الناس في آخر سنة ١٦٨ ودخول سنة ١٦٩ وباء وموت كثير ، وظلمة وتراب أحمر ، كانوا يجدونه في فرشهم وعلى وجوههم .

وخـرج المهـديّ من بغـداد لإحـدى عشـرة ليلة خلت من المحـرّم سنـة ١٦٩ إلى الجبل ، فنـزل قريـة يقال لهـا الرَّذّ[2] من أرض مـاسبذان ، وخرج يتصيّد ، فأقام سائر يـومه يـطرد ، واتبعت الكلاب ظبيـاً ، وأمعن في الطلب ، واقتحم الظبي بـاب خربـة ، ومرّت الكـلاب ، واقتحم به الفـرس في أثره ، فصدمه باب الخربة ، وحمل إلى مضاربه ، فتوفي لثمانٍ بقين من المحرّم سنة ١٦٩ ، وهو ابن ثمان وأربعين .

وحكي أنّـه أصبـح ذات يـوم ، فقـال لعليّ بن يقـطين ، ولجمـاعـة

---

(١) لقب بصاحب البلاغة لحسن بلاغته ودقة تعابيره ومعرفته بأُصول اللغة وأدواتهـا .

(٢) الرذ : قرية بماسبذان قرب البذينجين ، بها قبر المهدي .

[ياقوت]

جلسائه : أصبحت اليوم جائعاً ، فأُتي بخبز ولحم بارد ، فأكله وأكل القوم معه ، ثم قال : إنّي داخل هذا البَهْو فنائم فيه ، فلا تنبّهوني حتى أنتبه ! فدخل فنام ، ونام القوم في الرواق ، فما راعهم إلّا بكاؤه ، فتبادروا إليه ، وسألوه عن حاله ، فقال : أرأيتم ما رأيت ؟ قالوا : ما رأينا شيئاً ! قال : رأيت شيخاً لو رأيته بين مائة ألف لعرفته ، وهو آخذ بعضادة البَهْو وهو يقول :

كأني بهذا القصْر قد باد أهلُه ... وَأوحَشَ منه ركنهُ ومنازلُهْ
وصارَعميدُ القصرِ من بعدبهجة ... ومُلكٍ إلى قبرٍ علَتْه جنادلُهْ[1]
فلم يبْقَ إلاّ ذكرهُ وحديثُه ... تُنادي عليه مُعوِلاتٍ حلائلُهْ[2]

فلم يلبث بعد ذلك إلا عشرة أيام حتى توفي ، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً واثنين وعشرين يوماً ، وصلّى عليه ابنه عليّ بن ريطة ، ودفن بالرّذّ[3] ، وخلف من الولد الذكور ثمانية : موسى ، وهارون ، وعليّاً ، وعبيد الله ، وإسحاق ، ويعقوب ، وإبراهيم ، ومنصوراً .

وأقام الحجّ للناس في أيّامه سنة ١٥٩ ، يزيد بن منصور الحميريّ ، سنة ١٦٠ المهديّ ، وأمر بالتوسعة في المسجد الحرام ومسجد رسول الله ؛ سنة ١٦١ موسى بن المهديّ ؛ سنة ١٦٢ إبراهيم بن جعفر بن أبي جعفر ؛ سنة ١٦٣ عليّ بن المهديّ ، وأمّه ريطة بنت أبي العباس ؛ سنة ١٦٤ خرج المهديّ يريد الحجّ ، فسار من الكوفة أربع مراحل ومعه خلق عظيم ، فعطش الناس ، وبلغه قلّة الماء في الطريق ، فرجع من العقبة ، وحجّ بالناس صالح بن أبي جعفر ؛ سنة ١٦٥ صالح بن أبي جعفر ؛ سنة ١٦٦ محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ ؛ سنة ١٦٧ إبراهيم بن يحيى بن محمّد بن عليّ ؛ سنة ١٦٨ عليّ بن المهديّ .

---

(١) الجنادل : الحجارة العظيمة أو الصخور .
(٢) الحلائل : الأزواج .
(٣) أنظر الهامش السابق .

وغزا بالناس في أيّامه ؛ سنة ١٥٩ جاءت الروم إلى سميساط ، فسبوا خلقاً كثيراً ، فوجّه إليهم صغيراً مولاه ، فاستنقذ المسلمين ، وغزا بالناس العباس بن محمّد ، فبلغ أنْقِرَة ؛ سنة ١٦٠ غزا ثمامة بن الوليد العبسيّ ؛ سنة ١٦١ غزا عيسى بن عليّ ، ولقيه جيش الروم فحاصروه ؛ سنة ١٦٢ الحسن بن قحطبة الطائي ؛ سنة ١٦٣ هارون بن المهديّ ؛ ففتح سمالو[1] ؛ سنة ١٦٤ هارون أيضاً ، فبلغ خليج القسطنطينية ؛ سنة ١٦٦ ثمامة بن الوليد ؛ سنة ١٦٧ الفضل بن صالح ؛ سنة١٦٨ محمّد بن إبراهيم .

وكان الفقهاء في أيّامه : محمّد بن عبد الرحمٰن بن أبي ذئب ، إبراهيم بن محمد بن أبي الحسن ، سعيد بن عبد العزيز الجمحيّ ، عبد العزيز بن أبي حازم ، عبد الحميد المدنيّ ، يونس بن أبي إسحاق السبيعيّ ، الحجّاج بن أرطأة النخعيّ ، سفيان بن سعيد الثوري ، شريك[2] بن عبد الله النخعيّ ، يحيىٰ بن سلمة بن كهيل ، سلمة الأحمر ، إبراهيم بن سعد ، الزهريّ أبا مِخْنَف لوط بن يحيىٰ ، سفيان بن الحسن الحمّاني ، جعفر بن عتّاب ، يحيىٰ بن أبي زائدة ، عليّ بن مسهر ، محمد بن مروان السدّيّ، زياد بن الطفيل، عبدالرحمٰن بن مالك، مالك بن الفضيل ، أبا محمد بن . . . .[3] محمد بن جابر اليماميّ ، أبا الأشهب جعفر بن حيّان العطارديّ ، سلمة بن علقمة ، سعيد بن إياس ، خالد بن دينار ، جرير بن حازم الأزديّ ، شعبة بن الحجّاج ، حمّاد بن سلمة ، مهديّ بن ميمون ، موسى بن عليّ بن رباح ، عبد الله بن لهيعة ، جعفر بن

---

(١) سمالو: بلدة عند الروم .

(٢) شريك النخعي : أبو عبد الله ، عالم بالحديث ، فقيه ، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته . استقضاه المنصور العباسي على الكوفة سنة ١٥٣ هـ . ثم عزله ، وأعاده المهدي ، فعزله موسى الهادي . كان عادلاً في قضائه . توفي بالكوفة سنة ١٧٧ هـ .
[وفيات الأعيان ١ : ٢٢٥]

(٣) اسم غير مكتمل في الأصل .

الغطريف ، بقيّة بن الوليد الحمصيّ ، عبد السلام بن عبد الملك الدمشقيّ .

أيام موسى[1] بن المهديّ

وبويع لموسى الهادي بن محمد المهديّ ، وأمه أمّ ولد ، يقال لها الخيزرانة[2] ، بماسبذان ، وكان غائباً بجرجان ، وأخذ له أخوه هارون البيعة، وكتب إليه بالخبر، فوافاه الرسول، وهو نصير الوصيف، بعد وفاة أبيه بثمانية أيّام ، وكانت الشمس يومئذ في الأسد سبع عشرة درجة ، والقمر في الأسد اثنتين وعشرين درجة وثلاثين دقيقة ، وزحل في الدلو درجة وأربعين دقيقة راجعاً ، والمشتري في العقرب أربع عشرة درجة وثلاثين دقيقة ، والمرّيخ في السرطان ثمانياً وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، والزهرة في السنبلة ثماني درجات وثلاثين دقيقة ، وعطارد في السنبلة تسع درجات وخمسين دقيقة ، والرأس في الميزان تسعاً وعشرين درجة وخمس عشرة دقيقة .

وارتحل من جرجان بعد ثلاثة أيّام إلى العراق ، فنزل بعيساباذ[3] ، وكان المهديّ بنى هذا الموضع ، فاستتمّه موسى ، وكان به منزله ، وولّى الغطريف بن عطاء خاله خراسان وأعمالها ، فقدم خراسان وكانت هادئة الأمور ساكنة ، والملوك في الطاعة ، فظهر منه أمور قبيحة ،وضعف

---

(١) موسى بن المهدي : هو موسى «الهادي» بن محمد «المهدي» بن أبي جعفر المنصور . ولد بالري سنة ١٤٤ هـ ، ولي بعد وفاة أبيه وكان غائباً بجرجان فأقام أخوه «الرشيد» بيعته . واستبدت أُمه الخيزران بالأمر ، وأراد خلع أخيه هارون من ولاية العهد وجعلها لابنه جعفر فلم ترَ أُمه ذلك ، فزجرها فأمرت جواريها أن يقتلنه فخنقنه سنة ١٧٠ هـ .

[ابن الأثير ٦ : ٢٩ ـ ٣٦]

(٢) أنظر الهامش ١ .

(٣) عيساباذ : محلة كانت بشرقي بغداد منسوبة إلى عيسى بن المهدي .

[ياقوت : معجم البلدان].

شديد ، فاضطربت البلاد ، وتحرّك جماعة من الطالبيّين ، وصاروا إلى ملوك النواحي ، فقبلوهم ، ووعدوهم بالنصر والمعونة ، وذلك أن موسى ألحّ في طلب الطالبيّين ، وأخافهم خوفاً شديداً ، وقطع ما كان المهدي يجريه لهم من الأرزاق والأعطية ، وكتب إلى الآفاق في طلبهم وحملهم ، فلمّا اشتدّ خوفهم ، وكثر من يطلبهم ، ويحثّ عليهم ، عزم الشيعة وغيرهم إلى الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن عليّ ، وكان له مذهب جميل وكمال ومجد ، وقالوا له : أنت رجل أهل بيتك ، وقد ترى ما أنْت وأهلك وشيعتك فيه من الخوف والمكروه . فقال : وإنّي وأهل بيتي لا نجد ناصرين فننتصر ، فبايعه خلق كثير ممّن حضر الموسم ، فقال لهم : إن الشعار بيننا أن ينادي رجل : من رأى الجمل الأحمر ، فما وافاه إلّا أقلّ من خمسمائة ، وكان ذلك في سنة ١٦٩ بعد انقضاء الموسم ، فلقيه سليمان بن أبي جعفر ، والعبّاس بن محمد بن عليّ ، وموسى بن عيسى بفخّ[1] ، فانهزم ومن كان معه ، وافترقوا ، وقتل الحسين بن عليّ ، وجماعة من أهله ، وهرب خاله إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ ، فصار إلى المغرب ، فغلب على ناحية تتاخم الأندلس ، يقال لها فاس ، فاجتمعت عليه كلمة أهلها .

فذكر أهل المغرب أن موسى وجّه إليه من اغتاله بسمّ في مسواك[2] فمات ، وصار إدريس بن إدريس مكانه ، وولده بها إلى هذه الغاية يتوارثون تلك المملكة .

واضطربت اليمن على الربيع بن عبد الله الحارثيّ ، مولى موسى ، فاستعمل الحصين بن كثير العبديّ ، ثم صرفه ، واستعمل مكانه أيّوب بن جعفر الهاشمي ، ثم ردّ الربيع بن عبد الله الحارثيّ على البلد خلا صنعاء ،

---

(١) فخّ : وادٍ بمكة . [ياقوت]

(٢) المسواك : عود تنظف به الأسنان .

فلم تزل البلاد مضطربة أيام موسى كلها .

وقدم الفضل بن صالح مصر ، فلم يهج أحداً من أهل الحوف الذين قتلوا موسى بن مصعب عامل المهديّ ، فسكّنهم ، وكفّ عن طلبهم ، فلم يقم إلّا يسيراً حتى خرج دِحْيَة[1] بن الأصبغ بن عبد العزيز بناحية أهناس ، من قرى صعيد مصر في خلق عظيم ، فقطع الطريق ، وأخاف السبيل ، ثم تغلّب فجبى الخراج ، فوجّه الفضل بن صالح بقائد يعرف بسفيان ورجل من أهل الفيّوم يعرف بعبد الله بن عليّ المراديّ ، فلقيا دحية بموضع يقال له صحراء بُوَيْط ، وناوشاه الحرب ، فانهزم دحية ، فدخل قرموساً ، وهو الأتّون الذي يعمل فيه الفخّار ، فأخذاه أسيراً ، وأتيا به الفضل ، فضرب عنقه وصلبه ، وبعث برأسه إلى موسى .

وشجرت بين موسى وبين أخيه الوحشة فعزم على خلعه وتصيير ابنه جعفر وليّ العهد، ودعا القوّاد إلى ذلك، فتوقّف عامّتهم، وأشاروا عليه أن لا يفعل، وسارع بعضهم، وقوّوا عزيمته في ذلك، وأعلموه أن الملك لا يصلح إن صار إلى هارون ، فكان ممن سعى في خلعه أبو هريرة محمد بن فرّوخ الأزديّ القائد من الأزد ، وقد كان موسى وجّه به في جيش كثير يستنفر من بالجزيرة والشأم ومصر والمغرب ، ويدعو الناس إلى خلع هارون ، فمن أبى جرّد فيهم السيف ، فسار حتى صار إلى الرّقّة ، فأتاه الخبر بوفاة موسى .

وأخذ موسى يحيىٰ[2] بن برمك ، فحبسه وأشرف عليه بالقتل عدّة

---

(١) دحية بن الأصبغ : أمير، من بقايا بني أُمية بمصر. دعا لنفسه بالخلافة وعظم أمره ولم يظفر به ولاة مصر ، وكاتبه الناس ودعوه إلى دخول الفسطاط ، فضيّق عليه الفضل بن صالح حتى هزمه وألقى القبض عليه وضرب عنقه سنة ١٦٩ هـ .

[النجوم الزاهرة ٢ : ٤٩ - ٦١]

(٢) يحيى بن برمك : هو يحيى بن خالد بن برمك ، أبو الفضل ، سيد بني برمك وأفضلهم ، وهو مؤدّب الرشيد ومعلمه ومربيه ، ولقد رضع الرشيد من زوجة يحيى مع =

مرار ، فحدّثني بعض المشايخ عن يحيىٰ بن خالد قال: حبسني موسى بسبب الرشيد ، وتربيتي إياه ، ومكاني معه ، وكان الرشيد دُفع إلينا مولوداً في الخرق[1] ، فغذته ثديّ نسائنا ، ورُبّي في حجورنا ، فقال : بلغني أنّك ترضى هارون للخلافة ، ونفسك للوزارة ، والله لآتينّ على نفسه ونفسك قبل ذلك ! وحبسني في بيت ضيّق لا أقدر أن أمدّ رجليّ فيه ، فأقمت أيّاماً ، فأنا ليلة في حبسي على تلك الحال ، إذا بالأبواب تُفتح ، فقلت : تذكّرني ، فأراد قتلي ! وسمعت كلام الخدم ، فارتعت لذلك ، ففتح عليّ الباب ، وأنا أتشهّد ، فقيل لي : هذه السيّدة ، يعنون الخيزران ، فخرجت ، فإذا بها واقفة على الباب ، فقالت : إن هذا الرجل قد خفت منذ الليلة ، وأحسبه قد قضى ، فتعال انظره ! فازداد جزعي وطامّتي[2] وقالت كما أقول ، فجئتُ ، فوجدته محوّل الوجه إلى الحائط ، وقد قضى ، فمضيت إلى هارون حتى أخرجته من الموضع الذي كان فيه محبوساً ، فأصبح القوّاد ، فبايعوا ، وأصبحت أدبّر الملك .

وكان الغالب على موسى الفضل بن الربيع ، وعلى شرطه عبد الله بن خازم التميميّ ، ثم عزله وولّى عبد الله بن مالك الخزاعيّ ، وعلى حرسه عليّ بن عيسى بن ماهان ، وحاجبه الفضل بن الربيع ، وكانت خلافته أربعة عشر شهراً ، وتوفي لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ ، وهو ابن ستّ وعشرين سنة ، وصلّى عليه أخوه هارون ، ودفن بعيساباذ .

= ابنه الفضل ، فكان يدعوه : يا أبي . اشتهر يحيى بجوده وحسن سياسته ، واستمر إلى أن نكب الرشيد البرامكة فقبض عليه وسجنه في الرقة إلى أن مات سنة ١٩٠ هـ . فقال الرشيد : مات أعقل الناس وأكملهم .

[وفيات الأعيان ٢ : ٢٤٣]

(١) أي في الأيام الأُولىٰ من ولادته .

(٢) الطامة : المصيبة .

وكان له من الولد الذكور سبعة : جعفر ، وإسماعيل ، وعبد الله ، وسليمان ، وعيسى ، وموسى الأعمى ، وولد له بعده العباس ، وأقام الحجّ للناس في ولايته سنة ١٦٩ سليمان بن أبي جعفر .

أيام هارون الرشيد[1]

وولي هارون الرشيد بن محمد المهديّ ، وأمّه الخيزران ، في اليوم الذي توفي فيه أخوه موسى ، وهو لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠ ، ومن شهور العجم في أيلول .

وكانت الشمس يومئذ في السنبلة عشرين درجة ، والقمر في الحوت خمساً وعشرين درجة وخمسين دقيقة ، وزحل في الدلو إحدى عشرة درجة راجعاً ، والمشتري في القوس سبع عشرة درجة ، والمرّيخ في القوس ثمانياً وعشرين درجة وعشر دقائق ، والزهرة في السنبلة خمس درجات وأربعين دقيقة ، والرأس في الميزان ثماني درجات وستّ دقائق .

وولد المأمون[2] في الليلة التي استخلف فيها الرشيد، فبشر به، فلذلك سمّاه المأمون، وولد محمد بن هارون بعده بستّة أشهر، ووجّه موسى بن عيسى في الليلة التي ولي فيها ليقيم الحجّ للناس، ثم بدا له في الخروج، فخرج هو ، فلحقه في الطريق ، فأقام الحجّ وأعطى أهل مكّة والمدينة عطايا كثيرة ، وفرّق فيهم أموالاً ، ثم انصرف ، فصار إلى قبر المهديّ بماسبذان ، فتصدّق عنده بأموال عظيمة ، وجعلها رسماً في كلّ سنة .

---

(١) هارون الرشيد : وُلد بالري سنة ١٤٩ هـ . ونشأ في دار الخلافة في بغداد . ولّاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية فصالحته الملكة إيريني على سبعين ألف دينار تبعث بها إلى خزانة الخليفة في كل عام . كان الرشيد عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه ، وكان يلقب بجبّار بني العباس . توفي في «سناباذ» من قرى طوس ودفن بها سنة ١٩٣ هـ .

[البداية والنهاية ١٠ :٢١٣]

(٢) أنظر «أيامه» فيما بعد .

وولّى الفضل[1] بن يحيىٰ خراسان ، فشخص إليها وقد خالف أهل الطالقان ، فافتتح الطالقان ، وزحف صاحب الترك في خلق عظيم ، ولقي عسكر الفضل ، والتحمت بينهما الحرب ، فضرب وجه صاحب الترك فاستنام واستباح الفضل عسكره ، وغنم أمواله ، وفيه يقول الشاعر :

لِلفَضْلِ يَوْمُ الطَّالِقَانِ وقَبْلَهُ ... يَوْمٌ أناخَ بهِ على خاقانِ
ما مِثْلُ يَوْمَيْهِ اللّذينِ تَوَالَيا ... في غَزْوَتَيْنِ تواليا يَوْمانِ

وكان يحيى[2] بن عبدالله بن الحسن بن الحسن قد هرب إلى خراسان ، ودخل أرض الديلم ، فكتب هارون إلى صاحب الديلم يطلبه منه ويتهدّده ، فطلبه ، فلمّا رأى يحيىٰ ذلك طلب الأمان من الفضل ، فآمنه وحمله إلى الرّشيد ، فحبسه فلم يزل محبوساً حتى مات .

وقيل إن الموكّل به منعه من الطعام أياماً ، فمات جوعاً .

وخبّرني رجل من موالي بني هاشم قال : كنت محبوساً في الدار التي فيها يحيىٰ بن عبد الله ، فكنت إلى جانب البيت الذي هو فيه ، فربّما كلّمني من خلف حائط قصير ، فقال لي يوماً : إنّي قد مُنعت الطعام والشراب منذ تسعة أيّام ، فلمّا كان اليوم العاشر دخل الخادم الموكّل به ، ففتّش البيت ، ثم نزع عنه ثيابه ، ثم حلّ سراويله ، فإذا بأُنبوبة قصب شدّها في باطن فخذه ، فيها سمن بقر كانٰ يلحس منه الشيء بعد الشيء يقيم برمقه ، فلمّا أخذها لم يزل يفحص[3] برجله حتى مات .

فحدّثني أبو جميل قال : خرجت إلى البصرة في أيام المأمون ، فركب معنا في السفينة خادم ، فكان يخبرنا أنّه من خدم الرشيد ، ثم حدّثنا بحديث يحيىٰ بن عبدالله ، وأنّه الذي تولّى قتله بمثل ما تقدّم ذكره ، فلمّا

---

(١) هو الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك .

(٢) تقدّمت ترجمته .

(٣) يفحص : يحرّك .

كان في الليل قام إليه رجل كان في السفينة ، فدفعه في الماء ، والسفينة تسير ، فغرّقه .

وبايع هارون لابنه محمد [1] بالعهد من بعده ، سنة ١٧٥ ، ومحمد ابن خمس سنين ، وأعطى الناس على ذلك عطايا جمّة ، وأخرج محمّداً إلى القوّاد ، فوقف على وسادة ، فحمد الله وصلّى على نبيّه ، وقام عبد الصمد بن عليّ فقال : أيّها الناس لا يغرنّكم صغر السنّ ، فإنّها الشجرة المباركة ، أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وجعل الرجل من بني هاشم يقول في ذلك حتى انقضى المجلس ، ونثرت عليهم الدراهم والدنانير وفأر المسك وبيض العنبر .

واستعمل هارون على السند سالماً اليونسيّ ، مولى إسماعيل بن عليّ ، مكان الليث مولى أمير المؤمنين ، فأحسن السيرة ، ولم يلبث أن ولّى إسحاق بن سليمان بن عليّ الهاشميّ ، وقدم البلد ، وكان عفيفاً ، ثم عزله وولّى طيفور بن عبد الله بن منصور الحميريّ ، فهاجت بين اليمانية والنزاريّة حرب ، فوجّه جابر [2] بن الأشعث الطائي على غربيّ النهر ومكران ، ثم ولّى سعيد بن سلم بن قتيبة ، فوجّه أخاه كثير بن سلم ، فأساء السيرة ، وكان مذموماً ، وصيّر الرشيد السند إلى عيسى بن جعفر بن المنصور ، فبعث إليها محمد بن عديّ الثعلبيّ ، فلمّا قدم بدأ بالعصبيّة والتحامل وضرب القبائل بعضها ببعض ، وخرج من المنصورة يريد الملتان [3] ، فلقيه

---

(١) «محمد الأمين» . أنظر أخباره فيما بعد مع أخيه عبد الله «المأمون» .

(٢) جابر بن الأشعث بن يحيى الطائي : من ولاة مصر ، في عهد العباسيين . ولّاه إمرتها الأمين سنة ١٩٥ هـ . واتصلت فتنة الأمين والمأمون بأهل مصر ، فتعصب بعضهم للمأمون ووثبوا على جابر ، فقاتلوه وأخرجوه من ديارهم ، بعد ولايته نحو عام واحد . توفي بعد سنة ١٩٦ هـ .

[النجوم الزاهرة ٢ : ١٤٨]

(٣) ملتان : مدينة من نواحي الهند قرب غزنة .

[ياقوت]

أهلها فقاتلوه فهزموه ونهبوا ما معه من السلاح ، وفرّ منهزماً لا يلوي على شيء حتى صار إلى المنصورة والتحمت العصبية بين اليمانية والنزارية واتصلت ، فولّى الرشيد عبد الرحمٰن . . .[1] ثم ولّى أيّوب بن جعفر بن سليمان ، ثم ولّى داوُد بن يزيد بن حاتم المهلّبيّ سنة ١٨٤ ، فوجّه إليها أخاه المغيرة ، فرفعت النزاريّة رؤوسهم ، وعزموا على أن يقسموا البلاد أرباعاً : ربعاً لقريش ، وربعاً لقيس ، وربعاً لربيعة ، ويخرجوا اليمانية .

ولمّا قدم المغيرة أغلق أهل المنصورة الأبواب ومنعوه الدخول، إلاّ أن يعاهدهم ألاّ يستعمل فيهم العصبية ، أو يخرجوا جميعاً عن المدينة ويدخلها ، فخرج من به رمق ودخلها المغيرة ، فتحامل على النزاريّة ، فقاتلوه فهزموه ، وسار داوُد بن يزيد لما بلغه الخبر حتى قدم البلد ، فجرّد فيهم السيف ، فقتل من النزاريّة خلقاً عظيماً ، وصار إلى المنصورة ، فأقام يقاتلهم عشرين يوماً ، ولم تزل الحروب بينهم عدّة شهور ، ففتحها ، ثم سار إلى سائر مدن السند ، فلم يزل يفتح ويخرب إلى أن استقامت له البلاد .

وولّى هارون سليمان بن أبي جعفر دمشق ، فوثب به أهلها بسبب القلّة البلّور التي كانت في محرابهم ، فأخرجوه وانتهبوا كلّ ما كان معه .

وخرج رجل من بني مرّة يقال له عامر بن عمارة، ويكنّى أبا الهيذام، بحوران من أرض دمشق ، فقتل اليمانية ، وذلك في سنة ١٧٦ ، فوجّه إليهم الرشيد السنديّ وجماعة من القوّاد ، فقُتل أبو الهيذام وفرّق جمعه .

وخرج هارون يريد الشأم ، فلمّا بلغه قتل أبي الهيذام مضى إلى الثغر ، فأغزى هرثمة بن أعين بلاد الروم ، وأمر ببناء طرسوس[2] في

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) طرسوس : مدينة بثغور الشام بين إنطاكية وحلب وبلاد الروم .

[ياقوت : معجم البلدان]

سنة ١٧١، فأحكم بناءَها، وجعل لها خمسة أبواب، وحولها سبعة وثمانين برجاً، ولها نهر عظيم يشقّ في وسطها، عليه القناطر المعقودة، وكان ابتداء بنائها على يد أبي سليمان مولاه، ثم انصرف إلى العراق يريد الحجّ، واستخلف على الشأمات والجزيرة جعفر[1] بن يحيى بن خالد، فظهرت العصبية بحمص، فصعد جعفر بن يحيىٰ منبرها، فخطب وحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على محمد، وقال: يا أهل الشأم! أحذركم عواقب البطر، ووبال ما لا يُشكر من النعم، وملمّة كلّ خطب يدفع إلى ندم، فإنّ السعيد من سعد بغيره، والشقيّ من شقي بنفسه، واتّعظ به غيره، والمغبون من غبن عقله، والمفتون[2] من فتن في دينه، والمحزوم من حزم حظّه من ربّه، والخاسر من باع آخرته بدنياه وآجله بعاجله، وإنّما يخشى الله من عباده العلماء، ولم يعط الله من عباده إلاّ أولي البهاء . . . . . [3] في كلام كثير.

وخرج الوليد[4] بن طريف الحروريّ بالجزيرة سنة ١٧٩، وكان عبد الملك بن صالح يتولاّها ويتولّى بعض الشأم، فحصره الوليد بالرّقّة، فوجّه الرشيد موسى بن خازم التميميّ في جيش، فهزمه الوليد، فوجّه بمعمّر بن عيسى العبديّ، فكانت بينهما وقائع، ثمّ مات معمّر وهو في محاربته، فتوجّه إليه يزيد بن مزيد الشيبانيّ، فواقعه يوماً واحداً، ثم قال له في اليوم

---

(١) جعفر بن يحيى: أحد مشهوري البرامكة ومقدميهم، استوزره هارون الرشيد وكان يدعوه: أخي. فانقادت له الدولة، يحكم بما يشاء فلا ترد أحكامه، إلى أن نقم الرشيد على البرامكة فقتله في مقدّمتهم سنة ١٨٧ هـ. ثمّ أحرق جثته بعد سنة.
[تاريخ الطبري: حوادث سنة ١٨٧]

(٢) المفتون: الذي غلبت عليه الفتنة.

(٣) عبارة ناقصة في الأصل.

(٤) الوليد بن طريف: كان رأس الشراة في زمنه. قتله يزيد بن مزيد الشيباني سنة ١٧٩ هـ. فرثته أخته «الفارعة» بأبياتٍ منها:

أيا شجرَ الخابور ما لك مورقاً   كأنك لم تجزعْ على ابن طريف.

[وفيات الأعيان ٢: ١٧٩]

الثـاني : أُبرز ، يـا وليد ، ولا يُقتـل الناس بيني وبينـك ! فبـرز لـه ، فقتله يزيد ، واحتزّ رأسه ، وبعث به إلى الرشيد ، وتفرّق أصحـابه ، ثم اجتمعت طائفة منهم مع رجل يقال له خُـراشَة ، فمـالوا نحـو الجزيـرة ممّا يلي ديـار ربيعة .

ولم يزل يزيـد بن حاتم المهلّبيّ على أفـريقية منـذ أيّام المنصـور إلى أيـام الرشيـد ، ثم تـوفي ، واستخلف على أفـريقيـة ابنـه داوُد بن يـزيـد بن حاتم ، فلم يقم فيهم بالعـدل ، وقاتلوه ، فهـزموه ، فـولّى الرشيـد روح بن حاتم المهلّبيّ ، فقدم البلد ، فسكّنهم ، ثم مـات ، فولّى الـرشيد نصـر بن حبيب المهلّبيّ ، ثم عزله ، وولّى الفضـل بن روح ، فثار عليـه عبد الله بن الجارود ، واجتمع معـه أهل المغـرب ، فحاربـوه فقتلوا عساكـره ، وظفروا به ، فحبسوه وأصحابه .

وغلب على البلد عبـد الله بن الجـارود ، فـطلب الأمـان ، وسـأل أن يقضى له حوائج سمّاها ، فأجابوه إلى كلّ ما سأل ، وانصرفـوا إلى الرشيـد بخبره .

ووجّه الرشيد هرثمة[1] بن أعين إلى الشأم ومصر والمغرب يتقـرّاها[2] ويصلحها ، فلم يزل يمرّ ببلد بلد فيصلح ما يريد إصلاحه ، حتى صار إلى مصـر في سنة ١٧٩ ، وقـد كانـوا وثبـوا على عـاملهم ، وصـار هـرثـمة إلى المغرب ، فلمّا بلغ طرابلس من أرض المغرب أعطى جندها أرزاقهم الفائتة وآمنهم جميعاً ، حتى قدم القيروان سنة ١٧٩ ، فآمن الناس وسكّنهم .

---

(١) هرثمة بن أعين : له عناية بالعمران ، فبنى في أرمينية وأفريقيا. ظفر على ابن الجارود فأطاعته قبائل البربر . بنى في القيروان القصر المعروف بالمنستير وبنى سـور طرابلس الغرب . انحاز إلى المأمون ضد الأمين . وبعد انتـظام الأمر للمـأمون حبسـه إلى أن دس إليه الفضل بن سهل من قتله في الحبس سنة ٢٠٠ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٨ : ٨١]

(٢) يتقرّاها : يطوف فيها .

وخرج عليه قوم في ناحية من النواحي ، فوجّه إليهم جيشاً ، ففرّقهم ، وأقام هرثمة حتى أصلحها ، ثم عاد إلى مصر ، فأقام بها حتى استقامت أحوالها، وحمل من رأى حمله منها ثم انصرف .

وولّى الرشيد أفريقية محمد بن مقاتل العكّيّ ، فثار عليه تمّام بن تميم التميميّ حتى حصره في القيروان ، ثم فتح أهل القيروان الباب لتمّام ، فدخل المدينة ، وطلب محمد بن مقاتل الأمان ، فآمنه ، وخرج ابن مقاتل إلى العراق وتغلّب تمّام على البلد ، ثم ثار عليه أهل خراسان وأهل الشأم ، فحاربوه ، فانهزم منهم .

وقدم إبراهيم بن الأغلب ، فولّاه أهل المغرب عليهم ، فضبط عليهم ، وبلغ الرشيد ذلك ، فكتب إليه بعهده على أفريقية ، وبعث إليه بالعهد مع يحيىٰ بن موسى الكنديّ .

وكان إبراهيم بن الأغلب بن سالم أحد الجند الذين أُخرجوا من مصر إلى أفريقية ، وكان يتولّى شرطة صاحب أفريقية ، فلمّا توفي ابن مقاتل واستخلف إبراهيم على البلد ضبطه وحسنت طاعة أهله ، وكان يحمل إلى صاحب أفريقية من مصر ، في كلّ سنة ، ستّمائة دينار ، فكتب إبراهيم[1] بن الأغلب إلى الرشيد يعلمه أنّه يقوم بالبلد بغير مال ، فولّاه إيّاه ، فدام أمره وأمر ولده إلى هذه الغاية .

وكان الرشيد ولّى اليمن العبّاس بن سعيد مولاه ، فضجّ منه أهل اليمن ، وحكي عنه مذاهب قبيحة ، فصرفه الرشيد ، وولّى مكانه إبراهيم بن محمّد

(١) إبراهيم بن الأغلب : ثاني الأغالبة ولاة أفريقية لبني العباس . كان أبوه «الأغلب» وليها قبله وقتله ثائر ، فوجه إليها عدة ولاة غلبتهم الفتن . كان إبراهيم أديباً فقيهاً ، شاعراً ، خطيباً شجاعاً . وهو أول من اتخذ العبيد لحمل سلاحه واستكثر من طبقاتهم واستغنى بهم عن الرعية في بعض أموره . مات بالعباسية سنة ١٩٦ هـ .
[الكامل لابن الأثير ٦ : ٥١]

ابن إبراهيم الإمام ، ثم صرفه ، وولّى عبد الله[1] بن مصعب الزبيريّ ، ثم صرفه ، وولّى أحمد بن إسماعيل بن عليّ مكانه ، ثم صرفه ، وولّى حماداً البربريّ مولاه فجار على أهل اليمن وغلظ عليهم .

ووثب الهيصم بن عبد المجيد الهمدانيّ باليمن سنة ١٧٩ ، وغلب عليها ، فكان معقله بجبل يقال له مِسْوَر[2] ، وكان معه عمر بن أبي خالد الحميريّ مقيماً بعَشّتان[3] ، وكان معه الصبّاح بناحية يقال لها حَراز[4] ، فلقوا حماداً البربريّ ، فكانت بينهما وقائع قُتل فيها نيف وعشرون ألفاً من الناس ، وأسر حمّاد عمر بن أبي خالد ، فوجّه به إلى الرشيد ، واتصلت الحرب بينه وبين الهيصم تسع سنين ، ثم صار إلى حمّاد رجل من أهل البلد، فأعلمه أن الهيصم قد نزل من قلعته وصار إلى قرية من القرى متنكّراً يتجسّس الأخبار ، فوجّه معه إلى تلك القرية بقائد يقال له حراد ، فأخذ الهيصم ، فقال الهيصم : والله إن القتل لشيء ما أنكره ، وما خُلقت الرجال إلّا للموت والقتل . فحمله حماد على جمل ، وأدخله إلى صنعاء ، ثم وجّه به إلى الرشيد ، فأنشده في شعر طويل :

فشفاءُ ما لا تشتهيـ ـهِ النفسُ تعجيلُ الفراق

فدعا بالهيصم فأمر بضرب عنقه ، وانحرف حمّاد البربريّ إلى صبّاح ، فضرع صبّاح إلى الأمان فأعطاه الأمان ، وقيل : لم يعطه إيّاه ، ولكنّه أسره ، ووجّه به إلى الرّشيد مع ستّمائة رجل من أصحاب الهيصم ، فضرب أعناقهم جميعاً ، وصلب الهيصم وصبّاحاً معاً ، وأقام حمّاد البربريّ

---

(١) تقدّمت ترجمته .

(٢) مسور : جبل فيه حصن ، من أعمال صنعاء اليمن . [ياقوت]

(٣) عشتان : بلد باليمن من أرض صعدة . [المصدر السابق]

(٤) حراز : مخلاف باليمن قرب زبيد . [المصدر السابق]

على اليمن ثلاث عشرة سنة ، وسام أهلها سوء العذاب ، حتى صاح قومه منهم بالرشيد ، وهو بمكّة : نحن نعوذ بالله وبك ، يا أمير المؤمنين ! إعزل عنّا حمّاداً البربريّ إن كنت تقدر . فقال : لا ولا كرامة .

وكان حمّاد عبداً لهارون فأعتقه في أوّل خلافته ، ثم عزل الرشيد حماداً ، واستعمل مكانه عبد الله بن مالك ، فلم يزل في البلد محمود السيرة جميل المذهب ، حتى توفي هارون .

وفاة موسى بن جعفر

وتوفي موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، وأمّه أم ولد[1] ، يقال لها حمدة ، سنة ١٨٣ ، وسنّه ثمان وخمسون سنة ، وكان ببغداد في حبس الرشيد قِبل السنديّ بن شاهك . فأحضر مسروراً الخادم ، وأحضر القوّاد والكتّاب والهاشميّين والقضاة ومن حضر ببغداد من الطالبيّين ، ثم كشف عن وجهه ، فقال لهم : أتعرفون هذا ؟ قالوا : نعرفه حقّ معرفته ، هذا موسى بن جعفر . فقال هارون : أترون أنَّ به أثراً وما يدلّ على اغتيال ؟ قالوا : لا ! ثم غسل وكفن وأخرج ودفن في مقابر قريش في الجانب الغربيّ .

وكان موسى بن جعفر من أشدّ الناس عبادة ، وكان قد روى عن أبيه .

قال الحسن بن أسد : سمعت موسى بن جعفر يقول : ما أهان الدنْيا قومٌ قطّ إلاّ هنّأهم الله إياها وبارك لهم فيها ، وما أعزّها قوم قطّ إلاّ نغّصهم الله إيّاها .

---

(١) أم ولد : أُمه يتسرّاها سيدها وتلد منه ، ومنزلتها فوق منزلة الجارية لأنها لا تلد من سيدها . وقد منحت حقوقاً أهمها أنه لا يصلح لمالكها أن يبيعها ولكنها تبقى حِلاًّ له حتى يموت ، فإذا مات صارت حرة .

[راجع أخبار النساء في كتاب الأغاني لعبد الأمير مهنا ص : ٥]

وقـال : إن قومـاً يصحبون السلطان يتّخـذهم المؤمنون كهـوفـاً ، فهم الآمنون يوم القيامة ، إن كنت لأرى فلاناً منهم .

وذكر عنده بعض الجبابرة ، فقال : أما والله لئن عزّ بالظلم في الدنيـا ليذلّنّ بالعدل في الآخرة .

وقيل لموسى بن جعفر ، وهو في الحبس : لـو كتبت إلى فلان يكلّم فيـك الـرشيـد؟ فقـال : حـدثني أبي عن آبـائـه أن الله عـزّ وجـلّ أوحى إلى داوُد : يا داوُد ! إنّه مـا اعتصم عبد من عبـادي بأحـد من خلقي دوني عرفت ذلـك منه إلاّ وقطعت عنه أسباب السماء وأسَخْتُ الأرض من تحته[1] .

وقـال موسى بن جعفـر : حدّثني أبي أن مـوسى بن عمران قـال : يا ربّ ! أيّ عبـادك شرّ ؟ قـال : الّذي يتّهمني . قـال : يا ربّ ! وفي عبـادك من يتّهمك ؟ قال : نعم ! الذي يستجيرني ، ثم لا يرضى بقضائي .

وكان له من الولد ثمانية عشر ذكراً، وثلاث وعشرون بنتـاً، فالـذكور: عليّ الـرضيّ ، وإبراهيم ، والعبـاس ، والقاسم ، وإسمـاعيـل ، وجعفـر ، وهـارون ، والحسن ، وأحمد ، ومحمـد ، وعبيـد الله ، وحمـزة ، وزيـد ، وعبـد الله ، وإسحاق، والحسين ، والفضل ، وسليمـان . وأوصى مـوسى بن جعفر ألاّ تتزوّج بناته، فلم تتزوّج واحدة منهنّ إلاّ أم سلمـة، فإنّهـا تزوّجت بمصر ، تزوّجهـا القاسم بـن محمّـد بن جعفر بن محمـد ، فجرى في هـذا بينـه وبين أهله شيء شديـد ، حتى حلف أنّه مـا كشف لها كنفـاً ، وأنّه مـا أراد إلاّ أن يحجّ بها .

وبـايع الـرشيد لابنـه المأمـون[2] بعد محمـد بولايـة العهـد في هـذه السنـة ، وهي سنـة ١٨٣ ، وأُخـذت لـه الـبيـعـة على الـنـاس كلّهـم

(١) أسخت الأرض: جعلتها تذوب .

(٢) أنظر «أيامه» فيما بعد .

حتى أهل الأسواق ، فكان بين البيعة للمأمون والبيعة لمحمد ثماني سنين ، وكان يبعث بالمأمون وبمحمد إلى الفقهاء والمحدّثين فيسمعان منهم ، ويحضر لهما أهل الكلام والنظر ، فكان محمد بطيء الحفظ ، وكان المأمون سريع الحفظ .

وأخذ الرشيد العمّال والتنأة[1] والدهاقين[2] وأصحاب الضياع والمبتاعين للغلّات والمقبّلين ، وكان عليهم أموال مجتمعة ، فولّى مطالبتهم عبد الله بن الهيثم بن سام ، فطالبهم بصنوف من العذاب ، وكان سنة ١٨٤ .

واعتلّ الرشيد في تلك السنة علّة شديدة أشفى منها ، فدخل إليه الفضيل بن عياض ، فرأى الناس يعذَّبون في الخراج[3] ، فقال : ارفعوا عنهم ، إنّي سمعت رسول الله يقول : من عذّب الناس في الدنْيا عذّبه الله يوم القيامة ؛ فأمر بأن يرفع العذاب عن الناس ، فارتفع العذاب من تلك السنة .

وأقام الرشيد بالرافقة حتى بناها ، وكان مقامه بها سنة ١٨٦ ، وحجّ في تلك السنة ، ومعه محمد والمأمون وجلّة بني هاشم والقوّاد والكتّاب ، فلم يتخلّف منهم أحد له ذكر وقدر ، وقدم الرشيد المدينة فأعطى أهل المدينة ثلاثة أعطية ، وكُسىً كثيرة ، ثم صار إلى مكة ، فلم يفعل مثل ذلك .

ولمّا صار إلى مكّة صعد المنبر ، فخطب ، ثم نزل ، فدخل البيت ، ودعا بمحمد والمأمون ، فأملى على محمد كتاب الشرط على نفسه ،

---

(١) التنأة : المقيمون في الأرض .

(٢) الدهاقين : التجار .

(٣) أي لأنهم غير قادرين على دفع الخراج . والخراج هو الضريبة المفروضة على الزرع .

وكتب محمد الكتاب ، وأحلفه على ما فيه ، وأخذ عليه العهود والمواثيق ، وفعل بالمأمون مثله ، وأخذ عليه مثل ذلك ، وكان نسخة الكتاب الذي كتبه محمّد بخطّه :

بسم الله الرحمٰن الرحيم . هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه محمد بن هارون في صحّة من بدنه وعقله وجواز من أمره . إنّ أمير المؤمنين هارون ولاني العهد من بعده ، وجعل لي البيعة في رقاب المسلمين جميعاً ، وولّى أخي عبد الله ابن أمير المؤمنين العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين بعدي برضىً منّي وتسليم ، طائعاً غير مكره ، وولّاه خراسان بثغورها وكورها ، وأجنادها وخراجها وطرازها ، وبريدها ، وبيوت أموالها وصدقاتها وعُشرها وعُشورها ، وجميع أعمالها في حياته وبعد موته ، وشرطت لعبد الله أخي عليّ الوفاء بما جعل له هارون أمير المؤمنين من البيعة والعهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين بعدي ، وتسليم ذلك له وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها ، وما أقطعه هارون أمير المؤمنين من قطيعة ، وجعل له من عُقدة[1] ، أو ضيعة من ضياعه وعُقَده ، أو ابتاع من الضياع والعُقَد ، وما أعطاه في حياته من مال ، أو حلى ، أو جوهر ، أو متاع ، أو كسوة ، أو رقيق[2] ، قليلاً أو كثيراً ، فهو لعبد الله ابن أمير المؤمنين أخي ، موفَّراً عليه مسلَّماً له . وقد عرفت ذلك كلّه شيئاً شيئاً باسمه وأصنافه ومواضعه أنا وأخي عبد الله بن هارون ، فإن اختلفنا في شيء منه ، فالقول فيه قول عبد الله أخي لا أنتقصه صغيراً ولا كبيراً من ماله ، ولا من ولايته خراسان وأعماله ، ولا أعزله عن شيء منها ، ولا أستبدل به غيره ، ولا أخلعه ، ولا أقدّم عليه في العهد والخلافة أحداً من الناس جميعاً ، ولا أدخل عليه مكروهاً في نفسه ولا دمه ، ولا خاصّ ولا عامّ من

---

(١) العقدة : الولاية على البلد ، أو البيعة المعقودة للولاة .

(٢) الرقيق : الخدم .

أموره وولايته ، ولا أمواله ، ولا قطائعه[1] ، ولا عُقَده ، ولا أغيّر عليه شيئاً بسبب من الأسباب ، ولا آخذ أحداً من كتّابه وعمّاله ، وولاة أموره ، ممّن صحبه وأقام معه ، بمحاسبة في ولاية خراسان وأعمالها وغيرها مما ولاّه هارون أمير المؤمنين في حياته وصحّته من الجباية ، والأموال ، والطراز ، والبريد ، والصدقات ، والعشر والعشور ، وغير ذلك من ولايتها ، ولا آمر بذلك أحداً ، ولا أرخص فيه لغيري ، ولا أحدث نفسي فيه بشيء أمضيه عليه ، ولا ألتمس قطيعته ، ولا أنقص شيئاً مما جعل له هارون أمير المؤمنين وأعطاه في حياته ، وخلافته ، وسلطانه ، من جميع ما سمّيت في كتابي هذا ، وأخذ له عليّ وعلى جميع الناس البيعة ، ولا أرخّص لأحد من الناس كلّهم في خلعه ، ولا مخالفته ، ولا أسمع من أحد من البريّة في ذلك قولاً ، ولا أرضى به في سرّ ولا علانية ، ولا أغمض عليه ، ولا أتغافل عنه ، ولا أقبل من برّ من العباد ، ولا فاجر ، ولا صادق ، ولا كاذب ، ولا ناصح ، ولا غاشّ ، ولا قريب ، ولا بعيد ، ولا أحد من ولد آدم ، ذكراً وأنثى ، مشورة ، ولا حيلة ، ولا مكيدة في شيء من الأمور سرّها وعلانيتها ، وحقّها وباطلها ، وباطنها وظاهرها ، ولا سبب من الأسباب أريد بذلك إفساد شيء ممّا أعطيت عبد الله بن هارون أمير المؤمنين من نفسي وشرطت في كتابي هذا عليّ ، وأوجبت على نفسي ، وشرطت وسمّيت ، وإن أراد أحد من الناس شرّاً ، أو مكروهاً ، أو خلعاً ، أو محاربة ، أو الوصول إلى نفسه ودمه ، أو حرمه ، أو ماله ، أو سلطانه ، أو ولايته جميعاً ، أو فُرادَى مُسرّين[2] ذلك أو مُظْهِرين له ، أن أنصره وأحوطه وأدفع عنه ، كما أدفع عن نفسي ، ومهجتي ، ودمي ، وشعري ، وبشري[3] ، وحرمي[4] وسلطاني ، وأجهز الجنود إليه ، وأعينه

---

(١) القطائع : جمع قطيعة : ما يقطع من أرض الخراج .

(٢) أي سرّاً .

(٣) بشري : جلدي .

(٤) حرمي : أزواجي .

على كل من أعنَتَه وخالفه ، ويكون أمري وأمره في ذلك واحداً أبداً ما كنت حيّاً ، ولا أخذله ، ولا أسلمه ، ولا أتخلّى عنه .

وإن حدث بهارون حدث الموت ، وأنا وعبد الله بحضرة أمير المؤمنين ، أو أحدنا ، أو كنّا غائبين عنه ، مجتمعيْن كنّا أو متفرقيْن ، وليس عبد الله بن هارون في ولايته بخراسان ، فعليّ لعبد الله بن هارون ، أمير المؤمنين ، أن أمضيه إلى خراسان ، وأسلم له ولايتها وأعمالها كلها ، وجنودها ، ولا أعوقه عنها ، ولا أحبسه قِبَلي ، ولا في شيء من البلدان دون خراسان ، وأعجل إشخاصه إليها والياً عليها وعلى جميع أعمالها ، مفرداً بها ، مفوّضاً إليه أعمالها كلّها ، وأشخص معه جميع من ضمّ إليه أمير المؤمنين من قوّاده ، وجنوده ، وأصحابه ، وكتّابه ، ومواليه ، وخدمه ، ومن تبعه من صنوف الناس بأموالهم وأهليهم ، ولا أحبس عنه أحداً منهم ، ولا أشرك معه في شيء منها أحداً ، ولا أبعث إليه أميناً ، ولا كاتباً ، ولا بنداراً[1] ، ولا أضرب على يديه في قليل وكثير .

وأعطيت أمير المؤمنين هارون وعبد الله بن هارون ، على ما شرطت لهما على نفسي من جميع ما سميت وكتبت في كتابي هذا ، عهد الله ، وميثاقه ، وذمّة أمير المؤمنين وذمّتي ، وذمم آبائي ، وذمم المؤمنين ، وأشدّ ما أخذ الله على النبيّين ، والمرسلين . وخلقه أجمعين ، ومن عهوده ومواثيقه ، والأيمان المؤكدة التي أمر الله بالوفاء بها ونهى عن نقضها وتبديلها ، فإن أنا نقضت شيئاً ممّا شرطت لهارون ولعبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، أو بدلت ، أو حدّثت في نفسي أن أنقض شيئاً مما أنا عليه ، أو قبلت من أحد من الناس ، فبرئت من الله ، من ولايته ، ومن دينه ، ومن محمد رسول الله ، ولقيت الله يوم القيامة كافراً به ومشركاً ، وكلّ امرأة هي في اليوم لي ، أو تزوّجتها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثاً البتّة ، طلاق الحرج

---

(١) البندار : التاجر «فارسية» .

والسنّة[1] ، وعليّ المشي إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجّة نذراً واجباً في عنقي ، حافياً راجلاً ، لا يقبل الله منّي إلا الوفاء بذلك . وكلّ مال هو لي اليوم ، أو أملكه إلى ثلاثين سنة هدي بالغ الكعبة الحرام ، وكل مملوك هو لي اليوم أو أملكه إلى ثلاثين سنة أحرار لوجه الله عزّ وجلّ ، وكلّ ما جعلت لأمير المؤمنين ولعبد الله ابن أمير المؤمنين ، وكتبته ، وشرطته لهما ، وحلفت عليه ، وسمّيت في كتابي هذا ، لازم لي الوفاء به ، ولا أضمر غيره ولا أنوي إلاّ إيّاه ، فإن أضمرت ، أو نويت غيره ، فهذه العهود والأيمان كلّها لازمة لي ، واجبة عليّ ، وقوّاد أمير المؤمنين ، وجنوده ، وأهل الآفاق والأمصار ،وعوامّ المسلمين بُراء من بيعتي ، وخلافتي ، وعهدي ، وهو في حِلّ من خلعي ، وإخراجي من ولايتي عليهم ، حتى أكون سوقة[2] من السوق ، وكرجل من عرض الناس ، ولا حق لي عليهم ، ولا ولاية ، ولا بيعة لي في أعناقهم ، وهم في حلّ من الأيمان التي أعطوني ، وبراء من تبعتها ووزرها في الدنيا والآخرة ، وكتبه محمد بن هارون بخطّه .

شهد سليمان ابن أمير المؤمنين المنصور ، وعيسى بن جعفر ، وجعفر بن جعفر ، وعبيد الله بن المهدي ، وجعفر بن موسى أمير المؤمنين ، وإسحاق بن عيسى بن عليّ ، وعيسى بن موسى ابن أمير المؤمنين ، وإسحاق بن موسى أمير المؤمنين ، وأحمد بن إسماعيل بن عليّ ، وسليمان بن جعفر بن سليمان ، وعيسى بن صالح بن عليّ ، وداوُد بن عيسى بن موسى ، وداوُد بن سليمان بن جعفر ، ويحيى بن عيسى بن موسى ، ويحيىٰ بن خالد ، وخزيمة بن خازم ، وهرثمة بن أعين ، وعبد الله بن الربيع ، والفضل بن الربيع ، والعبّاس بن الفضل ، والقاسم بن الربيع ، ودقاقة بن عبد العزيز ، وسليمان بن عبدالله بن الأصم . . .[3] ،

(١) أي طلاق بائن لا رجعة فيه .
(٢) السوقة : عامة الشعب .
(٣) بياض في الأصل .

ومحمد بن عبد الرحمٰن قاضي مكّة ، وعبد الكريم الحجبي ، وإبراهيم بن عبد الرحمٰن الحجبيّ ، وأبان مولى أمير المؤمنين ، والحارث مولى أمير المؤمنين ، وخالد مولى أمير المؤمنين ، ومحمّد بن منصور ، وإسماعيل بن صبيح .

وكُتب في ذي الحجّة سنة ١٨٦ ،

نسخة الشرط الذي كتبه عبد الله ابن أمير المؤمنين بخطّه في البيت :

بسم الله الرحمٰن الرحيم . هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين في صحّة من عقله ، وجواز من أمره ، وصدق نيّته فيما كتب في كتابه هذا ، ومعرفته بما فيه من الفضل والصلاح له ، ولأهل بيته ، وجماعة المسلمين : إن أمير المؤمنين ولاني العهد والخلافة ، وجميع أمور المسلمين في سلطانه بعد أخي محمد بن هارون أمير المؤمنين ، وولاني في حياته ، وبعد موته ، ثغور خراسان ، وكورها ، وجميع أعمالها من الصدقات ، والعشر ، والعشور ، والبريد ، والطراز ،وغير ذلك ، واشترط لي على محمد بن هارون أمير المؤمنين الوفاء بما عقد لي من الخلافة ، والولاية للعباد والبلاد بعده ، وولاية خراسان ، وجميع أعمالها ، لا يعرض لي في شيء ممّا أقطعني أمير المؤمنين ، أو ابتاع لي من الضياع ، والعُقد ، والدور ، والرباع ، أو ابتعت لنفسي من ذلك ، وما أعطاني أمير المؤمنين هارون من الأموال ، والجوهر ، والكساء ، والمتاع ، والدوابّ ، في سبب محاسبة لأصحابي ، ولا يتّبع لأحد منهم أبداً ، ولا يدخل عليّ ، ولا على أحد كان معي ومنّي ، ولا عمّالي ولا كتّابي ، ومن استعنت به من جميع الناس ، مكروهاً في نفس ، ولا دم ، ولا شعر ، ولا بشر ، ولا مال ، ولا صغير ، ولا كبير ، فأجابه إلى ذلك ، وأقرّ به ، وكتب بذلك كتاباً ، وكتبه على نفسه ، ورضي به هارون أمير المؤمنين ، وعرف صدق نيّته ، فشرطت لعبد الله هارون أمير المؤمنين، وجعلت له على نفسي أن أسمع لمحمد ابن أمير المؤمنين ،

وأطيعه ولا أعصيه ، وأنصحه ولا أغشّه ، وأوفي ببيعته وولايته ، ولا أغدر ،ولا أنكث ، وأنفذ كتبه وأموره ، وأُحسن مؤازرته ومكانفته[1] ، وأجاهد عدوّه في ناحيتي ما وفى لي بما شرط لي ولعبد الله هارون أمير المؤمنين ، ورضي لي به ، وقبلته ولا أنتقص شيئاً من ذلك ، ولا أنتقص أمراً من الأمور التي شرطها لي عليه أمير المؤمنين ، فإن احتاج محمد ابن أمير المؤمنين إلى جند ، وكتب إليّ يأمرني بإشخاصهم إليه ، أو إلى ناحية من النواحي ، أو عدوّ من أعدائه خالفه ، وأراد نقص شيء من سلطانه الذي أسنده هارون أمير المؤمنين إلينا ، وولاناه ، أن أنفذ أمره ، ولا أخالفه ، ولا أقصّر في شيء كتب به إليّ ، وإن أراد محمد ابن أمير المؤمنين أن يولّي رجلاً من ولده العهد من بعدي ، فذلك له ما وفى بما جعل لي أمير المؤمنين هارون ، واشترط لي عليه ، وشرطه على نفسه في أمري ، وعليّ إنفاذ ذلك ، والوفاء به ، ولا أنقض ذلك ، ولا أغيّره ، ولا أبدّله ، ولا أقدّم قبله أحداً من ولدي ، ولا قريباً ، ولا بعيداً من الناس أجمعين ، إلاّ أن يولي هارون أمير المؤمنين أحداً من ولده العهد بعدي ، فيلزمني ومحمداً الوفاء بذلك .

وجعلت لأمير المؤمنين هارون ولمحمد ابن أمير المؤمنين عليّ الوفاء بما شرطت وسمّيت في كتابي هذا ، ما وفى لي محمد ابن أمير المؤمنين بجميع ما اشترط لي هارون أمير المؤمنين في نفسي ، وما أعطاني أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسمّاة في الكتاب الذي كتبه له ، وعليّ عهد الله وميثاقه ، وذمّة أمير المؤمنين وذمّتي ، وذمم آبائي ، وذمم المؤمنين ، وأشدّ ما أخذ الله على النبيين والمرسلين ، وخلقه أجمعين ،من عهوده ومواثيقه ، والأيمان المؤكّدة التي أمر الله بالوفاء بها ، فإن أنا نقضت شيئاً مما شرطت وسميت في كتابي هذا ، أو غيّرت ، أو بدّلت ، أو نكثت ، أو غدرت ، فبرئت من الله ، ومن ولايته ، ومن دينه ومن محمد رسول الله ،

---

(١) المكانفة : الصون والحفظ والإحاطة بالشيء .

ولقيت الله يوم القيامة كافراً به مشركاً ، وكلّ امرأة هي اليوم لي ، أو أتزوّجها إلى ثلاثين سنة طالقَ ثلاثاً البتّة ، طلاق الحرج ، وكلّ مملوك لي اليوم ، أو أملكه إلى ثلاثين سنة ، أحرار لوجه الله ، وعليّ المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكّة ثلاثين حجّة نذراً واجباً عليّ ، وفي عنقي ، حافياً راجلاً ، لا يقبل الله منّي إلّا الوفاء به ، وكلّ مال هو لي اليوم ، أو أملكه إلى ثلاثين سنة هدي بالغ الكعبة ، وكلّ ما جعلت لعبد الله هارون أمير المؤمنين وشرطت في كتابي هذا لازم لي لا أضمر غيره ولا أنوي سواه .

وشهد الشهود الذين شهدوا على أخيه محمد ابن أمير المؤمنين ، وأقام الرشيد الحجّ للناس ، وأمر بتعليق هذين الكتابين ، فعلّقا أيام الموسم على باب الكعبة ، وقرئا على الناس عدّة مرار ، وجعلا في الكعبة .

وانصرف الرشيد ، فنزل الحيرة ، فأقام أيّاماً ، ثم مضى على طريق البريّة ، فنزل بموضع من الأنبار يقال له الحُرْف[1] ، بدير يقال له العُمْر ، وأقام يومه ، وقتل جعفر[2] بن يحيىٰ بن خالد وزيره في تلك الليلة بغير أمر متقدّم قبل ذلك ، وأصبح ، فحمله إلى بغداد ، فقطع ثلاث قطع ، وصلب على جسر بغداد ، ولبغداد يومئذ ثلاثة جسور ، وحبس يحيىٰ بن خالد بن برمك وولده وأهل بيته ، واستصفىٰ أموالهم ، وقبض ضياعهم ، وقال : لو علمت يميني بالسبب الذي له فعلت هذا لقطعتها ، وأكثر الناس في أسباب السخط عليهم مختلفون .

وحدث إسماعيل بن صبيح ، قال : بعث إليّ الرشيد يوماً ، وهو

---

(١) الحرف : رستاق من نواحي الأنبار .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) جعفر بن يحيى : وزير الرشيد ، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم ، استوزره هارون الرشيد ، وكان يدعوه : أخي . وكان في مقدمة الذين قتلوا بعد أن نكب الرشيد بالبرامكة سنة ١٨٧ هـ . كان كاتباً بليغاً ، يحتفظ الكتاب بتوقيعاته يتدارسونها .

[تاريخ الطبري : حوادث سنة ١٨٧ هـ]

ببغـداد ، فـدخلت ، فلم أر في المقـاصيـر والأروقـة أحـداً ، حتى انتهيت إليه ، فقال : يا إسماعيل ! هل رأيت في الدار أحداً ؟ فقلت : لا ، والله ! قال : فطف المجالس والأروقة والمقاصير ! فطفت فلم أجد أحداً ، فقال : عد ثالثة ! فعدت ، ثم قال : خذ ذلك الكرسيّ ! فأخذته ، وخرج وفي يده عمود حتى صار إلى وسط الصحن ، ثم قـال : ضع الكـرسيّ ! فوضعتـه ، فجلس عليه ، والعمود في يده ، ثم قال : إجلس ! فأوحشت نفسي خيفة ، وجلست ، فقال : إنّي أريد أن أفشي إليك سرّاً ، والله لئن سمعتُـه من أحد من النـاس لأضـربنّ عنقـك ! فتـراجعت نفسي ، وقلت : إن كنت يـا أميـر المؤمنين قلته لأحد ، أو تقوله ، فلا حاجة بي إليه . فقال : ما قلته لأحد ، ولا أقـوله ، إنّي أريـد أن أوقع بـآل برمـك إيقاعـاً ما أوقعه بأحد، وأجعلهم أحدوثـة ونكـالاً إلى آخر الأبـد . فقلت : وفقك الله ، يـا أمير المؤمنين ، وأرشـد أمرك! ثم قام، فعاد، وأخذت الكرسيّ، فـرددتـه، وقلت: إنّمـا أراد أن يعرف ما عندي فيهم ، فبعث بي إليهم ، وكان يفعل ذلك كثيـراً ، ثم حال الحول[1] ، وحال حول ثانٍ ، ثم حال ثالث ، فلمّا كـان رأس الحول الـرابع قتلهم ، وكان قتل جعفـر في صفر سنـة ١٨٨ بديـر العُمْر ، وكـان يحيىٰ بن خالد قد نزل هذا الدير منصرفـاً من الحجّ ، قبـل أن يحلّ بهم الأمـر بحول كامل ، فدخل إلى الدير الذي قُتل ابنه جعفر فيه ، فطافه ، فظهر له قسّ ، فقـال له : مذ كم بنيت هذه البيعـة ؟ فقال : مـذ ستّمائـة سنة ، وهـذا قبـر صاحبها ، فوقف على قبر عليه كتابة فقرأها ، فإذا عليه :

إنّ بني المُنـذرِ عـامَ انْقضَـوا ... بحيْثُ شـادَ البيعـةَ الـرّاهِبُ
تَنْفـحُ بـالمِسْـكِ ذَفـاريهِمُ[2] ... وَعَنبـرٍ يَقْـطِبُـهُ[3] القـاطِبُ
والقُـطنُ والكَتّـانُ أثْـوَابُهُـمْ ... لم يجنب الصوفَ لهم جـانبُ

---

(١) حال الحول : مضى عام .

(٢) ذفاريهم : روائحهم .

(٣) يقطبه : يمزجه .

فأصبحوا حَشّـاً[1] لدود الثّرَى والـدّهْـرُ لا يبقى لـه صـاحبُ
أضْحـوا وما يَـرْجـو لهم راغِبٌ خَيـراً ولا يـرْهَبُـهُـمْ راهِـبُ
كَـأنّـمـا جَنّتْهُـمُ[2] لـعـنـة سـار إلـى بيـنٍ بـهـا راكـب

قال : فتغيّر وجه يحيىٰ ، وقال : أعوذ بالله من شرّك ، يا قسّ ! فغاب القسّ بين عينيه ، فطلبه ، فلم يقدر عليه . وأقام يحيىٰ وولده في الحبس عدّة سنين ، وكتب يحيىٰ إلى الرشيد يستعطفه ، ويذكر له حرمته وتربيته ، فوقّع على ظهر رقعته : إنّما مثلك يا يحيىٰ ما قال الله عزّ وجلّ[3] : ﴿**وضرب الله مثلاً قريةً كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغداً من كلّ مكان ، فكفرت بأنعُم الله ، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**﴾ .

وأغزى الرشيد ابنه القاسم الصائفة في هذه السنة ، وهي سنة ١٨٨ ، ومعه عبد الملك بن صالح الهاشميّ ، وعلى أمره إبراهيم بن عثمان بن نهيك ، فحاصر حصن سنان وقُرّة ، وأصاب الناس جوع شديد ، وعوزٌ ، وغلاء ، وطلب الروم الصلح على أن يدفعوا إليه ثلاثمائة وعشرين مسلماً ، فقبل ، وانصرف ، وأخذ الرشيد أحمد بن عيسى بن يزيد العلوي ، فحبسه بالرافقة سنة ١٨٨ ، فهرب أحمد بن عيسى من الحبس ، وصار إلى البصرة ، وكان يكاتب الشيعة يدعوهم إلى نفسه ، فأذكى الرشيد عليه العيون ، وجعل لمن جاء به الأموال ، فلم يقدر عليه ، فأُخذ حاضر صاحبه ، والمدبّر لأمره ، فحُمل إلى الرشيد ، فلمّا صار ببغداد ، وهو بباب الكرخ ، قال : أيّها الناس أنا حاضر صاحب أحمد بن عيسى بن يزيد العلوي ، وقد أخذني السلطان ؛ فمنعه الموكّلون به من الكلام ، فلمّا دخل

(١) الحشّ : البستان .
(٢) جنّتهم : سترتهم .
(٣) سورة النحل ؛ الآية : ١١٢ .

على الرّشيد سأله عنه وتهدّده ، فقال : والله لو كان تحت قدمي هذه ما رفعتها عنه ، وأغلظ في الجواب ، وقال : أنا شيخ قد جاوزت التسعين ، أفأختم عملي بأن أدل على ابن رسول الله حتى يُقتل ؟ فأمر الرشيد ، فضرب حتى مات ، وصلب ببغداد ، وطفي أحمد بن عيسى ، ولم يُعرف خبره بعد ذلك .

وحبس الرشيد عبد[1] الملك بن صالح بن عليّ الهاشميّ في هذه السنة ، وهي سنة ١٨٨ ، وذلك أن ابنه عبد الرحمٰن ، وكاتبه قُمامة بن يزيد ، وكان مولى لعبد الملك ، رفعا عنه أنّه يؤهل نفسه للخلافة ، وأنّه يراسل رؤساء القبائل والعشائر ، بالشأم والجزيرة ، وكان نبيلاً ، فصيحاً ، حسن البيان ، فقال : ما سبب حبسي ؟ فإن كان لذنب اعترفت به ، أو لبلاغ تنصلت منه ، فأحضره الرشيد ، فقال : هذا ابنك عبد الرحمٰن يذكر ما كنت تدبّره من المعصية والشقاق ، فقال : ليس يخلو ابني أن يكون مأموراً معذوراً ، أو عدوّاً محذوراً ، وقد قال الله تعالىٰ : **﴿إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم ، فاحذروهم﴾**[2] ، قال : فهذا قمامة بن يزيد كاتبك يذكر مثل ذلك ، وقد سأل أن يجمع بينه وبينك . قال : من كذب عليّ ، وأشاط بدمي لغير مأمون أن يبهتني .

وحدّثني بعض أشياخنا قال : أخرج الرشيد يوماً عبد الملك بن صالح بن عليّ ، فأقبل عليه ، فقال : كأنّي أنظر إلى شؤبوبها قد همع[3] ،

---

(١) عبد الملك بن صالح : أمير من بني العباس . ولاّه الرشيد المدينة والصوائف ومصر مدة قصيرة ، فلم يذهب إليها ، ثم بلغه أنه يطلب الخلافة فحبسه ببغداد سنة ١٨٧ . ثم أطلقه الأمين بعد موت والده وولاّه الشام والجزيرة ، فأقام بالرقة إلى أن توفي سنة ١٩٦ هـ . كان من أفصح الناس وأخطبهم وله مهابة وجلالة .

[فوات الوفيات ٢ : ١٢]

(٢) سورة التغابن؛ الآية: ١٤ .

(٣) الشؤبوب : الدفعة من المطر . وهمع : هطل .

وإلى عارضها قد لمع ، وإلى الوعيد قد أورى[1] ناراً، فأقلع عن براجم[2] بلا معاصم ، ورؤوس بلا غلاصم ، فمهلاً مهلاً بني هاشم ! لا تستوعروا السهل وتستسهلوا الوعر ، ولا تبطروا النعم وتستجلبوا النقم ، فعن قليل يذمّ ذو الحكم رأيه ، وينكص ذو الحزم على عقبَيْه ، وتستبدلون الذلّ بعد العزّ ، والخوف بعد الأمن . فقال عبد الملك : أفذّاً أتكلّم أم توأماً ، يعني واحداً أو اثنين ؟ فقال : بل فذّاً ! قال : فخف الله فيما ولّاك ، واحفظه في رعاياك التي استرعاك ، ولا تجعل الكفر موضع الشكر ، ولا العقاب بدل الثواب ، ولا تقطع رحمك التي أوجب الله عليك ، وألزمك حقّها ، ونطق الكتاب بأن عقوقها كفر ، واردد الحقّ على محقّه ، ولا تصرف الحقّ إلى غير أهله ، فلقد جمعت عليك الألسن بعد افتراقها ، وسكّنت القلوب بعد نفارها ، وشدّدت أواخي ملكك بأشد من ركن يَلَمْلم[3] ، فكنت كما قال أخو بني جعفر بن كلاب :

وَمَقام ضَيّقٍ فَرّجْتُهُ ... بلساني وبياني وجَدَلْ
لَوْيقومُ الفيلُ أو فَيّالُهُ ... زَلّ عَن مثل مقامي وَزَحلْ

قال : ثم خرج ، فأتبعه الرشيد بصره ، وقال : أما والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك .

وخرج هارون الرشيد إلى الريّ سنة ١٨٩ ، فلمّا صار بقرماسين[4] بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون ، وكان بين البيعة للمأمون وبيعة القاسم ستّ سنين ، ثم سار حتى نزل الريّ ، وكتب إلى محمد ابنه ، وكان ببغداد ، يأمره بالخروج إلى الريّ والقيام بما خلف بها ، وكتب إلى

---

(١) أورى : أخرج .
(٢) البراجم : مفاصل الأصابع .
(٣) يلملم : موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن . [ياقوت]
(٤) قرماسين : بلدة قرب همذان . [ياقوت]

بنداد هرمز ، صاحب طبرستان ، فخرج ، وشروين صاحب طخارستان .
فخرج بنداد هرمز على يدي هرثمة[1] بن أعين ، وأخرج ابنه قارون ، فصيّره في معسكر الرشيد ، فانصرف الرشيد من الريّ ، واستخلف عبد الله ابن مالك الخزاعيّ على قومس ، وطبرستان ، ودنباوند[2] ، وسار إلى بغداد ، فمرّ بها نهاراً ولم ينزلها ، فلما صار إلى الجسر أمر بتحريق جثّة جعفر بن يحيىٰ وقتل الوليد بن جشم ، وولّى الرشيد عليّ[3] بن عيسى بن ماهان خراسان مكان منصور بن يزيد بن منصور الحميريّ سنة ١٨٩ ، وضمّ إليه جماعة من القوّاد فيهم : رافع بن الليث الليثيّ ، وأمره أن لا يستعمله على بلد قاصياً ، فلمّا قدم عليّ بن عيسى خراسان استعمل رافع بن الليث على سمرقند ، فلم يحل عليه الحول حتى خلع ، ونادى بالمعصية ، وحارب .

وبلغ الرشيد أن ذلك عن تدبير من عليّ بن عيسى ، فوجّه هرثمة بن أعين في أربعة آلاف كأنّه مدد لعليّ بن عيسى ، حتى دخل المدينة ، ثم صار إلى دار الإمارة ، وأدخل الجند الذين معه الدار ، وأخرج الكتاب فدفعه إلى عليّ بن عيسى ، فلمّا قرأه قال : أسامع أنت مطيع ؟ قال : نعم ! فدعا بقيد ثقيل ، فقيّده ، ثم أخرجه من ساعته ، وخرج معه ، حتى جاز من عمل مرو ، وبعث به مع رسل من قبله إلى الرشيد ، وأمر الرشيد بحبسه وحبس ولده ، وقبض أمواله ، فلم يزل محبوساً حتى مات الرشيد .

وكانت أرمينية قد انتقضت بعد وفاة المهديّ ، فلم تزل منتقضة أيّام

---

(١) تقدّمت ترجمته .

(٢) دنباوند : جبل من نواحي الري .

[المصدر السابق]

(٣) علي بن عيسى : من كبار القادة ، وهو الذي حرّض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد ، وسيّره الأمين بجيش كبير وولّاه إمارة الجبل وهمذان وأصبهان فتلقاه طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون في الري فهزمه وقتله سنة ١٩٥ هـ .

[الكامل لابن الأثير ٦ : ٧٩]

موسى ، فلمّا ولّى الرشيد خزيمة بن خازم التميميّ أرمينية قام بها سنة وشهرين ، وضبطها ، وصلحت البلاد ، وأعطى أهلها الطاعة ، ثمّ ولّى الرشيد يوسف بن راشد السلميّ مكان خزيمة بن خازم ، فنقل إلى البلد جماعة من النزاريّة[1] ، وكان الغالب على أرمينية اليمانية ، فكثرت النزاريّة في أيّام يوسف ، ثمّ ولّى يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني ، فنقل إليها ربيعة من كلّ ناحية حتى هم اليوم الغالبون عليها ، وضبط البلد أشد ضبط ، حتى لم يكن به أحد يتحرّك ، ثمّ ولى عبد الكبير بن عبد الحميد من ولد زيد بن الخطاب العدويّ ، وكان منزله حرّان ، فصار إليها في جماعة من أهل ديار مضر ، ولم يقم إلاّ أربعة أشهر حتى صرف ، وولّى الفضل[2] بن يحيى بن خالد البرمكي ، فسار إليها بنفسه ، فلمّا قدم توجّه إلى ناحية الباب والأبواب ، فغزا قلعة حمزين ، فهزمه أهل حمزين ، فانصرف ما يلوي على شيء حتى أتى العراق ، واستخلف على البلد عمر بن أيّوب الكنانيّ .

فلمّا صار الفضل إلى العراق ، وجّه أبا الصباح على خراج أرمينية ، وسعيد بن محمّد الحرّاني اللهبيّ على حربها ، فوثب أهل برذعة[3] على أبي الصباح ، فقتلوه ، وانتقضت أرمينية ، وظهر فيها أبو مسلم الشاريّ ،

---

(١) النزارية : تنسب إلى نزار بن معد بن عدنان ، وهو اسم الجد الأعلى الذي انتسبت إليه القبائل في شمالي الجزيرة العربية مفاخرين بعروبتهم على غيرهم من عرب الجنوب .

(٢) الفضل بن يحيى : وزير الرشيد ، وأخوه في الرضاع . ولاّه خراسان وأقام إلى أن قتل الرشيد بالبرامكة فقبض عليه وعلى أبيه يحيى وأخذهما إلى الرقة فسجنهما واستصفى أموالهما . وتوفي الفضل في سجن الرقة سنة ١٩٣ هـ . قال ابن الأثير : كان الفضل من محاسن الدنيا لم يُرَ في العالم مثله .

[وفيات الأعيان ١ :٤٠٨]

(٣) برذعة : بلد في أقصى آذربيجان .

[ياقوت]

فولّى الفضل خالد بن يزيد بن أسيد السلميّ أرمينية ، ووجّه إليه عبد الملك بن خليفة الحرشيّ في خمسة آلاف فلقوا أبا مسلم الشاري برويان ، فهزمهم ، وانصرف أبو مسلم إلى قلعة الكلاب ، فأخذها .

واستعمل الرشيد على أرمينية العبّاس بن جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجليّ ، فلمّا صار إلى برذعة وثب به البيلقانيّة ، فتحصّن منهم في ربض برذعة ، ووجّه معدان الحمصيّ إلى أبي مسلم الشاريّ في ستّة آلاف ، والتقيا ، وكانت بينهما وقعة ، وقتل معدان الحمصي ، فصار أبو مسلم الشاري إلى دبيل ، فحصرها أربعة أشهر ثم انصرف ، فصار إلى البيلقان فنزلها .

وقوي أمر أرمينية ، ووجّه الرشيد يحيىٰ الحرشيّ في اثني عشر ألفاً ، ويزيد[1] بن مزيد الشيبانيّ في عشرة آلاف ، وأمر يزيد بن مزيد أن يقصد أرمينية ، وأمر الحرشيّ أن يأخذ على آذربيجان ، وكان قد تغلّب بآذربيجان مهلهل التميميّ ، فلقيه الحرشيّ فقاتله ، فهزمه ، وأصلح البلاد ، ثم صار إلى أرمينية ليجتمع ويزيد بن مزيد على محاربة أبي مسلم الشاري ، فوافى البلد وقد مات ، وقام من بعده السكن بن موسى البيلقانيّ مولى . . . .[2] ، وكان منزله البيلقان ، فلمّا بلغه قدوم يحيىٰ الحرشيّ وجّه إليه الخليل بن السكن في خيار خيله ، فلقي الحرشيّ ، فأسره الحرشيّ ، وزحف إلى البيلقان ، فلمّا بلغ السكن الخبر خرج هارباً ، فصار إلى قلعة الكلاب ، وصار أهل البيلقان إلى الحرشيّ ، فطلبوا الأمان ، فأُدخلوا المدينة ، فآمن أهلها ، وهدم حصنها .

وسار السكن إلى يزيد بن مزيد في ثمانية آلاف مستأمناً منه ، وحمله

---

(١) يزيد بن مزيد : أمير ، من القادة الشجعان . انتدبه الرشيد لقتال الوليد بن طريف الشيباني عظيم الخوارج في عهده ، فقتل ابن طريف وعاد إلى أرمينية . أخبار شجاعته وكرمه كثيرة . توفي ببرذعة سنة ١٨٥ هـ .

[وفيات الأعيان ٢ : ٢٨٣]

(٢) بياض في الأصل .

إلى الرشيد ، ولمّا سكن البلد ولّى الرشيد موسى بن عيسى الهاشميّ ، فأقام بأرمينية سنة ، فعاد انتقاضها ، فاضطربت نواحيها ، وكتب إلى الرشيد بذلك ، فقال الرشيد : ما أرى لها إلاّ الحرشيّ ، فعزل موسى بن عيسى ووجّه الحرشيّ عاملاً عليها ، فوضع فيهم السيف حتى استقامت ، ثمّ ولى الرشيد أحمد بن يزيد بن أسيد السلميّ ، فلمّا قدم وثب به من كان في البلد من أهل خراسان ممّن قدم مع الحرشيّ وقبل الحرشي ، وقاتلوه ، وتعصبوا عليه وقالوا : لا سمع لك ولا طاعة ، فولّى الرشيد سعيد بن سلم بن قتيبة الباهليّ ، فلمّا قدم البلد تلاءمت الناس شهوراً ، ثمّ تعبّث بالبطارقة[1] ، فخالف عليه أهل الباب والأبواب ، ووثبوا بعامله ، وكان النجم بن هاشم صاحب ألباب والأبواب ، فقتله سعيد بن سلم ، فوثب ابنه حيّون بن النجم ، فقتل عامل سعيد على الباب والأبواب ، وكشف رأسه للمعصية ، وكتب إلى خاقان ملك الخزر ، فزحف إليه ملك الخزر في خلق عظيم ، فأغار على المسلمين ، فقتل وسبى خلقاً عظيماً ، وسار حتى أتى جسر الكُرّ ، وسبى خلقاً من المسلمين ، وقتل عالماً ، وحرّق البلاد ، وقتل النساء والصبيان . فلمّا بلغ الرشيد خبره وجّه سحاب[2] ، وأمره أن يعرض على سعيد بن سلم ، ويقيمه للناس ، فلمّا وافى البلد أعطاه سعيد مالاً ، فمال السحاب[3] إلى أخذ المال ، فبلغ الرشيد ذلك فوجّه نصر[4] بن حبيب المهلّبيّ عاملاً على البلد ، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتى عزله ، وولّى عليّ بن عيسى بن ماهان ، فلمّا قدم ساءت

---

(١) البطارقة : قوّاد الروم . الواحد : بطريق .

(٢ ، ٣) اسم بدون نقط في الأصل .

(٤) نصر بن حبيب : كان على شرطة يزيد بن حاتم بمصر وأفريقية . عقد له يزيد على أهل الديوان ووجوه أهل مصر ، يوم خرج القبط في سخا سنة ١٥٠ هـ . كان محمود السيرة . توفي بعد سنة ١٧٧ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٨ : ٢٢]

سيرته ، ووثب به أهل شروان ، واضطرب البلد ، فولّى الرشيد يزيد بن مزيد الشيبانيّ ، وردّ عليّاً إلى خراسان ، وجمعت ليزيد بن مزيد أرمينية وآذربيجان ، فلمّا قدم تلاءمت الناس ، وأصلح البلد ، وساوى بين النزاريّة واليمانية ، وكتب إلى أبناء الملوك والبطارقة يبسط آمالهم ، فاستوى البلد .

ثمّ ولّى الرشيد خزيمة بن خازم التميميّ ، فأخذ البطارقة وأبناء الملوك ، فضرب أعناقهم ، وسار فيهم أسوأ سيرة ، فانتقضت جرجان والصنارية ، فأنفذ إليهم جيشاً ، فقتلوه ، فوجّه إليهم سعيد بن الهيثم بن شعبة بن ظهير التميميّ في جيش عظيم ؛ فقاتل أهل جرجان والصنارية حتى أجلاهم عن البلد ، وانصرف إلى تفليس[1] ، فأقام خزيمة بن خازم أقلّ من سنة ، ثمّ عزله ، وولّى سليمان بن يزيد بن الأصمّ العامريّ ، وكان شيخاً عفيفاً ، مغفلاً ، فضعف حتى لم يكن له أمر يجوز ، حتى كاد أن يُغْلبَ على البلد . وولّى الرشيد العباس بن زفر الهلاليّ ، فانتقضت عليه الصنارية ، فقاتلهم ، وضعف عنهم ، فوجّه الرشيد محمد بن زهير بن المسيّب الضبي ، وكان آخر عمّال الرشيد على أرمينية .

وخلع أهل حمص سنة ١٩٠ ، ووثبوا على واليهم ، فخرج الرشيد نحوهم ، فلمّا صار بمنبج لقيه وفدهم يعطون بأيديهم ويسألون الإقالة ، فعفا عنهم ، ونفذ إلى بلاد الروم ، فغزا الصائفة ، وفتح هرقلة والمطامير .

وحجّت أمّ جعفر بنت جعفر بن المنصور في هذه السنة ، وهي سنة ١٩٠ ، فنال الناس عطش شديد ، وغارت زمزم حتى لم يوجد فيها من الماء إلاّ القليل ، وحفرت زمزم ، فنزل فيها عدّة أذرع ، فكان الماء زاد يسيراً ، وكان مقدار رشاء[2] زمزم ثماني عشرة ذراعاً ، فحفر فيها تسع أذرع ليزيد ، فكان أول ما حفر في زمزم .

---

(١) تفليس : مدينة أزلية قديمة بأرمينية الأُولى .

[ياقوت]

(٢) الرشاء : الدلو .

واجتمع عند الرشيد عمّه ، وعمّ أبيه ، وعمّ جدّه ، سليمان بن جعفر عمّه ، والعباس بن محمد عمّ أبيه ، وعبد الصمد بن عليّ عمّ جدّه ، فقال عبد الصمد بن عليّ : إحمد الله ، يا أمير المؤمنين ، على نعمه عليك ، فقد جمع لك ما لم يجمع لخليفة قبلك ، ثمّ جمع لك عمّك ، وعمّ أبيك ، وعمّ جدّك .

وكان الغالب على الرشيد يحيىٰ بن خالد بن برمك ، وجعفر والفضل ابناه ، صدراً من خلافته حتى ما كان له معهم أمر ولا نهي ، فأقاموا على تلك الحال وأمور المملكة إليهم سبع عشرة سنة ، ثم كان الفضل[1] بن الربيع يغلب عليه ، وإسماعيل بن صبيح ، وعلى شرطه القاسم بن نصر بن مالك ، ثم عزله وولّى خزيمة بن خازم ، ثمّ عزله وولّى المسيّب بن زهير الضّبّيّ ، ثمّ عزله واستعمل عبد الله بن مالك ، ثم عزله واستعمل عليّ بن الجرّاح الخزاعيّ ، ثمّ عزله واستعمل عبد الله بن خازم ، وكان على حرسه جعفر بن محمد بن الأشعث ، ثم عزله واستعمل عبد الله بن مالك ، ثم هرثمة بن أعين ، وكان حاجبه الفضل بن الربيع .

وخرج هارون إلى خراسان في شعبان سنة ١٩٢ ، فنزل قرماسين ، فصار بها شهر رمضان وضحّى بالرّيّ ، فلمّا صار إلى جرجان كتب إلى عيسى بن جعفر بالخروج إليه ، فخرج إليه عيسى ، فلمّا صار في بعض الطريق توفّي .

فحدّثني شيخ من آل المهلّب كان مع عيسى بن جعفر قال : دخلنا إليه يوماً ، وقد اشتدّت علّته ، فسمعناه يقول : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ،

---

(١) الفضل بن الربيع : وزير أديب حازم ، كان أبوه وزيراً للمنصور . كان من كبار خصوم البرامكة حتى ضربهم الرشيد تلك الضربة ، وقيل إن نكبتهم كانت على يديه . عمل على مقاومة المأمون ، ولكنه عفا عنه وأهمله بقية حياته . توفي بطوس سنة ٢٠٨ هـ .
[تاريخ بغداد ١٢ :٣٤٣]

ذهبت والله نفسي ! فقلنا له : إنّك بحمد الله اليوم صالح . فقال : إنّي دققت ما يخرج من أذني ، فوجدته رميماً ، حتى أُغمي عليه ، وسمع النساء بكاءَ الرجال ، فغلبن الخدم ، وخرجن ، فأفاق ورفع رأسه ، فنظر إليهنّ وقال :

قد كُنّ يخبأن الوجوهَ تستّراً   فاليومَ جئن بَرَزْنَ للنُّظّارِ

ثمّ مضى من ساعته ، فلمّا بلغ الرشيد خبر وفاته ، اشتدّ جزعه عليه ، فدخل على جارية ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! إن عيسى كان يريد بك ما صار إليه ، فأحاقه[1] الله به ، وهذا مسرور وحسين يعلمان ذلك ، فقالا : صدقت ! فتسلّى ودعا بالطعام ،وصار هارون إلى طوس[2] ، فنزل قرية يقال لها سنَاباذ[3] ، وهو شديد العلّة ، وتوفي مستهلّ جمادى الأولى سنة ١٩٣ ، وهو ابن ستّ وأربعين سنة ، وصلّى عليه ابنه صالح بن هارون ، وكان المأمون قد نفذ إلى مرو قبل ذلك بثلاثة وعشرين يوماً ، وجاء نعيّه من طوس إلى مدينة السلام يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، وخلف من الولد اثني عشر ذكراً : عبد الله المأمون ، ومحمداً الأمين ، والقاسم ، وأبا إسحاق المعتصم ، وأبا عيسى ، وأبا العباس ، وعليّاً ، وصالحاً ، وأبا يعقوب ، وأبا عليّ ، وأبا أحمد ، وأبا أيّوب ، وكل مُكَنّى من بني هاشم فاسمه محمد .

وأقام الحجّ في ولايته سنة ١٧٠ هارون الرشيد ؛ سنة ١٧١ عبد الصمد بن عليّ ، سنة ١٧٢ يعقوب بن المنصور ؛ سنة ١٧٣ الرشيد ؛ سنة ١٧٤ وسنة ١٧٥ الرشيد ؛ سنة ١٧٦ سليمان بن أبي جعفر ؛ سنة ١٧٧

---

(١) أحاقه به : أوقعه به .

(٢) طوس : مدينة بخراسان .
[ياقوت]

(٣) سناباذ : قرية بطوس فيها قبر الإمام علي بن موسى الرضا وقبر هارون الرشيد .
[المصدر السابق]

الرشيد ؛ سنة ١٧٨ محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن عليّ ؛ سنة ١٧٩ الرّشيد ، وكان قد اعتمر فلم يزل معتمراً حتى حجّ ، فانصرف إلى البصرة ، سنة ١٨٠ موسى بن عيسى ، وجّهه هارون من الرقّة ؛ سنة ١٨١ الرشيد ؛ سنة ١٨٢ موسى بن عيسى ؛ سنة ١٨٣ العبّاس بن موسى ؛ سنة ١٨٤ إبراهيم بن المهديّ ، سنة ١٨٥ منصور بن المهديّ ؛ سنة ١٨٦ الرشيد ؛ سنة ١٨٧ عبد الله بن العبّاس بن محمّد ؛ سنة ١٨٨ الرشيد ، وهي آخر حجّة حجّها ، ولم يحجّ بعده خليفة ؛ سنة ١٨٩ العباس بن موسى بن عيسى ؛ سنة ١٩٠ عيسى بن موسى الهادي ؛ سنة ١٩١ الفضل بن العباس بن محمد بن عليّ ؛ سنة ١٩٢ العبّاس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر .

وغزا بالناس في أيّامه سنة ١٧١ يزيد بن عنبسة الحرشيّ ، عاملاً من قبل إسحاق بن سليمان ؛ سنة ١٧٢ محمّد بن إبراهيم ؛ سنة ١٧٣ إبراهيم ابن عثمان ؛ سنة ١٧٤ سليمان بن أبي جعفر ؛ سنة ١٧٥ عبد الملك بن صالح ، وقيل إنّه لم يدخل بلاد الروم ، ولمّا صار إلى الدرب وجّه الفضل بن صالح ، سنة ١٧٦ هاشم بن الصلت ؛ سنة ١٧٧ داوُد بن النعمان من قبل عبد الملك ؛ سنة ١٧٨ يزيد بن غزوان ؛ سنة ١٧٩ الفضل بن محمد ؛ سنة ١٨٠ إسماعيل بن القاسم ؛ سنة ١٨١ هارون الرشيد ، فافتتح حصن الصّفْصاف ؛ سنة ١٨٢ إبراهيم بن القاسم من قبل عيسى بن جعفر ؛ سنة ١٨٣ الفضل بن العباس ؛ سنة ١٨٤ محمّد بن إبراهيم ؛ سنة ١٨٥ إبراهيم بن عثمان ؛ سنة ١٨٦ إبراهيم بن عثمان أيضاً ؛ سنة ١٨٧ القاسم ابن الرشيد ، وعبد الملك بن صالح ، وإبراهيم بن عثمان بن نهيك ، وفيها قتل الرشيد إبراهيم بن عثمان ، سنة ١٨٩ الفضل بن العباس ؛ سنة ١٩٠ الرشيد ، فافتتح هرقلة[1] والمطامير وأغزى حميد بن معيوف بالبحر ،

(١) هرقلة : مدينة ببلاد الروم ، سميت بهرقلة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح . غزاها الرشيد بنفسه ثم افتتحها عنوة بعد حصار ورمي بالنار حتى غلب أهلها . فقال الشاعر :
=

وكان أهل قبرس قد نقضوا الصلح ، فغزاهم فقتل وسبى ؛ سنة ١٩١ خرج الرشيد يريد الغزو ، فلمّا صار بالحدث أغزاهم مع هرثمة بن أعين ، وأقام بالثغر حتى انصرف هرثمة .

وكان الفقهاء في أيّامه : محمد بن عمران بن إبراهيم ، مالك بن أنس ، إبراهيم بن محمد بن أبي الحسن الأسلميّ ، أبا البختريّ بن وهب القرشيّ ، عبد الله بن جعفر المدينيّ ، إسماعيل بن جعفر أبا عقيل ، أبا معشر السنديّ ، سعيد بن عبد العزيز الجمحيّ ، عبد العزيز بن أبي حازم ، عبد العزيز بن محمّد الدراورديّ ، عبد الرحمٰن بن عبدالله العمريّ ، سليمان بن فُليح . . .[1] عطاء بن يزيد ، سفيان بن عُيَيْنة ، شريك بن عبد الله النخعيّ ، سلمة الأحمر ، أبا يوسف يعقوب بن إبراهيم ، إبراهيم بن سعد الزهريّ ، سفيان بن الحسن الحمّانيّ ، جعفر بن عتّاب بن أبي زائدة ، عليّ بن مسهر ، عبد الله بن إدريس الأوديّ ، محمد بن مروان السدّيّ ، جرير بن عبد الحميد الكوفيّ ، شعيب بن صفوان صاحب ابن شبرمة ، جعفر بن سليمان ، محمد بن الحسن ، عليّ بن هاشم ، عبد الله بن الأصلح الكنديّ ، الطلب بن الحجّاج ، القاسم بن مالك المزنيّ ، عليّ بن ظبيان ، أبا شهاب الكوفيّ ، محمد بن مسروق القاضي ، عديّ بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكيع بن الجرّاح ، يحيىٰ بن النهابي[2] ، عمرو بن هشام ، حماد بن زيد ، أبا عُوانة ، يزيد بن زريع ، عبيدالله بن الحسن، المعتمر بن سليمان، داود بن الزبرقان، عباد بن عبّاد

= هوت هرقلة لما أن رأت عجباً جوّ السما ترتمي بالنفط والنار .

[ياقوت]

(١) اسم ناقص في الأصل .

(٢) اسم بدون نقط في الأصل .

المهلّبيّ ، حمزة بن نجيح ، خالد بن يزيد ، محمد بن راشد ، عمران بن خالد صاحب عطاء ، محمد بن يزيد الواسطيّ ، عبد المنعم بن نعيم ، عمر بن جميع ، يوسف بن عطيّة ، عبد العزيز بن عبد الصمد .

أيام محمد الأمين[1]

وبويع لمحمد الأمين بن هارون الرشيد ، وأمّه أمّ جعفر بنت جعفر بن المنصور ، ولم يكن في الخلفاء هاشميّ الأبوين غير عليّ بن أبي طالب ، ومحمد ، وكانت البيعة له بطوس ، في اليوم الذي توفي فيه الرشيد ، وهو يوم الأحد مستهلّ جمادى الأولى سنة ١٩٣ ، وأخذ له الفضل بن الربيع بيعة من حضر من الهاشميّين والقوّاد، وقدم رجاء الخادم إلى محمد ببغداد يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، وكان ذلك من شهور العجم في آذار ، وكانت الشمس يومئذ في الحمل ثلاث درجات وثلاثاً وخمسين دقيقة ، وزحل في القوس ستّ درجات وعشرين دقيقة راجعاً ، والمشتري في القوس ستّ درجات وعشرين دقيقة راجعاً ، والمرّيخ في الدلو ستّاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة ، والزهرة في الحوت سبع درجات وثلاثين دقيقة ، والرأس في السرطان اثنتين وعشرين درجة .

فبايع الناس في هذا اليوم ببغداد ، وخرج إسحاق بن عيسى بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، فصعد المنبر ، فحمد الله وصلّى على محمد ، ثم قال : نحن أعظم الناس رزيئة[2] وأحسن الناس بقيّة ، رزئنا رسول الله ، فلم يكن أحد أشدّ رزءاً منّا ، وعُوّضنا خلفاً ابنه ، فمن ذا له

---

(١) محمد الأمين : وُلد في رصافة بغداد سنة ١٧٠ هـ . كان أبيض طويلاً سميناً ، جميل الصورة ، شجاعاً ، أديباً ، رقيق الشعر ، مكثراً من إنفاق الأموال ، سيء التدبير . يؤخذ عليه انصرافه إلى اللهو ومجالسة الندماء ، قُتل بالسيف ، بمدينة السلام سنة ١٩٨ هـ .

[ابن الأثير ٦ : ٩٥]

(٢) الرزيئة : الداهية أو المصيبة الكبرى .

مثل عوضنا ؟ ثم نعاه إلى الناس ، وذكّرهم العهد ، ثمّ نزل . فلمّا كان يوم الجمعة صعد محمد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على محمد ، وذكر ما فضله الله به ، ثم قال : وأفضت خلافة الله وميراث نبيّه إلى أمير المؤمنين الرشيد ، فعمل بالحقّ ، وساس بالعدل ، وحجّ بيت الله ، وجاهد في سبيل الله ، وبذل مهجته في طاعة الله ، وباشر الجهاد طلباً لرضى الله جلّ وعزّ ، حتى أعزّ الله دينه ، ثم دنياه ، وأقام حقّه ، ووقم[1] العدوّ ، وآمن السبل ، ونصح العباد ، وعمر البلاد ، وقد اختار الله له ما عنده ، وأكرمه بلقائه ، فعند الله نحسبه ، وإيّاه نسأل حسن الخلافة من بعده ، والمعونة على ما حمّلني من أمركم ، وأرغب إليه في التسديد والتوفيق لما يرتضيه فيكم . ثمّ حضّ على الطّاعة ، وأمر بالمناصحة ، ونزل .

وقدّم الفضل[2] بن الربيع الخزائن وبيوت الأموال ، ووصيّة الرشيد ، مستهلّ جمادى الآخرة ، وكان محمّد بن هارون قد أمر بإظهار الحجّ ، فقال له الفضل بن الربيع : إن أباك أمرني أن أقول لك إنّه لن يحجّ بعدي أحد من خلفاء بني العبّاس . فأقام ، وحجّت أمّه أم جعفر معتمرة شهر رمضان ، وقد كانت تقدّمت في حفر عين المشاش في أيّام الرشيد ، فقدمت مكّة ، وقد فرغ منها ، فبنت المصانع ، وجعلت الحياض والسقايات ، ووجّه محمد بعشرين ألف مثقال ذهباً ، فجُعلت صفائح على باب الكعبة ومسامير الباب والعَتَبَة .

وأخرج عبد الملك بن صالح من الحبس ، وولّاه جميع ما كان إليه من الجزيرة ، وجند قنّسرين ، والعواصم ، والثغور ، وردّ عليه أمواله وضياعه ، ودفع إليه ابنه عبد الرحمٰن ، وكاتبه قمامة ، فحبس قمامة في حمّام قد أُحكم ، وأوقد أشدّ وقود ، وطرح معه سنانير[3] ، فلم يزل فيه

---

(١) وقم العدو : قهره وردّه عن حاجته أقبح الرد .

(٢) تقدّمت ترجمته .

(٣) السنانير : نوع من الهررة . واحدها : سنّور .

حتى مات ، وحبس ابنه فلم يزل محبوساً .

وقال عبد الملك حين أُخرج من الحبس ، وذكر ظلم الرشيد له : والله إنّ الملك لشيء ما نويته ، ولا تمنّيْته ، ولا قصدت إليه ، ولا ابتغيته ، ولو أردته لكان أسرع إليّ من السيل إلى الحدور[1] ، ومن النار إلى يابس العرفج[2] ، وإنّي لمأخوذ بما لم أجنِ ، ومسؤول عمّا لا أعرف ، ولكنّه والله حين رآني للملك قمناً ، وللخلافة خطراً ، ورأى لي يداً تنالها إذا مُدّت ، وتبلغها إذا بُسطت ، ونفساً تكمل لخصالها ، وتستحقّها بخلالها ، وإن كنت لم أختر تلك الخصال ، ولا اصطنعت تلك الخلال ، ولم أترشح لها في سرّ ، ولا أشرت إليها في جهر ، ورآها تحنّ إليّ حنين الوالدة ، وتميل إليّ ميل الهلوك ، وخاف أن تنزع إلى أفضل منزع ، وترغب في خير مرغب ، عاقَبَني عقاب من قد سهر في طلبها ، ونصب في التماسها ، وتفرّد لها بجهده ، وتهيّأ لها بكلّ وسعه ، فإن كان إنّما حبسني على أنّي أصلح لها وتصلح لي ، وأليق بها وتليق بي ، فليس ذلك بذنب فأتوب منه ، ولا تطاولت إليه فأحطّ نفسي عنه ، وإن زعم أنّه لا صرف لعقابه ، ولا نجاة من عذابه ، إلاّ بأن أخرج له من الحكم ، والعلم ، والحزم ، والعزم ، فكما لا يستطيع المضيع أن يكون حافظاً كذا لا يستطيع العاقل أن يكون جاهلاً ، وسواءٌ عليه عاقبني على عقلي أم عاقبني على طاعة الناس لي ، ولو أردتها لأعجلته عن التفكير ، وشغلته عن التدبير ، ولم يكن لما كان من الخطاب إلاّ اليسير ، ومن بذل المجهود إلاّ القليل .

وأخرج عليّ بن عيسى بن ماهان من الحبس ، وردّ عليه أمواله ، وولاّه شرطته ، وقدّمه وآثره .

وولّى أسد بن يزيد بن مزيد أرمينية ، فقدمها ، وقد غلب على

---

(١) الحدور : الانزلاق .

(٢) العرفج : ضرب من الشوك أو النبات السُّهلي .

ناحية من البلد يحيىٰ بن سعيد الملقب كوكب الصبح ، وإسماعيل بن شعيب مولى مروان بن محمد بن مروان ، وكانا بناحية جُرْزان[1] ، فاحتال لهما حتى أخذهما ، ثمّ منّ عليهما ، وخلّى سبيلهما ، وكان حسن السيرة سخيّاً ، ثم عزله محمد وولّى أرمينية إسحاق بن سليمان الهاشميّ ، فوجّه إليها ابنه الفضل خليفة له ، ولم يزل الفضل بها أيّام المخلوع .

وولّى محمد بن سعيد بن السرح الكنانيّ اليمن ، وكان من أهل فلسطين ، فأقام بها ثلاث سنين ، ثم عزله وولّى جرير بن يزيد البجلي ، فخرج سعيد بن السرح من اليمن بأموال عظام ، حتى صار إلى فلسطين ، فاتّخذ الدور والضياع ، فلم يزل جرير بن يزيد على اليمن حتى بويع للمأمون .

وقد وجّه الرشيد هرثمة[2] بن أعين في جيش إلى رافع بن الليث إلى سمرقند ، وقد استكثف جمع رافع ، واستمال أهل الشاش[3] وفرغانة ، وأهل خجندة وأسروشنة والصغانيان وبخارى وخوارزم وخُتّل[4] وغيرها من كور بلخ وطخارستان والسغد، وما وراء النهر، والترك والخَرْلُخيّ والتغزغز وجنود التبّت وغيرهم ، واستنصر بهم على قتال السلطان وقتل المسلمين ، وصار إلى مدينة سمرقند ، فتحصّن بها ، فلم يزل هرثمة محارباً له حتى قُتل خلق من أصحابه .

ثمّ استعان رافع بجيغويه الخرلخيّ ، وكان جيغويه هذا قد أسلم على يد المهديّ ، فجعل يخادع هرثمة ويوهمه أنّه معه ، ومعونته وهواه لرافع ،

---

(١) جرزان : اسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس .

[ياقوت]

(٢) تقدّمت ترجمته .

(٣) شاش : قرية بالري .

[ياقوت]

(٤) ختّل : كورة واسعة كثيرة المدن على تخوم السند .

[ياقوت]

ثم أظهر المعصية ، والخلع ، فقوي أمر رافع بمكانه ، وأحرق السواد بالنّار ، وتبرّأ من أهله ، ودعا لغير بني هاشم ، وأخذ هرثمة بأكظامهم[1] ، حتى ضرع رافع إلى الأمان فآمنه ، فخرج إليه بولده وأهل بيته وأمواله ، وذلك في المحرّم سنة ١٩٤ ، فكتب المأمون إلى محمد بالفتح ، وأعلمهم ما كان من تدبيره واجتهاده ، حتى فتح الله عليه .

فأفسد قوم قلب محمد على المأمون ، وأوقعوا بينهما الشرّ ، وكان الذي يحرضه عليّ بن عيسى بن ماهان ، والفضل بن الربيع[2] ، وزيّنا له أن يبايع لابنه بولاية العهد من بعده ، ويخلع المأمون ، ففعل ذلك ، وبايع لابنه موسى ، وكان ذلك لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة ١٩٤ ، وجمع العهود التي كان كتبها الرشيد بينهما ، فحرّقها ، وجرت الوحشة بينهما ، وكتب محمد إلى المأمون يأمره بالقدوم عليه في جميع القوّاد ، فكتب إليه يعلمه أنّه لا سمع عليه في هذا ولا طاعة ، فكتب إلى من بخراسان من القوّاد ، فأجابوه بمثل ذلك ، وقالوا : إنّما يلزمنا لك الوفاء ، إذا وفيت لأخيك ، وأنت قد نقضت العهود ، وأحدثت الأحداث ، واستخففت بالأيمان والمواثيق .

ووجّه محمد إلى أمّ عيسى بنت موسى الهادي امرأة المأمون يطلب منها جوهراً كان عندها للمأمون ، فمنعته ، وقالت : ما عندي شيء أملكه ، فوجّه من هجم منزلها ، فانتهب كلّ ما فيه ، وأخذ ذلك الجوهر ، فلمّا انتهى ذلك إلى المأمون جمع القواد الذين قِبَله ، فقال لهم : قد علمتم ما كان أبي شرط عليّ وعلى محمّد ، وقد نكث ونقض العهود ، وأوجد السبيل إلى خلعه بنكثه ونقضه وتعرّضه لأموالي وأسبابي وأعمالي ، وتحريقه الشروط والعهود التي عليه ، واستخفافه بحقّ الله فيما نكث من ذلك ، واشتغاله بالخصيان ، فاتّفق رأيهم على مراسلته ، فإن رجع ، وإلاّ خلعوه .

---

(١) يُقال : «أخذ بكظمه» : أي كرَّبه وغمَّه .

(٢) تقدّم .

وبلغ محمّداً ذلك ، فجمع قوّاده ، وذكر لهم خلع المأمون إيّاه وندبهم إلى الخروج إليه ، فاختاروا عصمة بن أبي عصمة السبيعيّ ، فسيّر معه جيشاً كثيفاً ، فخرج حتى صار إلى حدّ خراسان ، ثمّ وقف وكتب إليه يحرّكه على المسير ، فامتنع ، فقال : أخذت علينا البيعة أن لا ندخل خراسان ، وأخذت عليك ألاّ تدخلها ، ولا ترسل أحداً إليها ، فإن جاءني إنسان من قبل المأمون إلى هاهنا قاتلته ، وإلاّ لم أجز الحدّ ، فوجّه محمدٌ عليّ بن عيسى بن ماهان والياً على خراسان ، وأمره بإشخاص المأمون ومن معه ، وضمّ إليه من القوّاد والجند أربعين ألف مرتزق ، وحُملت إليه الأموال ، ودفع إليه قيد فضة ، وقال : إذا قدمت خراسان قيّدْ بهذا القيد المأمون ، واحمله إلى ما قبلي ، فلمّا أتى المأمون الخبر ندب طاهر[1] بن الحسين بن مصعب البوشنجيّ للخروج ، وقبل ذلك كان قد ولاّه كورة بوشنج[2] وأزاح علّته بالكراع والأموال ، ونفذ ، فلقي عليّ بن عيسى بالرّيّ في سنة ١٩٥ ، وعليّ بن عيسى في خلق عظيم ، وطاهر بن الحسين في خمسة آلاف ، فخرج عليّ بن عيسى في نفر يسير يدور حول العسكر ، وبصر به طاهر بن الحسين ، فأسرع إليه في جماعة من أصحابه ، فلاقى عليّاً ، وهو على برذون[3] أصفر ، وعليه طيلسان كحلي طويل ، فدافع عنه من كان معه حتى قتل جماعة وركض ، فاتّبعه طاهر وحده ، فضربه بسيفه حتى أثخنه ، وسقط إلى الأرض ، فنزل واحتزّ رأسه ، ورجع إلى

---

(١) طاهر بن الحسين : من كبار الوزراء والقواد ، أدباً وحكمة وشجاعة ، وهو الذي وطّد الملك للمأمون بعد قتل أخيه الأمين على يد مولى له . لقب بذي اليمينين لأنه ضرب رجلاً بشماله فقدّه نصفين ، أو لأنه ولي العراق وخراسان ، لقبه بذلك المأمون . وكان أعور . قيل : مات مسموماً ، وقيل قتله أحد غلمانه سنة ٢٠٧ هـ .

[وفيات الأعيان ١ : ٢٣٥]

(٢) بوشنج : بلدة من نواحي هراة .

[ياقوت]

(٣) البرذون : التركي من الخيل وليست من الخيل العراب .

معسكره ، ونصب الرأس على رمح ونادى في عسكر عليّ بن عيسى : قُتل الأمير ! وبلّغ أصحابه به خبره ، فانهزموا ، وأسلموا الخزائن والكراع ، فلم يبت طاهر حتى حوى جميع ما كان في عسكره ، فاستأمن إليه كثير من أصحابه .

وكتب طاهر بالفتح إلى المأمون إلى مرو ، ووجّه بالرأس إليه مع رجل من أصحابه ، فلمّا دخل على ذي الرئاستين [1] سأله عن الخبر ، فذهل ، وانقطع كلامه فلم يقدر على إجابته ، فهال ذلك الفضل ، ففتح الخريطة ، وقرأ الكتب ، ثم قال : أين الرأس ؟ فطلب ما معه ، فلم يوجد ، وسئل عنه فلم يتكلّم ، فوجّه في طلبه فوجده قد سقط على مقدار ميلين ، فحُمل وأُدخل إلى مرو .

وقرىء الفتح على الناس وبويع للمأمون بالخلافة ، وخلع محمداً ، فأعطى جميع أهل خراسان الطاعة للمأمون .

فحدّثني أحمد بن عبد الرحمٰن الكلبيّ قال : سُلّم على المأمون بالخلافة وصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على محمد ، ثم قال : أيّها الناس ! إنّي جعلت لله على نفسي إن استرعاني أموركم أن أطيعه فيكم ، ولا أسفك دماً عمداً لا تُحله حدوده ، وتسفكه فرائضه ، ولا آخذ لأحد مالاً ، ولا أثاثاً ، ولا نحلة تحرم عليّ ، ولا أحكم بهواي في غضبي ، ولا رضاي إلّا ما كان في الله له ، جعلت ذلك كلّه لله عهداً مؤكّداً ، وميثاقاً مشدّداً ، إنّي أفي رغبةً في زيادته إيّاي في نعمي ، ورهبةً

---

(١) ذو الرئاستين : هو الفضل بن سهل . لقّبه المأمون بذي الرئاستين ، وقد اختلف في سبب ذلك على وجهين :

أولهما : لأنه دبر للمأمون أمر السيف والقلم .

ثانيهما : لأن المأمون ولّاه رئاسة الجيوش ورئاسة الدواوين ، فجمع بين الوزارة والحرب .

[معجم الألقاب والأسماء المستعارة]

من مسألتي إيّاي عن حقّه وخُلْفه ، فإنْ غيّرت ، أو بدلت ، كنت للعبر مستأهلاً ، وللنّكال متعرّضاً ، وأعوذ بالله من سخطه ، وأرغب إليه في المعونة على طاعته ، وأن يحول بيني وبين معصيته .

ولمّا بلغ محمداً قتل عليّ بن عيسى بن ماهان ، وانهزام عسكره ، ومصيرهم إلى حلوان ، وخلع أهل خراسان له ، واجتماع كلمتهم على المأمون ، وأنّ طاهراً قد قوي بما صار في يده من الأموال والسلاح والكراع ، وكتب إليه المأمون ألاّ يعرّج دون بغداد ، وأن يقصدها ، وجّه عبد الرحمٰن[1] بن جبلة إليه وأمره أين يضمّ إليه من بحلوان من القوّاد والجند الذين كانوا مع عليّ بن عيسى ، فلقي طاهراً بهمذان[2] في ذي القعدة سنة ١٩٥ ، فقتله طاهر ، واستباح كلّ ما في عسكره ، فوجّه محمّد عبد الله بن حميد بن قحطبة الطائي فرجع من حلوان .

ووثب بالشأم رجل يقال له عليّ بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية يدعو إلى نفسه ، فوجّه إليه محمد بالحسين بن عليّ بن ماهان ، فلمّا صار الحسين إلى الرقّة أقام ولم ينفذ إليه ، وتوفّي داوُد بن يزيد المهلّبيّ عامل السند ، فاستخلف ابنه ، ووثب مالك بن لبيد اليَشكريّ بالسواد ، فدعا للمأمون .

وبلغ محمد بن أبي خالد القائد ، وكان شيخ قوّاد الحربيّة والمُطاع فيهم ، أنّ محمداً قد عزم على قتله والفتك به ، فجمع إليه أهل الحربيّة والأبناء ، ثمّ وثبوا بمحمّد ، فوجّه إليهم محمّد . . . .[3] ، فتحاربوا بموضع

---

(١) عبد الرّحمٰن بن جبلة : من كبار القواد في العصر العباسي . وجهه الأمين من بغداد ليقاتل المأمون ، واستعمله على كل ما يفتحه من أرض خراسان . فنزل همذان وقاتل جيش المأمون بقيادة طاهر بن الحسين ، فقتل في أسد أباذ سنة ١٩٥ هـ .
[ابن الأثير ٦ : ٨١]

(٢) أول من فتح همذان من المسلمين المغيرة بن شعبة سنة ٢٤ هـ .

(٣) بياض في الأصل .

ببغداد يقال له باب الشأم ، فكانت تلك الحرب أول حرب وقعت ببغداد في تلك السنة .

وكان عامل محمد بمصر حاتم بن هرثمة بن أعين ، فعزله وولّى جابر[1] بن الأشعث الخزاعيّ سنة ١٩٥ ، فلمّا قدم جابر بن الأشعث لم يدعُ للمأمون على المنابر كما كان يدعى بعد محمد ، فشغب الجند ، وقالوا : لا طاعة ! فأعطاهم عطاءين .

وقدم يحيىٰ بن محمد المدينيّ بكتاب المأمون ، فامتنع جابر بن الأشعث من البيعة له ، وأقام على طاعة محمد ، فوثب السريّ بن الحكم البلخيّ ، وكان أحد قوّاد مصر ، وجماعة معه ، ودعوا الجند إلى البيعة للمأمون ، ووعدوهم رزق سنتين ، فأجابوا إلى ذلك ، وأخرجوا جابر بن الأشعث من دار الإمارة ، وصيّروا مكانه عبّاد بن محمّد ، وكان عباد خليفة هرثمة بن أعين في البلد ، فدعا للمأمون بالخلافة في رجب سنة ١٩٦ . . . . .[2] قوم ، فوجّه إليهم عبد بن حكيم بن كون ، ومحمد بن صعير ، فكانت بينهم وقعة ، ثم سلّموا وبايعوا ، وكتب محمد إلى رجل يقال له ربيعة بن قيس الحرشيّ ، بولاية مصر ، فجمع إليه أهل الحوف وغيرهم ، وقاتل عبّاد بن محمد ، وزحف إليه حتى صار إلى قرب الفسطاط ، فكانت بينهم وقعات وغلب عبّاداً على البلد ، إلى أن وجّه المأمون بالمطّلب بن عبد الله الخزاعيّ عاملاً على مصر .

وتوفي عبد الملك بن صالح بالرّقّة في هذه السنة ، وهي سنة ١٩٦ ، وكان عامل محمد بن هارون على الجزيرة وجند قنّسرين والعواصم

---

(١) جابر بن الأشعث : من ولاة مصر . ولاّه إمرتها الأمين . واتصلت فتنة الأمين والمأمون بأهل مصر فتعصب للمأمون بعضهم ووثبوا على جابر ، فقاتلوه وأخرجوه من ديارهم . توفي بعد سنة ١٩٦ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٢ : ١٠٣]

(٢) بياض في الأصل .

والثغور ، واضطرب البلد بعد وفاته ، وتغلّب كلّ رئيس قوم عليهم ، وصار الناس حزبين : حزب يظاهر بمحمد وحزب يظاهر بالمأمون ، فلم يبق بلد إلّا وفيه قوم يتحاربون لا سلطان يمنعهم ولا يدفعهم ، وأخذ طاهر من ناحية الجبل إلى الأهواز ، وقتل محمد بن يزيد بن حاتم عامل محمّد وجيلويه الكرديّ .

وتوجّه زهير[1] بن المسيّب الضّبّيّ إلى فارس ، فأخذها وبايع بها ، وصار طاهر إلى واسط لثلاث خلون من رجب بعد أن بايع أهل البصرة للمأمون على يد منصور بن المهديّ ، وبالكوفة على يد الفضل بن موسى بن عيسى ، وبالموصل على يد المطّلب بن عبد الله ، وبمصر على يد عبّاد بن محمد ، وبالرّقّة على يد الحسين بن عليّ بن ماهان ، فأخرجه من كان بها من الزواقيل وغيرهم ، فقدم بغداد لثمان خلون من رجب سنة ١٩٦ ، فأنكر مذهب محمد ، وبلغه عنه ما يكره ، فدعا الجند ببغداد إلى بيعة المأمون ، فأجابوه ، فوثب على محمّد ، فحبسه وأمّه وولده ، فلمّا حبسهم طالبه الجند بأرزاقهم ، فاعتلّ عليهم ، فقبضوا عليه ، وأخرجوا محمداً وأمّه وولده من الحبس ، وبايعوه ، وضربوا عنق الحسين بن عليّ ، فسألوا محمّداً في أرزاقهم ، فأعطاهم خمسمائة خمسمائة ، وقارورة غالية[2] ، وعقد أربعمائة لواء لقوّاد شتّى ، واستعمل عليهم عليّ بن محمّد بن عيسى بن نهيك ، وأمرهم بالمسير إلى هرثمة ، وهرثمة يومئذ معسكر بالنهروان ، فالتقوا في شهر رمضان ، فهزمهم وأسر عليّ بن محمد بن عيسى بن نهيك ، وبعث به إلى المأمون .

---

(١) زهير بن المسيّب : كان مع المأمون في ثورته على الأمين ، إلى أن ظفر المأمون ، واستعمله الحسن بن سهل على جوخي فلما قامت الفتنة على الحسن ببغداد وامتدت إلى الأطراف أُسر فيها زهير ، وقُتل ذبحاً سنة ٢٠١ هـ .

[الكامل لابن الأثير ٦ : ٩٠]

(٢) الغالية : ضرب من الطيب .

وزحف بجيشه حتى صار بموضع يقال له نهريين ، من بغداد على فرسخ أو فرسخين ، وصار طاهر بنهر صرصر على أربعة فراسخ من بغداد ، وكان طاهر في الجانب الغربيّ وهرثمة في الجانب الشرقيّ ، وحرب بغداد قائمة في الجانبين جميعاً ، إلّا أن الأسواق قائمة ، والتجار على حالهم لا يهاجون ، وتجتمع على التاجر الواحد جماعة من أصحاب المأمون وجماعة من أصحاب محمد ، فلا يكون بينهم تنازع ، ووثب الأبناء والحربيّة بمحمّد ، ودعوا للمأمون ، وكاتبوا طاهراً ، وأعطوه الرهائن ، فدخل طاهر بغداد ، فاشتقّ الجانب الغربيّ إلى باب الأنبار .

وكان محمد قد حبس سليمان بن أبي جعفر وإبراهيم بن المهديّ لأمر بلغه ، فلمّا صار هرثمة على باب بغداد أخرجهما من الحبس ، ووجّه بهما مع جماعة من بني هاشم إلى هرثمة يدعونه إلى طاعته ويجعل له ما أراد من الأموال والقطائع ، فقال لهم هرثمة : لولا أن لا تقتل الرسل لضربت أعناقكم ، فانصرِفا إلى محمد ! وخلّى سبيلهما .

ووثب أهل شرقيّ بغداد بمحمّد ، ودعوا للمأمون ، وأجلوا خزيمة بن خازم التميميّ ، فصار إلى الجسر ، فقطعه .

ودخل زهير بن المسيب من كلواذى[1] في السفن ، وفيها المنجنيقات والعرّادات[2] ، فصار محمد إلى قصره المعروف بالخلد في غربيّ بغداد ، فتحصّن به ، فرماه زهير بالمنجنيق .

ودخل هرثمة من باب خراسان من عسكر المهديّ ، وهو الجانب الشرقيّ من بغداد ، ودخل طاهر من معسكره إلى مدينة أبي جعفر ، وأحدقوا بالخلد ، فخرج محمد من باب خراسان ، حتى أتى دجلة يريد

---

(١) كلواذى : مدينة قرب بغداد مدينة السلام .

[ياقوت]

(٢) العرّادات : مفردها عرادة وهي آلة حربية لرمي الحجارة .

هرثمة ، فبلغ أصحاب طاهر ذلك ، فوثبوا بهرثمة ، وهو في حرّاقة له [1] ، حتى غرّقوه ، وأخرجوه بعد ساعة ، وخرج محمد في غلالة وسراويل ، حتى جلس على الشطّ ، والعسكر يمرّ به ولا يعرفه ، حتى مر به مولى لشكلة ، فعرفه ، فحمله إلى منزله .

ثم أتى طاهر بن الحسين بخبره ، فوقعت بين طاهر وبين هرثمة وزهير منازعة ، فأمر طاهر قريشاً الدّنْدانيّ مولاه ، فضرب عنقه ، ونصب رأسه على رمح ، ومضى به إلى معسكره بالبستان ، ثم بعث به إلى المأمون ، فكان مقتله يوم الأحد من المحرّم سنة ١٩٨ ، وسمعت من يقول : لخمس خلون من صفر ، وكتب طاهر إلى المأمون كتاباً بخطّه :

أمّا بعد ، فإن المخلوع ، وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللّحمة ، فقد فرّق حكم الكتاب بينه وبينه في الولاية والحرمة لمفارقته عصمة الدين ، وخروجه من الأمر الجامع للمسلمين . يقول الله عزّ وجلّ ، فيما قصّ علينا من نبأ نوح : يا نوح ، إنّه ليس من أهلك ، إنه عملٌ غير صالح ؛ ولا طاعة لأحد في معصية الله ، ولا قطيعة ، إذا ما كانت القطيعة في ذات الله . وكتابي هذا إلى أمير المؤمنين ، وقد قتل الله المخلوع ، وأسلمه بغدره ونكثه ، وأحصد لأمير المؤمنين أمره ، وأنجز له ما كان ينتظره من سابق وعده ، والحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين حقّه ، الكائد له فيمن خان عهده ونقض عقده ، حتى ردّ به الألفة بعد فرقتها ، وجمع به الأمة بعد شتاتها ، فأحيا به أعلام الدين بعد دثور سرائرها .

ثمّ كتب كتاباً بالفتح يشرح فيه خبره منذ يوم شخص من خراسان ، وما عمل في بلد بلد ويوم يوم ، جعلناه في كتاب مفرد .

وكانت خلافته منذ يوم توفي الرشيد إلى أن قُتل أربع سنين وسبعة أشهر وواحداً وعشرين يوماً ، ومنذ مات هارون إلى أن خُلع ثلاث

---

(١) الحراقة : السفينة فيها مرامي نيران يُرمى بها العدوّ .

سنين ، وكانت سنّه يوم قتل سبعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر ، وقيل ثمانياً وعشرين سنة ، وخلف من الولد الذكور اثنين : موسى وعبد الله ، وكان الغالب عليه إسماعيل بن صبيح الحرّانيّ ، والفضل بن الربيع ، وعلى شرطه محمد بن المسيّب ، ثمّ عزله وولّاه أرمينية ، وصيّر مكانه محمد بن حمزة بن مالك ، ثمّ عزله وصيّر مكانه عبد الله بن خازم التميميّ ، وكان على حرسه عصمة بن أبي عصمة ، وحجابته إلى الفضل بن الربيع يقوم بها ولد الفضل .

وأقام الحجّ للناس في ولايته سنة ١٩٣ داوُد بن عيسى بن موسى ؛ سنة ١٩٤ عليّ بن هارون الرشيد ؛ سنة ١٩٥ داوُد بن عيسى ، سنة ١٩٦ العباس بن موسى بن عيسى ، وهو على مكّة ؛سنة ١٩٧ العبّاس .

وغزا بالناس في سنة ١٩٤ الحسن بن مصعب من قبل ثابت بن نصر ؛ سنة ١٩٥ ثابت بن نصر الخزاعيّ ، سنة ١٩٦ ثابت بن نصر ؛ سنة ١٩٧ ثابت بن نصر .

وكان الفقهاء في أيامه : محمد بن عمر بن واقد[1]، يحيىٰ بن سليمان الطائفيّ ، أبا معاوية محمد بن حازم المكفوف ، أسباط مولى قريش ، عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عبد الرحمٰن بن مسهر ، محمد بن كثير الكوفيّ صاحب التفسير ، سفيان بن عيينة ، وكيع[2] بن الجرّاح ، عبد الله بن نمير ، يزيد بن

---

(١) محمد بن عمر «الواقدي» : من أقدم المؤرخين في الإسلام ، ومن حفاظ الحديث . ولد بالمدينة سنة ١٣٠ هـ . وكان حنّاطاً (تاجر حنطة) بها وضاعت ثروته ، فانتقل إلى العراق في أيام الرشيد واتصل بيحيى البرمكي فقرّبه من الخليفة فولي القضاء ببغداد إلى أن توفي فيها سنة ٢٠٧ هـ .

[وفيات الأعيان ١ : ٥٠٦]

(٢) وكيع بن الجراح : حافظ للحديث وكان محدّث العراق في عصره . ولد بالكوفة سنة ١٢٩ هـ . وأبوه ناظر على بيت المال فيها . أراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع ورعاً . وكان يصوم الدهر . قال الإمام ابن حنبل : ما رأيت أحداً أوعى منه ولا =

إسحاق ، إسماعيل بن عليّة ، عبد الوهاب الثقفيّ ، يحيىٰ بن سعيد القطّان ، يزيد بن مالك ، الوليد بن مسلم صاحب الأوزاعي ، إسحاق الأزرق ، زيد بن هارون ، عليّ بن عاصم ، حمّاد بن عمرو ، سلم بن سالم التميميّ .

أيام المأمون(١)

وبويع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ، وأمّه أم ولد ، يقال لها مراجل الباذغيسيّة ، في سنة ١٩٥ ، على ما ذكرنا في أيّام محمد من أمره وأمر محمد ، وبايع له عامّة أهل البلدان سنة ١٩٦ ، فلمّا كان في المحرّم سنة ١٩٨ ، وقتل محمد ، اجتمع عليه أهل البلدان ، ولم يبق أحد إلّا أعطى طاعته ، وادّعى كلّ ممتنع في بلد أنّه كان في طاعة المأمون وعلى الميل إليه .

وكانت الشمس يومئذ في الميزان درجة وثلاثاً وخمسين دقيقة ، والقمر في الأسد ستّاً وعشرين درجة وعشرين دقيقة راجعاً ، والمشتري في الحمل ثماني عشرة درجة وعشر دقائق راجعاً ، والمرّيخ في الأسد أربع درجات وأربعين دقيقة ، والزهرة في الأسد أربعاً وعشرين درجة ، وعطارد في السنبلة ثلاثاً وعشرين درجة وعشر دقائق ، والرأس في الحمل أربعاً

= أحفظ ، وكيع إمام المسلمين ، وقال ابن المديني : كان وكيع يلحن ولو حدثت بألفاظه لكانت عجباً . توفي بفيد راجعاً من الحج سنة ١٩٧ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٨ : ١١٧]

(١) المأمون : سابع الخلفاء من بني العباس في العراق ، وأحد أعظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه . وقد عرّفه المؤرخ ابن دحية بالإمام «العالم المحدّث النحوي اللغوي» . أتحف ملوك الروم بالهدايا سائلاً أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا إليه بعدد كبير من كتب أفلاطون وأرسطو وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس ، فاختار لها مهرة التراجمة ، فترجمت ، وحضّ الناس على قراءتها ، فقامت دولة الحكمة في أيامه . توفي في بذندون سنة ٢١٨ هـ . ودفن في طرسوس .

[تاريخ بغداد ١٠ : ١٨٣]

وعشرين درجة وخمسين دقيقة .

ووجّه المأمون المطّلب بن عبد الله الخزاعيّ إلى مصر عاملاً عليها سنة ١٩٨ ، فأقام سبعة أشهر ، ثمّ ولّى العباس بن موسى بن عيسى الهاشميّ مصر سنة ١٩٩ ، فوجّه بابنه عبد الله بن العبّاس ، فحبس المطلب بن عبد الله ، واستخلف إبراهيم بن تميم على الخراج ، وصيّر شرطته إلى عبد العزيز بن الوزير الجرويّ .

وساءت سيرة عبد الله بن العبّاس ، فوثب السريّ بن الحكم ، واستمال الجند ، ثم حارب عبد الله حتى أخرجه من البلد ، وأخرج المطّلب من الحبس ، فبايع له ، ونزل دار الإمارة ، وبيّت عبد الله بن العباس ، وأخذ كل ما كان معه من الأموال ، ومضى عبد العزيز الجرويّ إلى تنّيس[١] ، فأقام متغلّباً عليها ، وعلى ما والاها من كور أسفل الأرض ، وغلب السريّ بن الحكم على قصبة الفسطاط والصعيد ، وتغلّب العبّاس بن موسى بن عيسى على الحوف في قيس ، فخذلته ، فأقام ببلبيس[٢] خمسة وثلاثين يوماً .

وفي سنة ١٩٨ وجّه المأمون الحسن[٣] بن سهل إلى العراق عاملاً عليها وعلى غيرها من البلد ، وقد كان وثب الأصفر المعروف بأبي السرايا ، واسمه السريّ بن منصور الشيبانيّ ، بالكوفة ، ومعه محمد بن إبراهيم

---

(١) تنيس : جزيرة مصرية قريبة من البرما بين الفرما ودمياط .
[ياقوت]

(٢) بلبيس : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام .
[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) الحسن بن سهل : اشتهر بالذكاء المفرط والأدب والفصاحة وحسن التوقيعات ، والكرم . وهو والد «بوران» زوجة المأمون ، وكان المأمون يجلّه ويبالغ في إكرامه . أصيب بمرض السويداء فتغيّر عقله حتى شدّ في الحديد ، ثم شفي منه قبل زواج المأمون بابنته . وتوفي في سرخس من بلاد خراسان سنة ٢٣٦ هـ .
[وفيات الأعيان ١ : ١٤١]

العلويّ المعروف بابن طباطبا ، ثم توفي محمد بن إبراهيم ، فأقام أبو السرايا مكانه محمد بن محمد بن زيد ، فأخذ البصرة العبّاس بن محمد بن موسى الجعفريّ .

وقدم زيد بن موسى بن جعفر بن محمد من الكوفة ، وقد كان خلع بها ، فصار إلى البصرة مع العباس بن محمد الجعفريّ ، وأخذ واسط محمد بن الحسن المعروف بالسلق ، وأخذ اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر ، وأخذ الحجاز محمد بن جعفر ، وتغلّب على نصيبين وما والاها أحمد بن عمر بن الخطّاب الربعيّ ، وبالموصل السيّد بن أنس، وبميّافارقين موسى بن المبارك اليشكريّ ، وبأرمينية عبد الملك بن الجحّاف السلميّ ومحمد بن عتّاب ، وبآذربيجان محمّد بن الروّاد الأزديّ ، ويزيد بن بلال اليمنيّ ، ومحمد بن حميد الهمدانيّ ، وعثمان بن أفكل ، وعليّ بن مرّ الطائيّ ، وبالجبل أبو دلف العجليّ ، ومرّة بن أبي الردينيّ ، وعليّ بن البهلول ، ومحمد بن زهرة ، وسنان وزيد بن . . . . .[1] وبالسلسلة وحن حساس[2] وناحيتها بسطام بن السلس الربعيّ ، وبكَفَرْ توثا ورأس عَيْن حبيب بن الجهم ، وبكَيْسوم وما والاها من ديار مضر نصر بن شبث النصريّ ، وكان أصعب القوم شوكة وأشدّهم امتناعاً ، وبقُورُس وما والاها من كور العواصم العبّاس بن زفر الهلاليّ ، وبالحِيار وما والاها من كور قنّسرين عثمان بن ثمامة العبسيّ ، وبالحاضر الذي إلى جانب حلب منيع التنوخيّ .

وقد كان يعقوب بن صالح الهاشميّ يحارب الحاضر ، فلم يبق منهم أحد ، وافترقوا أيدي سبا ، فصار أكثرهم إلى مدينة قنّسرين ، وخرّب يعقوب الحاضر حتى ألصقه بالأرض ، وكان فيه عشرون ألف مقاتل ، فهو

(١) اسم ناقص في الأصل .
(٢) اسم موضع غير واضح .

خراب إلى اليوم .

وكان بمعرة النعمان وتل منّس[1] وما والاها من إقليم حمص الحواري بن حنطان التنوخيّ ، وبحماة وما والاها حراق البهرانيّ ، وبشيزر[2] وما والاها بنو بسطام ، وبمدينة حمص بنو السّمْط ، وبالمصّيصة وأذنة وما والاها من الثغور الشأميّة ثابت بن نصر الخزاعيّ ، وكان عاملاً للأمين ، فلمّا كان من أمره ما كان تغلّب على البلد ، وأقام بدمشق والأردنّ وفلسطين جماعة من سائر القبائل ، وبمصر السريّ بقصبة الفسطاط والصعيد ، وبأسفل الأرض عبد العزيز الجرويّ ، وبالحوفين القيسيّة واليمانيّة .

وغلبت لخم وبنو مدلج على الإسكندرية ، ورئيس لخم رجل يقال له أحمد بن رحيم اللخميّ ، ثم غلب الأندلسيّون ، وكان ابتداء أمر الأندلسيّين أنّهم قدموا من الأندلس في أربعة آلاف مركب ، فأرسوا في ميناء الإسكندريّة في الرمل ، وكانوا زهاء ثلاثة آلاف رجل ، فأقاموا على ساحل البحر ، وما . . . . .[3] ، ثم وثب بعض أعوان السلطان على رجل منهم ، فوقعت عصبيّة ، فوثب الأندلسيون على الفضل بن عبد الله أخي المطلب بن عبد الله ، وقتلوا صاحب شرطته ، وصاروا إلى الحصن وحاربوا أهل الإسكندرية ، حتى أجلوهم عن منازلهم ، فخلّوا الديار والأموال ، ورأسوا عليهم رجلاً يقال له أبو عبد الله الصوفيّ يسفك الدماء ويقتل المسلمين ، ثم عزلوه وصيّروا عليهم رجلاً يقال له الكنانيّ ، وأجلوا بني مدلج ولخماً عن البلد ، فصار البلد كلّه لهم ، وكان ببرقة مسلم بن نصر الأعور الأنباريّ .

---

(١) تل منّس : حصن قرب معرّة النعمان بالشام .

[ياقوت]

(٢) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة .

[ياقوت]

(٣) بياض في الأصل .

فلمّا ولّى المأمون الحسن بن سهل العراق وجّه خليفته ذا العلمين عليّ بن أبي سعيد ، وكتب المأمون إلى طاهر بن الحسين أن يمضي إلى الجزيرة فيحارب نصر[1] بن شبث ، فلمّا قدم ذو العلمين العراق غلظ ذلك على طاهر ، وقال : ما أنصفني أمير المؤمنين ! ثم نفذ إلى الجزيرة ، فحارب نصراً .

وقدم الحسن بن سهل العراق ، فنزل النهروان ، وتوجّه هرثمة إلى أبي السرايا ، والتقوا بناحية الكوفة لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ١٩٩ ، فكانت بينهم وقائع ، فانصرف هرثمة ، وزحف زهير بن المسيّب الضبّيّ إليه ، فهزمه أبو السرايا، ورجع زهير إلى قصر ابن هبيرة ، فوجّه إليه الحسن بن سهل عبدوس بن محمد بن أبي خالد في جيش عظيم ، فلقي أبا السرايا بموضع يقال له الجامع ، بين بغداد والكوفة ، لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب من هذه السنة ، فقتله أبو السرايا ، وأسر أخاه هارون بن محمّد بن أبي خالد وجماعة من أصحابه .

وبلغ زهيراً الخبر ، فانصرف من قصر ابن هبيرة إلى بغداد ، فرجع هرثمة في جيوش عظيمة ، فلقي أبا السرايا ، فلم يزل هرثمة حتى صار إلى الكوفة ، فقاتله قتالاً شديداً ، حتى قتل عامّة أصحاب أبي السرايا ، ودخل هرثمة الكوفة ، وخرج أبو السرايا منهزماً ، حتى صار إلى واسط ، ثم إلى الأهواز ، فلقيه الحسن بن عليّ الباذغيسيّ المعروف بالمأمونيّ فهزمه .

---

(١) نصر بن شبث : من بني عقيل بن كعب بن ربيعة ، ثائر للعصبية العربية . جاءه رسول من المأمون يدعوه إلى طاعته ويعده بالعفو عما كان منه ، فأذعن واشترط شروطاً ، منها أن لا يطأ بساط المأمون ، فلم يرض المأمون شرطه . فيه يقول أحمد السلمي في بدء أبيات :

لِلّهِ سيفٌ في يديْ نصرِ ... في حدّه ماء الردى يجري .

توفي بعد سنة ٢١٠ هـ .

[الكامل لابن الأثير ٦ : ١٠١ وما بعدها]

وانصرف أبو السرايا راجعاً منهزماً إلى روسْتُقباذ[1]، وهو عليل شديد العلّة من بطن[2] به، وبلغ حمّاداً الخادم المعروف بالكندغوش مكانه، فهجم عليه، فأخذه وأخذ معه محمد بن محمّد العلويّ وأبا الشوك مولاه، فصار بهم إلى الحسن بن سهل وهو بالنهروان، فلمّا أُدخل عليه قال له أبو السرايا: استبقني، أصلح الله الأمير. قال: لا أبقى الله عليّ إن أبقيت عليك! فأمر به فضربت عنقه، وقطع بنصفين، وصلب على جسري بغداد. وأتى بمحمّد بن محمد العلويّ، فقرّبه وأدناه وبرَّه، وقال له: لا خوف عليك، لعن الله من غرّك! وولّى خالد بن يزيد بن مزيد الكوفة.

وصار الحسن بن سهل إلى المدائن، ووجّه إلى محمد بن الحسن السلق عبد الله بن سعيد الحرشيّ، فالتقوا بواسط في شرقيّ دجلة، فهُزم السلق، وفضّ جمعه.

ووجّه عيسى[3] بن يزيد الجلوديّ إلى محمّد بن جعفر العلويّ، وقد تغلّب بمكّة، وأخرج داوُد بن عيسى الهاشميّ، فلمّا قدم الجلوديّ مكّة لم يحاربه واستأمن إليه، فأخذه الجلوديّ، وخرج به بنفسه إلى المأمون وهو بمرو، وخلف ابنه بمكّة، فلمّا صار بجرجان توفي محمد بن جعفر، وورد كتاب المأمون على الجلوديّ يأمره بالرجوع إلى الحجاز، فرجع.

ووجّه حمدويه بن عليّ بن عيسى بن ماهان إلى اليمن، وإبراهيم بن موسى بن جعفر العلويّ متغلّب بها، فحاربه إبراهيم بمن معه من اليمن، وكانت وقعات منكرة تأخذ من الفريقين، وكان حمدويه قد استخلف على

---

(١) روستقباذ: موضع في الكوفة في الجانب الشرقي من كورة استان.

(٢) البَطَن: داء يصيب البطن يسبب ألماً عظيماً.

(٣) عيسى بن يزيد: من ولاة الدولة العباسية. ناب في إمرة مصر عن عبد الله بن طاهر، أيام ولايته لها، وأقرّه المأمون على الإمارة. وحين اشتدت ثورة أهل الحوف عزله المعتصم. توفي بعد سنة ٢١٤ هـ.

[النجوم الزاهرة ٢: ٢٠٤]

مكّة يزيد بن محمّد بن حنظلة المخزوميّ ، فخرج إبراهيم بن موسى من اليمن يريد مكّة ، وبلغ يزيد بن محمد ، فخندق عليه ، مكّة ، وأرسل إلى الحجبة ، فأخذ الذهب الذي كان بعث به المأمون من خراسان ، وصنم ملك التبّت ، وضربه دنانير ودراهم ، وقرض قرضاً من الأعراب ، ودفع إليهم المال .

وصار إبراهيم إلى مكّة ، فوافقه يزيد في أصحابه ، وبعث إبراهيم بن موسى بعض أصحابه ، فدخل من الجبل ، فانهزم يزيد ولحقه بعض أصحابه فقتله ، ودخل إبراهيم إلى مكة ، فغلب عليها ، وأقام بها حمدويه في ناحية من اليمن .

وأشخص المأمون الرضى[1] عليّ بن موسى بن جعفر من المدينة إلى خراسان ، وكان رسوله إليه رجاء بن أبي الضحّاك قرابة الفضل بن سهل ، فقدم بغداد ، ثم أخذ به على طريق ماه البصرة حتى صار إلى مرو ، وبايع له المأمون بولاية العهد من بعده ، وكان ذلك يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٢٠١ ، وألبس الناس الأخضر مكان السواد ، وكتب بذلك إلى الآفاق ، وأُخذت البيعة للرضى ، ودعي له على المنابر ، وضُربت الدنانير والدراهم باسمه ، ولم يبق أحد إلاّ لبس الخضرة إلاّ إسماعيل بن جعفر بن سليمان بن عليّ الهاشميّ ، فإنّه كان عاملاً للمأمون على البصرة ، فامتنع من لبس الخضرة ، وقال : هذا نقض لله وله ، وأظهر

---

(١) الرِّضى : هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، أبو الحسن ، الملقب بالرضى ، ثامن الأئمّة الاثني عشر عند الإمامية . وُلد في المدينة سنة ١٥٣ هـ . كان أسود اللون ، أمه حبشية . أحبه المأمون ، فعهد إليه بالخلافة من بعده ، وزوّجه ابنته ، وضرب اسمه على الدينار والدرهم ، وغيّر من أجله الزي العباسي الذي هو السواد فجعله أخضر ، وكان هذا شعار أهل البيت . مات بطوس سنة ٢٠٣ هـ . دون أن تتم له الخلافة ، فدفنه المأمون إلى جانب أبيه الرشيد .

[ابن الأثير ٦ : ١١٩ والطبري ١٠ : ٢٥١]

الخلع ، فوجّه إليه المأمون عيسى بن يزيد الجلوديّ ، فلمّا أشرف على البصرة هرب إسماعيل من غير حرب ولا قتال ، ودخل الجلوديّ البصرة ، فأقام بها ، وصار إسماعيل إلى الحسن بن سهل ، فحبسه ، وكتب في أمره إلى المأمون ، وكتب بحمله إلى مرو ، فحمل ، فلمّا صار بالقرب من مرو أمر المأمون أن يردّ إلى جرجان فيحبس بها ، فأقام بجرجان محبوساً ممنوعاً منه ، ثم رضي عنه بعد حين ، ووجّه ببيعة الرضى مع عيسى الجلوديّ إلى مكّة ، وإبراهيم بن موسى بن جعفر بها مقيم ، وقد استقامت له غير أنّه يدعو إلى المأمون ، فقدم الجلوديّ ومعه الخضرة وبيعة الرضى ، فخرج إبراهيم فتلقاه ، وبايع الناس للرضى بمكّة ، ولبسوا الأخضر .

وكان حمدويه بن عليّ بن عيسى ، لمّا خرج إبراهيم إلى مكّة ، استمال جماعة من أهل اليمن ، ثم خلع ، فكتب المأمون إلى إبراهيم[1] بن موسى بولاية اليمن ، وأمر الجلوديّ بالخروج معه ومعونته على محاربة حمدويه ، فخرج إبراهيم حتى صار إلى اليمن ، فلم يخرج الجلوديّ معه ، فلحقه ابن لحمدويه ، فحاربه ، فقتل من أصحابه خلقاً ، وانهزم ابن حمدويه ، وصار إبراهيم إلى صنعاء ، فخرج حمدويه ، فحاربه محاربة شديدة ، فقتل من أصحاب إبراهيم خلقاً عظيماً ، وانهزم إبراهيم ، فلم يردّ وجهه شيء دون مكّة ، وانصرف الجلوديّ إلى البصرة ، وقد تغلب عليها زيد[2] بن موسى ، ونهب دوراً وأموالاً كثيرة للناس ، وكان

---

(١) إبراهيم بن موسى : من أمراء العلويين . كان مقيماً بمكة ، ولمّا بلغته ثورة أبي السرايا في العراق خرج إلى اليمن ، فدخل صعدة سنة ٢٠٠ هـ . داعية لابن طباطبا . قال صاحب العقد الثمين : كان يسمى الجزار لكثرة من قتل باليمن . هو أخو الرضى علي بن موسى وجد الشريفين الرضيّ والمرتضى . توفي بعد سنة ٢٢٢ هـ .

[العقد الثمين ٣ : ٢٦٤]

(٢) زيد بن موسى : هو زيد بن موس بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين العلوي الطالبي . يسمّى «زيد النار» لكثرة ما أحرق بالبصرة من دور العباسيين وأتباعهم ، وكان إذا أتى رجل من المسودة أحرقه . مات في بغداد نحو سنة ٢٥٠هـ .

معه جماعة من القيسيّة وغيرهم ، فلمّا قرب الجلوديّ جاربوه يومهم ذاك ، ثمّ انهزموا ، وانهزم زيد ، فأخذه عيسى ،وحمله إلى المأمون ، فمنّ عليه ، وأطلق سبيله .

وشخص هرثمة [١] من العراق إلى مرو سنة ٢٠١ ، وقيل إنّه انصرف بغير إذن من المأمون ، فلمّا دخل على المأمون . . . . . [٢] قال : فيّ نقرس [٣] ، ولا يمكنني أمشي في محفّة ، وكلّم المأمون بكلام غليظ ، ودخل معه يحيىٰ بن عامر بن إسماعيل الحارثيّ ، فقال : السلام عليك يا أمير الكافرين! فأخذته السيوف في مجلس المأمون حتى قُتل ، فقال هرثمة : قدّمت هذه المجوس على أوليائك وأنصارك ؟ فأمر المأمون بسحب رجل هرثمة ، وحبسه ، فأقام في محبسه ثلاثة أيّام ، ومات .

وخرج بخراسان منصور بن عبد الله بن يوسف البرم ، فوجّه إليه المأمون وبادر منصور بن عبد الله ، فقتله .

ووثب محمد بن أبي خالد وأهل الحربيّة بالحسن بن سهل ، حتى أخرجوه من بغداد ، وأسروا زهير بن المسيّب الضبّيّ ، وذلك أنّه كان مع محمد بن أبي خالد . . . . . [٤] وأتوا محمد بن صالح بن المنصور ، فقالوا : نحن أنصار دولتكم ، وقد خشينا أن تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوس ، وقد أخذ المأمون البيعة لعليّ بن موسى الرضى ، فهلمّ نبايعك ، فإنّا نخاف أن يخرج هذا الأمر عنكم . فقال لهم : قد بايعت للمأمون ، وكان محمد بن صالح أول هاشميّ بايع المأمون ببغداد ، ولست لكم بصاحب .

---

(١) هو هرثمة بن أعين . تقدّمت ترجمته .

(٢) بياض في الأصل .

(٣) النقرس : داء معروف قديماً يأخذ في الرِجل . وهو ورم يحدث في مفاصل القدم وفي إبهامها أكثر .

(٤) اسم ناقص في الأصل .

وصار الحسن بن سهل إلى واسط ، فاتّبعه محمد بن أبي خالد والحربيّة والأبناء ، فالتقوا بقرية أبي قريش دون واسط ، فكانت بينهم وقعة منكرة ، وأصاب محمد بن أبي خالد سهم ، فأثخنه ، فحُمل إلى جَبُّل[1] ، وأقام أيّاماً وتوفي ، فحمل إلى بغداد .

وقام عيسى بن أبي خالد بالعسكر ، وقد كان محمد بن أبي خالد أسر زهير بن المسيّب الضبّيّ ، فلمّا أُدخل محمد بن أبي خالد إلى بغداد ميتاً ، وثب الأبناء على زهير بن المسيّب ، وهو محبوس ، فقتلوه ، وشدّوا في رجله حبلاً ، وجروه في طرق بغداد ، ومثلوا به ، فاجتمع قوّاد الحربيّة ، فبايعوا لإبراهيم بن المهديّ ، المعروف بابن شكلة[2]، لخمس ليال خلون من المحرّم سنة ٢٠٢ ، ودعي له بالخلافة ، وسمّي بالمرضيّ ، ونزل الرصافة ، وصلّى بالنّاس ببغداد في مسجد المدينة ، وعسكر بكلواذى ، ومعه الفضل بن الربيع ، وعيسى بن محمد بن أبي خالد ، وسعيد بن الساجور ، وأبو البطّ ، وكتب بالولايات ، وعقد الألوية ، واستقامت له الأمور ، وأطاعه الأبناء وأهل الحربيّة وما والاها ، إلاّ من كان في طاعة المأمون ، فإنهم كانوا يحاربون مع حُميد بن عبد الحميد الطائيّ الطوسيّ ، ويصيحون : يا عنقود ، يا مغنّي ! وكان إبراهيم أسود شديد السواد ، وبنصف وجهه شامة ، سَمِج المنظر ، وكانوا يدعونه عنقوداً لذلك ، ثم وثب أسد الحربيّ ، وكان من أصحاب إبراهيم ، في جماعة من الحربيّة ، فخلعوا إبراهيم ، ودعوا للمأمون ، وأخذ عيسى بن أبي خالد أسداً الحربيّ وابناً

---

(١) جَبُّل : بلدة بين النعمانية وواسط . وبقاضيها يُضرب المثل .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) ابن شكلة : هو إبراهيم بن محمد المهدي ، العباسي ، لقب بابن شكلة لأن أُمه كانت جارية سوداء أم ولد اسمها شكِلة ، فنسبه إليها خصومها . كذلك لقب بالتنين لأنه كان ضخم الجثة سميناً . والتنين : جمعها تنانين وهو الحوت أو الحية العظيمة .

[معجم الألقاب والأسماء المستعارة]

له ، فقتلهما وصلبهما .

وكان حميد بن عبد الحميد نازلاً بموضع يقال له خان الحكم بنهر صرصر ، فراسل عيسى بن أبي خالد ليجتمعا ، ثم صار حميد إلى بغداد ، فصلّى خلف ابن أبي رجاء القاضي صلاة الجمعة ، وانصرف إلى معسكره .

وخرج مهديّ بن عَلْوان الشاري[1] بناحية عُكْبَرا[2] ، فخرج إليه المطلب بن عبد الله ، فواقعه وقعة بعد وقعة ، ثم هزمه مهديّ ، فانصرف المطّلب منهزماً إلى بغداد ، وخرج إليه أبو إسحاق بن الرشيد ، فواقعه ، وهُزم مهديّ ، ولم يزل يتبعه حتى أسره ، فمنّ عليه المأمون وألزمه بابه ، وألبسه السواد ، فلم يزل على باب المأمون حتى مات .

وخرج المأمون من مرو متوجّهاً إلى العراق سنة ٢٠٢ ، ومعه الرضى ، وهو وليّ عهده ، وذو الرئاستين[3] الفضل بن سهل وزيره ، وقد كتب للفضل الكتاب الذي سمّاه كتاب الشرط والحباء يصف فيه طاعته ، ونصيحته ، وعظته ، وعنايته ، وذهابه بنفسه عن الدنْيا ، وارتفاعه عمّا بذل من الأموال والقطائع والجواهر والعقد ، ويشرط له على نفسه كلّ ما يسأل ويطلب ، لا يدفعه ، ولا يمنعه ، ووقّع فيه المأمون بخطّه ، وأشهد على نفسه فلمّا صار المأمون بقومس قُتل الفضل بن سهل وهو في الحمام ، دخل عليه غالب الروميّ وسرّاج الخادم بالسيوف ، فقتلهما المأمون جميعاً ، وقتل قوماً معهما ، وقتل ذا العلمين علي بن أبي سعيد ، وكان ابن خالة الفضل بن سهل ، وقال إنّه الذي دسّ في قتله ، ووجّه برأسه إلى الحسن بن سهل إلى العراق ، وقتل خلف بن عمر البصريّ المعروف

---

(١) الشاري ، من الشراة : فرقة من الخوارج .

(٢) عكبرا : بلدة من نواحي دجيل قريبة من بغداد . [ياقوت]

(٣) رئاسة الجيوش ورئاسة الدواوين ، وقد تقدّمت ترجمته .

بالحف ، وموسى البصريّ ، وعبد العزيز بن عمران الطائيّ ، وغالباً الروميّ ، وسرّاجاً الخادم ، وأقصى قوماً من قواده سمّاهم الشامتة ، وأظهر عليه أشدّ جزع ، ولم يوجد للفضل مال ولا ضيعة ، ولا فرس ، ولا آنية ، إلّا خمسة أعبد وفرساً وبرذوناً[1] .

قال غسّان بن عبّاد قلت للفضل يوماً : أيّها الأمير ! لو أمرت أن يُتّخَذ لك ضياع وعقد ، فقال : ولمَ ؟ ويحك ! إن دام ما أنا فيه فالدنْيا كلها ضيعتي وعقدي ، وإن زال فما أنا فيه لا يزول إلّا باصطلام .

قال أبو سمير : وكنت أسمع الفضل بن سهل في أيّام المأمون كثيراً ما يقول :

لئن نَجَوْتُ أوْ نَجَتْ ركائِبي ... من غالبٍ ومن لَفيفِ غالِبِ
إنّي لَنَجّاءٌ من الكرائِبِ

وهو لا يدري من غالب ، ولا يذهب إلّا إلى قريش ، حتى دخل عليه غالب الروميّ صاحب ركاب المأمون ، فقتله ، فقال الفضل : لك مائة ألف دينار . فقال : ليس بأوان تملّق ، ولا رشوة ؛ وقتله .

وكان المأمون كلّما مرّ ببلد أقام فيه ، حتى يصلح حاله ، وينظر في مصالح أهله ، واستخلف على خراسان عند خروجه رجاء[2] بن أبي الضحّاك قرابة الحسن بن سهل ، وكانت خراسان قد استقامت وأعطى ملوكها جميعاً الطاعة ، وأسلم ملك التبّت ، وقدم على المأمون

---

(١) البرذون : من الخيل التركي وخلافها الخيل العراب .

(٢) رجاء بن أبي الضحاك : من عمال الدولة العباسية . ولي ديوان الخراج في أيام المأمون ، ثم ولي خراج دمشق في أيام المعتصم . قتله في دمشق علي بن إسحاق عامل الواثق سنة ٢٢٦ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٣]

إلى . . . .[1] بصنم له من ذهب على سرير من ذهب ، مرصّع بالجوهر ، فأرسله المأمون إلى الكعبة يعرِّف الناس هداية الله لملك التبت ، ولم تبق ناحية من نواحي خراسان يخاف خلافها ، فلمّا فصل المأمون عن خراسان قلّت مداراة رجاء بن أبي الضحّاك ، وضعف في تدبيره ، ولم يكن بالحازم في أموره ، فخاف المأمون أن يضطرب خراسان ، فعزله ، وولّى غسان بن عبّاد ، فأحسن السيرة ، واستمال ملوك النواحي .

وفاة الرضا علي

ولمّا صار إلى طوس توفي الرضى عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بقرية يقال لها النّوقان[2] أول سنة ٢٠٣ ، ولم تكن علّته غير ثلاثة أيّام ، فقيل إنّ عليّ بن هشام أطعمه رمّاناً فيه سمّ ، وأظهر المأمون عليه جزعاً شديداً .

فحدّثني أبو الحسن بن أبي عبّاد قال : رأيت المأمون يمشي في جنازة الرضى حاسراً في مبطّنة بيضاء ، وهو بين قائمتي النعش يقول : إلى من أروح بعدك ، يا أبا الحسن ! وأقام عند قبره ثلاثة أيّام يؤتى في كل يوم برغيف وملح ، فيأكله ، ثم انصرف في اليوم الرابع ، وكانت سنّ الرضى أربعاً وأربعين سنة[3] .

وقال أبو الحسن بن أبي عبّاد سمعت الرضى يقول : إنّ مشيَ الرجال مع الرجل فتنة للمتبوع ومذلة للتابع ، وسمعته يقول : إن في صحف إبراهيم: أيّها الملك المغرور! إنّي لم أبعثك لتبني البنى، ولا لتجمع الدنْيا ولكن بعثتك لتردّ عنّي دعوة المظلوم ، فإنّي لا أردّها ، ولو كانت من كافر .

---

(١) بياض في الأصل .

(٢) نوقان : إحدى قصبتي طوس لأن طوس ولاية ولها مدينتان إحداهما طابران والأخرى نوقان .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) وقيل أيضاً «خمسين سنة» .

وقال للمأمون : ما التقت فئتان قطّ إلّا نصر الله أعظمهما عفواً .

وقال : إنّما يؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر مؤمن ، فيتّعظ ، فأمّا صاحب سيف وسوط فلا ! إنّ من تعرّض لسلطان جائر ، فأصابته منه بليّة ، لم يؤجر عليها ، ولم يُرزق الصبر فيها .

وقدم المأمون مدينة السلام[1] في شهر ربيع الأول سنة ٢٠٤ ، ولباسه ولباس قواده وجنده والناس كلّهم الخضرة ، فأقام جمعة ، ثم نزعها ، وأعاد لباس السّواد .

وتغيّب إبراهيم بن المهديّ ، فلم يُدْرَ أين هو ، وخرج من منزله ، ومعه عبد الله بن صاعد كاتبه ، وامرأة من أهله ، فلمّا صار في الطريق قال لعبد الله بن صاعد : إرجع إلى أمّي فسلْها أن تدفع الجوهر الذي عندها ! فرجع عبد الله ، ومضى هو ، فخفي موضعه ، وهرب الفضل[2] بن الربيع إلى البصرة ، فاستتر عند يزيد بن المنجاب المهلّبيّ ، وأمر المأمون أن يقبض ضياعه وأمواله وعقاراته ، ثم صار إلى باب المأمون طالباً للأمان ، وقد كان بلغ المأمون أنّه مات ، وشهد عنده بذلك جماعة ، فلمّا قيل للمأمون : هذا الفضل بن الربيع ! قال : إن كان بُعث من الآخرة ، فقد بُعث الرشيد معه . ثم أدخله ، فأعطاه الأمان ، ومنّ عليه وأحضره ليلة فقال : هبك تعتذر في محمد[3] بأنّه كانت له في عنقك بيعة من الرشيد ، فما عذرك في ابن شكلة[4] ، وإنّما محلّه محلّ المغنّين والسفهاء ، إذ قَوّيْتَ عزمه على ما خرج إليه من خلعي بعد أن صارت بيعتي في عنقك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ! ما أجد قلبي مكانه ، وقد عظم جرمي من الاعتذار ، وجلّ ذنبي عن الإقالة ، وما أرجو الحياة إلّا من سعة عفوك ،

---

(١) يريد مدينة «بغداد» .

(٢) تقدّمت ترجمته .

(٣) يريد «محمد الأمين» شقيقه الذي قتل .

(٤) إبراهيم بن محمد المهدي . واسم أمه شكلة .

فهب دمي لحرمتي بآبائك ! فأمسك عنه وردّ عليه ضيعة من ضياعه مبلغ مالها ثلاثمائة ألف درهم وستّون ألفاً ، قدرها لقوته وقوت عياله .

وأنزل المأمون محمد بن صالح بن المنصور دار الفضل بن الربيع ، وزوّجه بخديجة ابنة الرشيد ، وأمر له بألفي ألف درهم مكافأة على ما كان من مسارعته إلى بيعته وطاعته ، والامتناع من بيعة إبراهيم ، وأعفاه من الركوب إلى بابه وإلى دار العامّة ، فكان يركب مكانه كاتبه جعفر بن وهب ، وزوّج محمد بن الرضى ابنته أم الفضل ، وأمر له بألفي ألف درهم ، وقال : إنّي أحببت أن أكون جدّاً لامرىءٍ وَلَده رسول الله وعليّ بن أبي طالب ، فلم تلد منه ، وولّى صالح بن الرشيد البصرة ، فاستخلف أبا الرازي محمد بن عبد الحميد وولّى أبا عيسى بن الرشيد الكوفة ، فاستخلف محمد بن اللّيث ، وكان طاهر بن الحسين بالجزيرة ، في محاربة نصر بن شبث[1] ، فوجّه إليه بعهده على الجزيرة ، والشأم ، ومصر ، وولّى دينار بن عبد الله الجبال ، وقد كان الحسن بن سهل ولّى الجبل بأمر المأمون الحسن بن عمرو الرستمي ، فخلع أيضاً ، وأظهر المعصية ،فلمّا قدم دينار حاربه ، فأسره وأسر عليّ بن البهلول ، ووجّه المأمون بنصر بن حمزة بن مالك الخزاعيّ إلى الثغور ، وقد ولى الرشيد إيّاها ثابت بن نصر بن مالك الخزاعيّ وخيف معصيته ، فتسلّمها منه نصر بن حمزة ، وتولّى الثغور ، ولم يلبث ثابت بن نصر إلاّ أقل من جمعة حتى مات ، فقيل إن نصر بن حمزة بن مالك سقاه السمّ .

ووجّه المأمون بعيسى بن يزيد الجلوديّ عاملاً على اليمن ، وبها حمدويه بن عليّ بن عيسى متغلّب قد أظهر المعصية بعد خروج إبراهيم بن موسى بن جعفر العلويّ ، فلمّا صار إلى مكة أشخص إبراهيم بن موسى

---

(١) نصر بن شبث : من بني عقيل ، كان أسلافه من رجال بني أُمية . وفي أيامه مات هارون الرشيد ، وحدثت الفتنة بين الأمين والمأمون . توفي ببغداد سنة ٢١٠ هـ .
[الزركلي : الأعلام ٨ : ٢٣]

إلى بغداد ، ووُلّي مكانه عبيد الله بن الحسن العلويّ بعهد من المأمون ، ونفذ الجلوديّ إلى اليمن ، وزحف إليه حمدويه ، فالتقوا لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ٢٠٥ ، فدعاه إلى الطاعة ، فامتنع ، وشبّت الحرب بينهم ، فقتل من أصحاب حمدويه خلق عظيم ، وانهزم حمدويه حتى دخل مدينة صنعاء، فاتبعه الجلوديّ حتى صار إلى الدار التي كان ينزلها، فأخذه الجلوديّ ، وهو في ثوب جارية من جواريه ، فقال له : سوءة لك ! قائد ابن قائد يقاتل الخليفة ويفرّ من الموت هذا الفرار ؟ قد آمنك الله على دمك ، حتى تصير إلى أمير المؤمنين ، فيحكم فيك برأيه . وأشخصه إلى المأمون .

ووثب الجند بطاهر[1] بن الحسين ، وهو بالرّقّة يحارب نصر بن شبث ، فانصرف إلى بغداد ، وولّى مكانه يحيىٰ بن معاذ ، فأقام بالرّقة حتى توفي، وولّى المأمون طاهراً الشرط، فأقام سنة، ثم شكا إلى أحمد ابن أبي خالد الأحول كاتب المأمون ببرمه بالمقام بالباب، ومحبّته الخروج من بغداد ، وكان بينهما مودّة وخلّة ، وجعل له ثلاثة آلاف ألف درهم ، فاحتال أحمد بن أبي خالد أن كتب عن غسّان بن عبّاد عامل خراسان كتاباً إلى المأمون فيه أن تعفني من خراسان ، فقال المأمون : والله ما أعرف في المملكة إلاّ خراسان، وما أدري ما حمل هذا الجاهل على الاستعفاء إلا أن يكون ما رأى نفسه لها أهلاً . فقال له أحمد بن أبي خالد : فولّها طاهراً ، فولّى طاهر بن الحسين خراسان في أول سنة ٢٠٦ مكان غسّان بن عبّاد ، فقدمها طاهر ، وقد خرج حمزة الشاري[2] بها ، فوجّه إليه بجيش بعد جيش ، ثم توفي حمزة ، فقام بعده ابنه إبراهيم بن النصر التميميّ ، فلم يزل أيّام طاهر ، وقدم غسّان بن عبّاد من خراسان ، فحجبه المأمون عنه شهراً، ثم كتب الحسن بن سهل فيه، فأذن له فقال: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك ! ما ذنبي ؟ قال : تستعفيني من خراسان ، وهي المملكة

---

(١) وزير المأمون وهو الذي دبّر مقتل «الأمين» .

(٢) بياض في الأصل .

بـأسرهـا . . . . فحلـف لـه على ذلـك ، ووقف على تدبيـر أحمـد بن أبي خالد .

وولّى المأمون عبـد الله بن طاهـر الجزيـرة والشأم ومصـر والمغرب ، وصيّر إليه جميع أعمالها ، وأمره بمحـاربة المتغلّبين بهـا ، فنفذ عبـدالله في سنة ٢٠٦ بعد نفـوذ أبيه إلى خـراسان بشهـرين ، فصار إلى الـرقّة ، فـواقع نصر بن شبث النصريّ المتغلّب بكَيْسوم[1] وما والاها من ناحيـة الجزيـرة ، وكتب إلى سائر المتغلّبين في النواحي من الجزيرة والشأمـات ، وأنفذ إليهم الـرسل في المعـاون ، فكتب القوم جميعـاً أنّهم في الـطاعـة ، وسـألـوه أن يكتب لهم الأمانات ، فقبل ذلك منهم .

ووجّه المأمون خالد[2] بن يزيـد بن مزيـد الشيبانيّ إلى مصـر ، ومعه عمـر بن فرج الـرخّجيّ في جيش ، وأمرهمـا أن يتكاتفـا على النظر ، فـإذا فتحا البلاد نـظر عمر بن فـرج الرخّجيّ في أمـر الخراج ، وكـان إلى خالـد المعـاون والصلاة ، فسـارا من العـراق ، وأخذا طـريق البـريّـة حتى صـارا بفلسـطين ، ثمّ قدمـا إلى مصر ، وعليّ بـن عبـد العزيـز الجـرويّ متغلّـب بأسفل الأرض ، فلمّا قربا منه كتب إليهما أنّه في السمع والطاعـة ، وأنّه لم يزل هو وأبوه على ذلك ، وأن كتبهما لم تزل بهـذا ، فصار خـالد بن يـزيد وعمر بن فرج إلى ناحية أسفل الأرض ، فأقاما عدّة شهور يكـاتبان عبيـد[3]

(١) كيسوم : قرية من أعمال سميساط وفيها حصن كبير على تلعة كانت لنصر بن شبث .
[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) خالد بن يزيد : أحد الأمراء الأجواد في العصر العباسي ، وهو ممدوح أبي تمام . لما انتفضت أرمينية انتدبه الخليفة الواثق ، فتجهّز في جيش عظيم وزحف يريدها ، فاعتلّ في طريقه . ومات قبل بلوغها سنة ٢٣٠ هـ . كـان يُكنى في السلم بأبي يـزيد ، وفي الحرب بأبي الزبير .

[الأغاني ١٥ : ١٠٤ ثم ٢٠ : ١٨٦ و ١٨٧]

(٣) عبيد الله بن السري : أمير مصر ، وابن أميرها . بايع له الجند وأقره المأمـون . نشبت فتنة بينه وبين خالد بن يزيد ، دافع ابن طاهر مدة ثم جـاءه أمان المـأمون على الصلح =

الله بن السريّ ، ثمّ زحف إليه خالد ، فأقام عمر بموضعه ، وخرج عبيد الله من الفسطاط لمحاربة خالد ، فلمّا التقيا خذل خالداً أصحابه الذين كان الجرويّ أنفذهم معه ، فحارب خالد ساعة في مواليه وعشيرته ، وكاثره عبيد الله ، وأسره ، فأقام عنده مكرماً في أحسن حال وأجملها ، ثم حمله في البحر ، وزوّده ، وأجازه إلى العراق ، وكان خالد يقول : ما شكرت أحداً شكري لعبيد الله بن السريّ ، لقد أحسن إليّ كلّ إحسان لولا أنّه حملني في البحر . وأقام عمر بن الفرج بأسفل الأرض إلى أن حضر وقت الحجّ ، فبذرقه ابن الجرويّ إلى مكّة .

وكتب صاحب الخَبر بخراسان يذكر أنّ طاهر بن الحسين صعد المنبر في يوم الجمعة ، فخطب الناس ، ولم يدعُ لأمير المؤمنين ، فدعا المأمون بأحمد بن أبي خالد ليلاً ، فقال له : بعتني بثلاثة آلاف ألف درهم ، أخذتها من طاهر ؟ فقال : أنا أخرج إليه ، فأكفيك أمره ، فأمره أن يتجهّز ، ثم ورد كتاب طاهر على أحمد بن أبي خالد يسأله أن يوجّه إليه محمد بن فرّخ العمركيّ ، وكان أحبّ الناس إلى طاهر ، وأوثقهم في نفسه ، فقال أحمد بن أبي خالد للمأمون : يا أمير المؤمنين ! إن محمد بن فرّخ يقوم بما كنت أقوم به ، فأُقطع عدّة قطائع ، ووُصل بمال عظيم ، ونفذ إلى خراسان ، فأقام عنده شهراً حتى توفي ، فيقال إن ابن أخي العمركيّ سقاه سمّاً فقتله .

وتوفي طاهر بن الحسين بخراسان في سنة ٢٠٧ ، وهو ابن ثمان وأربعين سنة ، فولّى المأمون ابنه طلحة بن طاهر خراسان ، وأنفذ أحمد بن أبي خالد في الجيش الذي كان ضمّه إليه ، فنفذ إلى خراسان ، وأقدم معه الأفشين حيدر بن كاوس الأسروشني وجملة من أبناء ملوك خراسان .

= بينه وبين ابن طاهر . أقام في العراق وتوفي بسرّ من رأى سنة ٢٥١ هـ .
[الزركلي : الأعلام ٤:١٩٣]

وبلغ المأمون أن بشر بن داوُد المهلّبيّ عامل السند قد خالف ، فوجّه حاجب بن صالح عاملاً مكانه ، فلمّا صار بمكران ألفى أخاً لبشر بن داوُد ، فقال له : سلّم العمل ، إنّ سبيل كتاب العمل أن يقرأه بشر ليكتب بالتسليم ، وقال : إنّما أنا من قبل- بشر ، وبشر بالمنصورة ، وبينك وبينه يومان ، فإذا اجتمعت معه وكتب إليّ بالتسليم سلّمت إليك . فوقعت بينهما المنازعة ، وكتب إلى المأمون يخبره أن بشراً قد خلع ، وأنّه على محاربته ، فأحضر المأمون محمد بن عبّاد المهلّبيّ ، وكان سيّد أهل البصرة في زمانه ، فقال : قد خالف بشر ! فقال : معاذ الله ! قال : فاخرجْ مع غسّان بن عبّاد ! فوجّه مع غسّان بجماعة من القوّاد وبموسى[1] بن يحيىٰ بن خالد البرمكي ، وأمره أن يولّي موسى البلد ، فلمّا صار غسّان إلى بلاد السند خرج إليه بشر ، وأعطاه الطاعة من غير حرب ولا منازعة ، فأشخصه ، وولّى البلد موسى بن يحيى ، فلم يزل موسى في البلد حتى مات ، فصار ابنه عمران بن موسى مكانه ، ولمّا قدم بشر بن داوُد العراق ومن كان معه من آل المهلّب أطلقهم المأمون جميعاً ، وأحسن إليهم .

وظفر المأمون بإبراهيم بن المهديّ بن شكلة في أوّل سنة ٢٠٨ ، ظفر به ليلاً ، فجلس في تلك الليلة جلوساً عامّاً ، وحبسه عند أحمد بن أبي خالد بغير وثاق ، وأمره بالإحسان إليه ، ثم كتب إبراهيم من حبسه ، وهو لا يشك أنّه يقتله ، كتاباً إلى المأمون قال فيه : وليّ الثأر ، يا أمير المؤمنين ، محكّم في القصاص والعفو أقرب للتقوى ، مَنْ تناوله الاغترار بما مُدّ له من الرخاء أمّر عادية الدهر على نفسه ، وقد جعلك الله فوق كلّ ذي عفو كما جعل كلّ ذي ذنب دوني ، فإن عفوت فبفضلك ، وإن أخذت

---

(١) موسى بن يحيى البرمكي : من رجال الدولة العباسية ، كان مع غسان بن عباد في أرض الهند ، وقبل رجوع غسان إلى العراق ، كتب إليه المأمون بتولية موسى ثغر السند ، فتولاه. توفي سنة ٢٢١ هـ .

[فتوح البلدان للبلاذري : ٤٥٠]

فبحقّك . فوقّع المأمون في رقعته : القدرة تذهب الحفيظة[1] ، والندم توبة بينهما عفو الله ، وهو من أكثر ما نسأله . وخلّى سبيله ، وعفا عنه ، وقال : إنّي شاورت جميع أصحابي في أمرك حتى شاورت أخي أبا إسحاق وابني العبّاس ، فكلّهم أشار عليّ بقتلك ، فأبيت إلّا العفو عنك . فقال : أمّا أن يكونوا قد نصحوك في عظم الخلافة وتدبير الملك . فقد فعلوا ، ولكنّك أبيت أن تستجلب نصر الله من حيث دعوك . وكان المأمون شاور فيه أصحابه جميعاً ، فكلّ أشار بقتله ، فقال لهم : إن قتلته كنت متبعاً للملوك قبلي فيما فعلته بمن ناوأها ونازعها ، وإن عفوت كنت أمّة وحدي .

ووثب ابن عائشة[2] ، وهو إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس ، في جماعة معه منهم : مالك بن شاهي النِّفّريّ من أهل السواد ، ومحمّد بن إبراهيم الأفريقيّ ، فدونوا الدواوين ، وأثبتوا أسماء الرجال ، وسمّوا العمّال ، فظفر به المأمون ، فحبسه في المطبق ، فاستمال إبراهيم بن عائشة أهل المطبق ، حتى حملهم على الوثوب ، وأن يشغبوا ، وتنصّروا ، وشدّوا الزنانير في أوساطهم والصلب في أعناقهم ، ورفع محمد بن عمران صاحب البريد خبرهم ، فركب المأمون إلى المطبق ليلاً ، لما صحّ عنده الخبر ، وأحضر جماعة من قوّاده ، ودعا بإبراهيم ، فضرب عنقه وقتل الذين كانوا معه ، وهم : الأفريقيّ ، وفرج البغواريّ ، وصلب ابن عائشة ببغداد ثلاثة أيام ، ثم أنزله ، وكان ذلك في سنة ٢١٠ .

وشخص المأمون من بغداد إلى فم الصلح ، وهو منزل الحسن بن

---

(١) الحفيظة : الغضب .

(٢) ابن عائشة : أمير عباسي ، ثار على المأمون وسعى في البيعة لإبراهيم المهدي . قبض عليه المأمون فقتله وصلبه ، فكان أول عباسي صُلب في الإسلام . وعائشة هي أمه نُسب إليها .

[معجم الألقاب والأسماء المستعارة]

سهل ، فتزوّج بوران بنت الحسن بن سهل[1] ، فعرس بها هناك ، فكان عرساً لم ير مثله ، فأنفق الحسن بن سهل على المأمون وجميع من معه من أهل بيته وكتّابه وأصحابه وجميع من حوى عسكره من الأتباع ، أيّام مقام المأمون ، ونثر عليهم الضياع والقرى والجواري والوصفاء والخيل والدوابّ ، فكانت تكتب أسماء هذه الأنواع في رقاع صغار ، وتجعل في بنادق المسك ، وتنثر على الناس ، فكلّما أخذ إنسان بندقة نظر إلى الرقعة فيها ، ثم قبضها من الوكلاء ، ثم نثر على الناس الدراهم والدنانير وفأر المسك وقطع العنبر ، وأقام المأمون أربعين يوماً ثم انصرف .

وفتح عبد الله بن طاهر كيسوم ، فظفر بنصر بن شبث في هذه السنة ، وهي سنة ٢١٠ ، وحمله إلى المأمون .

فحكى ابن منصور بن زياد ، وكان على بريد عبد الله بن طاهر ، وكتب بخبره إلى المأمون : إن عبد الله بن طاهر يخرج في كلّ ليلة من عسكره ، ويخرج إليه نصر بن شبث ، فيجتمعان ويتحدّثان ، فدعا المأمون بعمرو[2] بن مسعدة ، فأمره أن يظهر علّة يحتاج أن يقيم لها في منزله ، وأن يخرج على خمس عشرة دابّة من دوابّ البريد ، ولا يعلم أحداً حتى يصير إلى عبد الله بن طاهر ، ويقول له : يا بن الفاعلة ، لقد همّ أمير المؤمنين أن يؤمّر عبداً أسود ، ثمّ يوجّهه مكانك ، ويجعلك سائساً له : وأمر عمراً أن لا يسلّم عليه ، ولا يسمع له جواباً ، فخرج عمرو ، فلمّا اجتمع مع عبد الله لم يسلّم عليه حتى بلّغه الرسالة على رؤوس الناس ، ثم انصرف ،

---

(١) وقد تزوجها بعد أن شفي والدها من السويداء التي أدت إلى اضطرار أهله لتقييده بالحديد .

(٢) عمرو بن مسعدة : أبو الفضل الصولي ، أحد الكتاب البلغاء . كان يوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي ، واتصل بالمأمون ، فرفع مكانته وأغناه . وكان مذهبه في الإنشاء الإيجاز واختيار الجزل من الألفاظ . توفي في أدنة بتركية سنة ٢١٧ هـ .
[وفيات الأعيان ١ : ٣٩٠]

ولم يسمع منه جواباً ، فلمّا كان يوم الأربعين من مصير عمرو وافى نصر بن شبث ، وسار عبد الله يستقري الشأم بلداً بلداً لا يمرّ ببلد إلاّ أخذ من رؤساء القبائل والعشائر والصعاليك والزواقيل ، وهدم الحصون وحيطان المدن ، وبسط الأمان للأسود والأبيض والأحمر ، وضمّهم جميعاً ، ونظر في مصالح البلدان ، وحطّ عن بعضها الخراج ، فلم يبق مخالف ولا خالع إلاّ خرج من قلعته وحصنه .

وسار عبد الله بالقوم جميعاً إلى مصر ، فلقيه عليّ[1] بن عبد العزيز الجرويّ المتغلّب بأسفل الأرض ، فأعلمه أنّه لم يزل هو وأبوه في الطاعة ، فقبل قوله ، وسيّره معه حتى نزل ببلبيس ، فواقع عبيد الله بن السريّ وقعات ، وجعل أصحاب عبيد الله يستأمنون شيئاً بعد شيء ، حتى لم يبق معه ممّن كان يعتمد عليه أحد ، فلمّا رأى ذلك طلب الأمان ، على أن يسوّغ ما أخذ ، ويطلق له جباية الصعيد شهرين ، فأجابه إلى ذلك ، وأعطاه الأمان ، وقال : لو شرط أن أضع له خدّي في الأرض يطأ عليه لفعلت ، وكان ذلك قليلاً عندي في جنب ما أوثره من حقن الدماء ؛ فخرج إليه لعشر بقين من صفر سنة ٢١١ .

ودخل عبد الله بن طاهر الفسطاط ، وكتب بالفتح ، وأقرّ عبد الله بن طاهر عبيد الله بن السريّ على الصعيد شهرين ، ثم سيّره إلى العراق ، ثم ولّى العباس بن هاشم بن باتيجور البلد .

وكان قوم من الأندلس قد تغلّبوا بالإسكندرية ، فزحف إليهم عبد الله ، فحاصرهم حصاراً شديداً ، ثم آمنهم ، وفتح الإسكندرية

---

(١) علي بن عبد العزيز : أحد القادة الشجعان بمصر . حارب عبيد الله بن السري أمير مصر وهزمه ، ثم اصطلحا . ولي تنيس والحوف . أخرجه عبد الله بن طاهر إلى العراق ، ثم عاد به الأفشين إلى مصر مقابل أمواله ، فلم يدفع له فقتله الأفشين سنة ٢١٥ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٤ : ٣٠٠]

سنة ٢١٢ ، وولّاها الياس بن أسد الخراسانيّ ، وانصرف إلى الفسطاط ، ثم صار إلى العراق ، وحمل معه الجرويّ وجماعة من أهل مصر والشأم ، واستخلف على مصر عيسى بن يزيد الجُلُودي .

وكان أحمد بن محمد العمريّ ، من ولد عمر بن الخطاب ، قد وثب باليمن ، وأخرج محمد بن نافع ، واحتوى على بيت المال ، فولّى المأمون أبا الرازيّ[1] محمّد بن عبد الحميد اليمن ، فلمّا قدم ضرع العمريّ إلى الأمان ، فأعطاه إيّاه ، ثم مكر به أبو الرازيّ ، فأخذه وجماعة من أهل بيته وولده ، فأوثقهم في الحديد ، وحملهم إلى باب المأمون ، وأخذ أهل اليمن بأداء خراجين جباهما ابن العمريّ ، ووجّه إلى إبراهيم بن أبي جعفر الحميريّ المعروف بالمناخي ، وكان في جبل له منيع ، يأمره بالمصير إليه ، فلم يصر إليه ، فزحف إليه يريده ، فلمّا صار إلى الجبل سلك طريقاً ضيّقاً ، وخرج ابن أبي جعفر ، فقتله وقتل خلقاً من أصحابه ، وأسر خلقاً ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وخلّى سبيلهم ، وغلب إبراهيم بن أبي جعفر على اليمن ، وخرب مدينة السلطان ، وكان ذلك في سنة ٢١٢ .

وفي هذه السنة توفي عبد الله بن مالك الخزاعيّ في ذي الحجّة ، وفيها كثر الحريق في الكرخ .

وكان المأمون قد ولّى طاهر بن محمد الصنعانيّ أرمينية وآذربيجان ، وقيل بل وجهه هرثمة بن أعين من همذان ، وهو متوجّه إلى العراق ، فصار إلى ورثان[2] ، من عمل آذربيجان ، وكاتب قوّاد أرمينية ووجوه جندها ، فبايعوا للمأمون ، وكان العامل عليها من قبل المخلوع إسحاق بن سليمان ،

---

(١) الرازي : هو محمد بن حميد ، أبو عبد الله ، حافظ للحديث من أهل الريّ . زار بغداد ، وأخذ عنه كثير من الأئمة كابن حنبل وابن ماجة والترمذي .

[تاريخ بغداد ٢ : ٢٥٩]

(٢) ورثان : بلد هو آخر حدود آذربيجان .

[ياقوت]

فكان معه عمر ، والحزون ، ونرسي ، وعبد الرحمٰن ، صار بطريق الران وجماعة من البطارقة ، وأقبل يريد برذعة ليوقع بأهلها لإخراجهم ابنه ، فوجّه إليهم طاهر عامل المأمون زهير بن سنان التميميّ في خلق عظيم ، فالتقوا ، فاقتتلوا عامّة يومهم ، ثمّ انهزم إسحاق بن سليمان وأصحابه وأسر ابنه جعفر بن إسحاق بن سليمان فوجّهه ومن معه من الأسارى إلى المأمون .

ولم يقم طاهر الصنعاني إلاّ أيّاماً حتى خرج عليه عبد الملك بن الجحّاف السلميّ خالعاً، ووثب في أهل البيلقان، فحصروا طاهراً في مدينة برذعة ، فأقام محصوراً عدّة أشهر ، وبلغ المأمون ، فولّى سليمان بن أحمد بن سليمان الهاشميّ ، فقدم البلد ، وطاهر محصور ، فأخرجه وصرفه ، وأعطى عبد الملك الأمان ، واستقامت البلاد ، ثم ولّى حاتم بن هرثمة بن أعين أرمينية ، فقدم البلد ، وقد وقعت بين المعتزلة والجماعة[1] العصبية، فبعضهم يقتل بعضاً ، حتى كادوا يتفانون ثم اصطلحوا ، ولم يقم حاتم بن هرثمة في البلد إلاّ أيّاماً قلائل ، حتى أتاه خبر موت أبيه هرثمة والحال التي مات عليها ، فخرج من برذعة ، حتى نزل كسال ، فبنى بها حصناً ، وعمل على أن يخلع ، وكاتب البطارقة[2] ووجوه أهل أرمينية ، وكاتب بابك والخرّمية[3] ، وهوّن أمر المسلمين عندهم ، فتحرّك بابك والخرميّة ، وغلب بابك في عمل آذربيجان .

وبلغ المأمون الخبر ، فولّى يحيىٰ بن معاذ بن مسلم مولى بني ذهل

---

(١) الجماعة : أي ما أجمع عليه أهل السنة . والمعتزلة هم الذين يقولون بخلق القرآن .
(٢) البطارقة : قوّاد الروم . الواحد : بطريق .
(٣) الخرمية : بدعة نشأت في خراسان وقويت شوكتها بعد مقتل أبي مسلم الخراساني ، وثار زعيمها بابك على الخلافة فقاتلهم الأفشين أحد قواد المعتصم وظفر ببابك .
[الموسوعة العربية]

أرمينية . . . .[1] ففعل ذلك ، وواقع يحيىٰ بن معاذ وقعات لم يظهر عليه في وقعة منها ، وكان المأمون قد أمر عيسى بن محمد بن أبي خالد القائد المحارب ، كان في أيّام المخلوع ، فلمّا لم يحمد أثر يحيىٰ ، ولّى عيسى أرمينية وآذربيجان ، وأمره أن يجهّزهم ويعطيهم الأرزاق من ماله ، فجهّزهم عيسى بن محمد من ماله ، وهم الذين كانت ناحيتهم بمدينة السلام ، وخرج ، فلم يبق ببغداد أحد من الجند الحربيّة الذين كانوا في الفتنة ، فلمّا صار في البلد أتاه محمد بن الرواد . . . . .[2] أن يمشي وجميع رؤساء تلك البلاد ، فاحتشد لقتال بابك ، وأخذ في مضيق ، فلقيه بابك فيه ، فهزمه ، فمرّ عيسى مولّياً لا يقف على شيء ، فصاح به بعض شطّار الحربيّة ؛ إلى أين يا أبا موسى ؟ فقال : ليس لنا في قتال هؤلاء بخت[3] ، إنّما نُحْظَى في قتال المسلمين .

وانصرف من آذربيجان إلى أرمينية ، وقد عصى سوادة بن عبد الحميد الجحّافيّ ، فعرض عليه عيسى أن يولّيه أرمينية ، فأبى إلّا محاربته ، فحاربه فهزمه بعد جهد ، واستقامت لعيسى بن محمد أرمينية ، واستعظم أمر بابك بالبذّ[4] ، فولّى المأمون زريق بن عليّ بن صدقة الأزديّ ، فلم يصنع شيئاً ، فولّى محمد بن حميد الطوسيّ ، فلمّا بلغ زريقاً خبر صرفه خلع ، وأظهر المعصية .

وقدم محمد بن حميد البلد ، فحاربه زريق ، فقتل محمد أصحابه ، ثمّ طلب الأمان ، فآمنه ، وحمله إلى المأمون ، وأقام محمد بن حميد حتى نقّى البلاد ممّن كان يخاف ناحيته ، فلمّا أمكنه محاربة بابك عبّأ لقتاله ، وزحف إليه ، فحاربه محاربة شديدة له في كلّ ذلك الظفر ، ثم صار إلى

(١ و ٢) بياض في الأصل .

(٣) بخت : حظ .

(٤) البذ : كورة بين آذربيجان وأرّان . قال الحسين بن الضحاك :

لم يدعْ بالبذّ من ساكنةٍ غير أمثالٍ ، كأمثال إرم .

[ياقوت : معجم البلدان]

موضع ضيّق فيه حزونة[1] ، فترجّل ابن حميد وجماعة معه ، فحمل عليهم أصحاب بابك ، فقُتل محمد وجماعة من وجوه أصحابه ، وانهزم العسكر ، وأقام على الجيش مهديّ بن أصرم قرابة لابن حميد ، وكان ذلك في أول سنة ٢١٤ .

ولمّا قُتل محمد بن حميد ولّى المأمون عبد الله بن طاهر ، وعقد له على كور الجبال وأرمينية وآذربيجان ، وكتب إلى القضاة وعمال الخراج بالانتهاء إلى أمره ، فخرج عبد الله ، وأقام بالدينور ، وكتب إلى مهديّ بن أصرم ، ومحمّد بن يوسف ، وعبد الرحمٰن بن حبيب ، القواد الذين كانوا مع محمد بن حميد ، أن يقيموا بمواضعهم .

وتوفي طلحة بن طاهر بخراسان ، فولّى المأمون مكانه عبد الله ، ووجّه إليه بعهده وعقده مع إسحاق بن إبراهيم ، ويحيى[2] بن أكثم ، قاضي القضاة ، فنفذ عبد الله إلى خراسان في هذه السنة ، فولّى المأمون آذربيجان ومحاربة بابك عليّ بن هشام ، وولّى عبد الأعلى بن أحمد بن يزيد بن أسيد السلميّ أرمينية ، فقدم البلد ، وقد تغلّب على جُرزان[3] محمد بن عتاب ، وانضمت إليه الصناريّة ، فحاربه فهزمه ابن عتاب ، ولم يكن له ضبط ولا معرفة بالحرب ، فولّى المأمون خالد بن يزيد بن مزيد ، فأخرج من كان في الحبس بالعراق من عشيرته ، وشخص إلى الجزيرة ، فانضمّ إليه خلق عظيم من ربيعة ، ثم صار إلى البلد ، فلمّا قدم خِلاط أتاه

---

(١) الحزونة : غلاظة الأرض .

(٢) يحيى بن أكثم : قاضٍ ، رفيع القدر ، عالي الشهرة . غلب على المأمون حتى لم يتقدمه على أحد ، وكان مع تقدمه في الفقه وأدب القضاء ، حسن العشرة ، حلو الحديث ، استولى على قلب المأمون حتى أمر بأن لا يحجب عنه ليلاً ونهاراً . توفي بالربذة سنة ٢٤٢ هـ .

[وفيات الأعيان ٢ : ٢١٧]

(٣) جرزان : اسم لناحية بأرمينية .

[ياقوت]

سوادة بن عبد الحميد الجحّافيّ فأمنه ، ثم صار إلى النّشَوَى[1] ، وقد كان تغلب بها يزيد بن حصن مولى بني محارب ، فهرب منه يزيد بن حصن ، وأتى كسال ، فأقام بها ، وبعث إلى محمد بن عتّاب ، وأتاه في الأمان مظهراً للطاعة ، فأمنه خالد ، ثم قال : الصناريّة في طاعتك ! فقال له محمد بن عتّاب : ما هم لي في طاعة ! فزحف إليهم خالد ، فواقعهم بجرزان ، فهزمهم ، وأخذ مواشيهم ، ثم دعا إلى الصلح ، وصالحهم على ثلاثة آلاف رَمَكَة[2] وعشرين ألف شاة ، فلم يلبثوا إلّا قليلاً حتى وثبوا ووثب معهم القيسيّة ، وشغبوا على خالد ، وكان في القوم عليّ بن يحيىٰ الأرمنيّ ، فأسره خالد ، وأسر جماعة ، ووجّه بهم إلى المأمون ، فصيّرهم في ناحية أبي إسحاق المعتصم ، وضمّهم إليه ، وفرض لهم .

ثمّ ولّى المأمون عبد الله بن مصاد الأسديّ مكان خالد ، وأشخص خالداً إليه ، فخاف خالد أن يكون قد سُعي عنده[3] ، فلمّا ضمّه إلى أخيه المعتصم ، وقدم عبد الله بن مصاد الأسديّ البلد ، فلم يقم إلّا يسيراً حتى مات ، واستخلف ابنه عليّاً ، فاضطرب البلد ، وولّى المأمون الحسن بن عليّ الباذغيسيّ المعروف بالمأمونيّ ، فقدم والبلد مضطرب ، فقاتل أهل قلعة لنابين[4] ، ففتحها ، وانصرف إلى دبيل[5] ، فأقام بها ، وكتب إلى إسحاق بن إسماعيل بن شعيب التفليسيّ في حمل الأموال ، فدافعه إسحاق وردّ رسله ، فزحف إلى تفليس ، فلمّا قرب منه خرج إليه ،

---

(١) نشوى : مدينة بآذربيجان . [ياقوت]

(٢) الرمكة : الفرس تتخذ للنسل .

(٣) أي قد وُشِي به عند المأمون .

(٤) اسم بدون نقط في الأصل .

(٥) دبيل : موضع يتاخم أعراض اليمامة . [ياقوت]

فأعطاه مالاً ، فانصرف عنه .

وعقد المأمون لأخيه إبي إسحاق على مصر والمغرب ، ولابنه العباس على الجزيرة سنة ٢١٤ ، فقدم العباس الجزيرة ، وقد وثب بلال الشاري ، فاجتمع هو وأبو إسحاق وجماعة من معهما من القوّاد عليه ، فظفروا به ، فقتلوه .

ووثب القيسيّة واليمانية بمصر بناحية الحوف ، فحاربهم عيسى بن يزيد الجلوديّ ، فهزموه غير مرة ، فوجّه أبو إسحاق بعمير بن الوليد عاملاً على مصر مكان الجلوديّ ، فحاربهم وأكثر فيهم النكاية ، ثم قتل ، فأمر المأمون أبا إسحاق أن ينفذ إليهم ، فسار إليهم من الرقّة ، فدعاهم إلى الأمان ، فأبوا عليه ، فقاتلهم ، فظفر بهم ، وأسر عبد الله بن جليس الهلاليّ رئيس القيسيّة ، وعبد السلام الجذاميّ رئيس اليمانية ، فضرب أعناقهما وصلبهما على جسر مصر ، وأسر منهم خلقاً عظيماً حملهم إلى بغداد .

ووشى يحيىٰ[1] بن أكثم بالمعتصم إلى المأمون ، وقال له : إنّه بلغني أنّه يحاول الخلع ، فوجّه إليه يأمره بالقدوم ، وأن يكون مقيماً حتى يوافيه ، فسار على مائتي بغل اشتراها وحذّفها واستخلف على الفسطاط عبدويه بن جبلة .

وخرج المأمون متوجّهاً إلى أرض الروم في المحرم سنة ٢١٥ ، فغزا الصائفة ، وافتتح أنقرة نصفاً بالصلح ونصفاً بالسيف ، وأخربها ، وهرب منويل البطريق منها ، وفتح حصن شمال ، ثم انصرف ، فنزل دمشق ، ثم أتاه الخبر أن أهل البشرود من كور مصر قد ثاروا ، فأمر أخاه أبا إسحاق أن يوجّه الأفشين حيدر بن كاوس ، فوجّه به ، وكفّ عاديتهم ، ونفذ إلى برقة ، وقد خالف أهلها ، فافتتحها ، وأسر مسلم بن نصر بن الأعور ،

---

(١) تقدّمت ترجمته .

وانصرف إلى مصر سنة ٢١٦ ، وقد عاود أهل الحوف وأهل البشرود المعصية ، فحاربهم .

وغزا المأمون أرض الروم سنة ٢١٦ ، ففتح اثني عشر حصناً ، وعدّة مطامير ، وبلغه أن طاغية الروم [١] قد زحف ، فوجّه العباس ابنه ، فلقيه ، فهزمه ، وفتح الله على المسلمين ، ووجّه إليه توفيل ملك الروم بالأسقف صاحبه ، وكتب إليه كتاباً بدأ فيه باسمه ، فقال المأمون : لا أقرأ له كتاباً يبدأ فيه باسمه ! وردّه ، وكتب إليه توفيل بن ميخائيل : لعبد الله غاية الناس في الشرف ، ملك العرب ، من توفيل بن ميخائيل ملك الروم من قبل . . . . . . [٢] ، وسأل أن يقبل منه مائة ألف دينار والأسرى الذين عنده ، وهم سبعة آلاف أسير ، وأن يدع لهم ما افتتحه من مدائن الروم وحصونهم ، ويكفّ عنهم الحرب خمس سنين ، فلم يجبه إلى ذلك ، وانصرف إلى كيسوم من أرض الجزيرة من ديار مضر .

وتوفّيت أمّ جعفر بنت جعفر بن المنصور يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الأولى سنة ٢١٦ ، وفي هذا اليوم ورد نعيّ عمرو بن مسعدة مات بأذَنَة[٣] ، وفي هذه السنة توفي طوق بن مالك الربعيّ في شهر رمضان .

واشتدّت شوكة من كان يحارب الأفشين بمصر من أهل الحوف والبيما والبشرود ، وهي من كور أسفل الأرض ، فخرج المأمون إلى كور مصر ، وقدم الأفشين في محاربة أهل الحوف ، فزحف إليهم بنفسه ، فقتلهم وسبى البيما ، وهم قبط البشرود ، واستفتى في ذلك فقيهاً بمصر يقال له الحارث بن مسكين مالكيّ ، فقال : إن كانوا خرجوا لظلم نالهم ، فلا

---

(١) طاغية الروم هو تيوفيل بن ميخائيل .
(٢) كلام ناقص في الأصل .
(٣) أذنة : بلد من الثغور قرب المصيصة .

[ياقوت]

تحل دماؤهم وأموالهم ؛ فقال المأمون : أنت تيس ومالك أتْيَس منك ، هؤلاء كفّار لهم ذمّة ، إذا ظُلموا تظلّموا إلى الإمام ، وليس لهم أن يستنصروا با . . . .[1] ولا يسفكوا دماء المسلمين في ديارهم . وأخرج المأمون رؤساءهم ، فحملهم إلى بغداد .

ووشى محمد بن أبي العبّاس الطوسيّ ، وأحمد بن أبي داوُد يحيىٰ بن أكثم إلى المأمون تقرباً إلى أبي إسحاق ، فسخط عليه المأمون ، وأمر بنفيه من عسكره ، ونزع السواد[2] عنه وأخرجه إلى بغداد ، وأمره أن لا يخرج من منزله ، فأُخرج من مصر ، وأرسل موكّلين به ، وسخط أيضاً على عيسى بن منصور القائد الرافقيّ ، وأخرجه من عسكره ، وكان السخط عليهما في يوم واحد .

وكان مقام المأمون بمصر سبعة وأربعين يوماً ، قدم لعشر خلون من المحرم ، وخرج لثلاث بقين من صفر سنة ٢١٧ ، وقدم دمشق منصرفاً من مصر ، فأقام أيّاماً ، ثم شخص إلى الثغر ، فنزل أذنة معسكراً بها ، وقد كان أبو سعيد محمد بن يوسف الطائيّ ، وعبد الرحمٰن بن حبيب ، وغيرهما من أصحاب محمد بن حميد الطوسيّ ، الذين كانوا بآذربيجان ، صاروا إلى باب المأمون ، فرقّوا[3] على عليّ بن هشام ، ونسبوه إلى الخلاف والمعصية ، وكتب العباس بن سعيد الجوهريّ صاحب بريد عليّ بن هشام بمثل ذلك ، فوجّه المأمون بعجيف بن عنبسة ، وكان من أجل قوّاده ، وأحمد بن هشام ، وأشخص عجيف عليّاً إلى أذنة ، فأمر المأمون بضرب عنقه وعنق أخيه الحسين بن هشام ، وكان المتولّي لذلك منهما بيده ابن أختهما أحمد بن الخليل بن هشام ، ونصب رأس عليّ بن

---

(١) كلام ناقص في الأصل .

(٢) السواد : ما حول البلد من الريف والقرى ، ومنه سواد العراق لما بين البصرة والكوفة ولما حولهما من القرى .

(٣) قوله : «فرقوا» هكذا في الأصل .

هشام على قناة أيّاماً، ثم وجّه به إلى برقة ، فجعل في المنجنيق ، ثم رمى به في البحر .

وغزا المأمون بلاد الروم في هذه السنة، وهي سنة ٢١٧ ، وصار إلى حصن من حصون الروم يقال له لؤلؤة ، فأقام عليه حيناً لم يفتحه ، فبنى عليه حصنين أنزل فيهما أبا إسحاق والرجال ، ثمّ قفل متوجّهاً إلى قرية يقال لها سَلَغوس[1] ، وخلّف على حصنه أحمد بن بسطام ، وخلّف أبو إسحاق على حصنه محمد بن الفرج بن أبي الليّث بن الفضل، وصيّر عندهم زاد سنة ، وخلّف المأمون على جميع الناس عجيف بن عنبسة ، فمكرت الروم أصحاب لؤلؤة بعجيف ، فأسروه ، فمكث في أيديهم شهراً ، وكاتبوا ملكهم ، فسار نحوهم ، فهزمه الله بغير قتال ، وظفر من كان في الحصنين من المسلمين بعسكره ، فحووا كلّ ما كان فيه ، فلمّا رأى ذلك أهل لؤلؤة ، وأضرّ بهم الحصار ، طلب رئيسهم الحيلة ، فقال لعجيف : أخلّي سبيلك على أن تطلب لي الأمان من المأمون ، فضمن له ذلك ، فقال : أريد رهينة . فقال : أنا أحضرك ابنيّ ، فوجّه إلى خليفته أن يوجّه إليه بفرّاشين نصرانيّين ، ويُخَوَّسان[2] ويجمّلان ، فوجّهْ معهما بجماعة من غلمان نصارى في زيّ المسلمين . ففعل ذلك ، فدفعهم عجيف إليهم ، وخرج ، فلما صار إلى المعسكر كتب إليهم : إن الذين في أيديكم نصارى ، وأنتم مخيّرون فيهم ، فكتب إليه رئيسهم : إن الوفاء حسن وهو من دينكم أحسن . فأخذ لهم عجيف الأمان ، وفتحها ، وأسكنها المسلمين .

وصار المأمون إلى دمشق سنة ٢١٨ ، وامتحن الناس في العدل والتوحيد ، وكتب في إشخاص الفقهاء من العراق وغيرها ، فامتحنهم في

---

(١) سلغوس : اسم بلدة وهو حصن في بلاد الثغور بعد طرسوس .

[ياقوت]

(٢) خوّس الشيء: نقصه .

خلق القرآن[1] ، وأكفر من امتنع أن يقول القرآن غير مخلوق ، وكتب أن لا تُقبل شهادته ، فقال كلّ بذلك ، إلاّ نفراً يسيراً .

وكتب المأمون على عنوانات كتبه : بسم الله الرحمٰن الرحيم ، فكان أول من أثبتها على عنوانات الخلفاء ، وكبّر بعد كلّ صلاة ، فبقي ذلك سنّة ، وحَوّل العَلَم عند مواقيت الصلاة ، ونزع المقاصير من المساجد الجامعة ، وقال : هذه سنّة أحدثها معاوية .

وكان بشر بن الوليد الكنديّ ، قاضي المأمون ببغداد ، قد ضرب رجلاً قُرف[2] بأنّه شتم أبا بكر وعمر ، وأطافه على جمل ، فلمّا قدم المأمون أحضر الفقهاء ، فقال : إنّي قد نظرت في قضيتك ، يا بشر ، فوجدتك قد أخطأت بهذا خمس عشرة خطيئة ، ثم أقبل على الفقهاء ، فقال : أفيكم من وقف على هذا ؟ قالوا : وما ذاك ، يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا بشر ! بِمَ أقمتَ الحدّ على هذا الرجل ؟ قال : بشتم أبي بكر وعمر . قال : حضرك خصومه ؟ قال : لا ! قال : فوكّلوك ؟ قال : لا ! قال : فللحاكم أن يقيم حدّ القرفة بغير حضور خصمٍ ؟ قال : لا ! قال : وكنت تأمن أن يهب بعض القوم حصّته ، فيبطل الحدّ ؟ قال : لا ! قال : فأمهما كافرتان أو مسلمتان ؟ قال : بل كافرتان . قال : فيقام في الكافرة حدّ المسلمة ؟ قال : لا ! فقال : فهبك فعلت هذا بما يجب لأبي بكر وعمر من الحقّ ، أفيشهد عندك شاهدا عدل ؟ قال : قد زكّي أحدهما . قال : فيقام الحدّ بغير شاهدين عدلين ؟ قال : لا ! قال : ثمّ أقمت الحدّ في رمضان ، فالحدود تقام في شهر رمضان ؟ قال : لا ! قال : ثم جلدته وهو قائم ، فالمحدود يقام ؟ قال : لا ! قال : ثم شبحته[3] بين العقابين ، فالمحدود يشبح ؟ قال : لا ! قال : ثم جلدته عريانا ، فالمحدود يُعرى ؟ قال :

---

(١) المعتزلة هم الذين قالوا بخلق القرآن ، ومن مشاهيرهم واصل بن عطاء وعمر بن عبيد والعلاّف وبشر بن المعتمر والنظام والجاحظ .

(٢) قُرف : اتهم كذباً وبطلاناً .

(٣) شبحه : مدّه ليجلده .

لا ! قال : ثمّ حملته على جمل ، فأطفته ، فالمحدود يطاف به ؟ قال : لا ! قال : ثمّ حبسته بعد أن أقمت عليه الحدّ ، فالمحدود يحبس بعد الحدّ ؟ قال : لا ! قال : لا يراني الله أبوء بإثمك وأشاركك في جرمك ، خذوا عنه ثيابه ، وأحضروا المحدود ليأخذ حقّه منه . فقال له من حضر من الفقهاء : الحمد لله الذي جعلك عاملاً بحقوقه ، عارفاً بأحكامه ، تقول الحقّ ، وتعمل به ، وتأمر بالعدل ، وتؤدب من رغب عنه ، إنّ هذا يا أمير المؤمنين ، حاكم أجدّ برأيه فأخطأ ، فلا تفضح به الحكّام ، وتهتك به القضاء . فأمر به ، فحبس في داره حتى مات .

ورفع جماعة من ولد الحسن والحسين إلى المأمون يذكرون أن فدك[1] كان وهبها رسول الله لفاطمة ، وأنها سألت أبا بكر دفعها إليها بعد وفاة رسول الله ، فسألها أن تحضر على ما ادّعت شهوداً ، فأحضرت عليّاً والحسن والحسين وأمّ أيمن ، فأحضر المأمون الفقهاء ، فسألهم عن . . . . .[2] ، رووا أن فاطمة قد كانت قالت هذا ، وشهد لها هؤلاء ، وأن أبا بكر لم يجز شهادتهم . فقال لهم المأمون : ما تقولون في أمّ أيمن ؟ قالوا : امرأة شهد لها رسول الله بالجنّة ، فتكلّم المأمون بهذا بكلام كثير ، ونصّهم إلى أن قالوا : إنّ عليّاً والحسن والحسين لم يشهدوا إلّا بحقّ ، فلمّا أجمعوا على هذا ، ردّها على ولد فاطمة ، وكتب بذلك ، وسُلّمت إلى محمد بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، ومحمّد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب .

وغزا المأمون بلاد الروم سنة ٢١٨ ، وقد استعدّ لحصار عمّورية[3] ،

---

(١) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان .

[ياقوت]

(٢) كلام ناقص في الأصل .

(٣) عمورية : بلد في بلاد الروم . قيل : سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن =

وقـال : أُوجّه إلى العـرب ، فآتي بهم من البـوادي ، ثم أنزلهم كـلّ مدينـة أفتتحها،حتى أضرب إلى القسطنطينية ؛ فأتاه رسول ملك الـروم يدعـوه إلى الصلح والمهادنة ودفع الأسرى الذين قبله، فلم يقبل ، فلما قرب من لؤلؤة أقبـل ، فـأقـام أيّـامـاً ، وتـوفّي بمـوضـع يقـال لـه البـدنـدون ، بَيْن لؤلؤة وطـرسوس ، وكـانت وفاتـه يوم الخميس لثـلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ ، وسنّه ثمان وأربعون سنـة وأربعة أشهـر ، وصلّى عليه أخـوه أبو إسحاق ، ودفن بطرسوس في دار خاقـان الخادم ، وكـانت خِلافتـه منذ يـوم سلّم عليه بالخـلافة في حيـاة المخلوع إلى أن مـات اثنتين وعشرين سنـة ، ومنذ قتل المخلوع عشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً .

وكـان الغالب عليـه في خلافته ذو الرّئـاستين[1] ، ثم جمـاعـة منهم : الحسن بن سهـل ، وأحمد بن أبي خـالد ، وأحمـد بن يوسف ، وكـان على شرطه العبّاس بن المسيّب بـن زهير ، ثم عزله وولّى طاهر بن الحسين ، ثم عبـد الله بن طاهـر ، فاستخلف إسحـاق بن إبراهيم ببغـداد ، فوجّـه إسحاق بأخيه طاهر بن إبراهيم خليفة له على شرطـه ، وكان على حـرسه شبيب بن حميـد بن قحطبـة ، ثمّ عزلـه وولّاه قومس[2] ، واستعمـل مكانـه هرثمـة بن أعين ، ثم عبـد الواحـد بن سلامـة الطحـلازيّ قرابـة هرثمـة ، ثمّ عليّ بن هشـام ،ثم قتله وولّى عجيف بن عنبسـة ، وكـانت حجـابتـه إلى أحمـد بـن هشام وعليّ بن صالح صاحب المصلّى .

وخلف من الـولـد الـذكـور ستّـة عشـر ذكـراً ، وهم : محمّـد ، وإسماعيل ، وعليّ ، والحسن ، وإبراهيم ، وموسى ، وهـارون ، وعيسى ،

= نوح .

[ياقوت : معجم البلدان]

(١) ذو الرئاستين : الفضل بن سهل ، توفي سنة ٢٠٢ هـ . وقد تقدّمت ترجمته .

(٢) قومس : كورة كبيرة واسعة في ذيل جبال طبرستان .

[ياقوت]

وأحمد ، والعبّاس ، والفضل ، والحسين ، ويعقوب ، وجعفر ، ومحمد الأكبر ، وهو ابن معلّلة ، وتوفي في حياته ، ومحمد الأصغر ، وعبيد الله ، أمّهما أم عيسى بنت موسى الهادي .

أيام المعتصم بالله(1)

وولي أبو إسحاق محمد بن الرشيد ، وأمّه أم ولد ، يقال لها ماردة ، وبايع له القوّاد والجند الذين كانوا مع المأمون ، وبايعه العباس بن المأمون يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨ .

وكانت الشمس يومئذ في الأسد ثلاث عشرة درجة وأربعين دقيقة ، وزحل في الميزان خمس عشرة درجة وأربعين دقيقة ، والمشتري في القوس درجة وعشر دقائق ، والمرّيخ في القوس أربع درجات وخمساً وثلاثين دقيقة ، وعطارد في الأسد ستّاً وعشرين درجة وعشرين دقيقة راجعاً ، والزهرة في السنبلة ثماني درجات وعشرين دقيقة راجعاً ، والرأس في الحمل عشر دقائق .

وامتنع بعض القواد من البيعة لمكان العباس من المأمون ، فخرج إليهم العبّاس من مضربه ، فكلّمهم بكلام استحمقوه فيه ، فشتموه ، وبايعوا لأبي إسحاق ، وانصرف المعتصم من الثغر يريد العراق ، فلمّا صار بالرقّة ولّى غسّان بن عبّاد الجزيرة وقنّسرين والعواصم ، ونفذ إلى بغداد ، فقدمها يوم السبت مستهلّ شهر رمضان ، وعلى جنده الديباج المذهّب ، وأقرّ عمال المأمون على أعمالهم ثلاثة أشهر ، ثم استبدل بهم .

---

(1) المعتصم بالله : كان قوي الساعد ، يكسر زند الرجل بين إصبعيه ، ولا تعمل في جسمه الأسنان . كره التعليم في صغره . فنشأ ضعيف القراءة يكاد يكون أمياً . وهو أول من أضاف إلى اسمه اسم الله تعالى من الخلفاء . كان له سبعون ألف مملوك . خلافته ٨ سنين و ٨ أشهر . وخلف ٨ بنين و ٨ بنات ، وعمره ٤٨ سنة . كان أبيض أصهب حسن الجسم . مربوعاً ، طويل اللحية ، توفي بسامراء سنة ٢٢٧ هـ .
[ابن الأثير ٦ : ١٤٨ ـ ١٧٩ وفوات الوفيات ٢ : ٢٧٠]

وخرجت المحمّرة[1] بالجبل ، فقتلوا ، وقطعوا الطريق ، وأخافوا السبيل ، وعرضوا لحاجّ خراسان ، فهزموهم ، وقتلوا منهم جماعة ، فوجّه المعتصم هاشم بن باتيجور ، فكانت بينه وبينهم وقعة ، فهزموا هاشماً ، فوجّه المعتصم إسحاق[2] بن إبراهيم في جيش ، واستخلف إسحاق على الشرط أخاه طاهراً ، ونفذ فواقعهم ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأقام حتى أصلح البلد بعد أن نالته منهم شدّة .

وتحرّك محمد بن القاسم بن عليّ بن عمر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بالطالقان ، واتّبعه جماعة ، فوجّه إليه عبد الله بن طاهر بعض عمّاله ، فلمّا لحقه هرب محمد بن القاسم من الطالقان إلى نيسابور ، وذكر أن القوم اعتقلوه ، وأنّه لم يكن له في ذلك إرادة ، فأخذه عبد الله بن طاهر ، فحمله إلى المعتصم ، فحبسه في قصره ، فهرب منه ليلة الفطر سنة ٢١٩ ، فطلبوه ، فلم يقدروا عليه .

ووثب الزطّ بالبطائح بين البصرة وواسط ، فقطعوا الطريق ، فوجّه إليهم المعتصم أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهليّ ، فهزموه ، فعقد المعتصم لعجيف في جمادى الأولى سنة ٢١٩ ، فطلبوا الأمان ، وخرجوا إليه على حكم المعتصم ، فأدخلهم بغداد ، فأجاز المعتصم لهم الأمان ، وأسكنهم خانقين[3] .

---

(١) يريد الروم .

(٢) إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب ، المصعبي الخزاعي ، أبو الحسن : كان وجيهاً مقرباً من الخلفاء ، ذا رأي وشجاعة ، وكان المأمون قد استخلفه على بغداد حين برحها لغزو الروم سنة ٢١٥ هـ . أوقع ببابك الخرمي في أطراف همذان وعاد ظافراً . مات بعد مرض ببغداد سنة ٢٣٥ هـ .

[الكامل لابن الأثير ٧ : ١٧]

(٣) خانقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد .

[ياقوت]

وسخط المعتصم على الفضل[1] بن مروان وزيره ، وبطش بجماعة من أصحابه ، واستصفى أموالهم ، ووجّه الفضل إلى إسحاق بن ابراهيم ببغداد ، وأمر بطلب أموالهم ، فركب به إلى داره ، وأخرج منها مالاً عظيماً ، ثم نفي ، فقال فيه راشد بن إسحاق :

يكْفيكَ من غِيَرِ الأيّام ما صَنَعَتْ حوادثُ الدهرِ بالفضْل بن مَرْوانِ

وامتحن المعتصم أحمد[2] بن حنبل في خلق القرآن ، فقال أحمد : أنا رجل علمت علماً ، ولم أعلم فيه بهذا ، فأحضر له الفقهاء ، وناظره عبد الرحمٰن بن إسحاق وغيره ، فامتنع أن يقول إن القرآن مخلوق ، فضرب عدّة سياط ، فقال إسحاق بن إبراهيم : ولّني ، يا أمير المؤمنين ، مناظرته ! فقال : شأنك به ! فقال إسحاق : هذا العلم الذي علمته نزل به عليك ملك ، أو علمته من الرجال ؟ قال : بل علمته من الرجال . قال : شيئاً بعد شيء ، أو جملةً ؟ قال : علمته شيئاً بعد شيء . قال : فبقي عليك شيء لم تعلمه ؟ قال : بقي عليّ . قال : فهذا ممّا لم تعلمه ، وقد علّمكه أمير المؤمنين . قال : فإنّي أقول بقول أمير المؤمنين . قال : في خلق القرآن ؟ قال : في خلق القرآن ؛ فأشهد عليه وخلع عليه ، وأطلقه إلى منزله .

وخرج المعتصم إلى القاطول[3] في النصف من ذي القعدة

---

(١) الفضل بن مروان بن ماسرجس : كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء استوزره المعتصم ثلاث سنوات ثم اعتقله ثم أطلقه . توفي سنة ٢٥٠ هـ .

[وفيات الأعيان ١ : ٤١٤]

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل : إمام المذهب الحنبلي . وُلد ببغداد سنة ١٦٤ هـ . فنشأ منكباً على طلب العلم وسافر في سبيله أسفاراً عديدة . سجنه المعتصم ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن . تقرّب من المتوكل ومكث مدة لا يولي أحداً إلّا بمشورته ، وتوفي الإمام وهو على تقدمه عند المتوكل وذلك سنة ٢٤١ هـ .

[الزركلي : الأعلام ١ : ٢٠٣]

(٣) القاطول : اسم نهر مقطوع من دجلة .

[ياقوت]

سنة ٢٢٠ ، فاختطّ موضع المدينة التي بناها ، وأقطع الناس المقاطع ، وجدّ في البناء حتى بنى الناس القصور والدور ، وقامت الأسواق ، ثم ارتحل من القاطول إلى سرّ من رأى ، فوقف في الموضَع الذي فيه دار العامّة ، وهناك دير للنصارى ، فاشترى من أهل الدير الأرض ، واختطّ فيه ، وصار إلى موضع القصر المعروف بالجوسق على دجلة ، فبنى هناك عدّة قصور للقوّاد والكتّاب وسمّاها بأسمائهم ، وحفر الأنهار في شرقيّ دجلة وعمر العمارات ، ونُصبت الدواليب والدوالي على الأنهار ، وحُملت النخيل والغروس من سائر البلدان ، وكان ابتداء ذلك في سنة ٢٢١ ، وبنى القرى ، وحمل إليها الناس من كل بلد ، وأمرهم أن يعمروا عمارة بلدهم ، وحمل قوماً من أرض مصر يعملون القراطيس ، فعملوها ، فلم يأت في تلك الجودة .

واشتدّت شوكة بابك ، وكان محمد[1] بن البعيث قد شايعه ، وعصمة الكرديّ صاحب مَرَند[2] في طاعته ، فوجّه المعتصم طاهر بن إبراهيم أخا إسحاق بن إبراهيم ، عامل البلد ، وأمره بمحاربة القوم ، فلمّا قدم البلد كتب ابن البعيث إلى المعتصم يعلمه أنّه في الطاعة ، وأنّه في التدبير على بابك وأصحابه ، ثم مكر بعصمة الكرديّ صاحب مرند ، فتزوّج ابنته ، وصار إليه إلى مرند ، ثم دعاه إلى منزله فحمل عليه وعلى من معه في الشرب ، فلمّا سكروا حملهم في الليل إلى قلعته التي يقال لها شاهي ، ثم أنفذهم إلى المعتصم ، فأجازه المعتصم ، وحباه ، وأعطاه ، وذلك لأنه أخبر طاهر بن إبراهيم بما كان منه ، وسأله أن يبعث إليه الحديد والبغال

---

(١) لقب أبوه بالبعيث وكان شاعراً لقوله :

تبعّث مني ما تبعّث بعدما ... أمِرَّت قواي واستمر عزيمي

والمعنى أنه قال الشعر بعدما أسنّ وكبر واستحكم واشتد رأيه وعزمه .

(٢) مرند : من مشاهير مدن آذربيجان . [ياقوت]

يحملهم إليه ، ففعل ذلك طاهر ، فحملهم إلى المعتصم ، وكتب إليه بخبرهم ، فغلظ المعتصم على إسحاق ، وقال : ما أرى عند أخيك شيئاً ، ولا أرى الرجلة[1] إلّا عند ابن البعيث .

ووجّه الافشين حيدر بن كاوس الأسروشنيّ ، وعقد له على جميع ما اجتاز به من الأعمال ، وحُملت معه الأموال وخزائن السلاح ، فلما صار الافشين إلى الجبل أخذ من كان به من الصعاليك[2] والوجوه ، فنفذ ، فكانت بينه وبين بابك وقائع ، وكان عسكره بموضع يقال له برزند ، فصار بموضع يقال له سادراسب[3] فأقام في محاربته حولاً حتى كثرت الثلوج ، ثم رجع إلى برزند ، ثمّ وجّه بخليفته إلى سادراسب[4] ، وزحف وصيّر في كلّ ناحية . . . . .[5] ، وصار يد روذ الروذ[6] ، فخندق خندقاً ، وبنى سوراً ، وكمن الكمناء ، وزحف إلى البذّ يوم الخميس لتسع خلون من شهر رمضان سنة ٢٢٢ ، فأرسل إليه بابك يسأله أن يكلّمه ، فوافقه ، وبينهما نهر ، فعرض عليه الأفشين الأمان، فسأله أن يؤخّره يومه ذلك ، فقال له : إنّما تريد أن تحصّن مدينتك ، فإن أردت الأمان ، فاقطع الوادي . فانصرف واشتدّت الحرب ، ودخل المسلمون مدينة البذّ[7] ، وهرب بابك وستّة من أصحابه ، وأخرج من كان بالبذّ من أسارى المسلمين ، فكانوا سبعة آلاف وستّمائة .

ومضى بابك على بغلة ، وقد لبس ثياب الصوف ، وكتب الافشين

---

(١) الرجلة : الرجولية .

(٢) الصعاليك : جماعة من المشردين واللصوص .

(٣ و ٤) إسمان لموضع وردا بدون نقط في الأصل .والأرجح أن يكون «سادراست» .

(٥) بياض في الأصل .

(٦) عبارة مرتبكة وليس لها معنى .

(٧) البذّ : كورة بين آذربيجان وأران .

[ياقوت]

إلى البطارقة بأرمينية وآذربيجان في طلبه . وضمن لمن جاء به ألف ألف درهم والصفح عن بلادهم ، فصار بابك إلى رجل من البطارقة يقال له سهل بن سنباط ، فأخذه ، وكتب إلى الافشين بخبره ، فأنفذ ، فأخذه ، وكتب بالفتح وبما كان من تدبيره ، فقرىء الفتح ، وكتب به إلى الآفاق في . . . . . [1] حتى أصلح البلاد ، وسار واستخلف منكجور الفرغانيّ خال ولده .

وقدم على المعتصم ، وهو بسرّ من رأى ، فتلقّاه القوّاد والناس على مراحل ، ودخلها لليلتين خلتا من صفر سنة ٢٢٣ ، وبابك بين يديه على الفيل ، حتى دخل إلى المعتصم ، فأمر بقطع يدي بابك ، ورجليه ، ثم قتله وصلبه بسر من رأى ، ووجّه بأخيه عبد الله إلى بغداد، فقتله إسحاق بن إبراهيم ، وصلبه على رأس الجسر في الجانب الشرقيّ من بغداد .

وكان الافشين لما قدم آذربيجان ولّى أرمينية محمّد بن سليمان الأزديّ السمرقندي ، فقدمها ، وقد خالف سهل بن سنباط بالران ، وتغلب عليها ، فدخل بلاده ، فبايته سنهل ، فهزمه ، ووثب محمد بن عبيد الله الورثانيّ بورثان ، فوجّه إليه الافشين منكجور ليحاربه ، وتكلّم في أمره عليّ بن يحيىٰ الأرمنيّ ، فأمنه المعتصم ، فقدم به عليّ بن يحيىٰ ، ثم ولّى الافشين أرمينية محمّد بن خالد بخارخذاه ، فلمّا قدم حارب الصناريّة ، وصار إلى تفليس ، فبرّه إسحاق بن إسماعيل ، ووصله ، ثم ولّى أرمينية ، عليّ بن الحسين بن سباع القيسيّ ، فاستضعفه أهل البلد ، حتى كان يسمّى اليتيم لضعفه ومهانته ، فولّى المعتصم خالد بن يزيد أرمينية وناحية من ديار ربيعة ، فلمّا بلغ خبره أرمينية تحصّن كل رئيس فيها ، واشتدّ خوفهم منه ، وعملوا على العصيان ، فكتب منصور بن عيسى السبيعيّ ، صاحب بريد أرمينية ، إلى المعتصم بذلك ، فردّ خالداً ، وأمر بإقرار

---

(١) بياض في الأصل .

عليّ بن الحسين ، فلم يلبث إلّا أيّاماً حتى شغب الجند عليه ببرذعة ، وطلبوا أرزاقهم ، فقال : ليس لي شيء ، والأموال عند أهل البلد ؛ وطالب أهل البلد ، فامتنعوا عليه ، وتحصنوا في حصونهم ، ثم تراسلوا ، واجتمعوا ، فحاصروه ببرذعة ، فوجّه المعتصم حمدويه بن عليّ بن الفضل إلى البلد ، فصار إلى النشوى[1] ، فخرج إليه يزيد بن حصن في الأمان . . . .[2] فكان لا يهيجهم خوفاً من أن يعلوا عليه .

ودخلت الروم زِبَطْرَة[3] سنة ٢٢٣ ، فقتلوا وأسروا كلّ من فيها ، وأخرجوهم ، فلمّا انتهى الخبر إلى المعتصم قام من مجلسه نافراً ، حتى جلس على الأرض ، وندب الناس للخروج ، ووضع الإعطاء ، وعسكر من يومه بموضع يعرف بالعيون من غربيّ دجلة ، وقدّم اشناس التركيّ على مقدّمته ، وخرج يوم الخميس لستّ خلون من جمادى الأولى سنة ٢٢٣ ، ودخل أرض الروم ، فقصد أرض عمّورية ، وكانت من أعظم مدائنهم ، وأكثرها عدّة ورجالاً ، فحاصرها حصاراً شديداً .

وبلغ طاغية الروم[4] فزحف في خلق عظيم ، فلمّا دنا وجّه المعتصم بالافشين في جيش عظيم ، فلقي الطاغية ، وأوقع به وهزمه ، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، فأوفد طاغية الروم من قبله وفداً إلى المعتصم يقول : إن الذين فعلوا بزبطرة ما فعلوا تعدّوا أمري ، وأنا أبنيها بمالي ورجالي ، وأردّ من أُخذ من أهلها ، وأخلّي جملة من في بلد الروم من الأسارى ، وأبعث إليك بالقوم الذين فعلوا بزبطرة على رقاب البطارقة .

---

(١) النشوى : مدينة بآذربيجان .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) بياض في الأصل .

(٣) زبطرة : مدينة بين ملطية وسميساط والحدث في طرف بلد الروم ، سميت بزبطرة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح .

[ياقوت : معجم البلدان]

قال أبو تمام يمدح المعتصم بعد انتصاره على الروم :

لبّيت صوتاً زبطرياً هرقت له ... كأس الكرى ورضابَ الخرّد العُرُب .

(٤) هو تيوفيل بن ميخائيل .

وفتحت عمّورية يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٢٢٣ ، فقتل وسبى جميع من فيها وأخذ ياطس خال ملك الروم ، وأخرب وأحرق كلّ ما اجتاز به من بلادهم ، وانصرف ، فلمّا صار بأذنة حبس العباس[1] بن المأمون لما كان بلغه من المعصية والخلاف واجتماع من اجتمع إليه من القواد ، ووجد له مائة ألف وستّة عشرألف دينار ، فأمر أن تفرّق على الجند ، ويؤمروا أن يلعنوه ، فأحصوا ، فوجدوا ثمانين ألف مرتزق ، فدفع إليهم دينارين دينارين ، وتمّم ذلك المعتصم من عنده ، ودفع العباس إلى الافشين مقيّداً ليسيّره ، فلمّا صار بحسد[2] رأس توفي ، وقيل إن الافشين أطعمه طعاماً كثير الملح في يوم شديد الحرّ ، ومنعه الماء ، فحمل إلى منبج[3] ، فدفن بها ، وسخط المعتصم على عجيف بن عنبسة لأنّه كان سبب معصيته ، وحمله من أذنة في الحديد الثقيل ، في فيه لبود[4] قد خيّطت عليه ، وفي عنقه غلّ عظيم ، فلمّا صار بموضع يقال له باعيناثا ، على مرحلة من نصيبين ، مات ، ودفن بها ، وسأل ابنه صالح بن عجيف أن لا ينسب إليه ، وأن يدعى صالحاً المعتصميّ ، ولعنه ، وبرىء منه .

وكان المازيار ، وهو محمد بن قارن بن بنداد هرمز ، اصبهبذ طبرستان ، قد قدم على المأمون ، بعد وفاة أبيه وتصيير مملكة طبرستان

---

(١) العباس بن عبد الله المأمون : نادى به القواد والرؤساء خليفة بعد موت أبيه المأمون دون المعتصم ، فدعاه المعتصم إليه ، وأخذ بيعته ، فخرج العباس ، وسكن الناس . اتفق مع بعض القواد على قتل المعتصم ، فعلم المعتصم بذلك وقبض عليه وعلى أصحابه وعذبه وسجنه إلى أن مات بمنبج سنة ٢٢٣ هـ .

[ابن الأثير : حوادث سنة ٢٢٣]

(٢) لفظة دون نقط في الأصل .

(٣) منبج : مدينة كبيرة واسعة على مسافة من حلب في بلاد الشام .

[ياقوت]

(٤) اللبود : الشعر أو الصوف المتلبد .

إلى عمّه ، فملّكه المأمون على مدينتين من مدن طبرستان ، وكتب إلى عمّه في تسليمهما إليه ، وخرج متوجّهاً ، فلمّا بلغ عمّه ذلك أغاظه وبلغ منه ، فخرج كأنّه يتلقّاه ، وكان مع المازيار مولى لأبيه له دراية ، فقال : إن عمّك لم يخرج في هذه الهيئة ، إلّا ليفتك بك ، فإذا قربت منه ، وانفردت عن أصحابك ، فإنّي أدفع إليك الحربة ، فضعها في صدره ؛ ففعل ذلك ، فقتل عمّه ، واجتمعت عليه المملكة ، وضبط البلد ، وكتب إلى المأمون بأن عمّه كان مخالفاً لملكه على البلد .

فلمّا عظم أمره كتب من جيل جيلان اصبهبذ (أصبهبذان بشوار خرشاد) محمد بن قارن مولى أمير المؤمنين ، ثم ذهب بنفسه أن يقول : موالي أمير المؤمنين ، ثم تفاقم أمره حتى أظهر المعصية ، وخلع ، ويقال إن الافشين كاتبه ، وحمله على الخلع ، فوجّه المعتصم محمد[1] بن إبراهيم لمحاربته في جيش ، فنفذ وكتب إلى عبد الله بن طاهر أن يمدّه بالجيوش ، فحاربه ، وألحّ عليه عبد الله بالبعثة إليه بالجيوش ، فحاربه ، فقطعوا الأودية والحزونة[2] ، وخرج ليلاً ، فوضع يده في يد قرابة لعبد الله ، وقدم به سنة ٢٢٦ ، فضُرب بالسياط حتى مات ، وصُلب إلى جانب بابك[3] .

فحدّثني محمد بن عيسى قال : قدم بالمازيار ، وقد حُبس الافشين في ذلك الوقت ، فجمع ابن داوُد بينه وبين المازيار ، وقال له : هذا الافشين الذي زعمت أنّه حملك على المعصية . فقال له الأفشين : والله

---

(١) محمد بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد بن أبيه : اختط مدينة زبيد وجعلها دار ملكه في اليمن . كان يخطب لبني العباس ويحمل إليهم الخراج كان شجاعاً حازماً من الدهاة . توفي في زبيد سنة ٢٤٥ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٥ : ٢٩٤]

(٢) الحزونة : الأرض الغليظة .

(٣) بابك : زعيم فرقة الخرمية ، وهي من الإسماعيلية ، مدة عشرين سنة . حارب المعتصم وانكسر ورُكّب على فيل ثم قطع وصلب .

إن الكذب بالسوقة[1] لقبيح ، فكيف بالملوك ؟ والله ما ينجيك كذبك من القتل ، فلا تجعل الكذب خاتمة أمرك . فقال المازيار : والله ما كتب إليّ ، ولا راسلني ، إلاّ أن أبا الحارث وكيلي أخبرني أنّه لمّا قدم عليه برّه وأكرمه ، فرُدّ الافشين إلى الحبس ، فضرب المازيار حتى قُتل .

وكان أول سبب حبس الافشين أن منكجور الفرغانيّ ، خال ولد الافشين وخليفته بآذربيجان ، خلع هناك ، وجمع إليه أصحاب بابك ، وسار إلى ورثان ، فقتل محمد بن عبيد الله الورثانيّ وجماعة من أولياء السلطان ، فقال المعتصم للافشين : أحضر منكجور ! فوجّه إليه الافشين بأبي الساج ، المعروف بديوداد ، في جيش عظيم ، ثم بلغ المعتصم أن منكجور إنّما خلع بأمر الافشين ، وأنّه إنّما وجّه إليه بأبي الساج مدداً له ، فوجّه محمد بن حمّاد على البريد ، ووجّه ببغا التركيّ فحارب منكجور ، فلمّا صدقه القتال ضرع منكجور إلى طلب الأمان ، فأعطاه الأمان ، وقدم به إلى سر من رأى ، وقد حبس الافشين ، وكان حبسه في سنة ٢٢٦ ، ثم توفي في الحبس ، وصلب على باب العامّة بسرّ من رأى عرياناً ، ساعة من نهار ، ثم أُنزل فأُحرق بالنار .

وكان الغالب على المعتصم أحمد[2] بن أبي دواد الإياديّ قاضي القضاة ، والفضل بن مروان الكاتب ، ثم غضب على الفضل ، فنفاه

---

(١) السوقة : الرعاع وعامة الناس .

(٢) أحمد بن أبي دؤاد، أبو عبد الله : أحد القضاة المشهورين من المعتزلة ، ورأس فتنة القول بخلق القرآن . قيل عنه : ما رؤي رئيس قط أفصح ولا أنطق من ابن أبي دؤاد . وهو أول من افتتح الكلام مع الخلفاء ، وكانوا لا يبدأهم أحد حتى يبدأوه . وفيه يقول المأمون : إذا استجلس الناس فاضلاً فمثل أحمد ! جعله المعتصم قاضي قضاته ، واعتمد الواثق على رأيه ، وتولاه المتوكل . توفي مفلوجاً ببغداد سنة ٢٤٠ هـ .

[تاريخ بغداد ٤ : ١٤١ ـ ١٥٦]

واستصفى ماله ، فغلب عليه محمّد[1] بن عبدالملك الزيّات ، وكان على شرطه إسحاق بن إبراهيم ، وعلى حرسه عجيف بن عنبسة ، ثمّ الافشين ، ثم إسحاق بن يحيىٰ بن معاذ ، وحجبه جماعة من الأتراك منهم : وصيف ، وسيما الدمشقي ، وسيما الشرابيّ ، ومحمّد بن حمّاد بن دنفس[2] ، وتوفي يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ٢٢٧ ، وصلّى عليه ابنه هارون ، ودفن في قصره المعروف بالجوسق ، وكانت سنه ٤٩ سنة ، وكانت ولايته ثماني سنين ، وخلف من الولد الذكور ستة : هارون الواثق ، وجعفر المتوكّل ، ومحمّداً ، وأحمد ، وعليّاً ، والعبّاس .

أيام هارون الواثق باللّه[3]

وولي هارون الواثق بالله بن أبي إسحاق ، وأمّه أم ولد ، يقال لها قراطيس ، يوم توفي المعتصم ، وهو يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة ٢٢٧ ، وكان ذلك من شهور العجم في كانون

---

(١) محمد بن عبد الملك المعروف بابن الزيات : وزير المعتصم والواثق ، وعالم باللغة والأدب ، من بلغاء الكتاب والشعراء . لما مرض الواثق عمل ابن الزيات على تولية ابنه وحرمان المتوكل ، فلم يفلح ، وولي المتوكل فنكبه ، وعذّبه إلى أن مات ببغداد سنة ٢٣٣ هـ .

[وفيات الأعيان ٢ : ٥٤]

(٢) اسم بدون نقط في الأصل والأرجح أن يكون «دنفيس» .

(٣) هارون (الواثق بالله) : ولد ببغداد سنة ٢٠٠ هـ . امتحن الناس في خلق القرآن . قال أحد مؤرخيه : كان في كثير من أُموره يذهب مذهب المأمون ، وشغل نفسه بمحنة الناس في الدين . فأفسد قلوبهم . كان كريماً عارفاً بالآداب والأنساب ، طروباً يميل إلى السماع ، عالماً بالموسيقى ، وكان كثير الإحسان لأهل الحرمين حتى لم يوجد بالحرمين في أيامه سائل . كان مسرفاً في حب النساء ووصف له دواء للتقوية ، فمرض منه ، وعولج بالنار ، فمات محترقاً سنة ٢٣٢ هـ . وقيل أيضاً : مات في سامراء بعلة الاستسقاء .

[ابن الأثير ٧ : ١٠ والطبري ١١ : ٢٤ والأغاني ٩ : ٢٧٦]

الآخر ، وكانت الشمس يومئذ في الجدي خمس عشرة درجة واثنتين وعشرين دقيقة .

وتوجّه إسحاق بن إبراهيم ساعة بايع إلى بغداد ، فسار ليلته أجمع ، ووافى بغداد قبل أن يطلع الفجر ، فوكّل بالأطراف والسجون ، وأحضر القوّاد ، والوجوه ؛ فأخذ عليهم البيعة ، ووثب عوام الجند والغوغاء[1] بشعيب بن سهل قاضي الجانب الشرقيّ ببغداد ، فانتهبوا داره ، فوجّه إسحاق جعفر معشه[2] ، وإبراهيم الديرج ، وجماعة معهما ، فأخرجوا شعيب بن سهل ، حتى صاروا به إلى دار إسحاق .

وأراد الواثق الحجّ في هذه السنة ، وصحّت عزيمته ، فتأخر حجّه ، وأذن لأمّه ، فخرجت ، ومعها جعفر بن المعتصم ، فلمّا صارت بالكوفة توفّيت ، وأذن الواثق لأخيه جعفر في النفوذ ، فنفذ وأقام الحجّ بالناس .

وكان أول من عقد له الواثق من قوّاده اشناس التركيّ ولاّه من بابه إلى آخر عمل المغرب ، فوجّه عمّاله ، وكتب إلى محمّد بن ابراهيم الأغلب بولاية المغرب من قبله ، وكان المدبّر له أحمد بن الخصيب .

وولى الواثق خراسان ايتاخ التركيّ ، والسند وكور دجلة ، وكانت السند قد اضطربت ، وقتل عمران بن موسى بن يحيى بن خالد عامل السند ، فوجّه إيتاخ إلى السند عنبسة بن إسحاق الضبيّ ، فقدم البلد ، وقد تغلب عليه عدّة ملوك ، فلمّا قدمها عنبسة سمعوا وأطاعوا وخرجوا إليه جميعاً خلا عثمان . . . .[3] فسار إليه عنبسة . . . .[4] فأقام على البلد تسع سنين .

---

(١) الغوغاء : المختلط من الناس المتسرعين إلى الشر .
(٢) اسم بدون نقط في الأصل .
(٣) بياض في الأصل .
(٤) عنبسة بن إسحاق المارّ ذكره ، وقد سقط «بن إسحاق» في الأصل .

ووثب ابن بيهس الكلابيّ بدمشق في جمع كثير من بطون قيس ، ووثب بفلسطين رجل يقال له تميم اللخميّ ، ويعرف بأبي حرب ، ويلقب بالمبرقع ، في لخم وجذام وعاملة وبلقين ، وصار إلى كورة الأردنّ ، وخلع قوم من البربر ببرقة ، ومعهم قوم من قريش من بني أسيد بن أبي العيص ، ووثبوا بعاملهم محمّد بن عبدويه بن جبلة ، فوجّه الواثق رجاء بن أيّوب الحضاريّ ، فبدأ بدمشق ، فأوقع بابن بيهس ، فأسره ، وسار إلى فلسطين ، فأوقع بتميم اللخميّ وأسره وحمله إلى سر من رأى ، فوقف بباب العامّة ، ونودي عليه ، وصار رجاء إلى مصر سنة ٢٢٨ ، فنزل الجيزة ، ثمّ توجّه إلى برقة ، فهرب من كان فيها ، وظفر بجماعة منهم ، فحملهم ، ثم انصرف .

وتوفي عبد الله بن طاهر بخراسان سنة ٢٣٠ ، وهو ابن سبع وأربعين سنة ، ومنزله منها نيسابور ، وكانت ولايته أربع عشرة سنة ، وولّى الواثق طاهر[1] بن عبد الله ، وكان عبد الله بن طاهر قد ضبط خراسان ضبطاً ما ضبطه أحد مثله ، ودانت له البلاد ، واستقامت عليه الكلمة .

وكانت بطون قيس قد عاثت في طريق الحجاز ، وقطعوا الطريق ، حتى تخلّف الناس عن الحجّ ، ونصبوا رجلاً من سليم يقال له عُزيزة الخُفافيّ ، وسلّموا عليه بالخلافة ، فوجّه الواثق بغا الكبير سنة ٢٣٠ ، وأمره أن يقتل كلّ من وجده من الأعراب ، فشخص قبل أوان الحجّ ، فاجتمعت قيس من كلّ ناحية ، وأكثرهم بنو سليم ورئيسهم عُزيزة ، فلقيهم ، فقاتلوه ، فقتل منهم خلقاً عظيماً ، وصلبهم على الشجر ، وأسر منهم عالماً حبسهم في دار يزيد بن معاوية بالمدينة ، فنقبوا وخرجوا على أهل المدينة ، فوثب عليهم أهل المدينة ، فقتلوا عامّتهم ، وحمل بغا الباقين في

---

(١) طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي : أحد الأمراء الولاة . ولي خراسان ، بعد وفاة أبيه ، واستمر ثماني عشرة سنة ، وتوفي فيها سنة ٢٤٨ هـ .

[ابن الأثير ٧ : ٥]

الأغلال ، ووافى إسحاق بن إبراهيم الموسم في تلك السنة .

وسخط الواثق على إبراهيم بن رباح ، وكان إبراهيم مقدماً عنده بمكانه منه ، أيّام إمرته ، فولّاه ديوان الضياع ، فتشاغل باللهو ، وفوّض أمره إلى نجاح بن سلمة كاتبه ، وإلى يمان بن ....[1] النصرانيّ ، وتجافيا للناس عن أموال كثيرة ، فكثّروا عليه عند الواثق ، فأمر بقبض ضياعه وأمواله ، وصيّر ما كان إليه إلى عمر بن فرج الرّخّجيّ .

وكان أحمد بن الخصيب كاتب اشناس التركيّ ، وهو يلي أعمال الجزيرة ، والشأمات ، ومصر ، والمغرب ، والمدبّر لذلك أحمد ، فرُفع إلى الواثق أنّه قد حاز أموالاً عظيمة ، فسخط عليه ، وقبض أمواله وأموال أخيه إبراهيم ، وعُذّبا ، وعُذّبت أمّهما .

وتوفي اشناس في هذه السنة ، فصيّرت مرتبته وأكثر أعماله إلى ايتاخ التركيّ ، وتركت ضياعه وأمواله بحالها لولده ، ورُدّ القيام بها إلى عبد الله بن صاعد ، فلم يزل يقوم بها إلى أن توفي .

وانتقضت أرمينية ، وتحرّك بها قوم من العرب والبطارقة والمتغلبين ، وتغلب ملوك الجبال والباب والأبواب على ما يليهم ، وضعف أمر السلطان ، فولّى الواثق خالد[2] بن يزيدِ بن مزيد ، وأمره بالنفوذ ، وضمّ إليه كوراً من كور ديار ربيعة ، فسار في جيش عظيم ، فلمّا بلغ المتغلبين بتلك البلاد خبره هابوه ، وكتب أكثرهم يذكر أنّه لم يزل في الطاعة ، ووجّهوا بالهدايا ، فقال : لا أقبل إلّا هديّة من جاءني ، فزاد ذلك في

---

(١) اسم ناقص في الأصل .

(٢) خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني : أحد الأمراء الولاة في العصر العباسي . لما انتفضت أرمينية انتدبه الواثق ، فتجهز في جيش عظيم وزحف يريدها فاعتلّ في طريقه ، ومات قبل بلوغها سنة ٢٣٠ هـ .

[الزركلي : الأعلام ٢ : ٣٠١]

وحشتهم ، وكتب إلى إسحاق[1] بن إسماعيل يأمره أن يقدم عليه ، فلم يفعل ، فزحف إليه ، فكاد أن يعطى إسحاق بيده .

واعتلّ خالد ، فأقام أيّاماً ، ثم مات ، فحمل في تابوت إلى دبيل ، فدفن فيها ، وتفرّق أصحابه ، فعاد البلد إلى أقبح أحواله ، فولّى الواثق محمد بن خالد مكان أبيه ، فكتب محمد يذكر انصراف أصحاب أبيه وسأل ردّهم إليه ، فوجّه أحمد بن بسطام إلى نصيبين ، فضرب ، وحبس ، وحرّق الدور ، فاجتمع إلى محمّد أصحاب أبيه ومواليه ، فحارب الصنارية وإسحاق ، حتى أخرجه ، وهزمهم ، ولم يزل ضابطاً للبلد .

وامتحن الواثق الناس في خلق القرآن[2] ، فكتب إلى القضاة أن يفعلوا ذلك في سائر البلدان ، وأن لا يجيزوا إلاّ شهادة مَن قال بالتوحيد ، فحبس بهذا السبب عالماً كثيراً .

وكتب طاغية الروم يذكر كثرة من بيده من أسارى المسلمين ، ويدعو إلى الفداء ، فأجابه الواثق إلى ذلك ، ووجّه بخاقان الخادم . . . . .[3] ، المعروف بأبي رملة ، والآخر جعفر بن أحمد الحذّاء ، وكان صاحب الجيش ، وولّى الثغر أحمد بن سعيد بن سلم الباهليّ ، فصاروا إلى موضع يقال له نهر اللامس على مرحلتين من طرسوس ، وحضر ذلك الفداء سبعون ألف رامح سوى من ليس معه رمح ، وكان أبو رملة وجعفر الحذّاء واقفين على قنطرة النهر ، فكلّما مرّ رجل من الأسرى امتحنوه في القرآن ، فمن قال إنّه مخلوق فودي به ، ودفع إليه ديناران وثوبان ، فبلغ عدّة من فودي به خمسمائة رجل وسبعمائة امرأة ، وكان هذا في المحرّم سنة ٢٣١ .

---

(١) تقدّمت ترجمته .

(٢) راجع هامش «أحمد بن أبي دواد» . فهو الذي حرّض الواثق على امتحان الناس في خلق القرآن ، وكان من زعماء المعتزلة .

(٣) بياض في الأصل .

وصار أحمد بن نصر بن مالك الخزاعيّ إلى ابن أبي دؤاد[1] في بعض أموره ، فردّه ، فانصرف ذامّاً له ، فجعل يبسط عليه لسانه ويشهد عليه بالكفر ، فمال إليه قوم منهم ، وهم لا يشكون أن ذلك غضب للدين ، فاشرأبّت قلوبهم للمعصية لسبب القرآن ، وخرج قوم ، فضربوا بطبل ، وصاروا إلى ناحية صحراء أبي السريّ ، فأُخذوا ، وأقرّوا عليه ، فكتب الواثق إلى إسحاق في إشخاصه ، فأشخصه إليه ، فكلّمه بكلام غليظ ، وحضر قوم فشهدوا عليه بشهادات ، وامتحنه في القرآن ، فأبى أن يقول إنّه مخلوق ، وشتمه الواثق ، فردّ عليه ، فضرب عنقه وصلبه بسرّ من رأى ، ووجّه برأسه ، فنصب ببغداد في الجانب الشرقي .

وخرج محمد بن عمرو الشيبانيّ الخارجيّ بديار ربيعة ، وأبو سعيد محمد بن يوسف بها ، فخرج إليه مع الجند ، ومحمّد بن عمرو في ثلاثمائة ، أو أربعمائة من الخوارج ، فصار إلى سنجار[2] ، ثمّ انهزم إلى ناحية الموصل ، فتبعه أبو سعيد ، فأسره وأدخله نصيبين على بقرة ، وحمله . . . . .[3] إلى الواثق ، فكتب إليه : ما ينبغي أن يُقتل ، فإنّه لن يخرج خارجيّ ما دام حيّاً ، فلم يزل محبوساً أيام الواثق .

وفرّق الواثق أموالاً جمّة بمكّة وسائر البلدان على الهاشميّين وسائر قريش والناس كافّة ، وقسم في أهل بغداد قسماً كثيرة مرّة بعد أُخرى على أهل البيوتات وعلى عامّة الناس ، وكثر الحريق ببغداد ، وفرّق على قوم من التجّار أموالاً جمّة ، وبنى لقوم وأسقط ما كان يؤخذ ممّن يرد في بحر الصين من العشر .

---

(١) أحمد بن أبي دواد ، قاضي القضاة ، تقدّمت ترجمته .

(٢) سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة ، على مسافة من الموصل ، وهي في لحف جبل عامل .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) بياض في الأصل .

وكان الغالب على الواثق أحمد بن أبي دؤاد ، ومحمّد بن عبد الملك[1] ، وعمر بن فرج الرّخّجيّ ، وكان على شرطه إسحاق بن إبراهيم ، وعلى حرسه إسحاق بن يحيىٰ بن سليمان بن يحيىٰ بن معاذ .

واعتلّ الواثق ، واشتدّت علّته حتى حُفر له في الأرض حفير كالتنّور ، ثم سخن بحطب الطرفاء ، وصيّر فيه مراراً ، وكان يقول في علّته : لوددت أنّي أقلت العثرة ، وأنّي حمّال أحمل على رأسي . وقيل له في البيعة لابنه ، فقال : لا يراني الله أتقلّدها حيّاً وميتاً .

وكان قد انتقل من قصور المعتصم ، وبنى له قصراً على شطّ دجلة يقال له الهارونيّ ، وجعل له دكّتين[2] : دكّة غربيّة ودكّة شرقيّة ، وكان من أحسن القصور ، وكانت وفاته يوم الأربعاء لستّ بقين من ذي الحجّة سنة ٢٣٢ ، وسنّه يومئذ أربع وثلاثون سنة ، وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً ، وخلف من الولد الذكور ستّة : محمّداً ، وعليّاً ، وعبد الله ، وإبراهيم ، وأحمد ، ومحمداً الأصغر .

أيام جعفر المتوكل[3]

وبويع جعفر بن المعتصم ، وأمّه أم ولد يقال لها شجاع ، يوم الأربعاء ، لستّ بقين من ذي الحجّة سنة ٢٣٢ ، وكان أول مَن بايعه سيما التركيّ ، المعروف بالدمشقيّ ، ووصيف التركيّ ، وركب إلى دار العامّة من ساعته وأمر بإعطاء الجند لثمانية أشهر ، وسلّم عليه أولاد سبعة خلفاء

---

(١) تقدّمت ترجمتهما في «أيام المعتصم» .

(٢) الدكة : بناء يسطح أعلاه للجلوس أو لجعل كرسي عليه (شرفة) .

(٣) المتوكل : هو جعفر بن محمد بن هارون الرشيد ، أبو الفضل . وُلد ببغداد سنة ٢٠٦ هـ . كان جواداً محباً للعمران ، من آثاره «المتوكلية» ببغداد . نقل مقر الخلافة من بغداد إلى دمشق ، فأقام بها شهرين ولم يطب له مناخها . فعاد وأقام في سامراء إلى أن اغتيل فيها ليلاً سنة ٢٤٧ هـ . ولبعض الشعراء هجاء في المتوكل لهدمه قبر الحسين وما حوله .

مجتمعين : منصور بن المهدي ، والعبّاس بن الهادي ، وأحمد بن الرشيد ، وعبد الله بن الأمين ، وموسى بن المأمون وإخوته ، وأبـو أحمد بن المعتصم وإخـوتـه ، ومحمـد بن الـواثق ، وأقـرّ الأمـور على مـا كـانت عليـه أربعين صبـاحاً ، ثم سخط على محمـد بن عبد الملك [١] واصـطفى أموالـه وعذّبـه حتى مات ، وكان يعتدّ عليه بأمور كثيرة .

وكـان محمد رجلاً شديد القسوة ، قليل الرحمة، جبّاهاً للناس ، كثير الاستخفاف بهم ، لا يُعرف له إحسان إلى أحد ، ولا معروف عنـده ، وكان يقول : الحياء خنـث ، والرحمة ضعف ، والسخاء حمق . فلمّا نُكب لم ير إلّا شامت به وفرح بنكبته .

وكتب المتـوكّل إلى عليّ [٢] بن محمـد بن عليّ الرضى بن مـوسى بن جعفـر بن محمد في الشخـوص من المدينـة ، وكان عبـد الله بن محمـد بن داوُد الهـاشميّ قد كتب يـذكر أن قـوماً يقـولـون إنّـه الإمـام ، فشخص عن المدينة ، وشخص يحيىٰ بـن هرثمة معـه حتى صار إلى بغـداد ، فلما كـان بموضع يقـال له اليـاسريّـة نزل هنـاك ، وركب إسحاق بن إبـراهيم لتلقيه ، فرأى تشوّق الناس إليه واجتماعهم لرؤيته ، فأقام إلى الليل ، ودخـل به في الليل ، فأقام ببغداد بعض تلك الليلة ، ثم نفذ إلى سرّ من رأى .

ونهى المتـوكّل النـاس عن الكـلام في القـرآن ، وأطلق من كـان في السجون من أهل البلدان ، ومن أُخذ في خلافة الواثق ، فخـلّاهم جميعاً ، وكسـاهم ، وكتب إلى الآفـاق كتبـاً ينهى عن المنـاظـرة والجـدل فـأمسـك الناس .

---

(١) المعروف بابن الزيات ، وسبب سخطه عليه هو أنه حرّض الواثق على تـولية ابنـه دون المتوكل .

(٢) علي بن محمد بن علي ، الملقب بالهادي : عاشر الأئمة الاثني عشـر عند الإمـامية ، وأحد الأتقياء الصلحاء . وُلد بـالمدينـة سنة ٢١٤ هـ . تـوفي بسامـراء سنة ٢٥٤ هـ ، ودفن في بيته .

[ابن خلكان ١ : ٣٢٢]

وسخط على عمر بن فرج الرّخّجيّ وعلى أخيه محمّد ، وكان محمد بن فرج عامل مصر إذ ذاك ، فوجّه كتاباً في حمله ، وقبضت أموالهما ، وكان ذلك في سنة ٢٣٣ ، وكان عمر محبوساً ببغداد ومحمّد محبوساً بسر من رأى فأقاما سنتين .

واعتلّ أحمد بن أبي دؤاد من فالج ، فولّى المتوكّل ابنه محمّداً ، المعروف بأبي الوليد ، مكانه ، وفي ذلك الوقت . . . . . [1] قال أبو العيناء : قد حبس لأنّه بطل لسانه ، فكان لا يتكلّم .

وسخط المتوكّل على الفضل[2] بن مروان ، وقبض ضياعه وأمواله ، ونفاه ، ثمّ رضي عنه فردّه .

وسخط على أحمد بن خالد ، المعروف بأبي الوزير ، فاستصفى أمواله في سنة ٢٣٤ ، ثمّ رضي عنه .

ولمّا سخط المتوكّل على الكتّاب قال لإسحاق بن إبراهيم : أُنظر لي رجلين أحدهما لديوان الخراج والآخر لديوان الضياع ، فقال : هما عندي ! يحيىٰ[3] بن خاقان ، وموسى[4] بن عبد الملك بن هشام ، وكان يحيىٰ محبوساً قبل إسحاق بأموال كان يطلب بها من ولايته فارس ، وموسى محبوس أيضاً ، فأحضرهما ، فولّى يحيىٰ بن خاقان ديوان الخراج ، وموسى ديوان الضياع وأمر المتوكّل أن يسلّم على ابنه محمد بالإمرة ، ويدعى له على المنابر ، فكتب بذلك إلى الآفاق ، وذلك في ذي القعدة سنة ٢٣٤ .

---

(١) كلام ناقص في الأصل .

(٢) الفضل بن مروان : كان حسن المعرفة بخدمة الخلفاء ، جيد الإنشاء . أخذ البيعة للمعتصم فاستوزره ثلاث سنوات ، وخدم بعده جماعة من الخلفاء إلى أن توفي سنة ٢٥٠ هـ .

[وفيات الأعيان ١ : ٤١٤]

(٣) سمي «خاقان» لأن أُمه كانت من أهل التيبت وهم يسمون ملكهم خاقان ، فقالوا له ذلك تعظيماً له .

(٤) موسى بن عبد الملك الأصبهاني : كان من فضلاء الكتاب وأعيانهم . ولي ديوان السواد وغيره في أيام المتوكل . توفي سنة ٢٤٦ هـ .

[وفيات الأعيان ٢ : ١٤١]

واستأذن إيتاخ التركيّ في الحجّ في هذه السنة ، فأذن له ، فخرج في أحسن زيّ ، واتصل بالمتوكّل أنّه كان على إيقاع الحيلة به ، فلمّا لم يمكنه ذلك طلب الحجّ ، فكتب إلى جعفر بن دينار ، المعروف بالخيّاط ، وكان عامل اليمن ، بالمصير إلى مكّة ، وأن يأخذ ايتاخ بتعجيل الانصراف ، فلمّا صار إلى مكّة وافاه جعفر ، فانصرف إلى العراق ، ووجّه إليه سعيد بن صالح الحاجب ، فلقيه بالكوفة ، فلمّا قرب من بغداد تلقّاه إسحاق ، فأمره بنزع السواد والسيف والمنطقة وأدخله بغداد في قباء أبيض وعمامة بيضاء ، حتى صار به إلى قصر خزيمة الذي على رأس الجسر ، فحبسه وقيّده ، وقبضت ضياعه وأمواله ، وبعث بسليمان بن وهب ، وقدامة بن زياد كاتبيه ، وبابنه منصور إلى بغداد ، حتى جمع بينه وبينهم ، فبكّتوه[1] ووبّخوه بما كان منه ، وأمر ابنه منصور أن يبصق في وجهه ، فأبى ، وقال : لأمير المؤمنين عبيد يأمرهم بما أحبّ ، فأقام عدّة أيّام ثم مات ، فطرح في دجلة .

وقبض ما كان لهرثمة[2] بن النصر عامل مصر لما تأدّى إلى المتوكّل من مكاتبته إيتاخ ، ومطابقته إيّاه ، وصيّر ما كان إلى إيتاخ من أعمال مصر إلى أبي إسحاق ، ولمّا بلغ عنبسة بن إسحاق عامل إيتاخ على السند الخبر سار إلى العراق ، فولّى المتوكّل مكانه هارون بن أبي خالد ، ولم يعرض لعنبسة .

وتوفي الحسن بن سهل في هذ السنة ، وكان قد لزم منزله قبل ذلك ، فلم يكن يتصرّف في شيء من أمور السلطان .

---

(١) بكّتوه : عنّفوه وقرّعوه .

(٢) هرثمة بن نصر (أو النضر) في بعض المراجع : أمير جليل عاقل مدبر سيوس . ولي إمرة مصر ، وفي أيامه ورد كتاب المتوكل إلى مصر بترك الجدال حول خلق القرآن . فتباشر الناس بولاية هرثمة . توفي بمصر سنة ٢٣٤ هـ .

[النجوم الزاهرة ٢: ٢٦٥]

وكان محمد بن البعيث متغلباً على ناحية من آذربيجان يقال لها مرند فنافره حمدويه بن عليّ عامل آذربيجان ، ثم . . . . . [1] فحمله إلى باب السلطان ، فلمّا قدم رفع على حمدويه بن عليّ ، فضرب حمدويه ، وأخذ بأموال رفعت عليه ، وخلّى سبيل ابن البعيث ، فأقام شهوراً ، وهرب من سرّ من رأى إلى مرند ، وجمع إليه من كان بناحيته من الصعاليك ، وأظهر المعصية والخلاف ، فأُخرج حمدويه بن عليّ من الحبس ، ووُلّي البلد ، فسار إليه ، فحاربه فقتله .

وقوي أمر ابن البعيث ، فوجه إليه زيرك التركيّ ، فحاربه ، ثم وجّه إليه عتّاب بن عتّاب ، وكان البلد إلى بغا الصغير ، فأقام يحاربه شهوراً ، ثم أعطاه الأمان ، فلمّا صار إليه حمله إلى باب السلطان ، فحبس في يد إسحاق ، وذلك سنة ٢٣٥ ، فأقام في الحبس قليلاً ومات ، وحمل يحيىٰ بن روّاد أيضاً ، فصيّر له اسم وقيادة .

وفي هذه السنة أمر المتوكّل بلبس أهل الذمّة الطيالسة [2] العسليّة وركوبهم البغال والحمير برُكَب الخشب والسروج التي فيها الأكر ، وأن لا يركبوا الخيل والبراذين [3] ، ويصيّروا على أبوابهم خُشُباً فيها صورة الشياطين .

وبايع المتوكّل بولاية العهد من بعده لابنه محمد ، ثم لابنيه أبي عبد الله المعتزّ بالله [4] ، وإبراهيم المؤيَّد بالله ، وأحضر وجوه الناس من كل بلد إلى سر من رأى ، فأعطاهم على البيعة الجوائز ، وأعطى الجند لعشرة أشهر ، ووجّه الخطباء ليخطبوا بذلك .

---

(١) كلام ناقص في الأصل .

(٢) الطيالسة ، جمع طيلسان : كساء أخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء وهو من لباس العجم .

(٣) البراذين ، جمع برذون : من الخيل غير العراب .

(٤) أنظر أخبارهما بعد قليل .

وحجّ محمد المنتصر في هذه السنة ، ومعه أمّ المتوكّل ، ووقف بالناس في الموسم ، فكان محمود الأخلاق في طريقه . . . .[1] إلى كلّ واحد من ولاة العهد ناحية من الأرض ، فصيّر إلى المنتصر مصر والمغرب، وكاتبه أحمد بن الخصيب، وصيّر إلى أبي عبدالله المعتز بالله خراسان والجبل، وكاتبه أحمد بن إسرائيل،وصيّر إلى إبراهيم المؤيّد الشأمات وأرمينية وآذربيجان ، وكاتبه محمّد بن عليّ المعروف ، وأمر المتوكل في هذا الوقت ألّا يستعان بأحد من أهل الذمّة في شيء من عمل السلطان ، وأن تهدم الكنائس والبيع المحدثة ، ومنعوا من العمارة ، وكتب بذلك في الآفاق .

وتوفي إسحاق بن إبراهيم ، فصيّر إلى ابنه محمد ما كان إليه من أعمال خراج طساسيج[2] السواد وأعمال مصر وكور دجلة وغير ذلك وزيادة أعمال . . . . .[3] وفارس ، وخلع عليه سبعة أيّام في كلّ يوم سبع خلع ، وعقد له ألوية كثيرة ، وكان عنده بأفضل منزلة ، وأقرّ محمد عمّال أبيه ، وكان كاتبه على الخراج عليّ بن عيسى بن ازداد سرود[4] ، وعلى الرسائل ميمون بن إبراهيم ، وعلى المظالم إسحاق بن يزيد قرابة هارون بن جيغويه ، ووجّه إلى فارس بالحسين بن إسماعيل مكان عمّه محمد بن إبراهيم ، وأمره أن يعذّبه حتى يستخرج الأموال التي صارت إليه ، فعذّب حتى مات ، وكان عبد الواحد بن يحيىٰ ، المعروف بحوط ، قرابة الطاهر ، على خراج مصر ومعاونها ، فأقرّه محمد بن إسحاق على جنده .

وأقام محمد بعد أبيه سنة ، ثم توفي ، فصيّر مكانه عبد الله بن إسحاق على الشرط فقط ، وأشخص كتّاب محمد بن إسحاق الذين كانوا كتّاب أبيه إلى باب المتوكل ، فضرب عمّاله ، وأشخص عليّ بن عيسى

(١) كلام ناقص في الأصل .
(٢) طساسيج ، جمع طسوج : كورة .
(٣) كلام ناقص في الأصل .
(٤) اسم بدون نقط في الأصل .

كاتب إسحاق بن إبراهيم على طساسيج السواد من سرّ من رأى ، فولّاه ديوان الخراج الأعظم ، فأقام عليه شهرين ، ثم صرفه وولّى أحمد بن محمّد بن مدبّر مكانه ، واستصفيت أموال الحسين وإسماعيل ابنيه ، وأخذ أحمد بن محمّد بن مدبّر عمّاله على طساسيج السواد ، فصالحهم على أموال عظيمة ، وولّى أحمد بن محمد بن مدبّر سبعة دواوين : ديوان الخراج ، والضياع ، والنفقات الخاصّة ، والعامّة ، والصدقات ، والموالي ، والغلمان ، والجند ، والشاكريّة[1] ، فوفر أموالاً عظيمة .

وقدم محمد بن عبد الله بن طاهر إلى بغداد من خراسان سنة ٢٣٧ ، فصيّر إليه ما كان إلى اسحاق بن إبراهيم، وصيّرت أعمال مصر إلى عنبسة بن إسحاق الضبّيّ من قبل المنتصر، فلم يقم بمصر إلّا شهوراً حتى أناخت الروم على دمياط[2] في خمسة وثمانين مركباً ، فقتلوا خلقاً من المسلمين ، وأحرقوا ألفاً وأربعمائة منزل ، وكان رئيس القوم يقال له فطوبارس[3] ، وسبوا من المسلمات ألفاً وثمانمائة وعشرين امرأة ، ومن نساء القبط ألف امرأة ، ومن اليهود مائة امرأة ، وأخذ السلاح الذي كان بدمياط والسَّقَط ، وتهارب الناس ، فغرق في البحر نحو ألفين ، وأقاموا يومين وليلتين ، ثم انصرفوا .

وسخط المتوكّل على محمد بن الفضل ، كاتب ديوان التوقيع ، لأمر وقف عليه منه ، فصيّر مكانه عبيد الله بن يحيىٰ بن خاقان ، ورفعه وأعلى مرتبته ومحلّه ، وولّاه ، وأمره أن يكتب : مولى أمير المؤمنين ، وكان ولاؤه في الأزد ، وأمره أن يأمر كتّاب الدواوين أن يؤرّخوا الكتب باسمه ، فاستعفاه من ذلك ، غير أنّه كان يولّي عمّال الخراج والضياع والبريد والمعاون والقضاة في جميع الدنيا ، ولم يكن لأحد معه عمل ، وكان مع

---

(١) الشاكرية : فرقة تستخدم في الحروب وهي من المرتزقة .

(٢) دمياط : مدينة قديمة في مصر .

(٣) اسم بدون نقط في الأصل .

ذلك محموداً عند الناس ، وصيّر أباه على المظالم ، ثم مات ، فصيّر مكانه عمّه عبد الرحمٰن .

وسخط المتوكّل على محمد بن أحمد بن أبي دؤاد وعلى أبيه ، فولّى يحيىٰ[1] بن أكثم التميميّ قضاء القضاة ، وقبضت ضياع ابن أبي دؤاد وأمواله ، وأحضر إلى بغداد ، فلم يقم إلّا قليلاً حتى مات[2] . . . . . [3] أكابر ولده ، وأقام يحيىٰ قليلاً ، ثم ولّى مكانه جعفر بن عبد الواحد الهاشميّ .

وخرج المتوكّل إلى مدينة السلام[4] سنة ٢٣٨ ، فنزل الشمّاسيّة في المضارب ، ثم دخل بغداد فشقّها حتى خرج إلى المدائن للنزهة .

واضطرب أمر أرمينية ، وتحرّك بها جماعة من البطارقة وغيرهم ، وتغلّبوا على نواحيهم ، فولّى المتوكّل أبا سعيد محمد بن يوسف ، فخرج متوجّهاً إلى البلد ، ودعا بثيابه فلبسها ، ودعا بفرد خفّه فلبسه ، وسقط ميتاً من غير علة ، فولّى المتوكّل ابنه يوسف ، فخرج حتى صار إلى البلد ، وكاتب البطارقة ، فأجابه بعضهم ، وخرج بقراط بن أشُوط إليه على الأمان ، فحمله إلى المتوكّل و . . . .[5] فحاربه بنوان بن الىف[6] فقتله ، وفسد البلد فوجّه المتوكّل بغا الكبير ، فلمّا صار بأرزن أتاه موسى بن زُرارة المتغلب على بَدْليس[7] في الأمان ، فقيّده وحمله إلى المتوكّل ، ثم صار

---

(١) تقدّمت ترجمته .

(٢) مات مفلوجاً ببغداد سنة ٢٤٠ هـ .

(٣) كلام ناقص في الأصل .

(٤) مدينة بغداد .

(٥) كلام ناقص في الأصل .

(٦) اسم بدون نقط في الأصل .

(٧) بدليس : بلدة من نواحي أرمينية قرب خِلاط .

[ياقوت : معجم البلدان]

إلى موضع يقال له الباق ، فيه أشوط بن حمزة ، فحاصره ثمّ آمنه ، وحمله إلى سرّ من رأى ، فضربت عنقه على باب العامّة ، وصلب .

وكتب إلى إسحاق بن إسماعيل المتغلب بتفليس أن يقدم عليه ، فكتب إليه أنّه لم يخرج يداً من طاعة السلطان. فإن أراد الأموال أمدّه بها ، وإن أراد الرجال أنفذهم إليه ، وأنّ القدوم لا يمكنه ، فزحف إليه فحاربه وظفر به ، فضرب عنقه ، وحمل رأسه إلى السلطان ، وزحف إلى الصنارية ، فحاربهم ، فهزموه وفلّوه ، فانصرف عنهم منهزماً ، وتتبّع من كان أعطاه الأمان ، فأخذهم ، وهرب منهم جماعة ، وكاتبوا صاحب الروم ، وصاحب الخزر ، وصاحب الصقالبة ، واجتمعوا في خلق عظيم ، وكتب بذلك إلى المتوكّل فندب للبلد محمد بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانيّ ، فلمّا قدم سكن المتحرّكون، وجدّد لهم الأمان .

ووثب أهل حمص سنة ٢٤٠ ، وأخرجوا عاملهم ، وكان أبا المغيث موسى بن إبراهيم ، فخرج إلى حماة ، فوجّه المتوكّل عتّاب بن عتّاب ، ومحمّد بن عبدويه بن جبلة ، وصيّر محمداً عامل البلد ، فسكّنهم وأقام بديارهم عدّة شهور ، ثم وثبوا فشغبوا عليه ، فسكّنهم ومكر بهم ، فأخذ جماعة من وجوههم ، وأوثقهم في الحديد ، فحملوا إلى باب المتوكّل ، ثم ردّوا إليه ، فضربهم بالسياط حتى ماتوا ، وصلبهم على أبواب منازلهم ، وتتبّع رجال الفتنة فأفناهم .

وولّى المتوكل أحمد بن محمد خراج دمشق والأردن ، وذلك أنّ كتّاب الدواوين احتالوا عليه لخوفهم منه ، وقالوا : إن البلد يحتاج أن يعدّل ، ولا يقوم بالتعديل إلاّ من ولي ديوان الخراج ، فتوجّه سنة ٢٤٠ يعدّل دمشق والأردنّ ، وحمّل كلّ أرض ما تستحقّه .

وتوفي هارون بن أبي خالد عامل السند سنة ٢٤٠ ، وكتب عمر بن عبد العزيز الساميّ المنتمي إلى سامة بن لؤي ، وهو صاحب البلد هناك ،

يذكر أنّه إن ولي البلد قام به وضبطه ، فأجابه إلى ذلك ، فأقام طول أيّام المتوكّل .

ووجّه طاغية الروم[1] برسل وهدايا ، وكانت يسيرة ، فبعث إليه بأضعافها ، ووجّه شنيفاً الخادم ، وكان يقوم بأمنائه ، فعقد له على الفداء ، فقدم طرسوس سنة ٢٤١ ، وعامل الثغور أحمد بن يحيىٰ الأرمنيّ ، وخرج إلى القنطرة اللامس ، فنادى بالأسرىٰ ، وكان قد حمل من كلّ بلد من فيه من أسرىٰ الروم ، واشترى عبيد النصارى .

وبنى المتوكّل قصوراً أنفق عليها أموالاً عظاماً منها : الشاه ، والعروس ، والشِّبداز ، والبديع ، والغريب ، والبُرج ، وأنفق على البرج ألف ألف وسبعمائة ألف دينار .

وكان انقضاض الكواكب ليلة الخميس مستهلّ جمادى الآخرة سنة ٢٤١ ، ولم تزل تنقضّ من أول الليل إلى طلوع الفجر ، وكانت الزلازل بقومس ونيسابور وما والاها سنة ٢٤٢ ، حتى مات بقومس خلق كثير ، ونالتهم رجفة يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شعبان ، فمات فيها زهاء مائتي ألف ، وخسف بعده مدن بخراسان ، ونال أهل فارس في هذا الشهر شعاع ساطع من ناحية الملروم[2] ورهج أخذ بأكظام الناس[3] ، فمات الناس والبهائم ، واحترقت الأشجار ، ونال أهل مصر زلزلة عمّت حتى اضطربت سواري المسجد ، وتهدّمت البيوت والمساجد ، وذلك في ذي الحجّة من هذه السنة .

وعزم المتوكّل على المسير إلى دمشق ، ووصف له برد هوائها ، وكان محروراً ، فكتب إلى أحمد بن محمد بن مدبّر يأمره باتّخاذ القصور

---

(١) هو تيوفيل بن ميخائيل .

(٢) اسم موضع بدون نقط في الأصل .

(٣) أخذ بأكظام الناس : كرّبهم وغمّهم . والكظم هو مخرج النَفَس .

وإعداد المنازل ، وكتب في إصلاح الطريق ، وإقامة المنازل والمرافد[1] ، وسار من سر من رأى يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة سنة ٢٤٣ ، ونزل دمشق يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر سنة ٢٤٤ ، فنزل تلك القصور ، فأقام ثمانية وثلاثين يوماً .

وبلغه عن بعض الموالي من الأتراك أمر كرهه ، فشخص عن دمشق إلى العراق ، ولم يسافر في ولايته غير هذه السفرة إلّا في نزهة ، ولم يرَ في سفرته هذه شيئاً ، ولا نظر في مصلحة أحد .

وأصابت الشأم كلّه زلازل حتى ذهبت اللّاذقية وجَبَلَة[2] ، ومات عالم من الناس ، حتى خرج الناس إلى الصحراء ، وأسلموا منازلهم وما فيها ، واتّصل ذلك شهوراً من سنة ٢٤٥ .

وانتقل المتوكّل إلى موضع يقال له الماحوزة على ثلاثة فراسخ من قصر سرّ من رأى ، وبنى هناك مدينة سمّاها الجعفريّة ، وحفر فيها نهراً من القاطول[3] ، ونقل الكتاب والدواوين والناس كافّة إليها ، وبنى فيها قصراً لم يُسمع بمثله[4] ، وذلك في المحرم سنة ٢٤٦ .

وسخط على نجاح بن سلمة الكاتب وكان أغلب كتّابه عليه بعد عبيد الله بن يحيىٰ ، وكان لا يزال يتنضّخ[5] بأموال الناس ، فسلّمه إلى موسى بن عبد الملك بن هشام صاحب ديوان الخراج ، وإلى الحسن بن مخلد بن الجرّاح صاحب ديوان الضياع ، وكانا قد ضمناه بألفي دينار ، فعذّبه موسى بن عبد الملك أيّاماً ، فتوفي في يده ، فقبضت ضياعه ودوره

---

(١) المرافد : المعونات .

(٢) جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) القاطول : من روافد دجلة .

(٤) القصر المعروف بالجعفري وقد سماه «الماحوزة» ودفن فيه .

(٥) يتنضخ : يتحكّم .

وأمواله ، وكان ذلك في ذي القعدة سنة ٢٤٦ .

وكان المتوكّل قد جفا ابنه محمداً المنتصر ، فأغروه بـه ، ودبّروا على الوثوب عليه ، فلمّا كان يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوّال سنة ٢٤٧ دخل جماعة من الأتراك منهم : بغا الصغير ، واوتامش صاحب المنتصر ، وباغر ، وبغلو ، ويربد ، وواجن ، وسعلمه[١] ، وكنداش ، وكان المتوكّل في مجلس خلوة ، فوثبوا عليه ، فقتلوه بأسيافهم ، وقتلوا الفتح[٢] بن خاقان معه .

وكانت خلافة المتوكّل أربع عشرة سنة وتسعة أشهر وتسعة أيّام ، وسنّه اثنتين وأربعين سنة ، ودفن في قصره المعروف بالجعفريّ الذي كان سمّاه الماحوزة ، وكان الغالب عليه الفتح بن خاقان ، وعبيد الله بن يحيىٰ الكاتب ،وكان صاحب شرطه إسحاق بن إبراهيم ، وبعده محمّد بن إسحاق ، وبعده محمد ابن عبدالله بن طاهر ، وكان صاحب حرسه إسحاق بن يحيىٰ بن معاذ ، وبعده رجاء بن أيّوب ، ثم سليمان بن يحيىٰ بن معاذ ، وكان حجّابه وصيفاً وبغا .

أيام محمد المنتصر[٣]

وبويع محمد المنتصر بن جعفر المتوكّل ، وأمّه أمّ ولد يقال لها حبشيّة ، روميّة ، في الليلة التي قُتل فيها أبوه ، وهي ليلة الأربعاء لأربع

---

(١) بدون نقط في الأصل .

(٢) الفتح بن خاقان : أديب شاعر ، فصيح وفي نهاية الفطنة والذكاء . فارسي الأصل من أبناء الملوك . اتخذه المتوكل أخاً له . اجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن . قتل مع المتوكل سنة ٢٤٧ هـ .

[ابن النديم ١ : ١١٦]

(٣) محمد المنتصر : وُلد في سامراء سنة ٢٢٣ هـ . كان إذا جلس إلى الناس يتذكر قتله لأبيه فترعد فرائصه . كان له خاتمان نقش على أحدهما «محمد رسول الله» وعلى الثاني «المنتصر بالله» مات مسموماً بمبضع طبيب بسامراء سنة ٢٤٨ هـ .

[ابن الأثير ٧ : ٣٢ ـ ٣٣]

خلون من شوّال سنة ٢٤٧ ، وكانت الشمس يومئذ في العقرب خمس عشرة درجة واثنتين وخمسين دقيقة، والقمر في الميزان ستّاً وعشرين درجة وأربع دقائق ، وزحل في السنبلة إحدى وعشرين درجة وعشرين دقيقة ، والمشتري في الثور درجتين وخمساً وثلاثين دقيقة ، والمرّيخ في القوس خمساً وعشرين درجة ودقيقتين ، والزهرة في العقرب درجتين وخمساً وعشرين دقيقة ، وعطارد في العقرب ثلاث درجات واثنتين وعشرين دقيقة ، وأحضر أخويه أبا عبد الله المعتز بالله ، وإبراهيم المؤيّد ، فأخذ عليهما البيعة وعلى جميع من حضر من الناس ، وركب إلى دار العامّة ، وأعطى الجند رزق عشرة أشهر ، وانصرف من الجعفريّ إلى سرّ من رأى[1] ، وأمر بتخريب تلك القصور ، فنقل الناس عنها ، وعطّل تلك المدينة ، فصارت خراباً ، ورجع الناس إلى منازلهم بسرّ من رأى ، وخلع أخويه المعتزّ والمؤيّد وأشهد عليهما بخلعهما أنفسهما ، ونقل أحمد بن محمد بن المدبّر عن الشأمات إلى مصر ، وفرقت أعمال الشأمات على جماعة .

وكان الغالب عليه اوتامش ، وأحمد بن الخصيب ، وكانت خلافته ستّة أشهر ، وتوفي يوم السبت لأربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٨ ، وكانت سنّه خمساً وعشرين سنة وستّة أشهر .

أيام أحمد المستعين[2]

وبويع أحمد بن محمد بن المعتصم في اليوم الذي توفي فيه المنتصر ، وهو يوم السبت لأربع خلون من شهر ربيع الآخر ، وكانت الشمس يومئذٍ في الجوزاء خمس عشرة درجة وإحدى عشرة دقيقة، وزحل في

(١) سميت كذلك لعمرانها وجمال طبيعتها وكثرة مياهها .

(٢) أحمد المستعين بالله : وُلد بسامراء سنة ٢١٩ هـ . كان قبل الخلافة خاملاً يرتزق بالنسخ ، وكان يلثغ بالسين يجعلها ثاء . نقله المعتز بعد خلعه إلى القاطول فسُلّم فيها إلى حاجب يدعى «سعيد بن صالح» فضربه حتى مات سنة ٢٥٢ هـ .

[الطبري ١١ : ٨٢]

السنبلة ستّ عشرة درجة وسبع دقائق ، والمشتري في الجوزاء خمس عشرة درجة ، والمرّيخ في الجوزاء ثلاث درجات وسبعاً وعشرين دقيقة ، والزهـرة في السرطان أربع عشرة درجة واثنتين وعشرين دقيقة ، وعطارد في السرطان أربع درجات واثنتين وعشرين دقيقة ، ولم يكن يؤهّل للخلافـة ، ولكنّه لمّـا توفي المنتصر استوحش الأتراك من ولـد المتوكّـل ، وخشوا سـوء العاقبـة ، فأشار عليهم أحمد بن الخصيب أن يبايعـوا أحمد بن محمـد بن المعتصم ، فبايعوه ، وأنكـر بعض القوّاد البيعـة ، وجرى بين الأتـراك والأبناء منـازعات حتى تحاربوا ثلاثة أيّام ، ثم ضعف أمر الأبناء ، وفرّق المستعين في النـاس أموالاً كثيرة ، واستقامت أموره ، وغلب على أمره اوتامش التركيّ ، وشُجاع ابن القاسم كاتب اوتامش ، وأحمد بن الخصيب ، حتى لم يبق لأحـد معهم أمـر ؛ ثم تحامـل الأتراك على أحمـد بن الخصيب فسخط المستعين عليه ، ونفـاه إلى المغـرب بعـد أربعـة أشهـر من ولايتـه ، فحمـل في البحـر إلى اقريطش[1] ، ثم حمل إلى القيروان .

ولم يكن أصحـاب المستعين لأحد أخوف منهم لصاحب خـراسـان ، وتـوفي طاهـر بن عبد الله بن طـاهـر في رجب سنـة ٢٤٨ ، وهـو ابن أربـع وأربعين سنـة ، فأفـرخ روعهم ، ودبّروا أن يخـرجوا محمـد بن عبد الله من العراق إلى خراسان ، فقال له المستعين أن ينفذ إلى خراسان ، فقـال : إن أخي قـد أوصى إلى ابنـه ، ولا آمن أن يكـون في خـروجي فسـاد البلد . فكتب المستعين إلى محمّد بن طاهر بن عبد الله بـن طـاهر بـولاية خـراسان مكان أبيه ، وخرج أبو العمود الشاري بـديار ربيعـة في هذه السنـة ، فوجّـه إليه المستعين بلكاجور الفرغانيّ ، فواقعه ، فقتله ، وفرّق جمعه .

ولمّـا توفي طـاهر ووُلّي محمـد ابنه ، وكـان يوم ولّي حـدث السنّ ،

---

(١) اقريطش : جزيرة كبيرة في بحر المغرب ، فيها مدن وقرى ، وينسب إليها جماعـة من العلماء .

[ياقوت : معجم البلدان]

تحرّك قوم بخراسان من الشراة وغيرهم ، وكثر الشراة حتى كادوا أن يغلبوا على سجستان ، فقام يعقوب بن الليث[1] ، ويعرف بالصفّار ، من أهل البأس والنجدة ، فسأل محمّد بن طاهر أن يأذن له في الخروج إلى الشراة ، وجمع المطوّعة ، فأذن له في ذلك ، فسار إلى سجستان ، فنفى من بها من الشراة ، ثم زحف إلى كرمان ففعل كذلك حتى نقّى البلاد منهم ، فعظم شأنه ، فكتب المستعين إلى محمد أن يولّيه كرمان ، فأقام بها وأحسن أثره في البلاد .

ووثب بالأردنّ رجل من لخم ، فطلبه صاحب الأردنّ ، فصار إلى بالبق[2] وهرب ، فقام مكانه رجل من عمّاله يعرف بالقطاميّ ، وكثف جمعه ، فجبى الخراج ، وكسر جيشاً بعد جيش أنفذهم إليه صاحب فلسطين ، فلم تزل هذه حاله حتى قدم مزاحم[3] بن خاقان التركيّ في جمع من الأتراك وغيرهم ، ففرّق جمعهم ، ونفاهم عن البلاد .

ووثب أهل حمص بعاملهم كيدر بن عبد الله الأسروشنيّ ، فخرج إليهم في جماعة من الجند ، فهزموهم ، ولحق بحماة ، وقتلوا من الجند جماعة وصلبوهم ، فولّى المستعين عبد الرحمٰن بن حبيب الأزديّ حمص ، فخرج متوجّهاً إليها ، فلمّا كان على أربع مراحل منها توفي ، فولّى

---

(١) يعقوب بن الليث : أحد الأمراء الدهاة الكبار . كان في صغره يعمل الصفر (النحاس) في خراسان ويظهر الزهد فسمي بالصّفّار . تطوع في قتال الشراة . له فتوحات عديدة في بلاد فارس . كان الحسن بن زيد العلوي يسميه «السندان» لثباته . توفي بجنديسابور سنة ٢٦٥ هـ .

[ابن الأثير ٧ : ٦٠]

(٢) اسم موضع بدون نقط .

(٣) مزاحم بن خاقان : تركي الأصل ، وُلد ببغداد ونشأ فيها . تولى إمارة مصر فتتابعت في أيامه الفتن . كان شديداً صلباً ، وقد أبطل كثيراً من البدع وعاقب عليها . توفي بمصر سنة ٢٥٤ هـ .

[النجوم الزاهرة ٢ : ٣١٤]

الفضل بن قارن الطبريّ، فقدم البلد، فتلقّاه أهله بالسمع والطاعة، وشكوا قبح ما كان يعاملهم به كيدر، فدخل المدينة، فأقام أيّاماً، والبلد ساكن، ثم بلغه أنّهم يريدون الوثوب عليه، فأخذ جماعة منهم فضرب أعناقهم.

ونفى المستعين عبيد الله بن يحيىٰ إلى مكّة، ثم نفاه منها إلى برقة، وكان ذلك في أول سنة ٢٤٩.

ووثب الجند بسرّ من رأى مرة بعد أُخرى، وتحاربوا وتحاملوا على اوتامش، وقالوا: أخذ أرزاقنا وأزال مراتبنا، وخرجت عصبة من الأتراك والموالي إلى الكرخ، فخرج إليهم اوتامش ليسكّنهم، فقتلوه، وقتلوا كاتبه شجاع بن القاسم، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٩، ونهبت دورهما، فوقع ذلك بموافقة المستعين، وكتب إلى الآفاق بلعنه.

ووجّه المستعين جعفراً الخياط لغزو الصائفة سنة ٢٤٩، ومعه عمر بن عبد الله الأقطع، عامل ملطية، فلمّا دخل إلى بلاد الروم استأذنه عمر أن يوغل، وكان في ثمانية آلاف، فأحاط به العدوّ، فأصيب هو ومن معه في رجب سنة ٢٤٩.

وولّى المستعين عليّ بن يحيىٰ الأرمنيّ أرمينية في هذه السنة، وكان أمرها قد اضطرب، فصار إلى ميّافارقين[1]، وأغارت الروم وتوسّطت بلاد المسلمين، فاجتمع قوم من أهل ذلك البلد إلى عليّ بن يحيىٰ، فكلّموه في لقاء الروم، ورفعوه فخرج معهم، فلقي عسكر الروم، فقاتل قتالاً شديداً، فقُتل، وأخذ الروم بدنه، وعدّوه فتحاً عظيماً لما كان قد أشجاهم.

ووثب أهل حمص بالفضل بن قارن الطبريّ عاملهم في هذه السنة، واستجاشوا[2] عليه بأحياء كلب، فتحصّن منهم بقصر خالد بن يزيد بن

---

(١) ميّافارقين: أشهر مدينة بديار بكر. [ياقوت]

(٢) استجاشوا: حشدوا الجيوش.

معاوية ، وقد كان جدّده ، فحاصروه ، وغاله من كان معه وأسلمه ، فأخذوه وذبحوه وصلبوه على باب الرسْتَن[١] ، ولمّا قتلوه خافوا عامل دمشق ، فزحفوا إليه ، وهو نوشرى بن طاجيل التركيّ ، فوجّه إليهم بعسكر من البابكيّة[٢] وغيرهم ، فهزموهم ، وانصرفوا إلى حمص .

ووجّه المستعين موسى بن بغا الكبير في ستّة آلاف من الموالي إلى حمص ، فلمّا بلغها خرج إليه رجل يقال له دابر العفّار في خلق عظيم من كلب وغيرهم ، فحاربه ، فكانت عليهم ، ودخل موسى حمص عنوة وأباحها ثلاثة أيّام ، فانتهبت ، وطرحت النار في منازلها ، فانتهبت أموال التجّار ، وكان الواثب بحمص غطيف بن نعمة الكلبيّ .

ووثب أيضاً بالمعرّة المعروف بالقصيص ، وهو يوسف بن إبراهيم التنوخيّ ، فجمع جموعاً من تنوخ ، وصار إلى مدينة قنّسرين ، فتحصّن بها ، فلم يزل بها حتى قدم المولّد ، مولى أمير المؤمنين ، فاستماله واستمال غطيف بن نعمة ، وصار إليه ، ثم وثب بغطيف بن نعمة ، فقتله ، وهرب القصيص ، فصار إلى جبل الأسود ، واجتمعت قبائل كلب بناحية حمص على الامتناع على المولّد ، فسار إليهم فواقعهم ، فكانت عليهم ، ثم وثبوا عليه ، فهزموه ، وقتلوا خلقاً عظيماً من أصحابه ، وانصرف إلى حلب في فلّه ، ورجع القصيص إلى قنّسرين ، وجرت بينه وبين كلب محاربة ، وعزل المولّد وولّي أبو الساج الأسروشنيّ ، وكتب إلى القصيص يؤمنه ، وصيّر إليه الطريق والبذرقة[٣] ، ثمّ ولّاه اللاّذقية ونحوها .

وكان يحيىٰ[٤] بن عمر بن أبي الحسين بن زيد بن عليّ بن

---

(١) الرستن : بلدة قديمة على نهر العاصي والذي كان يعرف قديماً بالميماس .

[ياقوت]

(٢) البابكية : جماعة بابك الخرمي . وقد تقدم خبره .

(٣) الطريق والبذرقة : من بلاد الشام .

(٤) يحيى بن عمر: من أباة أهل البيت . دخل الكوفة وفتح سجونها ودعا إلى الرضي من =

الحسين بن عليّ بن أبي طالب بسرّ من رأى ، فأتى بعض الولاة في حاجة ، فلقيه بما لا يحبّ ، فخرج إلى الكوفة ، واجتمع إليه الناس ، فوثب بالكوفة ، وفتح الحبس ، وأطلق من كان فيه ، وأخرج عامل الكوفة ، وقوي أمره ، وكثر أتباعه ، فوجّه المستعين رجلاً من الأتراك يقال له كلكاتكين ، ووجّه محمد بن عبد الله بن طاهر بالحسين بن إسماعيل قرابته ، وزحف يحيىٰ بن عمر في خلق عظيم وجماعة كثيرة ، فالتقوا بموضع يقال له شاهي ، بين الكوفة وبغداد ، لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة ٢٤٩ ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزم أصحاب يحيىٰ عنه ، وقتل في المعركة ، وحمل رأسه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، فوضع بين يديه في ترس ، ودخل الناس يهنّئونه ، فقال له رجل من بني هاشم : إنّك لتهنّأ بما لو كان رسول الله حاضره لعزّي به .

ووثب جند فارس في هذه السنة بعاملهم الحسين بن خالد ، فشغبوا عليه ، ووثبوا على مال قد حمل فأخذوا أرزاقهم منه ، وكان رئيسهم علي بن الحسين بن قريش البخاريّ ، وكانت فارس مضمومة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، فلمّا بلغه الخبر ولّى عبد الله بن إسحاق ، فشخص إليها في عدّة وعدد ، فلمّا قدمها أعطاه الجند الطاعة ، وكان قصده ابن قريش ، فناله بالمكروه ، ثم رضي عنه ، وولّاه محاربة قوم من الخوارج بناحية الفُرْش والروذان[1] وهو الحدّ بين فارس وكرمان ، فصار ابن قريش إلى ناحية اصطخر[2] ، وكاتب الجند وأعلمهم أنّه على الوثوب بعبد الله بن

آل محمد ، فبايعه الناس . كان حسن السيرة والديانة ، قوي الساعد يلوي عمود الحديد على عنق من يسخط عليه من خدمه ، فلا يحله غيره .

قتل بالقرب من الكوفة سنة ٢٥٠ هـ . فرثاه كثير من الشعراء على رأسهم ابن الرومي .

[ابن الأثير ٧: ١٧ ، ٤٠]

(١) الروذان : بلدة في بلاد فارس .

[ياقوت]

(٢) اصطخر : بلدة في بلاد فارس .

[ياقوت]

إسحاق ، فأنجدوه على ذلك لسوء سيرة عبد الله فيهم ، ومنعه إيّاهم أرزاقهم ، ورجع عليّ بن الحسين فوثب به ، وأخرجه من منزله ، وانتهب أمواله ومتاعه ، وأمّروا عليّ بن الحسين عليهم ، وانصرف عبد الله إلى بغداد ، فوجّه محمد بن عبد الله بن نصر بن حمزة الخزاعيّ ، فلمّا قدم تألّف عليّ بن الحسين ، فلم يصلح ، وأقام منافراً له في ناحية من كور فارس .

ووثب إسماعيل بن يوسف الطالبيّ بناحية المدينة لسبب كان بينه وبين الوالي بها ، وتحامل عليه في وقف كان له ، وجمع لفيفاً من الأعراب ، ثم نفذ إلى ناحية الرّوحاء ، فأخذ مالاً للسلطان ، وكان حُمل من بعض المواضع ، ثم صار إلى مكّة ، وجعفر بن الفضل ، المعروف ببشاشات ، العامل بها ، فواقعه فهزم بشاشات ، ودخل مكّة وأقام ثلاثاً ، ثم دفع إلى المزدلفة ، وصبّح منى ، وقد تهارب الناس ، ودخل من كان مع ابن يعقوب مكّة ، فقدّر أهلها أنّهم أصحاب إسماعيل ، فلقوهم بالسيوف ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة .

وأقبل إسماعيل إلى مكّة فمنعه أهل مكّة من الدخول ، فوضع أصحابه السيوف فيهم ، حتى دخل وطاف وسعى ، ورجع وطاف ، ثم صار إلى منى ، وكان بمكّة رجل يقال له محمد بن حاتم على نفقات المصانع ، فقال ليعقوب : إقلع ما على دَرْوَنْدي البيت والعتبة من الذهب والفضّة ، وأعطه الناس . وحارب إسماعيل ! فقلع ذلك الذهب ، وأقام إسماعيل بمنى أيّام منى ، ثم انصرف .

. . . . .[1] وغلت الأسعار ببغداد وبسرّ من رأى ، حتى كان القفيز[2] بمائة درهم ، ودامت الحرب ، وانقطعت الميرة ، وقلّت الأموال ، فجرت

---

(١) كلام ناقص في الأصل .

(٢) القفيز : مكيال معلوم .

السفراء[١] ، بينهم سنة ٢٥٢ ، فدعا المستعين إلى الصلح ، على أن يخلع نفسه ، ويسلم الأمر إلى المعتزّ ، ويصير إلى بلد فيقيم فيه آمناً على نفسه وولده ، على أن يُدفع إليه مال معلوم وضياع تقيمه ، فأجيب إلى ذلك ، وخلع نفسه ، وبايع محمد بن عبد الله ، وكتب المستعين كتاب الخلع على نفسه ، وأشهد بذلك ، وصار إلى واسط بأمّه وولده وسائر أهله ليجعلها دار مقامه .

أيام المعتز بالله[٢]

وبويع أبو عبدالله المعتزّ بالله بن المتوكّل ، وأمّه أم ولد يقال لها قبيحة ، بسرّ من رأى ، يوم الخميس لسبع خلون من المحرّم سنة ٢٥٢ ، وكتب إلى جميع العمّال يذكر ما تقدّم من العقد لإبراهيم المؤيّد ، ويأمرهم بالدعاء له بعده . وبايع عمّال البلاد للمعتزّ لمّا علموا مبايعة محمد بن عبد الله بن طاهر ومن ببغداد، وتوقّف ابن مجاهد صاحب شِمْشاط[٣]، وعيسى بن شيخ في فلسطين، ويزيد بن عبدالله في مصر، وعمران بن مهران بأصبهان، ووجّه المعتزّ حاتم بن زريك إلى شمشاط ، فأوقع بابن مجاهد وأهلها ، وأخذه وجماعة من وجوهها إلى آمد[٤] ، فضرب أعناقهم .

وزحف نوشرى بن طاجيل التركيّ ، عامل دمشق ، إلى عيسى بن

---

(١) السفراء : الرسل .

(٢) المعتز بالله : هو محمد بن جعفر (المتوكل على الله) بن المعتصم وأخو المنتصر بالله . ولد في سامراء سنة ٢٣٢ هـ . قيل اسمه «الزبير» وقيل «طلحة» قال ابن دحية : كان فيه أدب وكفاية فلم ينفعه ذلك لقرب قرناء السوء منه ، فخلع ، وما زال يعذب بالضرب حتى مات بسر من رأى سنة ٢٥٥ هـ . وقيل :(أُدخل في الحمام فأغلق عليه حتى مات .

[ابن الأثير ٧ : ٤٥ ـ ٦٤]

(٣) شمشاط : مدينة بالروم على شاطىء الفرات .

[ياقوت]

(٤) آمد : أعظم مدن ديار بكر وأجلّها قدراً .

[ياقوت]

شيخ ، وزحف إليه عامل فلسطين عيسى فالتقيا بالأردنّ ، وكانت بينهما حروب صعبة قُتل فيها ابن نوشرى ، وانهزم الجند عن عيسى ، فتركوه وحده ، فانهزم إلى فلسطين ، فحمل منها ما قدر عليه ، وسار إلى مصر ، ودخل نوشرى الرملة .

ووجّه المعتزّ برجل من الأتراك إلى مصر بالبيعة ، فاحتبسه يزيد بن عبد الله عامل مصر بالعريش أيّاماً ، ثم أذن له في الدخول ، وبايع هو ومن بحضرته وعيسى بن شيخ للمعتزّ .

ووجّه المعتزّ برجل من الأتراك يقال له محمد بن المولّد إلى فلسطين ، لمّا انتهى إليه خبر عيسى بن شيخ ، وما كان بينه وبين النوشرى ، فلمّا صار محمد بن المولّد بحمص ، وقد كان تغلب عليها غطيف الكلبيّ ، دعاه إلى الطاعة ، وأعطاه الأمان ، فأجابه ، فلمّا صار في يده ضرب عنقه ، فوثبت به كلب من كلّ جانب ، فهزموه .

وصار محمد بن المولّد إلى فلسطين ، فلمّا قدمها انصرف النوشرى عنها .

وصار عيسى بن شيخ من مصر مستعداً ، فلمّا وافى فلسطين نزل قصراً كان بناه بين رملة ولُدّ ، ولم يمكن ابن المولّد فيه فرصة ، وحَذِرَ كلّ واحد منهما من صاحبه ، ثم انصرفا جميعاً إلى العراق .

ووجّه مزاحم بن خاقان إلى مَلَطية[1] ، وقد ظهر فيها الروم عدّة مرار ، ووثب بمصر رجل من كنانة يقال له جابر ، ويعرف بأبي حرملة . . . . . .[2] فوجّهه إلى أسفل الأرض ، وقام هو موضعه ، فكثف جمعه وجبى الخراج .

---

(١) ملطية : بلدة من بلاد الروم تتاخم الشام .

[ياقوت]

(٢) اسم ناقص في الأصل .

وكان صفوان العقيليّ[1] قد وثب بديار مضر في أيّام المستعين ، على ما ذكرنا من أمره ، ودعا للمعتز ، وحارب محمد بن داوُد المعروف بابن الصغير ، فلمّا استقامت الكلمة ، وبايع من كان بالرافقة من العمّال ، كتب محمّد بن الأشعث الخزاعيّ ، صاحب البريد بديار مضر ، إلى المعتزّ يذكر سوء مذهب صفوان ، وأنّه منطوٍ على المعصية ، فوجّه إليه المعتزّ بسيما الصعلوك ليحمله إلى بابه ، وكان قد تحرّك بحرّان في ذلك الوقت رجلان أحدهما من ولد أبي لهب ، والآخر أمويّ ، ودعا كلٌّ واحد منهما إلى نفسه ، فبدأ سيما بهما حتى أخذهما ، ثم صار إلى الرافقة ، وقد وثب صفوان العقيليّ على محمد بن الأشعث الخزاعيّ ، فقتله ، فلقي سيما ابن عبدوس ، فكانت بينهما وقعات ، ثم دعا ابن عبدوس إلى الصلح على أن يولّى بلده ، ويدفع إليه تسعمائة ألف درهم .

وأقام موسى بن بغا بهمذان ووجّه خليفة له إلى ناحية الكوكبي بن الأرقط ، فكانت بينهما وقعات ، وزحف موسى إلى عمران بن مهران المتغلّب بأصبهان ، فحاربه ، ثم انصرف ، واستخلف على البلد ، ورجع إلى همذان .

وتوفي محمّد بن عبد الله بن طاهر ببغداد في ذي القعدة سنة ٢٥٣ ، وكتب المعتزّ إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بولايته على ما كان أخوه يتولّاه من الشرطة وسائر الأعمال ، وكانت سنّ محمد يوم مات أربعاً وأربعين سنة ، ثمّ وجّه طاهر بن عبد الله بن طاهر صاحب خراسان سليمان بن عبد الله عمّه ، لمّا بلغه اضطراب الأحوال وغلبة وصيف وبغا[2]

---

(١) تقدم خبره .

(٢) يقول أحد الشعراء في ذلك :

خليفةٌ في قفص بين وصيفٍ وبغا
يقول ما لقّنه كما تقول الببغا

وغيرهما من الأتراك على أمر الخلافة ، فيقال إن المعتزّ كتب إليه في ذلك ، فصار سليمان إلى بغداد في خلق كثير من جند خراسان ، ثم دخل إلى سرّ من رأى ، والناس لا يشكّون في أنّه سيغلب ، فخلع عليه ودبّر وصيف وبغا أن ينحياه ، فأمر بالرجوع إلى بغداد ، فقدمها يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٤ .

وأغزى بغا عيسى بن شيخ إلى جند فلسطين ، ورصده الأتراك ليقتلوه بابن نوشرى الذي كان قتله بالأردنّ ، فخرج مستتراً في يوم مطير في خيل جريدة[1] ، حتى فاتهم ، وصار إلى فلسطين ، فوجد بها أموالاً قد حملت من مصر ، فاحتبسها وفرض فروضاً من العرب ، وجمع إليه خلقاً من ربيعة ، وصاهر إلى كلب ، وابتنى خارج مدينة الرملة حصناً سمّاه الحساميّ .

ولمّا كثر الاضطراب تأخّرت أموال البلدان ، ونفد ما في بيوت الأموال ، فوثب الأتراك بكرخ سرّ من رأى ، فخرج إليهم وصيف ليسكّنهم ، فرموه فقتلوه وحزّوا رأسه في سنة ٢٥٣ ، وتفرّد بغا بالتدبير ، ثم تحرّك صالح بن وصيف ، واجتمع إليه أصحاب أبيه ، فصار في منزلته ، وضعف أمر المعتزّ حتى لم يكن له أمر ولا نهي . وانتقضت الأطراف ، وخرج بديار ربيعة رجل من الشراة يقال له مساور[2] بن عبد الحميد ، ويُعرف بأبي صالح ، من بني شيبان ، ثم صار إلى الموصل ، فطرد

---

(١) الجريدة : جماعة الخيل لارجّالة فيها وقد جرّدت عن سواها لوجه .

(٢) مساور بن الحميد : من كبار الشراة . هزم أعداءه في عدة مواقع ومنع الأموال عن الخليفة فضاقت على الجند أرزاقهم وسعت لقتاله الجيوش فلم تظفر به ، وجعل يتنقل في البلاد فيجبى له خراجها . توفي راحلاً من البوازيج سنة ٢٦٣ هـ . يريد لقاء عسكر للخليفة .

[الكامل لابن الأثير ٧ : ٥٧ وما بعدها]

عاملها ، وسار حتى قرب من سرّ من رأى ونزل في المحمّدية ، ثلاثة فراسخ من قصور الخليفة فدخل القصر ، وجلس على الفرش ، ودخل الحمّام . وندب له المعتزّ قائداً وجيشاً بعد قائد وجيش وهو يهزمهم ، حتى كثف جمعه ، واشتدّت شوكته .

وتوفي مزاحم بن خاقان لخمس خلون من المحرّم سنة ٢٥٤ ، وصار مكانه ابن له يقال له أحمد ، فلم يقم إلّا أيّاماً حتى اشتدّت به العلّة ، وتوفي ، وكانت ولايته ثلاثة أشهر ، وتوفي في شهر ربيع الآخر ، وصار على البلد ارخوز بن اولُغ طرخان التركيّ .

وتوفي علي بن محمد بن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب بسرّ من رأى يوم الأربعاء لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٥٤ ، وبعث المعتزّ بأخيه أحمد بن المتوكّل ، فصلّى عليه في الشارع المعروف بشارع أبي أحمد ، فلمّا كثر الناس واجتمعوا كثر بكاؤهم وضجّتهم ، فرُدّ النعش إلى داره ، فدفن فيها ، وسنّه أربعون سنة ، وخلف من الولد الذكور اثنين : الحسن ، وجعفر .

وتنكّر المعتزّ لبغا وآثر صالحاً وبابكباك ، وصيّر إلى بابكباك أعمال المعاون بمصر ، فولّاها بابكباك من قبله أحمد[1] بن طولون ، فقدم أحمد بن طولون الفسطاط في شهر رمضان سنة ٢٥٤ .

وبلغ المعتزّ أن بغا قد عزم على الوثوب به ، فدبّر على قتله ، فلمّا بلغه ذلك هرب ، فصار إلى ناحية الموصل ، وهو يقدّر أن أكثر الأتراك

---

(١) أحمد بن طولون : تركي مستعرب ، شجاع جواد وحسن السيرة ، يباشر الأمور بنفسه ، موصوف بالشدة على خصومه وكثرة الإثخان والفتك فيمن عصاه . بنى الجامع المنسوب إليه في القاهرة ، ومن آثاره أيضاً قلعة يافا بفلسطين سفك كثيراً من الدماء في مصر والشام ، توفي بإنطاكية سنة ٢٧٠ هـ .

[الزركلي : الأعلام ١ : ١٤٠]

وغيرهم يستلحقونه ، فلم يلحقه أحد ، فانصرف راجعاً في زورق ، فأخذه أصحاب المسالح ، وكوتب المعتزّ بخبره ، فأمر بضرب عنقه ، فضربت عنقه ، ونهبت داره ، ونفي ابنه فارس إلى المغرب في سنة ٢٥٤ .

ولمّا خاف المعتزّ وثوب الأتراك أشخص من كان بسرّ من رأى من الهاشميين من أولاد الخلافة وغيرهم إلى بغداد لئلا يخلس[١] الأتراك أحداً منهم .

وتلاحى[٢] أحمد بن طولون وأحمد[٣] بن المدبّر ، وهو عامل الخراج بمصر ، وأفسد بينهما شقير الخادم المعروف بأبي صحبة ، فكان شقير يتولّى البريد وضياعاً من ضياع الأقطار ، وما يستعمل للسلطان من المتاع وإليه ينسب الدّبيقيّ الشقيريّ ، وكتب كلّ واحد منهما في صاحبه ، فنصر بابكباك أحمد بن طولون . وكان بابكباك الغالب على أمر الخليفة ، وأعانه الحسن بن مخلد بن الجرّاح ، وأبو نوح عيسى بن إبراهيم بن نوح ، فكتب بعزل ابن المدبّر وتولية رجل من أهل مصر يقال له محمد بن هلال ، فتولّى الخراج ، وقبض ابن طولون على ابن المدبّر ، فقيّده ، وألبسه جبة صوف ، ووقّفه في الشمس ، فأقام بهذه الحال ثلاثة أشهر .

وقوي أمر يعقوب[٤] بن الليث الصفّار ، فسار إلى فارس ، وبها عليّ بن الحسين بن قريش متغلّب ، فهزم جيشه ، وأسره ، وتغلّب على فارس .

ووثب صالح بن وصيف التركيّ على أحمد بن إسرائيل الكاتب ، وزير المعتزّ ، وعلى الحسن بن مخلد ، صاحب ديوان الضياع ، وعلى

---

(١) خلس الشيء : سلبه بمخاتلةٍ وعاجلاً .

(٢) تلاحى : تنازع وتلاسن .

(٣) توفي ببغداد سنة ٢٧٩ هـ .

(٤) تقدّمت ترجمته .

عيسى بن إبراهيم بن نوح وعليّ بن نوح ، فحبسهم وأخذ أموالهم وضياعهم ، وعذّبهم بأنواع العذاب ، وغلب على الأمر ، فهمّ المعتزّ بجمع الأتراك ، ثم دخل إليه ، فأزاله من مجلسه ، وصيّر في بيت ، وأخذ رقعته بخلع نفسه ، وتوفي[1] بعد يومين ، وصلّى عليه المهتدي ، وكان ذلك في يوم الثلاثاء لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ ، وكانت ولايته من يوم بويع إلى يوم خلع فيه نفسه أربع سنين وتسعة أشهر ، ومنذ خلع المستعين وبايع له من ببغداد ثلاث سنين وسبعة أشهر ، وكانت سنّه اثنتين وعشرين سنة ، وخلف من الولد الذكور ثلاثة : عبد الله ، ومحمداً ، والمهتدي .

أيام محمد المهتدي[2] بن هارون الواثق بالله

واجتمع القوّاد على أنّه ليس في أولاد الخلفاء أفضل ولا أعقل من محمّد بن الواثق ، وأمّه أم ولد يقال لها قرب ، وكان ممّن أُشخص إلى بغداد في أيّام المعتزّ فشخص ، فلمّا قدم بايعوه ، فاجتمعت كلمتهم عليه ، وكانت البيعة له يوم الثلاثاء لثلاث بقين من رجب سنة ٢٥٥ ، وجلس للناس يوم الخميس ، بعد أن بويع له ، وذكر في الكتب خلع المعتزّ نفسه ، وسمّاه خالع نفسه ، وظهرت من المهتدي سيرة حسنة ومذاهب محمودة ، وجلس للمظالم بنفسه ، وباشر الأمور بجسمه ، ووقّع في القصص بخطّه ، وأبطل الملاهي ، وقدّم أهل العلم ، وأقام يلبس اليوم الواحد لبسة ، فتقيم عليه أيّاماً كثيرة لا يغيّرها . وكان صالح وبابكباك الغالبين عليه ، وأخرج صالح أحمد بن إسرائيل وعيسى بن إبراهيم بن نوح

---

(١) راجع هامشه وفيه خبر موته .

(٢) المهتدي : وُلد في القاطول سنة ٢٢٢ هـ . حين أحاط به الترك ، أخذ ينادي : يا معشر المسلمين ، قاتلوا عن خليفتكم ! فلم يجبه أحد ، وأُصيب بطعنة مات على أثرها سنة ٢٥٦ هـ . وكان حميد السيرة ، فيه شجاعة يأخذ أخذ عمر بن عبد العزيز في الصلاح .

[ابن الأثير ٧ : ٦٤ - ٧٧] .

من الحبس إلى بـاب العـامّـة ، فضُـربـا حتى مـاتـا ، وأفلت الحسن بن مخلد ، وردّ أحمد بن المدبّر إلى خراج مصر ، فأقام تسعين يومـاً ، ثم ورد كتـاب بابكبـاك إلى أحمد بن طـولون بـإزالـة ابن المـدبّـر ، وردّ النـظر إلى محمد بن هلال ، ففعل ذلك .

ووثب أهل حمص بمحمّد بن إسـرائيل ، فخـرج هاربـاً ، ولحقه ابن عكّار ، فكانت بينهما وقعة قُتـل فيها ابن عكّـار ، ورجع ابن إسـرائيل على البلد ، وأخـرج قبيحة أمّ المعتـزّ ، وأبا أحمـد وإسماعيـل ابني المتـوكّـل ، وعبد الله بن المعتزّ إلى مكّة ، ثمّ ردّوا إلى العراق .

وكتب إلى جميع المتحرّكين والمتغلّبين بالأمان ، وكتب إلى عيسى بن شيخ الربعيّ بمثـل ذلك ، وأمـره بحمل مـا قِبَله من أموال مصـر وغيرهـا ، فـامتنع ، فكتب إلى ابن طـولون[1] بـالمسير إليـه ، فسار إليـه ، فلمّا صـار بالعريش[2] ورد عليه الكتاب بـالانصراف ، فـانصرف ، ولم يلـق حـربـاً ، ولقي ابن شيـخ اماجـور التركيّ ، عـامل دمشق ، فهـزمه امـاجور وقتـل ابنه منصوراً ، ورجع ابن شيخ ، فحمل عياله إلى صور وتحصّن بها .

ووثب رجل من الطالبيّين يقـال له إبـراهيم بن محمد من ولـد عمر بن عليّ ، ويُعـرف بالصـوفيّ[3] ، بناحيـة صعيد مصـر ، ووثب أيضـاً في تلك

---

(١) أحمد بن طولون . وقد تقدّمت ترجمته .

(٢) العريش : مـدينـة كانـت أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحـل بحر الـروم في وسط الرمل .

[ياقوت : معجم البلدان]

(٣) الصوفي : إبراهيم بن محمد بن يحيى العلوي الهاشمي ، ثائر ، كان مقيماً في مصر ، وخرج في صعيدها على واليها أحمد بن طولـون ، فدخـل أسنا سنـة ٢٥٥ هـ . ونهبها وقتل بعض أهلها . فسيّر إليه ابن طولون جيشاً هزمه إبراهيم وقتل قائـده . ركب البحر إلى مكـة حيث قُبض عليه وأرسـل إلى ابن طولـون ، فسجنه ثم أطلقـه ، فخـرج إلى المدينة فمات فيها نحو سنة ٢٧٠ هـ .

[الكامل لابن الأثير ٧ وفيه «ابن الصوفي»]

الناحية رجل يقول إنّه عبد الله بن عبد الله بن عبد الحميد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب ، فحارب السلطان ؛ وقوي أمر صاحب البصرة ، وصار إلى الأُبُلَّة[1] فأخربها ، ووقعت بين أهل البصرة العصبيّة ، حتى أحرق بعضهم منازل بعض .

وتنكّر المهتدي للأتراك ، وعزم على تقديم الأبناء ، فلما علموا بذلك استوحشوا منه ، وأظهروا الطعن عليه ، فأحضر جماعة منهم ، فضرب أعناقهم ، وفيهم بابكباك رئيسهم ، فاجتمع الأتراك وشغبوا ، فخرج إليهم المهتدي في السلاح معلّقاً في عنقه المصحف ، واستنفر العامّة ، وأباحهم دماءهم وأموالهم ، ونهب منازلهم ، فتكاثر الأتراك عليه ، وافترقت عنه العامّة حتى بقي وحده ، وأصابته عدّة جراح ، ومرّ منصرفاً حتى دخل دار رجل من القواد يقال له أحمد بن جميل ، ولحقوه ، فأخذوه ، فحملوه على دوابّه وجراحاتُه تنطف دماً ، فدعوه إلى أن يخلع نفسه ، فأبى ، ومات بعد يومين ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦ ، وكانت خلافته سنة إلّا أحد عشر يوماً .

أيام أحمد المعتمد على اللّه[2]

وبويع أحمد المعتمد على الله بن جعفر بن المتوكل في اليوم الذي قُتل فيه المهتدي ، وهو يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢٥٦ ، ومن شهور العجم في حزيران . وكانت الشمس يومئذ في الأسد سبعاً

(١) الأُبُلّة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة .

[ياقوت]

(٢) المعتمد على الله : وُلد بسامراء سنة ٢٥٦ هـ . كان من أسمح آل عباس ، جيّد الفهم ، شاعراً . إلا أنه لما غلب على أمره انتقصه الناس . مات مسموماً ، وقيل رُمي في رصاص مذاب ، وكان موته ببغداد سنة ٢٧٩ هـ . ودفن في سامراء .

[ابن الأثير ٧ : ٧٧]

وعشـريـن درجة وثمـانياً وعشـرين دقيقة ، والقمـر في الدلـو ثماني درجـات واثنتين وعشـرين دقيقة ، وزحـل في القوس خمسـاً وعشرين درجـة وثلاثين دقيقة راجعاً ، والمرّيخ في الأسد ثلاث درجات وأربعين دقيقة ، والزهرة في الأسد درجة وأربعاً وأربعين دقيقة ، وعطارد في الجوزاء تسع درجات وثـلاثاً وثلاثين دقيقة .

وصيّر المعتمد عبيد الله[1] بن يحيىٰ بن خاقان وزيراً ، وقلّده أمـوره ، وكتب بالبيعة إلى الآفاق ، فبايـع بخراسـان محمد بن طـاهر بن عبـد الله بن طاهر ، وبكور الفرات مـالك بن طـوق التغلبيّ ، وبديـار مضر وديـار ربيعـة وجند قنّسرين أبو الساج بن ديوداد الأسروشنيّ ، وبمصر أحمد[2] بن طـولون التركيّ ، وامتنع عيسى بـن شيـخ بن الشليل الـربعيّ من البيعة بفلسـطين ، فوجّه برجل من الأتراك في سبعمائة تركيّ يقال له امـاجور ، فقـدم اماجـور دمشق ، وزحف عيسى بن شيخ إليه من فلسطين ، حتى أناخ بباب دمشق ، فحاصـره ، ولمّا اشتدّ الحصار بدمشق خرج اماجـور وأصحابـه من المدينـة واتبعـه ابن لعيسى بن شيخ يقـال له منصـور ، وخليفة لـه يقال لـه ظفـر بن اليمـان ، ويُعرف بـأبي الصهباء ، فحمـل عليهما امـاجور وأصحابه ، فقتـل منصور بن عيسى بن شيخ ، وأسر المعروف بأبي الصهباء ، فضـرب عنقه ، وصلب ، وانصرف عيسى بن شيخ إلى الرملة .

وزحف الخارج بالبصرة المدّعي إلى آل أبي طـالب ، واسمه عليّ بن محمد ، إلى الأبلّة ، فنهبها وأخربها وأحرقها بـالنار ، وتـوجّه إليـه سعيد بن صالح ، فواقعه بنهر أبي الخصيب .

ووردت كتب المعتمد إلى أحمد بن طولون عـامل مصـر ، يأمـره بردّ

---

(١) عبيـد الله بن يحيى : وزير ومن المقـدمين في العصر العبـاسي . كان عـاقلاً حـازماً ، استمر في الوزارة إلى أن توفي سنة ٢٦٣ هـ .

[دائرة المعارف الإسلامية ١ : ١٤٦]

(٢) تقدّمت ترجمته .

أعمال الخراج إلى أحمد بن محمد بن المدبّر ، وكان محبوساً في يده ، ومحمد بن هلال يتولّى الخراج ، فأُخرج يوم السبت لسبع ليال بقين من ذي القعدة سنة ٢٥٦ ، وتولّى الخراج ، وكان حبسه تسعة أشهر وخمسة وعشرين يوماً .

وفي هذه السنة تنازع قوم من بني هلال وقوم من أهل مكّة في الموقف بعرفات ، فقُتل قوم من هؤلاء وقوم من هؤلاء ، وكان صاحب الموسم الحسين بن إسماعيل الطاهريّ ، فأقام الحجّ للناس أحمد بن إسماعيل بن يعقوب الملقّب كعب البقر[1] .

وتوفي بابكباك التركيّ ، فصيّر المعتمد ما كان إليه من أعمال مصر وغيرها إلى يارجوج التركيّ ، وكتب يارجوج التركيّ إلى أحمد بن طولون التركيّ ، عامل مصر ، بإقراره على ما كان يتولّى .

وولّى المعتمد محمد بن هرثمة بن أعين برقة ، فقدم الفسطاط في شهر ربيع الآخر سنة ٢٥٧ ، ونفذ إلى برقة[2] .

ووجّه المعتمد بالحسين الخادم ، المعروف بعرق الموت ، إلى عيسى بن شيخ ، وقد تغلّب على فلسطين ، بأمان على نفسه وماله وولده ، والصفح عما كان منه ، وتوليته أرمينية ، ففعل ذلك ، وشخص من البلد في جمادى الآخرة سنة ٢٥٧ ، وسلّم ما كان في يده إلى اماجور التركيّ ، ولم يردّ من الأموال درهماً واحداً .

وكانت في السماء نار عظيمة أخذت من المشرق إلى المغرب ، ثمّ أجلت وتلتها هدة شديدة وزلزلة ، وكان ذلك مع طلوع الفجر لثمان بقين من رجب ، ومن شهور العجم في حزيران .

---

(١) وقد عرف أيضاً بالنطاحة : وهو من كبار الكتاب المترسلين .
(٢) برقة : من نواحي اليمامة . وبرقة أيضاً : موضع بالمدينة .

[ياقوت]

وحمل أحمد بن طولون ما كان حاصلاً في بيت المال بمصر إلى أمير المؤمنين المعتمد ، فكان مبلغه ألفي ألف ومائة ألف درهم ، وقاد الخيل ، وحمل الطراز والخيش والشمع ، ووازنه بنفسه حتى يسلّمه إلى اماجور التركيّ ، وأشهد به عليه ، وانصرف إلى الفسطاط .

وكتب المعتمد بالله إلى أحمد بن طولون بولاية الإسكندرية مكان إسحاق بن دينار بن عبد الله ، فشخص أحمد بن طولون إلى الإسكندريّة في شهر رمضان سنة ٢٥٧ .

وولّى أحمد المعتمد بالله أحمد بن محمد بن المدبّر خراج الشأمات ، وصرفه عن خراج مصر ، وولّى خراج مصر أحمد بن محمد شجاع ، المعروف بابن أخت الوزير ، فقدم الفسطاط في شهر رمضان من هذه السنة ، وعزل شقيراً الخادم ، المعروف بأبي صحبة ، عن البريد بمصر ، وولّى مكانه أحمد بن الحسين الأهوازيّ ، فقدم في شوّال من هذه السنة .

وفي هذه السنة وجّه أحمد بن طولون رجلاً من الأتراك يقال له ماطعان في ألف فارس مع حاجّ مصر ، وأمره أن يدخل المدينة ومكّة في السلاح والتعبية ، ويفعل مثل ذلك بعرفات ، وفعل ذلك ووافى عرفات بالأعلام والطبول والسلاح .

وفي هذه السنة دخل المدّعي[1] البصرة ونهب وحرّق المسجد الجامع ، وتوجّه إليه رجل من الأتراك يقال له محمد المولّد ، فلمّا بلغه الخبر انصرف ، ولم يلقه .

وفي هذه السنة بدأ أمر المعروف بأبي عبد الرحمٰن العُمريّ ، وأظهر رأسه لمحاربة أصحاب السلطان ، ولقي شعبة بن حركان صاحب أحمد بن طولون ، فحاربه بأسوان .

وفي هذه السنة وقعت عصبيّة بفلسطين بين لخم وجذام ، فتحاربوا

(١) المدّعي هو علي بن محمد المدّعي إلى آل أبي طالب .

حرباً أخذت من الفريقين ، وفيها حجّ بالناس الفضل بن العباس بن الحسن بن إسماعيل بن العباس بن محمد . وخرج أحمد بن محمد بن المدبّر من الفسطاط متوجّهاً إلى الشأمات في المحرم سنة ٢٥٨ ، فقام بالشأمات، وقصد مدينة دمياط وتولّى أعمال الخراج .

وفي هذه السنة دخل محمد المولّد التركيّ البصرة ، وأخرج المدّعي إلى آل أبي طالب وأصحابه عنها ، ورجع قوم ، فلم يجدوا منزلاً يُسكن[١] .

وفي هذه السنة[٢] وثب جند برقة بمحمد بن هرثمة بن أعين عامل المعونة . فأخرجوه عنها فا . . . . .[٣] رو إلى الفسطاط ، وفيها أخرج أحمد بن طولون الطالبيّين من مصر إلى المدينة ، ووجّه معهم من ينفذهم ، وكان خروجهم في جمادي الآخرة، وتخلّف رجل من ولد العباس بن عليّ ، وأراد أن يتوجّه إلى المغرب ، فأخذه أحمد بن طولون ، وضربه مائة وخمسين سوطاً ، وأطافه بالفسطاط .

وفيها وقع الوباء بالعراق ، فمات خلق من الخلق، وكان الرجل يخرج من منزله ، فيموت قبل أن ينصرف ، فيقال إنّه مات ببغداد في يوم واحد اثنا عشر ألف إنسان ، وفيها زاد أبو أيّوب أحمد بن محمد ابن أخت الوزير ، عامل خراج مصر ، في المسجد الجامع بمصر في آخر المسجد .

وفيها توجّه أبو أحمد بن المتوكل على الله إلى المدّعي إلى آل أبي طالب ، الخارج بالبصرة ، في جمع كثيف ، وكان العسكر والزاد والسلاح في السفن ، فوقعت النار في السفن ، فاحترقت وانصرف أبو أحمد راجعاً .

وفيها أخذ أحمد بن طولون على الجند والشاكريّة والموالي وسائر

---

(١) ذلك أنه نهب وحرق المنازل والمساجد فلم يُبقِ على شيء منها .

(٢) أي سنة ٢٥٨هـ .

(٣) كلام ناقص في الأصل .

الناس البيعة لنفسه على أن يعادوا من عاداه ، ويوالوا من والاه ، ويحاربوا من حاربه من الناس جميعاً .

وفيها غزا الصائفة محمد بن عليّ بن يحيىٰ الأرمنيّ ، وقدم شنيف الخادم مولى المتوكل للفداء ، فاجتمعوا بنهر اللامس[1] ، ففادوا وشرطوا للروم هدنة أربعة أشهر ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٢٥٨ .

وفيها قُتل يارجوج التركيّ بسرّ من رأى ،وبويع لأحمد بن الموفّق بن المتوكل ولقّب بالمعتضد[2] ، بولاية العهد ، وصيَّر إليه أعمال يارجوج ، من مصر وغيرها ، فدعي له على منابر مصر .

وحجّ بالناس الفضل بن العبّاس ، ونال أهل البادية زلازل ورياح وظلمة . . . . .[3] ممن كان حول المدينة من بني سليم وبني هلال وغيرهم من بطون قيس وسائر أهل البلد ، فهربوا إلى المدينة وإلى مكّة يستجيرون بقبر رسول الله وبالكعبة ، وأحضروا متاعاً من متاع الحاجّ الذين قطعوا عليهم الطريق ، وذكروا أنّه هلك منهم خلق عظيم في البادية ، وكان ذلك في سنة ٢٥٩ .

وفيها تغيّر ماء نيل مصر حتى صار يضرب إلى الصفرة ، وأقام على هذه الحال أيّاماً ، ثم رجع إلى ما كان عليه .

وفي هذه السنة مات أبو صحبة شقير الخادم ، وابن مطهّر الصنعانيّ صاحب بريد مصر .

---

(١) اللامس : من قرى الغرب يُنسب إليها أبو سليمان الغزي اللامسي ، وهي قرية على شط بحر الروم من ناحية ثغر طرسوس وفي هذه القرية يمر نهر هو نهر لامس .
[ياقوت : معجم البلدان]

(٢) المعتضد ، أحمد بن طلحة الموفّق بن جعفر العباسي ، الهاشمي ، القرشي ، البغدادي ولادةً وإقامةً ووفاةً . وهو الخليفة العباسي السادس عشر . توفي سنة ٢٨٩ هـ .

(٣) كلام ناقص في الأصل .

تمّ الموجود من تاريخ ابن واضح الكاتب العبّاسي ، رحمه الله تعالى وعفا عنه ، والحمد لله ربّ العالمين . وكان الفراغ من تحصيل هذا الكتاب المبارك في سرّ نهار الربوع في سلخ شهر ربيع الآخر الذي هو من شهور سنة ١٠٩٦ ، وذلك برسم سيدي ومولاي الأكرم النقي التقي ، البرّ الوفيّ ، العالم العامل ، العلّامة ، والخيرة من الشيعة الكرام ، غفر الله له ولوالديه ، وتقبّل منه حسناته ، وتجاوز عن سيئاته ، وحشرنا وإيّاه في زمرة نبيّنا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وذلك بخطّ الجاني المسيء إلى مولاه ، كثير الذنوب ، الراجي رحمة علام الغيوب ، أفقر عباد الله إليه وأحوجهم إلى غفره ، الغنيّ به عمن سواه ، أحمد بن حسين بن أحمد بن عليّ النهدي الأشتي ، غفر الله له ولوالديه ولمن دعا له بالمغفرة ، ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلّم تسليماً ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الـفهــرست

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة